

جامعة باتنة 1

كلية الحقوق و العلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

جهود الدبلوماسية العامة الأمريكية في تنفيذ
السياسة الخارجية وتحسين الصورة ضمن معايير
الترتيبات و المصالح الأمنية تجاه العالم العربي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم السياسية

فرع التنظيمات السياسية

إشراف : أ. د. بخوش مصطفى

إعداد : بودردابن منيرة

لجنة المناقشة

اللقب و الاسم	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ. د. قادري حسين	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	رئيسا
أ. د. بخوش مصطفى	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	مشرفا و مقرا
أ. د. راقي عبد الله	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	عضوا ممتحنا
أ. د. بحري طروب	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	عضوا ممتحنا
د. السعيد مصطفى	أستاذ محاضر "أ"	جامعة بسكرة	عضوا ممتحنا
د. شاعة محمد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية 1438 / 1439 هـ - 2017 / 2018 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

الى روح والدتي ، رحمها الله
الى من أحب العلم ، والذي أطال الله في عمره
الى زوجي حفظه الله
الى أسيل و عبد الودود ، رعاهم الله

شكر و عرفان

الحمد لله الذي لا يتم الشكر سوى بحمده
الحمد لله وفقني لإتمام هذا العمل من غير حول مني و لا قوة

إن إتمام هذا العمل الذي استغرق عدة سنوات ليعطي الكثير من الرضا، و هو فرصة ليس فقط لتذكر جميع الصعوبات التي اعترضتنا و كيف تم تجاوزها بل لتذكر جميع الأشخاص الذين كانوا "مساهمين" من قريب و بعيد في الوصول إلى هذه اللحظة.

كل الشكر و العرفان موجه إلى الأستاذ الدكتور مصطفى بخوش الذي قبل الإشراف على هذا العمل و من دون ملاحظاته ، نشاطه ، اقتراحاته، مساعدته ما كان ليصل إلى هذه الدرجة من التدقيق.

جزيل الشكر أيضا للمؤطر بجامعة صقاريا (تركيا) ، الأستاذ كمال شان على مساعدته و توجيهاته خلال فترة التريض الاقامي بتركيا.

أسمى عبارات الشكر موجهة للسادة أعضاء لجنة المناقشة على قراءتهم و ملاحظاتهم : الأستاذ الدكتور قادري حسين ، الاستاذ الدكتور راقي عبد الله، الأستاذة الدكتور بحري طروب ، الدكتور السعيد مصطفى ، الدكتور شاعة محمد.

تشكراتي الخالصة لكل الزملاء و الأصدقاء الذين ساهموا أيضا بملاحظاتهم في تدقيق هذا العمل و تحسينه.

تشكراتي الخالصة إلى كل أعضاء عائلتي ، و على رأسهم ابي و أمي الذين علماني أن الحياة دراسة و أن الدراسة ليست الحياة. إلى إخوتي منير و سمير و أخواتي نادية ، نزيهة، حياة ، ياسمينه. إلى زوجي العزيز على تنبيهاته و تشجيعه.

خطة البحث

مقدمة :

مكانة الدبلوماسية العامة في السياسة الخارجية و الأمن الأمريكي : اطار مفاهيمي و نظري

الفصل الأول

المبحث الأول

الدبلوماسية العامة في الممارسة الأمريكية.

المطلب الأول

نشأة وتطور الدبلوماسية العامة الأمريكية.

المطلب الثاني

تحديد مفهوم الدبلوماسية العامة الأمريكية

1.

أهداف الدبلوماسية العامة الأمريكية

2.

أبعاد الدبلوماسية العامة الأمريكية

المطلب الثالث

الدبلوماسية العامة الأمريكية : بناء إطار نظري للتحليل

1.

التيار المثالي و مقارنة المسارات الدبلوماسية

2.

الدبلوماسية العامة كقوة ناعمة عند جوزيف ناي

3.

الدبلوماسية العامة كدعاية و ادارة سمعة : مساهمة برايان هوكينغ

المطلب الرابع

القائمون بالدبلوماسية العامة

1.

وسائل الاعلام و الدعاية

2.

المنظمات غير الحكومية

3.

مراكز الفكر *Les Think tanks*

المبحث الثاني

المنطلقات النظرية للسياسة الخارجية

المطلب الأول

محددات و أهداف السياسة الخارجية الأمريكية

المطلب الثاني

المضامين النظرية للسياسة الخارجية الأمريكية

1.

الطرح الواقعي

2.

الطرح الليبرالي

3.

الطرح الامبريالي

المطلب الثالث

الخطاب الايديولوجي و الامبريالية الجديدة في السياسة الخارجية الأمريكية بعد 11

سبتمبر

المبحث الثالث

الدبلوماسية العامة و الأمن القومي الأمريكي : المقاربات النظرية

المطلب الأول

الأمن في المقاربات النظرية الكبرى

1.

المنظور البنائي للأمن

2.

المنظور الليبرالي

3.

نظرية ما بعد الحداثة

المطلب الثاني

الأمن الأمريكي في منظور التيارات الايديولوجية الكبرى للسياسة الخارجية الأمريكية

1.

تيار الانعزاليين

2.

تيار الهيمنة

3.

تيار الأيمن

المطلب الثالث	التطورات الاستراتيجية في السياسة الخارجية الأمريكية
1.	فترة جورج بوش الابن و تأثير المحافظين الجدد
2.	فترة باراك أوباما
الفصل الثاني	السياق الجيواستراتيجي و الاتصالي للدبلوماسية العامة الرسمية في المنطقة العربية
المبحث الأول	المنطقة العربية كفضاء جيواستراتيجي غير آمن
المطلب الأول	المنطقة العربية كفضاء جيوسياسي
1.	فضاء المنطقة العربية
أ.	الأهمية الجيواستراتيجية للمنطقة العربية : العناصر الهيكلية
ب.	التقاطعات الهرمية لفضاء المنطقة العربية مع الفضاءات الجيوسياسية الأخرى
2.	خصائص المشاكل الجيوبوليتيكية التي يفرزها فضاء المنطقة العربية : الحركات المهيكلة
المطلب الثاني	تأثير المصالح الأمريكية على النظام الاقليمي العربي
1.	المصالح الأمريكية في المنطقة العربية
2.	المصالح الأمريكية في المنطقة العربية كامتداد للأمن القومي الأمريكي
أ.	مشروعية الأمن الأمريكي بالحضور الدائم في المنطقة
ب.	نحو مناهضة مستمرة للمصالح الأمريكية في المنطقة العربية
المطلب الثالث	السياق الجيواستراتيجي المتغير للمنطقة العربية
1.	الاتجاهات الجيواستراتيجية الجديدة في المنطقة العربية
2.	ترجع الدور الأمريكي في المنطقة العربية
المبحث الثاني	تطور الفضاء الاتصالي العربي و اعادة توجيه الدبلوماسية العامة نحو الاتصال الاستراتيجي
المطلب الأول	البيئة الاتصالية و الاعلامية العربية كفضاء نشاط للدبلوماسية العامة الأمريكية : أولوية الاستثمار في الفضاء الافتراضي
1.	الفضاء الاتصالي و الافتراضي العربي الجديد
2.	الشبكات الاجتماعية كوسيلة تعبئة اجتماعية و سياسية
3.	أثر البيئة الاتصالية العربية على مؤسسة الدبلوماسية العامة الأمريكية
المطلب الثاني	الدبلوماسية العامة الأمريكية كاتصال استراتيجي أممي
1.	المقاربة الاستراتيجية للدبلوماسية العامة الأمريكية
2.	نحو استراتيجية اتصالية في الدبلوماسية العامة
المطلب الثالث	الاتصال الاستراتيجي الرسمي من خلال خطاب الوعود بالقاهرة 2009 : دراسة حالة
1.	أهمية السياق العام : ضرورة البحث عن بداية جديدة
2.	محمورية الوعود في خطاب القاهرة
المبحث الثالث	الدبلوماسية العامة الرسمية لإدارة الرئيس أوباما : نموذج القوة الذكية لإعادة تعريف مضامين الزعامة الأمريكية على العالم العربي
المطلب الأول	اعادة تكييف القوة المرنة للحفاظ على الزعامة الأمريكية
1.	التوجه الجديد لثنائية القوة الصلبة و القوة المرنة في السياسة الخارجية الأمريكية
2.	الاستراتيجيات المرنة في سياسة القوة الأمريكية في العالم العربي

تحليل خطة الدبلوماسية و التنمية الرباعية لسنة 2015	.3
المطلب الثاني	دور البنى العسكرية للقوة في الدبلوماسية العامة
.1	العناصر المؤسسة لمفهوم العمليات النفسية
.2	خصائص العمليات النفسية للفاعلين العسكريين في المنطقة العربية
المطلب الثالث	الدبلوماسية العامة لوكالة الاستخبارات المركزية في المنطقة العربية
.1	الاستخبارات كفاعل من فواعل القوة الذكية
.2	أدوار الاستخبارات المركزية كفاعل في الدبلوماسية العامة في المنطقة العربية
.3	حوصلة : خصائص مقارنة الرئيس أوباما للدبلوماسية العامة كقوة ذكية
الفصل الثالث	تحليل البعد الأمني للدبلوماسية العامة في المنطقة العربية : الفواعل و القضايا
المبحث الأول	الخطاب الأمريكي بشأن الديمقراطية و حقوق الانسان : دور الوكالة الأمريكية للتنمية
المطلب الأول	الديموقراطية و حماية حقوق الانسان في الاستراتيجية الأمنية الأمريكية
.1	مضمون الديمقراطية و حقوق الانسان تجاه العالم العربي
.2	أدوات و وسائل الديمقراطية في العالم العربي
.3	منظمات المجتمع المدني كآلية لتحقيق الديمقراطية
المطلب الثاني	الدبلوماسية العامة من خلال الوكالة الأمريكية للتنمية : الأدوار ، المشاريع و الأهداف
.1	الأدوار و المشاريع
.2	أهداف الوكالة الأمريكية للتنمية
المطلب الثالث	الوكالة الأمريكية للتنمية و الاختراق الناعم للعالم العربي
.1	الحالة المصرية من خلال معايير تقديم المساعدات الاقتصادية
.2	الحالة العراقية : معايير نشر الديمقراطية و إعادة البناء
المبحث الثاني	الدبلوماسية العامة الأمريكية و مكافحة الارهاب في العالم العربي : دور مراكز الفكر (نموذج راند)
المطلب الأول	دور القوة الناعمة في محاربة الارهاب في العالم العربي
.1	الارهاب و معاداة امريكا
.2	الدعاية و تحسين الصورة
المطلب الثاني	مركز راند كفاعل سياسي و دبلوماسي و تأثيره على السياسات المتعلقة بالإسلام السياسي
.1	دور مركز راند في بناء استراتيجية التعامل مع الاسلام السياسي
.2	التجسيد العملي و السياسي لأفكار مركز راند عن الاسلام السياسي
المطلب الثالث	دور مركز راند في تكييف السياسة الأمنية الأمريكية في مكافحة الارهاب
.1	خطاب مركز راند عن الارهاب : من الارهاب إلى الارهاب الاسلامي
.2	تأثير خطاب مركز راند عن الارهاب الاسلامي على السياسات الأمنية منذ 11 سبتمبر
المبحث الثالث	ثورات الربيع العربي بين القوة المرنة و القوة الذكية : الدبلوماسية العامة الرقمية
المطلب الأول	الدبلوماسية الرقمية و ثورات الربيع العربي و الموقف الأمريكي منها
.1	الدبلوماسية الرقمية و القوة الذكية الأمريكية
.2	ثورات الربيع العربي و الموقف الأمريكي منها
المطلب الثاني	استراتيجيات تسويق الدبلوماسية العامة في العالم العربي عبر شبكات التواصل

الاجتماعي

1. الدبلوماسية العامة للأمن الالكتروني و الجاهزية الالكترونية 2.0
2. دبلوماسية فايسبوك و تويتر
- المطلب الثالث
1. السلوك الأمريكي تجاه الثورة : دعم جماعة الاخوان المسلمين
2. اثر الشبكات الاجتماعية و وسائل و تكنولوجيايات الاتصال الحديثة في تطور الحراك الشعبي في مصر

الفصل الرابع

تقييم دور الدبلوماسية العامة الأمريكية في تحقيق أهداف السياسة الأمنية الأمريكية في المنطقة العربية

- المبحث الأول
- المطلب الأول
1. تقييم برامج أمريكا لدعم الديمقراطية في العالم العربي
2. تحديات الدبلوماسية في تطبيق الديمقراطية
- المطلب الثاني
1. تقييم دور الو. م. أ. في مكافحة الارهاب في العالم العربي
2. مدى نجاح الدبلوماسية العامة في تحسين الصورة
- المطلب الثالث
1. تقييم أبعاد الموقف الأمريكي في مواجهة التحديات الأمنية للربيع العربي
2. القوة الذكية و مدى نجاحها في تعزيز الحراك الشعبي في العالم العربي

المبحث الثاني

استراتيجية اعادة صياغة السياسة الخارجية وفق أبعاد الدبلوماسية العامة في المنطقة العربية

- المطلب الأول
1. هل حققت الدبلوماسية العامة أهداف السياسة الخارجية ؟
2. من خلال الأنشطة و الأهداف
- المطلب الثاني
1. تقييم استراتيجية تفعيل الدبلوماسية العامة في العالم العربي
2. على المستوى الرمزي
- المطلب الثالث
1. مشاكل و تحديات الدبلوماسية العامة في المنطقة العربية
2. عناصر الاستجابة
- المبحث الثالث
- المطلب الأول
1. ملامح مستقبل الدبلوماسية العامة في العالم العربي
2. تنامي الطلب على الدبلوماسية العامة و القوة المرنة : سيناريو الاستمرار
1. كسب العقول و القلوب في العالم العربي
2. تصاعد الطلب على القوة الناعمة و تراجعها على القوة الصلبة

استمرار تراجع الصورة الأمريكية في العالم العربي : سيناريو التراجع
قراءة في وضع الصورة الأمريكية لدى الجماهير العربية
تراجع القوة المرنة الأمريكية و تبديدها

المطلب الثاني

.1

.2

خاتمة

قائمة المراجع

مقدمة

1. تقديم موضوع البحث :

منذ الحادي عشر من سبتمبر 2011 تتميز السياسة الاتصالية للإدارات المتعاقبة على الرئاسة الأمريكية بالعودة المستمرة إلى المرجعيات الإيديولوجية و الاستراتيجية التي كانت سائدة خلال فترة الحرب الباردة نظرا للتشابه الكبير الموجود بين هذه الحقبة و فترة " الحرب الشاملة على الإرهاب ". إن مثل هذا التقريب بين الفترتين قد أثار الكثير من النقاش بخصوص دور الدبلوماسية العامة في تحقيق الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية (الو. م. أ.) في العالم بشكل عام و في العالم العربي بشكل خاص عبر محاولات تحسين الصورة لأغراض أمنية. بعبارة أخرى ، تعتبر الدبلوماسية العامة بمضمونها الحالي أيضا استمرار للسياسات الاتصالية التي شهدتها الحرب الباردة و لكن بمسميات و مضامين جديدة.

تعرف الدبلوماسية العامة بشكل عام على أنها مجموع الوسائل التي تستخدمها حكومة معينة في التواصل و التأثير على الجماهير الأجنبية. هذا المصطلح الذي أخرجه إلى الوجود باحثوا جامعة Tufts في أواسط سنوات الستينيات من القرن العشرين برز بشكل خاص من أجل تمييز هذا النوع من السياسات الاتصالية مع الجماهير الأجنبية أو ما يسمى بالسياسات الثقافية (التي قد تشير إلى التواصل باستخدام المعلومات النزيهة) عن الدعاية (التي قد تشير إلى الاستخدام الاستغلالي للمعلومات) و عن العلاقات العامة *public relations* (التي تشير إلى كيفية التعامل مع الجماهير المحلية أو الداخلية). لكن و منذ انشاء كتابة الدولة الفرعية للدبلوماسية و العلاقات العامة سنة 1999 *Under-Secretary for Public Diplomacy and Public Affairs* - فقد بدت الحدود بين هذه المجالات الثلاثة أكثر تداخلا ، حيث بات من الضروري اللجوء إلى أطر نظرية أوسع من أجل فهم هذا النشاط. بعد هيمنة النموذج الدعائي طيلة سنوات الحرب الباردة فإن فترة ما بعد 09/11 هي فترة جديدة أيضا "لكسب القلوب و العقول" في العالم العربي و لكن لمواجهة فكرة العداء لأمريكا الناتج عن السياسات الامبريالية المنتهجة منذ فترة في عموم المنطقة.

أصبح الساسة و المواطنون الأمريكيون على حد سواء على دراية بعدم الشعبية التي تحظى بها أمريكا في العالم العربي في أعقاب "الحرب الشاملة على الارهاب" و هو نفس الوضع الجيوسياسي التي واجهته الو. م. أ. أيام فترة الحرب الباردة ضد "العدو" الشيوعي. لقد أخذ هذا الوضع مصداقية أكبر لدى المسؤولين الأمريكيين و جعلهم أكثر ايمانا بمقولة ايزنهاور الشهيرة عن أن الأمن الذي يجلبه

السلاح ما هو إلا أمن نسبي و أن الأمن الفعلي لا يتحقق سوى بالمعرفة المشتركة و التفاهم المتبادل¹. إذن و بعد فترة التسعينيات التي يمكن وصفها بفترة من عدم الاهتمام فقد أحيي الاهتمام و بشكل مدفوع بالسياسات الاتصالية التي ينبغي أن تصاحب الفعل السياسي و الاستراتيجي في هذه المنطقة الحساسة من العالم. يشهد على هذا قيام إدارة بوش الابن بخلق كتابة للدولة مكلفة بالدبلوماسية العامة و تعيين خبراء علاقات عامة ذائعي الصيت على رأسها (من أمثال شارلوت بيير و كارين هيوج) و بحكم هذا الدمج المباشر بالحكومة الأمريكية فإن هذا يشير إلى إستحالة فصل مؤسسة الدبلوماسية العامة عن أهداف 'استراتيجية الحرب الشاملة عن الإرهاب' و لا عن مخلفاتها اللاحقة. يمكن القول إذن أن الو. م. أ. لا تتخبط في مجهود سياسي خارجي من دون وجود نشاط تعبوي مصاحب لها يستهدف هذه الجماهير و أن إعادة الاستثمار في تلك السياسات الاتصالية التي عرفتها الحرب الباردة لا تمثل عودة إلى حرب أيديولوجية بقدر ما هي استراتيجية تهدف إلى مصاحبة استراتيجية الحرب الشاملة على الارهاب (خلال فترة بوش الابن) ثم إلى احداث قطيعة مع مخلفاتها التي ورثها الرئيس اوباما لاحقا.

لكن و من ناحية أخرى، يشهد السلوك الاستراتيجي الأمريكي في المنطقة العربية تحولات مهمة منذ مجيء الرئيس أوباما و ذلك نظرا لذلك التغير النسبي في ميزان القوى العالمي الذي تشير إليه بعض الرؤى المعبرة عن نهاية العهد الأمريكي (في إشارة إلى فريد زكريا في عبارته نهاية نهاية التاريخ)، و الذي أفرز وضعاً عربياً لا يخضع بالمطلق للو. م. أ. فضلا عن كونه أصبح مسيرا بالوكالة كنتيجة لعقيدة الانسحاب التدريجي (قوى عربية مثل السعودية أو اقليمية مثل ايران و تركيا أو دولية خارجية عن المحيط العربي مثل روسيا و الصين). إذن و بالموازاة مع هذه التطورات الجيو استراتيجية التي تعرفها المنطقة العربية توجد هناك دبلوماسية عامة موجهة نحو خدمة أهداف استراتيجية مختلفة عن تلك التي خلفتها "الحرب الشاملة على الإرهاب" و التي يمكن تجميعها في فئتين ؛ الأولى و هي ضرورة إحداث القطيعة مع حقبة المحافظين الجدد و الحرب الشاملة على الارهاب و الثانية هي ضرورة الحفاظ على الهيمنة الأمريكية على المنطقة حتى مع وجود منافسين محتملين.

¹ تصريح للجنرال ادوين ايزنهاور أمام أعضاء الكونغرس سنة 1947 بمناسبة الانتخاب على قانون سميث وماندت جانفي 1948 و التي أعلن بموجبه الشروع في مشروع مارشال و من ثمة بداية سياسة الاحتواء في اوروبا.

من ناحية اخرى، اصبح لدى منظري الأمن و المصلحة القومية في الو. م. أ. نظرة غير تقليدية للأمن. لقد أدخل هؤلاء متغيرا جديدا في مفهوم الأمن و أصبح "الكيفية التي ينظر بها العالم إلى الو. م. أ." حجم ليس بالهزيل في التخطيط الاستراتيجي خصوصا على مستوى البنى الاتصالية للسياسة الخارجية الأمريكية مع الشعوب و الدول الأجنبية. يحتل العالم العربي خصوصا و العالم السلامي عموما حيزا جد معتبر في هذه الاستراتيجيات و ذلك لا يرجع إلى عوامل هيكلية تحكم علاقة امريكا بالعالم العربي فحسب (الأهمية الجيوستراتيجية للعالم العربي و حجم الطلب المرتفع جدا على التدخل و الحضور الأمريكي في ادارة شؤون هذا الفضاء الاستراتيجي) و لكن أيضا إلى حجم التعارض و التضارب السياسي و القيمي الموجود بين الاثنتين. يعبر الجمهور العربي عن مواقف سياسية معارضة للو. م. أ. و هو ما تحمله عبارات من قبيل العداة لأمریکا و مشاعر الكره لأمریکا التي تشير إليها أغلب الوثائق الأكاديمية و حتى الرسمية الأمريكية ، لكن و في نفس الآن تحظى أمريكا كبلد و كنموذج حياة بنوع من الاعتبار الايجابي لدى نفس الجمهور العربي و هو ما يشكل مفارقة بخصوص طبيعة الرسالة التي يجب ان يحملها السلوك الاتصالي للإدارات الأمريكية للتعامل مع هذه الجماهير في مصاحبة السياسات الميدانية الجارية بهذه المنطفة.

يبدو أن الأدبيات المهمة بهذا الموضوع متففة على أن الدبلوماسية العامة الأمريكية تعاني من نوع من الاستعصاء و من عدم الانسجام و حتى من عدم النجاعة، وذلك أن تتبع الأهداف الأمنية و الأمريكية يمارس بتدخلية معسكرة غير محدودة تحت شعار "الدفاع عن الحرية " *interventionnisme militarisé illimité* - أي متجاوز لجميع معايير الشرعية الدولية باللجوء المفرط إلى القوة الصلبة - و هو ما يجعل الرسالة الأمريكية الواجب ارسالها إلى الجمهور العربي جد متناقضة مع القيم الأساسية المنادى بها على مستوى البنى الخطابية للسياسة الخارجية العربية للو. م. أ. لقد لوحظت آثار هذا التضارب من خلال كثرة الاصلاحات و التغييرات التي مست هياكل الدبلوماسية العامة الرسمية و كثرة النقاش حول ملائمتها للسياسات القائمة و التي لا تراعي ما ينتظره الجمهور الأجنبي.

إن تتبع هذه التطورات الحاصلة ميدانيا يرافقه استقهامات نظرية من الجانب الآخر. إذا كانت الدبلوماسية العامة في العالم العربي تترجم السلوك الاتصالي الأمريكي الذي يستهدف الجمهور الأجنبي العربي لخدمة الأهداف الاستراتيجية الكبرى للو. م. أ فهي بهذا المعنى - و قبل كل شيء -

مرتبطة بشكل مطلق بمسألة القوة بمدلولها الواسع (كوضع أو كمكانة) و الضيق (العسكري)، و هو أمر يسهل ملاحظته إذا نظرنا في عبارة "القوة المرنة" أو "القوة الذكية" عند جوزيف ناي حيث يتركب المفهوم من كلمة القوة أساسا قبل أن يُلحَقَ به وصف "المرن" أو "الذكي". وإذا كانت الدبلوماسية العامة ترتبط بمسألة القوة فهي إذن تتم وفقا لقواعد استراتيجية تمس عملية الاتصال مع الجماهير الأجنبية. و إذا كانت هذه العملية هي سلوك استراتيجي يعتمد على "التأثير بالمعلومة" أفلا تستهدف في النهاية تحقيق جماعة أمنية قائمة على تقاسم القيم و المصالح يكون دورها الرئيسي التقليل من حجم التعارض بين امريكا و العالم العربي ؟ تشكل مثل هذه الاستفهامات خارطة الطريق التي توجه تفكيرنا حول مسألة الدبلوماسية العامة الأمريكية و رهاناتها في العالم العربي، و ذلك عن طريق الاستنباط من نموذج الدبلوماسية العامة الذي خلفته الحرب الباردة. بالعودة إلى مثل هذه المقارنة فإن الرأي الذي تجمع فيه الكثير من الأدبيات على وجود "تجديد" في الدبلوماسية العامة في العالم العربي يقبل الكثير من النقاش، فمثلا تشير عبارة "كسب العقول و القلوب" التي يعاد استخدامها بشكل واسع بمناسبة سياسية الحرب على الإرهاب إلى استرداد نفس الأساليب و المفاهيم التي كانت سائدة ابان الحرب الباردة و هي بهذا الشكل لا تعكس أي طابع جديد مس استراتيجيات الاتصال المطبقة على الشعوب و الجماهير العربية ما عدا تلك التغيرات التي عرفها الفضاء الاتصالي الافتراضي العربي و نمو في ادوار القطاع الدبلوماسي الخاص.

2. أهمية الموضوع :

هذا الموضوع يندرج اساسا ضمن حقل الدراسات الاتصالية فهو يحاول أن يركز على الجوانب الاتصالية في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العالم العربي و لكن عبر اخضاعها لتفكير معقد يأخذ في الحسبان ليس فقط الجوانب الاستراتيجية للسياسة الخارجية و لكن أيضا الجوانب الاستراتيجية لعملية الاتصال مع الشعوب العربية. إنها إذن دراسة في السلوك الاتصالي الأمريكي المصاحب للسلوك الاستراتيجي العام لأمريكا في منطقة حساسة من العالم نظرا لطبيعة التعارض الموجود بين البيئتين. ترفع هذه الدراسة تحديا معرفيا لأنها تقدم طرحا بديلا عن تلك التفسيرات و التحاليل التي يفرزها حقل دراسات الاعلام و الاتصال أو حتى حقل العلاقات العامة. إنها تتصور أن الدبلوماسية العامة هي مؤسسة كبرى تضم الكثير من الفاعلين تتعقد بينها أشكال التفاعل و لكنها تعمل بشكل استراتيجي لخدمة السلوك الاستراتيجي العام للدولة. تتعلق الدراسة إذن بتحليل الجوانب غير المادية

للأمن و ذلك من خلال دراسة الدبلوماسية العامة باعتبارها سلوكا اتصاليا استراتيجيا و مدى قدرة هذه السياسات على خدمة الامن القومي الامريكي.

تبرز بالتالي أهمية هذا الموضوع من خلال جدة و أصالة البناء التصوري للطرح المقدم عن مؤسسة الدبلوماسية العامة كاستراتيجية اتصالية هادفة إلى خلق جماعة أمنية. إن أغلب الدراسات المتوفرة عن هذا الموضوع سواء في الفضاء العربي ، الانجلوسكسوني أو الفرنكفوني و التي اتاحت لنا فرصة الاطلاع عليها لا تقدم تفسيرات تربط بين متغير الأمن و متغير استراتيجيات الاتصال. لهذا السبب تعتبر هذه الدراسة مساهمة في تدعيم الحقل المعرفي العام عن الدبلوماسية العامة بطرح جديد يدمج الجوانب الاستراتيجية للاتصال مع الجوانب الاستراتيجية للسياسة الخارجية الأمريكية عبر مساءلة الجوانب الأمنية فيها.

3. مبررات اختيار الموضوع :

يعتبر موضوع الدبلوماسية بشكل عام مصدر الالهام الأول في حد ذاته و الدافع الأول لاختيارنا لمثل هذه الاشكالية ، كما أن للاختيار دوافع ذاتية سنأتي على ذكرها أيضا.

أ. المبررات الموضوعية :

إن وجود دراسات تربط بين الدبلوماسية العامة والسياسة الخارجية من خلال تحليل دورها في تحقيق أهداف وأولويات السياسة الخارجية وفق معايير المصالح الأمنية تجاه العالم العربي هي نادرة وهذا ما جعلنا نحاول تقديم إطار نظري ومقاربة معرفية لتحديد إستراتيجية الدبلوماسية العامة الأمريكية في تنفيذ السياسة الخارجية تجاه العالم العربي. إن الهدف من ذلك هو توضيح الدور الذي لعبته هذه الدبلوماسية وما يمكن أن تلعبه إذا ما عززت وسائلها بما يتوافق والمصالح الأمنية للولايات المتحدة الأمريكية لاسيما في مجال التنمية وحماية حقوق الإنسان وعولمة الحوار الدولي وإحلال السلام بعيدا عن النزاعات والقوة والحرب، و ذلك من خلال تقديم فلسفة بحثية قائمة على اعتبار الدبلوماسية العامة سلوكا استراتيجيا هادفا إلى تشكيل جماعة أمنية يكون بإمكانها تقليص دور القوى المنازعة و المقاومة (قوى العداة او التضارب و المعارضة) للأهداف الأمنية الكبرى للو.م. أ. في العالم العربي.

ب. الميراث الذاتية :

يعتبر هذا الموضوع استمراراً لأعمال بحثية سابقة قمنا بها عند إعدادنا لمذكرة الماجستير المقدمة سنة 2010 بجامعة قسنطينة، و بهذا الشكل فهو يندرج ضمن مشروع بحثي شخصي و مهني متوسط المدى. فضلا عن شهادة الدكتوراه التي ستكرس مجهوداتنا البحثية و فضلا عن تطوير مسارنا المهني كأستاذ جامعي فإن موضوعا الدبلوماسية العامة و سياسات الاتصال في حقل العلاقات الدولية يشكلان نواة هويتنا البحثية و نواة مركز اهتمامنا البحثي. يعتبر مثل هذا الموضوع جد متحرك من ناحية الاشكالات التي يفرزها التطور التكنولوجي في أدوات الاتصال و لكن أيضا بفعل التغير المستمر في علاقات القوة في العالم و هو ما يحتم المتابعة و التكيف المستمرين في الأطر النظرية و المفاهيمية العامة التي تحكم أي محاولة تفكير في هاذين الموضوعين. سوف تمكنا هذه الرسالة من المضي قدما في إعداد مشاريع للنشر و البحث و التي نعزم استكمالها بعد الفراغ مباشرة من تقديم و مناقشة هذه الرسالة.

4. أدبيات الدراسة :

تتميز الأدبيات المتوفرة عن هذه المادة بالوفرة و التنوع و لكنها تظل جد تابعة لحقل دراسات الاعلام و الاتصال و حقل العلاقات العامة أساسا. من نتائج هذه الهيمنة غياب دراسات جادة في حقل العلوم السياسية و حقل العلاقات الدولية و حتى إن وجدت فقد تميزت باستخدامها المفرط لأطر تفسيرية محمولة في مفاهيم مثل الدعاية و ادارة السمعة. إن أغلب الدراسات المتوفرة بهذا الخصوص تغفل الأطر النظرية و المفاهيمية التي تحيلنا عليها منتجات حقل العلوم السياسية بصورة عامة. لكن، و بالرغم من هذه التبعية لمفاهيم و نظريات علوم الاعلام و الاتصال و العلاقات العامة فإن هناك جيل جديد من الكتاب يطرح تصورات تتميز بطابعها المتعدد الاختصاصات pluridisciplinaires و أحدثت نقلة نوعية في هذا الميدان، و هو ما ساعدنا أيضا على تبني رؤية مركبة للدبلوماسية العامة باعتبارها مؤسسة و أداة استراتيجية و مقاربة أمنية مرنة. لقد اثرت أعمال جوزيف ناي بشكل كبير جدا على أعمال هذا الجيل من الكتاب و على بنائنا النظري للموضوع أيضا. إن مفهوم القوة المرنة و مفهوم القوة الذكية لهما مفهومان محوريان في كتابات هذا الجيل من الكتاب و هما يزودان هذه الدراسات بتحليل مقتبسة من حقل العلوم السياسية (مفهوم القوة). سمح لنا هذا الاطار النظري

لجوزيف ناي بتطوير تصورنا عن الدبلوماسية العامة ؛ إنها ليست مجرد أنشطة تواصلية لإدارة الصورة أو السمعة بل هي أدوات لممارسة القوة و فرض الإرادة من خلال سلة هامة من الأنشطة الاتصالية المدروسة و الهادفة. لقد استعنا بسلة هامة من الدراسات المنجزة عن هذا الموضوع و التي ساعدتنا على اقتراح اطار نظري لهذه الدراسة يقوم على تحليل الجوانب الاستراتيجية لمؤسسة الدبلوماسية العامة الأمريكية في العالم العربية، و من بين هذه الأعمال نذكر ما يلي :

أ. أعمال السوسيولوجي الهولندي المختص في العلاقات العامة تشكل سلة مهمة جدا لفهم موضوع الدبلوماسية العامة. لدى هذا الكاتب مرجعين مهمين لا مجال للاستغناء عنهما لفهم الدبلوماسية العامة. فأما الكتاب الأول فيحمل عنوان كتاب يان ميليسان عن الدبلوماسية العامة الجديدة : بين النظرية و الممارسة The New Public Diplomacy: Between Theory and Practice الصادر سنة 2005 فهو عبارة عن مجموعة متناسقة من الطروحات النظرية عن المسألة و لكن أيضا مجموعة من التحليل لتجارب تاريخية و دولية حالية. يدافع الكاتب في هذا الكتاب عن طرح مفاده أن الدبلوماسية العامة بإمكانها أن تتبع مجموعة واسعة من الأهداف السياسية مثل الحوار السياسي ، العلاقات التجارية و الاستثمار ، العلاقات الثقافية و حتى الأهداف الأمنية من خلال اقامة العلاقات مع مختلف جماعات المجتمع المدني التابعة للدول الأجنبية و هي بهذا الشكل تشابه المفهوم الكلاسيكي للدعاية و لكن الكاتب يعتبرها طريقة استراتيجية للتواصل مع الجماهير و ليست كالطريقة الخطية الدعائية الكلاسيكية. و أما الكتاب الثاني فيحمل عنوان " الدبلوماسية العامة الجديدة : القوة المرنة في العلاقات الدولية " الصادر سنة 2008 The new public diplomacy: soft power in international relations و جودة الطرح الموجودة في هذا الكتاب هي أنه ينظر إلى القوة المرنة الأمريكية كجزء فعال من الدبلوماسية العامة بعد سياسات الحرب في أفغانستان والعراق.

ب. أعمال عالم السياسة الأمريكي جوزيف ناي عن القوة المرنة ثم عن القوة الذكية. توفر جميع كتابات ناي مجموعة من الأدوات المفاهيمية و النظرية ذات الجودة المعتبرة لفهم السلوك الخارجي الأمريكي. لقد كرست لنا أعمال ناي فكرة محورية و هي أنه لا ينبغي الفصل بين البنى الصلبة و البنى المرنة للقوة و عليه نحن أيضا نتعامل مع مسألة الدبلوماسية العامة باعتبارها بناء قوة يعتمد على سياسات تواصلية مدروسة و معدة بشكل عقلاني. لقد حتم علينا هذا الطرح الشائع لدى ناي أن نعتمد على تحليل البيئة في سياقها الاستراتيجي حتى نتمكن من فهم ابعاد الدبلوماسية العامة الأمريكية و رهاناتها على الصعيد الأمني.

ت. أعمال السوسولوجي الأمريكي فيليب سايب Philip Seib المختص في وسائل الاعلام الحديثة و المهتم جدا بالمنطقة العربية. صدرت له سنة 2013 واحدة من أهم دراساته عن الدبلوماسية العامة الأمريكية في الشرق الأوسط بعنوان " الدبلوماسية العامة و الميديا في الشرق الأوسط". يبرز هذا الفصل من كتاب جماعي يتناول هذا الموضوع قضية مهمة و هي أن أشكال ممارسة العمل الدبلوماسي يجب أن تتغير بحكم التغيرات التي يعرفها الفضاء الاعلامي العربي (الانترنت ، شبكات التواصل الاجتماعي الميديا الذاتية..الخ) و هو ما يفرض ضرورة الانتقال الى استراتيجيات اتصالية جديدة مع شعوب المنطقة العربية. صدرت العديد من المقالات تذهب في عمومها في هذا الطرح القائم على ضرورة اعتبار البيئة الاعلامية الجديدة كمدخل لفهم السياسات الاتصالية المصاحبة للسلوك الاستراتيجي العام للدورات الأمريكية في المنطقة العربية.

ث. دراسة كينون ناكامورا و ماتيو وييد الموجهة إلى الكونغرس الأمريكي الصادرة سنة 2009 و الحاملة لعنوان " الدبلوماسية العامة الأمريكية : خلفياتها و قضاياها الراهنة". تطرح هذه الدراسة مقارنة جيدة لفهم سلوك الدبلوماسية العامة الأمريكي فهي إذ تجد مرجعيتها الكبرى في أعمال الدعاية التي سادت خلال فترة الحرب الباردة تعرف نوعا من التجديد بمناسبة اندلاع ما يسمى بالسياسة الشاملة على الارهاب لتعرف مجددا نفس الممارسات و لكن تحت أشكال جديدة و باستخدام أدوات جديدة. تربط هذه الدراسة بين الدبلوماسية العامة و الأمن القومي الأمريكي بشكل كبير حيث قام الكتاب بإعداد تحليل جد هام عن ضرورة تبني الادارة الأمريكية لإستراتيجية دبلوماسية عامة واضحة مثلما تقوم به وزارة الدفاع التي تصدر إستراتيجية رابعة عن الأمن الأمريكي.

ج. دراسة مارينا بوتس Marina Botes الصادرة سنة 2007 عن جامعة برينوريا بجنوب افريقيا و الحاملة للعنوان " The public diplomacy of the united states of america in the war on terror ". انطلقت الباحثة من إشكالية أساسية وهي ما دور الدبلوماسية أو العامة باعتبارها دبلوماسية غير رسمية في محاربة الإرهاب الدولي؟، حيث تضمنت الدراسة ستة فصول تضمن الفصل الأول الجانب المنهجي النظري للموضوع ثم الفصل الثاني تضمن مفاهيم الدبلوماسية العامة والعلاقات الدولية والسياسية الخارجية مع تفسير أبعاد هذا النوع من الدبلوماسية ووسائلها، أما الفصل الثالث تضمن دراسة حالة الولايات المتحدة الأمريكية في مجال الدبلوماسية الشعبية وأهم ممارساتها في محاربة الإرهاب الدولي، ثم تضمن الفصل

الرابع إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في قضايا الحرب والنزاعات من خلال الدبلوماسية العامة ، أما الفصل الخامس فتضمن إستراتيجية الدبلوماسية العامة في مكافحة الإرهاب ، ثم الفصل السادس تضمن تقييم ممارسات هذا النوع من الدبلوماسية حيث توصلت إلى نتيجة أساسية هي أنه لا بد من إعادة وضع مفهوم مرتبط بالدبلوماسية العامة الأمريكية وجهودها في الحرب على الإرهاب.

ح. دراسة الباحثة المصرية نادية محمود مصطفى الحاملة لعنوان " الدبلوماسية العامة الأمريكية تجاه العالم العربي " الصادرة سنة 2007، وهذا في إطار برنامج حوار الحضارات في الندوة المنعقدة في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة - الجيزة- مصر، حيث تضمنت الدراسة أربعة محاور حيث جاء المحور الأول تحت عنوان: خطاب الدبلوماسية الشعبية الأمريكية تجاه العالم العربي التحليل والفاعلية، حيث تضمن مفاهيم الدبلوماسية الشعبية الأمريكية التي تنشط بصورة غير رسمية، مع تحليل لإستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العالم العربي وفق هذا النوع من الدبلوماسية غير الرسمية، ثم جاء المحور الثاني تحت عنوان: دور المراكز الأمريكية في التعريف بالمجتمع والسياسة الأمريكية في العالم العربي ،وتضمن هذا المحور دراسة لأهم المراكز التي تنشط من خلال الدبلوماسية العامة الأمريكية في المجال الأكاديمي وقد أخذت مؤسسة فولبرايت "Fullbright" نموذجاً، ثم المحور الثالث تحت عنوان: صناعة الصورة الأمريكية في العالم العربي تضمن إستراتيجية الإعلام الأمريكي في صناعة الصورة الأمريكية في العالم العربي، وأخيراً المحور الرابع الذي كان عبارة عن تقييم الجهود الأمريكية لتحسين صورتها في العالم.

إضافة إلى هذه الدراسات هناك دراسات أخرى تناولت قضايا العلاقات الدولية من خلال دور هذه الدبلوماسية العامة في أنشطة السياسة الخارجية الأمريكية ،إلا أن هذه الدراسات رغم أهميتها فهي قد تناولت جوانب دون أخرى خاصة فيما يتعلق بدور الدبلوماسية العامة في تنفيذ الأهداف و الأولويات لاسيما ضمن المعايير و الترتيبات الأمنية في تجاه دول العالم خاصة منها العالم العربي ودور هذه الآلية في تنفيذ السياسة الخارجية من منظور يسمح لها بترجمة كل الميول والآراء الخاصة بالرأي العام العربي ،خاصة في ظل التغيرات التي تخيم على الساحة الدولية. وهذا ما سيتم تناوله في هذه الدراسة من خلال ربط أهداف وأولويات السياسة الخارجية الأمريكية بجهود الدبلوماسية العامة ،

من خلال التعمق في مفاهيم الدبلوماسية العامة الأمريكية و محاولة تفسير طبيعة دورها في مجال الأمن و تحسين صورتها تجاه العالم العربي و تحقيق أهدافها و أولوياتها بما يتناسب ومصالح أمريكا.

5. حدود المشكلة:

انطلاقاً من متغيرات الموضوع والذي سنتناول فيه العديد من المتغيرات، فإنه لا بد من تحديد الحدود الزمانية والمكانية لهذه الدراسة.

الحدود المكانية:

تتناول هذه الدراسة كحيز مكاني الولايات المتحدة الأمريكية والمنطقة العربية، وذلك باعتبار أن الو م أ القوة المهيمنة على العالم لاسيما في مجال العلاقات الدولية خاصة على المنطقة العربية ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الرائدة في مجال الدبلوماسية العامة ، وذلك لتزايد أهدافها في مناطق مختلفة من العالم لاسيما العالم العربي وذلك من خلال محاولاتها لتحسين صورتها على المستوى الدولي و إعادة صياغة مصالحها الامنية لاسيما في المنطقة العربية.

الحدود الزمانية:

تعتمد الدراسة على العديد من الحقائق التي شهدتها الساحة الدولية عقب مرحلة الحرب الباردة بوجه عام وعقب أحداث 11 سبتمبر 2001 بوجه خاص، والتي كانت سببا في خلق العديد من المفاهيم الجديدة في مجال الدبلوماسية والسياسة الخارجية، ، وتنامي دور الدبلوماسية العامة الأمريكية في تعزيز علاقاتها بشعوب العالم ، فهذه الأحداث التي عقيت هذه الفترة لم تنعكس على الولايات المتحدة الأمريكية فحسب وإنما انعكست على العالم بأكمله، والذي اتخذته الولايات المتحدة الأمريكية كذريعة لتطبيق سياساتها، إلا أنه يمكن الإشارة الى أن الدراسة في بعض العناصر تجبرنا على تجاوز هذه الحدود الزمنية خاصة قبل نهاية الحرب الباردة من خلال تتبع الإرهاصات الأولية لظهور آليات الدبلوماسية العامة الأمريكية.

6. إشكالية الدراسة :

لقد أصبحت هناك إمكانية لتعزيز العلاقات بين الدول والحوار المباشر بين الشعوب بالكيفية المناسبة لتحسين الصورة وإنجاح العمل الدبلوماسي ، وبالتالي صناعة وتنفيذ سياسة خارجية رشيدة، هذا الأسلوب أصبحت تعتمده الوم أ كوسيلة من أجل عولمة الثقافة الديمقراطية و إعطاء صورة الدولة الصديقة لشعوب العالم بما يتوافق و مصالحها الأمنية من خلال آلية الدبلوماسية العامة. ومن هذا المنطلق فإنه لا بد من طرح إشكالية ضرورية لهذه الدراسة وهي:

ما هي جهود الدبلوماسية العامة الأمريكية في تنفيذ أهداف وأولويات السياسة الخارجية بما يحقق مصالحها الأمنية و يحسن من صورتها تجاه المنطقة العربية ؟

وفي ظل هذه الإشكالية يمكن طرح مجموعة من الأسئلة الفرعية أهمها:

- ماذا نقصد بالدبلوماسية العامة الأمريكية؟
- ما هي أهم الفواعل التي تعزز برامج الدبلوماسية العامة الأمريكية في تنفيذ السياسة الخارجية؟
- ما هي أبعاد الدبلوماسية العامة وأنشطتها في مجال السياسة الخارجية؟
- ما هي التحولات التي يعرفها حقل الدبلوماسية العامة الأمريكية و ما هي أبعاد التدخل الذي يقوم به الفاعلون الخواص في تحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية ؟
- ما هي جذور الشعور العربي المعادي لأمريكا و ما هي استراتيجيات التعامل الأمريكي معه ؟ و هل تمكنت الدبلوماسية العامة الأمريكية من تحسين صورة أمريكا وتحقيق مصالحها الأمنية لدى شعوب العالم العربي ؟
- ما هي الإستراتيجية المعتمدة رسمياً لتفعيل الدبلوماسية العامة الأمريكية ضمن الترتيبات الأمنية تجاه المنطقة العربية؟
- كيف يتم استقبال الدبلوماسية العامة الأمريكية من طرف الشعوب العربية ؟

7. فرضيات الدراسة :

انطلاقاً من الإشكالية الرئيسية المطروحة والحدود الزمانية والمكانية للمشكلة ، فإنه يمكن

صياغة فرضية رئيسية يكون هدف الدراسة هو نفيها أو إثباتها وهي :

• تقوم الدبلوماسية العامة الامريكية على أنشطة اتصالية و تواصلية أساسا مع الجماهير العربية ، و هي بهذا الشكل أداة رئيسية من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية التي تسعى من الناحية الأمنية لبناء علاقات معهم بالشكل الذي يؤسس لجماعة أمنية قائمة على التقليل من حجم التعارض السياسي و القيمي و الثقافي و ذلك عبر استراتيجيات اتصال مدروسة هدفها هو تحسين الصورة.

وتحت هذه الفرضية تدرج مجموعة من الفرضيات الفرعية هي :

- 1- أن برامج الدبلوماسية العامة الأمريكية توفر الأدوات والآليات التي تؤثر في سير الأحداث والأزمات وتسهل على صناع القرار السياسي عملية التواصل المباشر بين الشعوب و الأمم، وذلك من خلال وسائلها كوسائل الإعلام مراكز البحث و وكالات التنمية و المنظمات غي الحكومية و النخبة الحاكمة.
- 2- أن أنشطة الدبلوماسية العامة الأمريكية قد تعززت وتوسعت اهتماماتها إلى برامج التنمية الشاملة والمساعدات الخارجية وحماية حقوق الإنسان خاصة تلك المقدمة للمنطقة العربية وهذا انعكاسا للأحداث التي ميزت المشهد الدولي الحالي.
- 3- أن الدبلوماسية العامة الأمريكية هي آلية تهدف بالدرجة الأولى إلى تحسين صورة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العالم وتعزيز سياستها تجاه المنطقة العربية، وذلك بالابتعاد عن القوة والحرب و اعتماد أسلوب القوة الناعمة.
- 4- أن الدبلوماسية العامة الأمريكية تعرف خصخصة في القائمين بأنشطتها نظرا للاستعصاء الذي تعرفه الهيئات الرسمية لها لكنها تعمل ضمن اطار استراتيجي و عقلائي يهدف دوما إلى ايجاد الترتيبات الأمنية المناسبة لحماية المصالح الأمريكية في العالم العربي.

8. الإطار المنهجي للدراسة :

حسب المسلمات الكبرى للمقاربة المؤسسية التاريخية و التي تعتبر جد ملائمة لفهم و تفسير مخرجات السياسة الخارجية بالنظر إلى البناء المؤسسي و عوامل تطوره التاريخي في دولة معينة فإن هذه المقاربة ستسمح لنا بفهم أنشطة الدبلوماسية العامة الأمريكية في العالم العربي انطلاقا

من رصد تاريخي يأخذ فترة الحرب الباردة كتجربة لفهم طبيعة و تطور السياسة الاتصالية مع الجماهير الأجنبية المستهدفة. بناء على هذا فان هذه الدراسة سوف تطرح قراءة عن الدبلوماسية العامة مفادها أن البعد المؤسسي يمارس تأثيرا على تطور أنشطة الدبلوماسية العامة (الارتباط مع الهياكل الرسمية لها ، طبيعة الارتباط مع المؤسسات الأخرى تعاونية ، تنافسية ...) و لكن مع التطور الرقمي و التغيير الجذري الحاصل على صعيد البيئة التواصلية خصوصا في الجوانب الافتراضية لها فإن هذا قد غير جذريا من الدبلوماسية العامة. مكن زمن الانترنت كما تسميه بعض الأدبيات الحكومة الأمريكية و هيكلها المختصة التابعة لها في شؤون الدبلوماسية العامة من الحصول على تقنيات و أدوات جديدة لتتبع أهدافها و استراتيجياتها عبر قنوات بديلة. تطرح هذه الدراسة قراءة للدور الدعائي و التأثيري للدبلوماسية العامة من خلال التركيز على أن التغيير الرقمي اصبح محوريا جدا و ثابتا مهما في مؤسسة الدبلوماسية العامة التي لم تعد حصرية على القنوات الرسمية بل تعرف بدورها مسارا واسعا من التخصص.

سيتم تفكيك هذا الطرح إلى مستويات رئيسية ؛ سنهتم في البداية بالتساؤل الخاص بطبيعة الدبلوماسية العامة و مدى ارتباطها بالجوانب الأمنية التي تخدمها السياسية الخارجية الأمريكية. ثم سنتساءل عن السياق الاستراتيجي العام الذي تمارس فيه الدبلوماسية العامة الأمريكية أين يمكن ملاحظة الأهمية الاستراتيجية للمنطقة العربية التي تنتج عدم الاستقرار الأمني بها و هو ما يستدعي بناء استراتيجيات عدة غير ثابتة للتعامل معها. سنتمكن أيضا من الوقوف على تغير كبير تعرفه المنطقة العربية و هو تغير فضائها الاتصالي لتصبح المنطقة جزءا لا يتجزأ من حركة العولمة. في مرحلة أخرى، سنتمكن من تحليل النمط الذي أنتجته هذه التطورات التقنية و هو الدبلوماسية الرقمية أو ما يسمى أيضا بالدبلوماسية 2.0. سنقف في مرحلة أخرى على مسار خصصة الدبلوماسية العامة لنلاحظ من خلال أمثلة مراكز الفكر و المنظمات غير الحكومية كيف تمكن القطاع غير الرسمي من ممارسة أشكال من التأثير تصب كلها في اتجاه خدمة الاهداف الاستراتيجية للسياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة العربية. لكن ، ما يهمنا أكثر من خلال هذه المعطيات كلها هو أن الدبلوماسية العامة الأمريكية تمارس ضمن إطار مذهبي واضح ؛ الاستثمار التكنولوجي الضخم لخدمة نظرة أمنية و مصلحة محضة لطبيعة العلاقات مع الجماهير العربية. في هذا المستوى سيتم التطرق مثلا لحالة احداث الربيع العربي لنرى كيف تم الحديث عن " الاحتجاج " كمشكلة سياسية على صعيد الشبكات الاجتماعية و التي عززت من الحراك بالشكل الذي حول هذه الأداة إلى وسيلة ضغط و

تأثير سياسية جد فعالة. سيتم ايضا استخلاص أن جميع الفاعلين المكلفين بالدبلوماسية العامة (رسميين كانوا أم غير رسميين) يستخدمون روافد الثورة التكنولوجية للانتقال إلى جيل جديد من أعمال التأثير و هذا مؤشر مهم على أن السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة العربية يجب أن تفهم أيضا في إطار ما تتضمنه من ممارسات تجاه رأي الجمهور العربي (دعاية، تأثير ، استغلال (...manipulation).

لكن و من ناحية أخرى فإن دراستنا تعتبر جديدة في ميدان العلوم السياسية و لذلك اضطررنا إلى التعامل مع مخرجات حقول معرفية أخرى (حقلي العلاقات العامة خصوصا و حقل علوم الاتصال). لهذا السبب تعتبر دراستنا من النوع الاستكشافي *explorative study* لأنها ستسمح باستكشاف حقل الدبلوماسية العامة الرقمية مع ما يتضمنه ذلك من تعدد في المتدخلين و هو ما يسمح بتزويد الميدان بمعلومات معتبرة عن هذا الحقل. من الناحية المنهجية ستستخدم هذه الدراسة اطارا منهجيا للتحليل السياسي قائم على تحليل محتوى العديد من الوثائق التي تصدرها مختلف البنى السياسية المكلفة بالدبلوماسية العامة (وثائق حكومية مثل استراتيجية الأمن القومي ، الخطة الرباعية للدبلوماسية العامة ، وثائق الشبكات الاجتماعية ، و وثائق مراكز الفكر ..الخ).

9. الإطار النظري للدراسة :

إن طبيعة الدراسة تفرض إتباع مجموعة من المقاربات النظرية، و التي تحدد طبيعة الدراسة من الناحية النظرية، لذلك فإن دراسة الدبلوماسية العامة و دورها في تنفيذ السياسة الخارجية تفرض علينا اعتماد الإقتراب الوظيفي البنائي و الإقتراب النسقي و اقتراب علاقات الدولة و المجتمع.

أ. الإقتراب الوظيفي:

هذا الإقتراب يركز على النظام و بنيته ووظيفته، بحيث تشير البنية إلى الأنشطة القابلة للملاحظة و التي تشكل النظام السياسي ، أما النظام فيشير إلى كل التفاعلات التي تؤثر في سير هذا النظام، أما الوظيفة فتعني سلوك أو عملية تصدر عن الفواعل ، و يظهر ذلك من خلال دور وسائل الدبلوماسية العامة الأمريكية في صناعة القرار السياسي في مجال العلاقات الدولية.

ب. الإقتراب علاقات دولة - مجتمع :

هو إقتراب لجويل ميجدال ، حيث اهتم هذا الإقتراب بالتغيير و التنظيم في الدولة ووضع ميجدال هذا الإقتراب لدراسة العلاقة بين الدولة و المجتمع ، و يظهر ذلك من خلال العلاقة بين الطرفين على مستوى صناعة القرار السياسي لا سيما القرار السياسي الخارجي، أيضا من خلال دور المجتمع الذي يجسد الهيئات المجتمعية التي أصبحت تعمل الى جانب الدولة لتحقيق أهدافها على المستوى الخارجي في إطار ممارسات الدبلوماسية العامة الأمريكية .

ت. مدخل داخل الوعي :

يشير المدخل الى أن الصورة المقطعية لثقافة أي دولة توفر إطار واسع لفهم ما هو مهم مؤثر في هذه الدولة و تسهم في تجاوز الحواجز النفسية التي يمكن النظر اليها باعتبارها حواجز ثقافية، وفي هذا الاطار وضعت زاهارنا Zaharna ما أطلقت عليه نموذج داخل الوعي و الذي أوضحت من خلاله الصورة العامة للدولة و صورتها الثقافية ،التي يتم وفقا لها تحديد مكونات الاتصال بين الثقافات في أنشطة العلاقات العامة الدولية و يظهر ذلك من خلال أنشطة الدبلوماسية العامة في المنطقة العربية لاسيما في ثورات الربيع العربي من خلال استخدام وسائل التواصل الاجتماعي و التغلغل عبرها داخل ثقافات هذه المجتمعات.

10. أقسام الدراسة :

تم تقسيم هذه الدراسة بالاعتماد على بناء تحليلي خطي ، بمعنى أنه متطور بحسب العناصر الأكثر محورية و الأكثر تدخلا في أنشطة الدبلوماسية و ذلك خدمة للهدف العام من الدراسة و هو فهم استراتيجيات توظيف الفضاء الافتراضي من طرف جميع المتدخلين للوقوف على طبيعة التأثير الممارس على الجماهير العربية سواء كان ذلك في حالات الحرب أو حالات السلم. لقد كرس الفصل الأول لمراجعة المفاهيم الرئيسية للدراسة و للأطر النظرية التي سيتم اللجوء اليها لفهم طبيعة نشاط الدبلوماسية العامة. سيخصص الفصل الثاني إلى تحليل السياق الجيو الاستراتيجي العام الذي تمارس فيه الدبلوماسية العامة الأمريكية الرسمية. سيخصص الفصل الثالث حصريا لدراسة أدوار الفاعلين غير الرسميين و هو بالتالي محل قراءتنا للدبلوماسية العامة الرقمية و علاقتها بأحد أهم التغيرات

الكبرى التي يعرفها هذا الحقل ألا و هي المختصة. سيتتهي الفصل الرابع بتساؤل عن امكانية تقييم لأعمال التي التأثير التي تمارسها مؤسسة الدبلوماسية العامة، و عن طبيعة المناهج المستخدمة في ذلك اين سيتضح لنا وجود صعوبة في تقييم التأثير المتوخى من أنشطة الدبلوماسية العامة.

الفصل الأول

الفصل الأول : مكانة الدبلوماسية العامة في السياسة الخارجية و الأمن

الأمريكيين : إطار مفاهيمي و نظري

يمكن باختصار تحديد معنى الدبلوماسية العامة بالوقوف على نقطتين رئيسيتين ؛ الأولى هي جهود دولة ما في التعامل مع الجماهير الأجنبية و الثانية هي أن هذا التعامل مع الجمهور تعامل هادف و ليس حيادي، فهو يهدف إلى خلق جذب للدولة القائمة بالاتصال أو إلى معالجة الصورة السيئة لهذه الدولة لدى الجمهور المستهدف. إذن نتضح لنا مباشرة العلاقة البسيطة الموجودة بين الدبلوماسية العامة لدولة معينة و أمنها القومي ؛ إذا تخلت دولة ما عن الدبلوماسية العامة فهذا يعني ببساطة تخل عن " صورة الدولة " لدى الآخرين و هو ما قد يشكل مصدرا لتهديد مصالح الدولة المادية و غير المادية لدى جماهير الدول الأخرى. في الحقيقة لا يعتبر مثل هذا النشاط في تسيير صورة الدولة لدى الآخرين نشاطا جديدا بل له جذور تاريخية مليئة بالاستخلاصات. لكن ، لا يمكن فهم هذا النشاط من خلال إطار نظري واحد لأنه نشاط متميز بطبيعته المركبة أصلا على غرار كل نشاط إنساني، فهو يرتبط بأبعاد استراتيجية (اتصال) و يرتبط بمصالح سلطوية محدد (عمل سياسي) و له مضامين ثقافية و ايديولوجية..الخ. على هذا الأساس تعتبر الأطر النظرية التي تم بها تحليل هذا النشاط خلال فترة الحرب الباردة (نماذج مستندة على مفهوم الدعاية) غير كافية اليوم لفهم مؤسسة الدبلوماسية العامة و انشطتها و أهدافها في المنطقة العربية، مما يبرز ضرورة الاستعانة بنماذج أخرى. في هذا الإطار اخذت نماذج إدارة السمعة branding حيزا مهما من اهتمام الأدبيات المكرسة لهذا الموضوع و رغم هذا فهي تترك المكان حاليا لنماذج أكثر تعقيدا مثل نماذج الاتصال الاستراتيجي و النماذج المبنية على مفهوم القوة المرنة أو القوة الذكية. فيما يلي سنتطرق لمجموع هذه التطورات محاولين استخراج إطار نظري يتيح لنا فهم الكيفية التي يتم بها توظيف الدبلوماسية العامة كأداة من أدوات السياسة الخارجية و كجزء لا يتجزأ من الاستراتيجية الأمنية للوم.أ في العالم العربي.

المبحث الأول: الدبلوماسية العامة الأمريكية: النظرية والممارسة.

يعتبر مصطلح الدبلوماسية العامة مصطلحا حديثا نسبيا، لكنها كنشاط يخص كيفية التعامل مع الآخر المختلف ثقافيا -إذن تسيير العلاقات مع الثقافات الأخرى- تعتبر قديمة قدم التاريخ. إن حداثة المصطلح تدل إذن على أن استخدامه أصبح يشير إلى فئات سوسيولوجية من الأنشطة الاجتماعية محددة بالضرورة و مختلفة عن باقي الأنشطة الأخرى (الدبلوماسية الشعبية ،العلاقات العامة ،الدبلوماسية الثقافية...). فيما يلي سنحاول اكتشاف الفهوم من خلال اقتراح تعريف دقيق له و

ذلك عبر الرجوع إلى جذوره التاريخية و تطور استخداماته إلى غاية اليوم. ستسمح لنا هذه المقاربة la démarche بتحديد المعنى الدقيق للدبلوماسية العامة و ما تنطوي عليه من ممارسات و مؤسسات و سياسات في التجربة الأمريكية.

المطلب الأول: نشأة وتطور الدبلوماسية العامة الأمريكية.

رغم أن تكريس مصطلح الدبلوماسية العامة يعتبر جديد نسبيا خاصة من خلال أسسه وأنشطته والذي تردد صداه في السنوات الأخيرة نتيجة التغيرات التي سیرت الساحة الدولية والتي أثرت بشكل كبير على أسس التعامل الدبلوماسي، إلا أن ملامحه التي ظهرت في وقت مضى كانت بمثابة الأسس الأولى لبناء الدبلوماسية العامة. ترجع فكرة الدبلوماسية العامة في جذورها إلى فكرة الاتحادات الدولية " Private.international.union " والتي برزت في القرن 19 في عام 1840 على وجه التحديد وهي إتحادات ذات طابع دولي أكثر منها إتحادات دولية، وقد كونتها جماعات تنتمي لشعوب مختلفة كانت تتطلع لتحقيق مصالح مشتركة بينها على المستوى الدولي و ذلك عن طريق المؤتمرات الدولية التقليدية أو الرسمية مثل اللجنة الدولية للصليب الأحمر والإتحاد البرلماني الدولي وجمعية القانون الدولي والغرفة التجارية¹.

ولعل الإرهاسات التي تلت هذه الانطلاقة هي تلك المحاولة السوفييتية لتطبيق مفهوم الدبلوماسية العامة في العقد الثاني من القرن 20 وذلك عندما حاولت الثورة السوفييتية أن تضيف طابعا شعبيا على أجهزتها الدبلوماسية، حيث أصدر وزير الخارجية السوفيياتي الأول " نروتسكي NORTISKY " مرسوما في عام 1917 أنهى بمقتضاه الدبلوماسية القيصرية ثم شكل مجلس أطلق عليه إسم " مجلس مفوض الشعب " وإلغاء درجات الدبلوماسية المعروفة واعتماد درجة واحدة هي "الممثل المفوض"² إلا أن اعتبار ممثلي الدول ممثلين مفوضين أدى إلى ردود فعل دولية تتمثل في استنكار الدول التي تتعامل مع الدول السوفييتية مما أدى إلى التراجع عما أحدثته من تغيرات في السلك الدبلوماسي.

¹ جمال بركات، الدبلوماسية - ماضيها وحاضرها ومستقبلها، مطابع الفرزدق التجارية (الرياض، 1985).

² عباس مصطفى، 'أضواء على الدبلوماسية الشعبية'، المجلة السودانية، June 1426.4 ص 118.

وبالحديث عن نشأة الدبلوماسية العامة الأمريكية فقد كان أول استخدام لمصطلح الدبلوماسية العامة الأمريكية من قبل إدmond جيلون " Edmund-CuLLion " في عام 1965 وهو عميد كلية Fletcher School of- law and Diplomacy " في جامعة " TUFTS " من خلال إنشاء مركز Murrow Center للدبلوماسية العامة والذي انطلق من فكرة أساسية هي أن الدبلوماسية العامة تتناول تأثير مواقف الجمهور في تشكيل وتنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية وهي تشمل أبعاد العلاقات الدولية وراء الدبلوماسية الرسمية بما في ذلك الرأي العام والتفاعل بين القطاع الخاص وجماعات المصالح بحيث يسمح بتدفق المعلومات والأفكار عبر الحدود الوطنية¹ . وقد كانت هذه الفكرة هي الانطلاقة الأولى لأجس الدبلوماسية العامة الأمريكية والتي أعطت الدفع القوي لتطور المصطلح. ويمكن الإشارة إلى أن فكرة الدبلوماسية العامة الأمريكية إنبثقت من مكتب الو.م.أ للحرب والمعلومات الذي كان قائما خلال الجزء الأول من الحرب الباردة، وذلك من خلال سلسلة من المكاتب داخل وزارة خارجية الو.م.أ كانت مسؤولة عن نشر المعلومات في الخارج وذلك خلال إدارة إيزنهاور " Isanhawar " في إطار وكالة مستقلة أنشئت لهذا الغرض ، ثم ألغيت هذه الوكالة في وقت لاحق من قبل الرئيس كارتر " carter " والذي أنشأ فيما بعد وكالة الاتصالات الدولية في عام 1978 ثم ألغيت هي الأخرى خلال إدارة ريغن " Regan " لتحل مكانها وكالة الإعلام الأمريكية في عام 1982².

يمكن القول إذن أن تاريخ الدبلوماسية العامة الأمريكية بدأت خلال الحرب العالمية الأولى عند إنشاء لجنة الإعلام الأمريكية " CReel " التي كانت تهدف إلى بناء الدعم الشعبي لأمريكا وبلوغ تأثير الجماهير الأجنبية لدعم أسس الديمقراطية وذلك مع تزامن تطور وسائل الإعلام والاتصال وازدهرت خلال الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة عند قيام الدبلوماسية العامة بدور مركزي في تعزيز قيم الديمقراطية³ . وقد زاد الاهتمام بهذا المصطلح من خلال الأنشطة التي سعت الو.م.أ إلى

¹ Charles Wolf and Brian Rosen, *Public Diplomacy: How to Think about and Improve It*, Occasional Paper, OP-134-RC (Santa Monica, Calif: Rand Corp, 2004). P. 5.

² Eric Brahm, 'Public Diplomacy', *Beyond Intractability*, 2016

<<https://www.beyondintractability.org/essay/public-diplomacy>> [accessed 31 March 2016].

³ Brahm. Op. cit.

ممارستها خاصة من خلال جمعيات الصداقة مع شعوب العالم والتي تسعى لتمتين أواصر التواصل مماع بلدان العالم عن طريق التبادل الثقافي والزيارات المتبادلة مما أدى إلى كسب الرأي العام العالمي لتأييد قضاياها وتقديم العون لبناء سياستها العامة.

وتجدر الإشارة إلى أن الدبلوماسية العامة الأمريكية ترجع إلى فترات ما قبل الحرب الباردة و لكنها تعززت بشكل خاص و بشكل أكبر مما كانت عليه من قبل بعد التغييرات التي مست الساحة الدولية بفعل أحداث 11 سبتمبر. لقد كانت الو.م. أ هي السبابة لهذا النوع من الدبلوماسية وذلك حينما أنشأ فرانكلين و روزفلت خدمة المعلومات الخارجية " Foreign information Service ، في سنة 1942 والتي كانت عبارة عن مجموعة من الأخبار المؤيدة للو.م.أ في كل من أوروبا وآسيا، و ذلك للتصدي للدعاية اليابانية والألمانية، وهو ما يعرف بصوت أمريكا voice of America . قام بعده الرئيس ترومان " Truman " من خلال إعلان "حملة الحقيقة التي هدفت إلى تعريض الشيوعيين إلى الأفكار والقيم الغربية لمحاربة الشيوعيين وكان بعد ذلك تأسيس وكالة الاستعلامات الأمريكية " NSIDA " information agency وكان الهدف الرئيسي هو فهم الرأي العام الخارجي والتأثير فيه¹ . ولعل من أهم ملامح التطور الذي صاحب هذا المصطلح هو مكتب الاتصالات العالمية الذي أنشئ في عام 2001 في الو.م.أ يهدف إلى صياغة وتنسيق رسائل إلى الجماهير الأجنبية والتي تشمل وكالات البث الدولي والمؤسسة الوطنية الديمقراطية².

وبشكل عام يمكن القول أن الاتجاه إلى الدبلوماسية العامة في الو.م.أ أخذ في التطور نتيجة لتأثير مجموعة من العوامل أهمها:

1- ازدياد قوة الرأي العام العالمي و الإحساس الشعبي الواسع بأن تقنع قنوات التعايش والتعاون السلمي بين الشعوب أضحت أمراً مرغوباً فيه ومهما في حركية التفاعل السلمي في العلاقات الدولية وهذا أدى إلى نمو روح المصالح المشتركة بين الو.م.أ و الشعوب الأخرى.

¹ Christopher M. Goss, "A Battle for Hearts and Minds": US Public Diplomacy in the Cold War Middle East', 2015. P. 19.

² Brahm. Op. cit.

2- إنتشار وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز ووكالات أنباء عالمية بسبب الثورة العلمية والتكنولوجية التي سيطرت عليها الو.م.أ والتي سهلت الاتصالات بينها وبين الشعوب الأخرى وقربت المسافات بينها مما كان له الأثر الأكبر في إرساء قواعد قوة مؤثرة في إتخاذ القرار السياسي لدى الو.م.أ¹.

3- حلول العننية في المفاوضات التي تجرى بين الدول مما جعل المفاوضات عرضة لمراقبة الشعوب ومن ثم مراجعتها وهذا الأمر جعل من الو.م.أ تسعى إلى كسب تأييد الشعوب بطريقة مباشرة.

4- التغيرات السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية الواسعة المدى التي شهدتها عالمنا المعاصر نتيجة التغيرات والتطورات التي حدثت في مكونات المجتمع الدولي سواء على النظم السياسية أو على مستوى العلاقات الدولية.

5- التطور الذي مس جميع المجالات ذات الصلة بالعلاقات الدولية الأمر الذي أدى إلى اختراق الحواجز التي تحول دون انتقال الأفكار الأمريكية إلى الشعوب الأخرى بحرية.

وكل هذا سمح للو.م.أ باستقطاب العديد من الجهات إلى ممارسة الدبلوماسية العامة والانخراط فيها بشكل يساعد على فهم العالم ومخاطبة الشعوب الأخرى بصورة مباشرة تسمح بتحسين صورتها على المدى البعيد.

المطلب الثاني: تحديد مفهوم الدبلوماسية العامة الأمريكية.

من ظواهر عصرنا الراهن إنتشار الديمقراطية وإستقلال الشعوب. كان لهذه الظواهر تأثيرا كبير على الدبلوماسية خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية فقد تركت الديمقراطية أثرها العميق على الدبلوماسية حيث أصبحت أكثر عرضة لضغوط الرأي العام وأدواته، كما أنها فقدت تقاليد السابفة التي تتسم بالارستقراطية الشعبية. إن هذه الدبلوماسية و رغم أنها لا تحوي خصائص ومستويات

1 شفيق عبد الرزاق السامرائي ، الدبلوماسية، الطبعة الاولى ، طرابلس :الجامعة المفتوحة، 2002. ص147

الدبلوماسية التقليدية إلا أنها تمثل إحدى الأدوات المباشرة والفعالة في ربط الشعوب وتحقيق التواصل بين الأمم وهو ما يمكن أن يكون إحدى أدوات دعم ومساندة الدبلوماسية التقليدية. فالدبلوماسية العامة الأمريكية هي تلك النشاطات الدبلوماسية التي تتجه إلى مخاطبة الجماهير الشعبية بوسائل شعبية لإيجاد علاقات مباشرة مع الشعوب، فالدبلوماسية العامة الأمريكية تمثل صورة التطور الذي طرأ على الدبلوماسية في القرن العشرين الذي نجم عن التقدم التكنولوجي من جهة وعلمية الدبلوماسية من جهة أخرى وسعي الدبلوماسية العامة الأمريكية لكسب الرأي العام الشعبي.

تعتبر الدبلوماسية العامة الأمريكية من ضمن أنواع وأنماط النشاط الدبلوماسي التي تمارسها مجموعة من الوحدات في ظل التفاعل السلمي في العلاقات الدولية. إن الحديث عن الدبلوماسية العامة الأمريكية يؤدي إلى الحديث عن النقاش الواسع الذي أداره عدد من الخبراء المحللين الأمريكيين بهذا الصدد مثل برجنسكي وريتشارد هاس " Richard.Hass " وستيفن والت " Steven Wolt " حيث اعتبروا أن الدبلوماسية الأمريكية لاسيما في مجال العلاقات الدولية هي من جعلها تقف بمفردها في العالم *America alone* وأن هذه الدبلوماسية قد تخلت عن الأسس التي دارت عليها الإدارات الأمريكية المتعاقبة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حيث كان أول تصريح لكوندا ليزا رايس بعد توليها وزارة الخارجية " أن هذا وقت الدبلوماسية بمعنى أنه وقت الحوار و التعاون"¹. وانطلاقاً من هذا أصبحت الدبلوماسية الأمريكية هي دبلوماسية تتصل بالشعوب وذلك في إطار ما يسمى بالدبلوماسية العامة والتي تشمل كل الجوانب والأنشطة التي تنخرط فيها الخارجية الأمريكية فيما بين الدول وذلك بهدف رعاية المصالح القومية الأمريكية على الصعيد الرسمي وغير الرسمي بما في ذلك جوانب الإعلام والفن والدعم التنموي والتبادل العلمي والثقافي والندوات الحوارية.

يعرف هذا النوع من الدبلوماسية في الفكر الأمريكي بأنه مرتبط بأمرين متكاملين : الأول و هو دعم المصالح الأمريكية بينما الثاني و هو مهم جدا أضي فيتعلق بتحسين صورة الو.م.أ وتفكيك سوء الفهم الذي قد ينشأ في الدول و المجتمعات المختلفة جراء الإصرار على تحقيق أمريكا لمصالحها في العالم وحرمتها وصرامتها في إنجاز ذلك. في المعنى تعطي كارين هيوز التعريف

¹ شلبي، السيد أمين، نظرات في العلاقات الدولية (القاهرة: عالم الكتب)،، 2008. ص. 212.

التالي للدبلوماسية العامة الأمريكية و الذي يشير إلى حوار يشمل الإنصات أو الاستماع بقدر ما يشمل الحديث مشيرة بذلك إلى جولة الإنصات التي قامت بها في الشرق الأوسط ومناطق أخرى¹.

1- أهداف الدبلوماسية العامة الأمريكية :

تعتبر الو.م.أ من بين الدول التي تسعى إلى بذل الكثير من الجهود من أجل تسوية سياستها وتحسين صورتها أمام العالم الخارجي، وذلك لاسيما بعد أن وجدت نفسها في موقف صديقة للعديد من الدول خاصة العربية ولكن من جهة أخرى فهي عدوة لشعبها وأيقنت الو.م.أ أن أعدائها ليسوا دولا لهم جيوش يعلنون حربا ويمكن ردهم وإنما أشخاص بلا عنوان وغير قابلين للردع لذلك فقد رأت الو.م.أ ضرورة إعادة التفكير في علاقاتها وأنشطتها الدبلوماسية ليس فقط في اعادة استثمار الدبلوماسية التقليدية وانما ايضا في دراسة البعد العام للحكومة في العالم الخارجي ومحاولة تعزيز المصلحة الوطنية وتحقيق الاهداف الاستراتيجية في الشؤون الدولية وذلك بمشاركة الراي العام العالمي لتلك الاهداف الاستراتيجية وتطويرها². لذلك فقد أدركت الو.م.أ أكثر أهمية الدبلوماسية العامة في تحقيق سياستها وأنه إذا أرادوا أن يقتنع العالم بشكل عام بشكل خاص بها فإنه عليهم تغيير طبيعة عملهم الدبلوماسي.

من هنا يمكن حصر أهداف الدبلوماسية العامة الأمريكية في تحسين صور الو.م.أ وتحقيق أهداف سياستها الخارجية في ما يلي :

1- **الأهداف الأمنية :** فهي تلعب طبقا لمفهوم الو.م.أ دورا فيما يعرف بالأمن الوقائي " Preventive " حيث أنه بسبب عصر العولمة وتطوير وسائل الاتصال أصبح هناك صعوبة في الحفاظ على أمن الدولة باستخدام وسائل تقليدية. لذلك فإن مفهوم الأمن قد تطور ليشمل عناصر غير عسكرية كالعناصر الاجتماعية والثقافية والاتصالية والذي سنراه في فصول لاحقة وبذلك

¹ John Brown, "Sinking in the Polls: Karen Hughes' Public Diplomacy Moment", *Huffington Post* (blog), 23 September 2007, https://www.huffingtonpost.com/john-brown/sinking-in-the-polls-kare_b_65525.html.

² Christopher Ross, 'Public Diplomacy Comes of Age', *The Washington Quarterly*, 25.2 (2002), <<https://doi.org/10.1162/01636600252820144>>. P. 76.

أصبحت دبلوماسية الإقناع القائمة على الاتصال بالجمهير من أهم خطوط الدفاع الأولية التي يمكن أن تركز عليها الاستراتيجية الأمريكية . وفي هذا الصدد فقد أوضحت كارين هيوز وكليلة وزارة الخارجية للدبلوماسية العامة الأمريكية والشؤون العامة في مارس 2006 معالم المبادرات التي أطلقتها خلال الأشهر الأولى من توليها منصبها واصفة إياها بأنها جهد لوضع أسس طويلة الأمد لشن السلام والأمن. كما أوضحت وكالة الوزارة العناصر الجوهرية والأهداف الأولية للدبلوماسية العامة الأمريكية ، حيث ذكرت أنه يجب أن تقدم الدبلوماسية الأمريكية العامة للشعوب الأخرى صورة إيجابية من الأول بحيلة أفضل بحيث تكون متأصلة في الحرية والأمن والعدالة والغرض هو الإحترام للجميع. وأضافت أن هذا النوع من الدبلوماسية يجب أن يعمل على عزل وتهميش المتطرفين من خلال إسقاط محاولاتهم في تصوير الأمر أنه نزاع بين الو.م. أ والإسلام¹ وذكرت أن تجارب المسلمين الأمريكيين ستكون عنصرا أساسيا في ذلك الجهد، بحيث ستطلق هذه المجموعات إلى جميع أنحاء العالم لنشر هذه الرسالة وللتشجيع على الحوار وتعزيز الشعور بالمصالح والقيم المشتركة بين الشعب الأمريكي وشعوب الثقافات الأخرى وقد أضافت أن هذه الأهداف تتجاوز الحرب على الإرهاب فالهدف هو مواصلة الحوار والإصغاء للشعوب.

2- الأهداف السياسية : والتي لا يمكن فصلها عن الأهداف الأمنية وذلك من خلال عزم الو.م. أ على عملية الإصلاح السياسي لاسيما داخل الدول العربية في منطقة الشرق الأوسط ذلك أن غياب هذا الإصلاح هو السبب في ظهور الإرهاب. إن التحول الديمقراطي هو من المكونات الرئيسية التي تدخل في إطار السياسة الخارجية الأمريكية والذي يمثل تحولا جوهريا في تلك السياسة وهذا إذا بقيت السياسة الخارجية الأمريكية توازن بصورة تقليدية بين صيانة مصالحها الحيوية وضمان إستقرار النظم الصديقة من ناحية وبين مطلب الديمقراطية وحقوق الإنسان من ناحية أخرى² . ومن هذا المنطلق عرفت الو.م.أ أن الأوضاع السياسية هي المسؤولة عن إنتاج الأزمات لاسيما ظاهرة الإرهاب

¹ Maud Quessard-Salvaing, 'Repenser la diplomatie publique américaine après le 11 septembre : acteurs, enjeux et stratégies de diffusion au service du leadership', *Mémoire(s), identité(s), marginalité(s) dans le monde occidental contemporain. Cahiers du MIMMOC*, 2016 <<https://doi.org/10.4000/mimmoc.2441>>.

² هذه الفكرة سيتم التطرق لها بشكل مفصل في الفصل الثالث من البحث.

لذلك لابد من تغيير الأوضاع في جانبها السياسي ليصبح نشر الديمقراطية في البلاد العربية والإسلامية هو أحد الأهداف المعلنة للدبلوماسية العامة الأمريكية وهذا ما دفع بالو.م.أ بالشروع في إتباع سياسة نشطة لتحقيق أهدافها بهذا الخصوص فراحت تمارس ضغوطات و انتقادات علنية من أجل الشروع في إصلاح سياسي ،كما بدأت في تمويل عدد من البرامج ذات الصلة بالإصلاح وزادت من نسبة المساعدات الموجهة للمنظمات غير الحكومية ومراكز الفكر .

3- **الأهداف الثقافية والعلمية :** بالإضافة إلى الأهداف الأمنية والسياسية تسعى الو.م.أ من خلال الدبلوماسية العامة إلى تحقيق أهداف أخرى تعتبر ذات أهمية كبرى لتعزيز دور الدبلوماسية العامة الأمريكية، فقد أكد السيد هيتير ماهوني " Hiter Mahouni " مستشار الشؤون الإعلامية والثقافية بسفارة الو.م.أ بالقاهرة مثلا أن الدبلوماسية العامة الأمريكية تسعى لتحقيق العديد من الأهداف وليس الأمنية والسياسية فقط، فقد أضاف الأهداف الثقافية والعلمية مؤكداً بذلك على أهمية المحور الثقافي للدبلوماسية العامة في تحقيق **الحوار الثقافي بين الشعوب**¹ وكل ذلك من خلال برامج التبادل الثقافي لتعزيز التفاهم بين الثقافات والوعي بالقيم المشتركة وذلك في إطار نشاطات اللجنة الإستشارية للدبلوماسية العامة الأمريكية وأيضاً من خلال المنح الدراسية وبرامج التبادلات التعليمية الدولية وبرامج الشراكة من أجل التعلم، محاولة منها لإحداث التواصل بين الشباب داخل الو.م.أ وباقي الدول الأخرى، ضف إلى ذلك ماتقوم به اللجنة الاقتصادية لأفريقيا والتي تمويلها الو.م.أ والتي تقوم بأنشطة وبرامج التبادل الثقافي من خلال فتح بوابات على شبكة الانترنت، وتدير هذه اللجنة العديد من البرامج مثل برنامج فولبرايت " FULBRIGHT " الذي يقدم منحا لطلاب الدراسات العليا والباحثين والمختصين وأيضاً برنامج همفري " Hum Free " الذي يجمع من المستوى المتوسط المختصين في

¹ Pierre Pahlavi, 'La diplomatie publique', in *Traité de relations internationales* (Presses de Sciences Po (P.F.N.S.P.), 2013), pp. 553–606
<https://www.cairn.info/resume.php?download=1&ID_ARTICLE=SCPO_BALZA_2013_01_0553> [accessed 31 March 2016]. P. 561.

البلدان النامية وتكوينهم لمدة سنة في الـو.م.أ وأيضاً هناك برنامج الزيارات الدولية الذي يجمع بين كل المهنيين والمختصين داخل الـو.م.أ للتشاور مع نظرائهم¹ .

إن هذه البرامج التي تتبناها الـو.م.أ لا تستهدف الريح وقد وصل الأمر إلى تبني الـو.م.أ لسياسة دعم المعاهد التي تعتني بالبحوث الأمريكية والشراكة معها وذلك مثل الرابطة الأمريكية التركية والذي يقدم لدعم الدراسات باللغة الإنجليزية، وذلك لتدريس الشباب المحرومين من الدول ذات الأغلبية المسلمة بهدف تعزيز التواصل بين الثقافات وفتح الفرص التعليمية وتمكين الشباب من المشاركة في الإقتصاد العالمي والسياسة الدولية. وتجدر الإشارة إلى أن سياسة الـو.م.أ من خلال عملية التبادل الثقافي بين الدول تسعى إلى إنفتاح المجتمع الأمريكي على كافة الثقافات وتوضح أن التحدي الأكبر الذي يواجه الـو.م.أ هو محاولة إستقطاب الاجانب من خلال إستراتيجية التعليم باستخدام التكنولوجيا في التدريس، وأيضاً إستراتيجية وزارة الخارجية حول التعليم في الـو.م.أ تحت إسم " إذا أردت الدراسة في الـو.م.أ " وهي تسعى لتقديم المشورة الموضوعية والعملية إلى الطلاب والباحثين الدوليين حول الدراسة في الـو.م.أ فكل هذا جعل من الدراسة في الـو.م.أ أمراً ممكناً بالنسبة لآلاف الطلبة الأمر الذي يجعل من عملية التواصل الثقافي بين الأمم يحقق الأهداف الرئيسية التي تسعى إليها الدبلوماسية العامة الأمريكية وتحقق أبعادها المسطرة.

2- أبعاد الدبلوماسية العامة الأمريكية:

تحدد أبعاد الدبلوماسية العامة الأمريكية من خلال الوسائل والمؤسسات التابعة لهذا النوع من الدبلوماسية وذلك على المستوى الإستراتيجي الذي يوجه أهداف السياسة الخارجية الأمريكية والذي يعنى به مكتب الاتصالات العالمية (OGC) والذي أدرج فيما بعد إلى مركز الاتصالات

¹ Marina Boles, " the public diplomacy of the United state American in the war on terror ".
Submitted in partial Fulfilment of the requirements for the degree of master of diplomatic
Studies. Faculty of humanities. Department of political science. University of Pretoria
Febuary 2007.p51.

الإستراتيجية التابع لمجلس الأمن القومي وكذلك من خلال اللجنة الاستشارية للدبلوماسية العامة¹. لقد قامت الوكالة الأمريكية للتنمية (USAID) في هذا الصدد بوضع خطة إستراتيجية لتنسيق الجهود بين هذه الهيئات وذلك لخلق عالم أكثر أمنا وأكثر ديمقراطية وهذا لتحسين صورة أمريكا ولمكافحة الإرهاب وذلك بمشاركة مجلس العلاقات الخارجية ومكتب محاسبة الحكومة والفريق الاستشاري المعني بالدبلوماسية العامة العالم العربي والإسلامي وباقي الدول الأخرى². وجدير بالذكر أن الدبلوماسية العامة للو.م.أ يمكن تقسيمها إلى ثلاث أبعاد رئيسة حسب جوزيف ناي " Joseph Nye " وذلك تماشيا مع أهدافها ووسائلها في تحقيق أولويات السياسة الخارجية الأمريكية و هي :

البعد الأول : للدبلوماسية العامة الأمريكية هو ذلك المتعلق بالاتصال اليومي بالجمهور " Daily, Communication " والتي تعني ضرورة الاستعداد الدائم لعملية تقديم المعلومات بصورة سريعة وذلك من خلال أنشطة السفارات الأمريكية في إطار ندواتها ومقابلاتها وزياراتها وتصريحاتها بهدف الاتصال المباشر بالجمهور، وفي هذا الصدد فقد تم مطالبة السفراء المسؤولين عن الشؤون العامة بالسفارات الأمريكية بالإكثار من الأحاديث والتصريحات العلنية حول الموضوعات التي تمثل أهمية في الدول والمناطق التي تكون فيها بعثاتهم الدبلوماسية وذلك لإحداث الحوار المباشر بين الدول من خلال الإيضاح والتفسير للأهداف التي تسعى الو.م.أ لتحقيقها من وراء هذه الإستراتيجية³.

البعد الثاني: للدبلوماسية العامة الأمريكية هو الاتصال الاستراتيجي⁴ " Strategic communication " بحيث يعمل هذا البعد على محاولة تحقيق نوع من الاتساق والانسجام بين الرسائل المختلفة التي تبنتها جهات مختلفة تحت مسمى الدبلوماسية العامة ، و لعل في ذلك تكون أشبه بحملات الدعاية الإعلانية أو السياسية. إن دور السفارات لا يقتصر على الاتصال اليومي فقط

¹ *Routledge Handbook of Public Diplomacy*, ed. by Nancy Snow, Philip M. Taylor, and Annenberg School of Communications (University of Southern California) (New York: Routledge, 2009). P. 227.

² Snow, Taylor, and Annenberg School of Communications (University of Southern California). P. 225.

³ Jr. Joseph S. Nye, 'Public Diplomacy and Soft Power', *The ANNALS of the American Academy of Political and Social Science*, 616.1 (2008), 94–109 <<https://doi.org/10.1177/0002716207311699>>. p. 97.

⁴ Joseph S. Nye. *ibid*, P. 98.

وإنما يرتبط أيضا بما يسمى بالاتصال الإستراتيجي وذلك من خلال المعلومات التي تعدها على شبكة الانترنت ووسائل الإعلام وإعداد العديد من البرامج التبادلية في شتى المستويات بحيث تقوم باختيار هؤلاء الذين سوف يشاركون في تلك البرامج مثل برنامج التبادل القضائي بين الو.م.أ و مختلف الدول العربية.

البعد الثالث: الدبلوماسية العامة الأمريكية هي عبارة عن بناء وتطوير علاقات طويلة المدى " Relationships.Building " مع أفراد ومؤسسات عن طريق دورات التدريب والمؤتمرات و هو الأمر الذي يعكس محتوى الدبلوماسية العامة الأمريكية القائمة على الجمع بين ثلاث جوانب هي الجانب المفاهيمي (يهدف للتعريف بالقيم السياسية بشكل مجرد أي يتعرض للمفاهيم العامة التي يمكن أن تطبق في أي مجتمع وليست خاصة بالمجتمع الأمريكي وحده مثل الديمقراطية ومبادئ الحكم الرشيد) و الجانب المعلوماتي (يهدف للتعريف بالمجتمع الأمريكي من حيث قيمه وإنجازاته ومشاكله وهويته) ثم الجانب النموذجي (الذي يقدم للو.م.أ باعتبارها نموذجا يجب أن يحتذى به في دول العالم الأخرى)¹.

إنطلاقا من هذه الأهداف التي تعكس الأبعاد الرئيسية للدبلوماسية العامة الأمريكية فإن الو.م.أ تسعى إلى تحسين سبل مخاطبة الحكومة الأمريكية للجماهير في الخارج وذلك بهدف تعزيز دور الدبلوماسية العامة الأمريكية في تحقيق أهداف وأولويات السياسة الخارجية الأمريكية بصورة تسمح لها بالمحافظة على مكانتها باعتباره النموذج الأنسب لعولمة آليات الديمقراطية والمشاركة الشعبية في الحوار والتعاون الدولي على أكمل وجه. لقد صاحب تكريس هذه النظرة مع كارين هيويز تعهدها بزيادة التمويل لبرامج محددة أثبتت أنها تؤتي بالنتائج المرجوة. صرحت هذه الأخيرة إن برنامج زيارات المواطنين المتبادلة هي من بين أنجع أدوات الدبلوماسية العامة وأنه تمت إضافة وإعادة توزيع الموارد لتسيير نمو هذه البرامج وكان ذلك في سنة 2006 وكانت النتيجة هي إزدياد تمويل البرامج التبادلية بمبلغ 70 مليون دولار وتم إضافة 38 مليون دولار إضافية للسنة المالية 2009.²

¹ Joseph S. Nye.

² Ellen Huijgh, 'Changing Tunes for Public Diplomacy: Exploring the Domestic Dimension', 2 (2013), 12.

من ناحية أخرى ، استخدمت وكالة الوزراء طرقاً و مناهج جديدة تقوم على تشكيل فرق للرد السريع يزود المواطنين غير الحكوميين المحترفين في مجال الدبلوماسية العامة بالمواد التي يحتاجونها للرد على المعلومات المضللة. لقد تم إنشاء محاور إقليمية توفر وجود ناطقين رسميين في الأماكن الأساسية ومازاد الأمر فاعلية هو ظهور ممثلي الو.م.أ في وسائل الإعلام لاسيما العربية منها وهذا ماسمح للسفراء والدبلوماسيين بالتعاطي مباشرة مع الجماهير الأجنبية بمساعدة الجهات غير الرسمية الأمر الذي يعكس دور هذه الأطراف في مجال الدبلوماسية العامة من أجل تحقيق أبعادها في تعزيز الحوار والاتصال المباشر بالجماهير والتي أصبحت من المعايير الأساسية المعتمدة للترقية على مستوى السلك الخارجي خاصة فيما يتعلق بدور وسائل الإعلام والرأي العام في تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية وفق مستويات عالية.

المطلب الثالث: الدبلوماسية العامة الأمريكية: بناء إطار نظري للتحليل

تعتبر الدبلوماسية العامة ظاهرة تكتسي أهمية بالغة إذ أصبحت تحتل الموقع البارز الأساسي في مسار العلاقات الدولية وتحقيق الأمن والسلم ويظهر ذلك من خلال ضخامة وحجم الفاعلين الناشطين في هذا النوع الدبلوماسية مما يتطلب معالجة هذه الظاهرة ومحاولة فهمها بكل أبعادها النظرية والقانونية والسياسية وهذا في إطار فهم التيارات والمقاربات الفكرية التي حولاً بناء تصورات نظرية عن طبيعة الدبلوماسية العامة.

1- التيار المثالي ومقاربة المسارات الدبلوماسية:

مع التطور الذي شهدته العلاقات الدولية اليوم أصبحت الظاهرة الدبلوماسية المدخل الأساسي الذي يتم من خلال تحقيق السلم وتحقيق حماية ورعاية مصالح الدول والأفراد وذلك من خلال وظائف متعددة ومتنوعة ومتخصصة تهدف إلى خدمة مصالح جميع أشخاص المجتمع الدولي وهذا من خلال هيئات ومجموعات تمارس هذه الأنشطة إنطلاقاً من كونها عنصر ضروري في أية علاقة منطقية بين فرد وآخر وبين دولة وأخرى تهدف إلى تعزيز العلاقات الودية والسلمية بين الدول والأمم والعمل على إستبعاد خطر الحرب ودوام الاستعداد له. و لما كانت الدبلوماسية عملية مهمة في الاتصال والتفاوض في السياسة العالمية فهي تنطلق من منظورين أساسيين هما: التحليل الكلي

(الصورة الكبيرة) والتحليل الجزئي (الصورة الصغيرة)؛ فالأول يحاول فهم السياسة العالمية والعلاقات الدولية لكل الأجزاء المكونة لها والثاني يحاول شرح السياسة العالمية والعلاقات الدولية من منظور المثاليين وهو التركيز تقليديا على فهم سلوك السياسة الخارجية للدول والحكومات والجهات التي تتصرف نيابة عن تلك الدول¹ وهذه الممارسات تنشأ ضمن مجموعة المسارات سميت بمسارات الدبلوماسية " Tracks of Diplomacy " والتي تهدف إلى حفظ السلام الدولي وتعزيز الحوار بين الدول والشعوب والتي تنامي دورها من خلال التنسيق فيما بينها ولعب دور المراقب على سير العلاقات الدولية وتحصيل المعلومات وتقصي أسباب النزاعات بين الأمم.

إن هذه المسارات تمثل في حد ذاتها نظاما له أساليبه و وسائله وأدواته تعمل على تحقيق أهداف هذا النظام لذلك فإنه إذا ما التقت هذه المسارات كلها بما تتمتع به من إمكانيات وقدرات من أجل تعزيز الحوار وحفظ السلام بين الشعوب فإنها تدخل ضمن إطار عام يسمى بالدبلوماسية متعددة المسارات و هذا من خلال مقارنة وضعها كل من لويس ألماس " Luis.Almass " وجون ووكر ماكدونالد " John.Wooker.Mc Donald " والذي عني به تلك الأنشطة التي تقوم بها هذه المسارات انطلاقا من المسار الأول " track one " إلى غاية المسار الخامس " track Five "² وتتمثل هذه المسارات فيما يلي :

دبلوماسية المسار الأول: " Track one diplomacy " : هي تلك الدبلوماسية التي يمارسها الملوك ورؤساء الدول والحكومات عبر بعثاتهم الدبلوماسية أو مبعوثيهم الشخصيين ومندوبيهم الدائمين وموقديهم الرسميين وفي هذا السياق يشير جيمس هيفر مانز " James.Hever Mans " إلى دبلوماسية المسار الأول بأنها دبلوماسية ذوي الباقات البيضاء الذين يقفون أمام الكاميرات قبل أن يختفوا وراء أبواب لإجراء محادثات سرية، فهو إذن يصفها بدبلوماسية الاشارات

¹ J. Baylis, S. Smith, and P. Owens, *The Globalization of World Politics: An Introduction to International Relations* (OUP Oxford, 2011). P. 523.

² L. Diamond and J.W. McDonald, *Multi-Track Diplomacy: A Systems Approach to Peace* (Institute for Multi-Track Diplomacy, 1993).p. 76.

المشفرة والرسائل الإلكترونية التي ترسل من وزارات الخارجية للبعثات الدبلوماسية وبالعكس¹ ، لذلك فإن دبلوماسية المسار الأول تعكس أطر السياسة الدولية التقليدية والتي تجرى في إطار التفاعلات المنتظمة للدول والتي تعمل من خلال أنشطتها إلى محاولة وقف تصعيد الصراعات وحفظ السلام وإحلال الحوار بين الشعوب والأمم.

دبلوماسية المسار الثاني: " Track two diplomacy " وهي الجهود التي يقوم بها غير الرسميين والذين يتمتعون بدرجة معينة من التخصص في حفظ السلام والأمن والحوار والتعايش ويسعون إلى القفز فوق منطق استخدام القوة وتشجيع الاتصال والتعاون داخل المجتمعات المنقسمة على نفسها ويشير جون ماك دونالد إلى أن دبلوماسية المسار الثاني قادرة على الكشف عن الحاجات الإنسانية الأساسية وأن السماح للاتصال المباشر بين الدول يمكن من وقف عملية تحقير الإنسان لأخيه الإنسان وبناء العلاقات بين الجماعات الدولية². فدبلوماسية المسار الثاني تعمل على تطوير النفاهم المتبادل بين أكثر عدد ممكن من الجماعات عبر العالم لذلك تسمى هذه الدبلوماسية بالدبلوماسية التحويلية " Transformative Diplomacy" والتي تحاول وضع تصور لعالم يطغى عليه التكتاف المشترك على سياسات استخدام القوة وجعل منظور العلاقات الدولية يقوم على أساس علاقات بين الشعوب وليست على علاقات بين النظم والتي تهدف إلى تحقيق أهداف و أولويات السياسة الخارجية لهذه الدول³.

دبلوماسية المسار الثالث : " Track Three Diplomacy " ويعرف هذا النوع بالدبلوماسية المواطنة " Citizen Diplomacy " والتي تهتم بعقد اللقاءات غير الرسمية بين الدول وذلك بعرض تقريب وجهات النظر ودعمها لمساعدة مراكز البحث والدراسات المتخصصة في إحلال السلام والحوار بين الشعوب بهدف تحقيق أهداف السياسة الخارجية. ويشير مصطلح دبلوماسية المسار الثالث " Track Three Diplomacy " إلى تلك المؤتمرات التي تعتمد على مشاركين من

¹ Laurence Badel, 'Introduction : "diplomatie en renouvellement"', *Les cahiers Irice*, 3.1 (2009), 5–19 <<https://doi.org/10.3917/lci.003.0005>>. p.09.

² Diamond and McDonald. Op. cit. p. 71.

³ Badel.

غير الدول والدوائر الحكومية بهدف إيجاد طرق بديلة لمعالجة قضايا السياسة الخارجية وقد انبثق هذا المفهوم من النموذج الذي يقسم أنشطة الدبلوماسية الدولية بين القنوات الرسمية وغير الرسمية¹. كما يشير مصطلح دبلوماسية المسار الثالث إلى المجال التجاري والقطاع الخاص والمشاريع الحرة والشركات المتعددة الجنسيات والتفاعلات التي تحدث بينهم وذلك بهدف تعزيز فرص العمل في المجال الإقتصادي ودعم المؤسسات الإقتصادية وجلب التجار والمنتجين والتركيز على بناء علاقات تجارية عادلة بين المستهلكين في العالم والأكثر تضررا من الناحية الإقتصادية بما فيهم الصناع والحرفيين والمزارعين... الخ.

دبلوماسية المسار الرابع: " Track Four Diplomacy " : وهي ما يعرف بدبلوماسية الشعب للشعب وهذا النوع يوفر قاعدة على أعلى مستوى تسهل للشعب عملية توسيع نطاق الممارسة الدبلوماسية وإحداث المزيد من التعاطف من خلال تبادل الخبرات فيما بينهم وهذا التبادل والتعاطف يؤدي إلى خلق علاقات جيدة مع الناس ونجاح المشاريع وتحقيق أهداف السياسات الخارجية على أعلى مستوى، فهذا النوع من المسارات يختص بالمجالات العلمية والثقافية والأكاديمية والتعليمية والطلابية والمجالات التقنية والرياضية وحتى التبادل بين الشباب من خلال برامج التبادل الثقافي... الخ.²

دبلوماسية المسار الخامس: " Track Five Diplomacy " : ويشير هذا المسار إلى دور وسائل الإعلام والاتصال والرأي العام في مجال العلاقات الدولية والسياسة الخارجية من أجل إحلال السلام والتعاون بين الشعوب وهذا على أساس الجهود التي تقوم بها والرامية إلى كشف وتوعية قطاعات وهيئات مجتمعية من خلال توفيرها للمعلومات والأفكار والثقافة وغيرها من الإحتياجات الوطنية وبالتالي رفع مستوى الوعي الجماعي للسكان بمسائل السلام والسياسة الخارجية ومتغيرات السياسة الدولية³. فهذا المسار يعمل على مساعدة المسار الثالث المجسد في مراكز البحث والدراسات وذلك من خلال الترويج لمفاهيم السلام ومساعدتها على تحليل النزاعات والتنبؤ بها كما

¹ Richard Langhorne, 'The Diplomacy of Non-State Actors', *Diplomacy & Statecraft*, 16.2 (2005), <<https://doi.org/10.1080/09592290590948388>>, p. 351.

² Badel. Op. cit. p11.

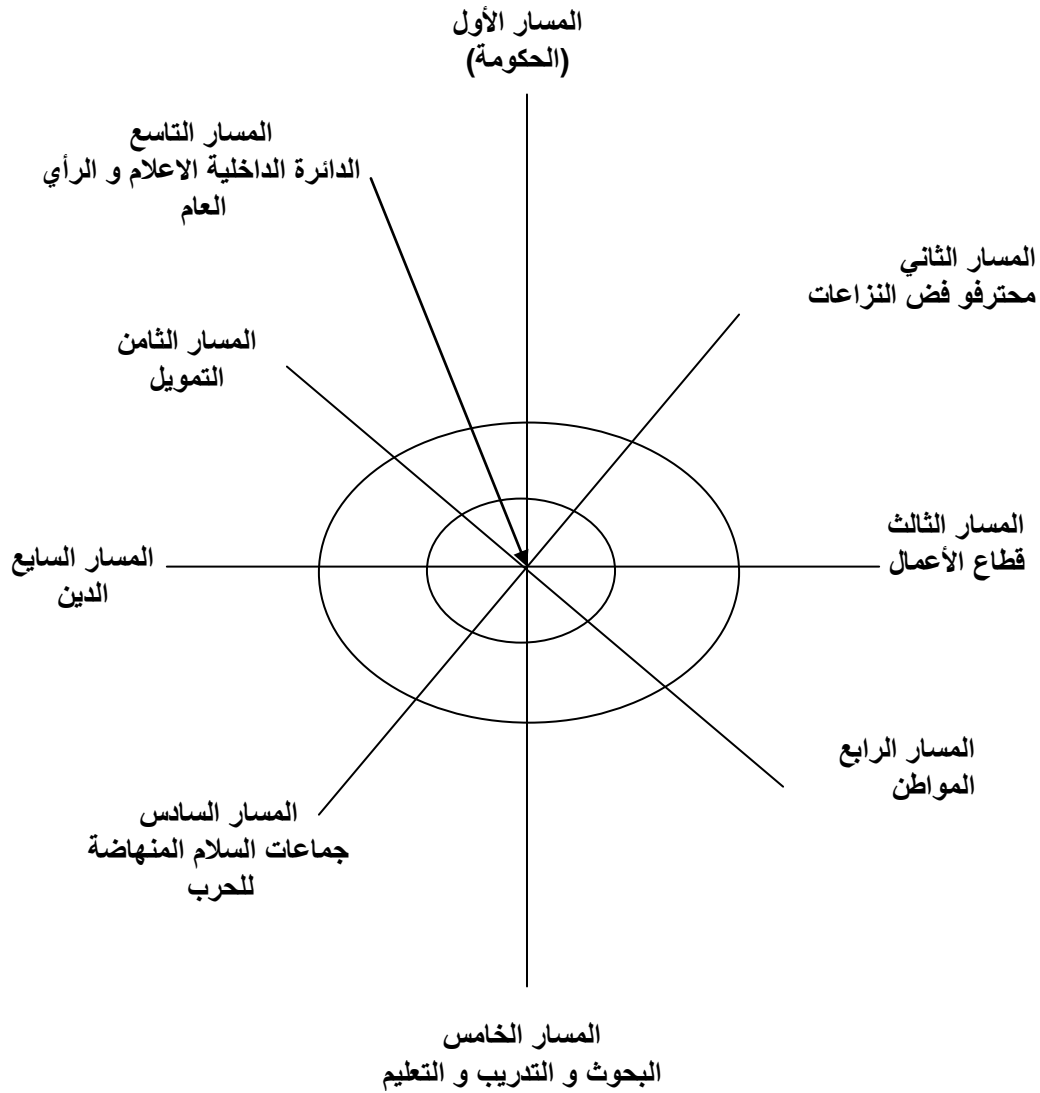
³ Ibid.

يعمل هذا المسار على توعية بناء السلام من المفاوضين والعاملين في السلك الدبلوماسي سواء الرسمي أو غير الرسمي.

جدر الإشارة إلى أنه ومع تنامي دور هذه المسارات وتطور العلاقات الدولية في إطارها العام فقد ظهرت هناك مجموعة من المسارات والتي ضمت أنشطتها إلى أنشطة المسارات الأخرى وعلى هذا الأساس قام دياموند وماكدونالد بتوسيع هذه المسارات ضمن مايسمى بمفهوم الدبلوماسية المتعددة المسارات وجعله يشمل تسعة مسارات حيث أضاف للمسارات الخمسة السابقة أربعة مسارات أخرى وهي الدين، وجماعات السلام المناهضة للحرب والمجسد في حركات التحرر والبحوث والتدريب والتعليم وأعمال البر والإحسان والمساعدات (هيئات جمع الأموال)¹ . يوضح الشكل في الأسفل هذه المسارات على النحو الذي وضعه كل من لويري دياموند و جون ماكدونالد حيث صاغا شكلا هندسيا دائريا للتعبير عن المسالك الدبلوماسية المسارية التسعة بحيث يقع كل مسلك على نقطة في محيط دائرة بغرض عدم إعطاء أي مسلك سواء كان رسمي أو غير رسمي أهمية على المسلك الآخر حيث ترتبط كل هذه المسالك ببعضها البعض في عملية واحدة لحل المشاكل والقضايا العالقة على المستوى الدولي وجعلها دائرة² . إن هذه المسارات بما فيها المسارات الرسمية وغير الرسمية تعمل ضمن أعمال حكومية وغير حكومية من أجل حفظ السلام وتحقيق أهداف السياسة الخارجية، وهذا من خلال الاتجاه العام لهذه المسارات المتمثل في الجمع بين كل المسارات وذلك ضمن مايسمى بالدبلوماسية العامة ومظاهرها والتي ركز عليها من خلال المسار الرابع والتي أطلق عليها بالدبلوماسية الشعبية والتي تتهج نهج تكاملي من خلال أدواتها ووسائلها في تحقيق السلام والتعاون بين الشعوب والأمم وبناء علاقات ضمن النسيج الإجتماعي وتحقيق التمازج الثقافي وبلورة التغيرات الدولية بما يتماشى والمصالح القومية للدول وذلك من خلال أنشطة دبلوماسية شعبية عمومية من المواطن إلى المواطن.

¹ Diamond and McDonald. Op. cit. p. 74.

² عبد الغفار، محمد أحمد،، *فض النزاعات في الفكر والممارسة الغربية: دراسة نقدية وتحليلية : الدبلوماسية الوقائية* وصنع السلام (الجزائر: دار هومة، 2004 [accessed 31 2004 <<http://www.aruc.org/fullbib.aspx?id=618065>>] (March 2016).



شكل 01 : مسارات الدبلوماسية حسب دياموند و ماكdonald

المصدر :

L. Diamond and J.W. McDonald, *Multi-Track Diplomacy: A Systems Approach to Peace* (Institute for Multi-Track Diplomacy, 1993), p. 77.

وتجدر الإشارة إلى أن التيار المثالي حاول فهم طبيعة هذا النوع من الدبلوماسية من خلال تطبيق مفهوم العلاقات العامة في الدبلوماسية العامة و كان ذلك من طرف كل من تيري ديابل " Terry Dayable " و والتر روبرت " Walter Rorbert " في إطار مفهوم مزدوج أطلق بين العلاقات العامة والدبلوماسية العامة¹. لقد أضافت المثالية في تحليلها للدبلوماسية العامة الأمريكية تحليلا برغماتيا تحدد أساسا في مفهوم الدبلوماسية الحديثة والدبلوماسية الثقافية كدبلوماسية مميزة للدبلوماسية الأمريكية. رفض المثاليون بالرغم من الصورة النمطية التي قد ألصقت بهم من طرف الواقعيين إستخدام الدبلوماسية العامة بعيدا عن عامل الأخلاق فالسياسة الخارجية الأمريكية أصبح ينظر إليها على أنها عرضة وغير مرغوب فيها ذلك أن فترات الحرب كلها كانت فيها قطاعات الدبلوماسية العامة غير ممولة . فالدبلوماسية العامة هي شكل من أشكال الدبلوماسية التي تشارك في حل النزاعات الدولية. من جهة أخرى يشار إلى الدبلوماسية العامة على أنها مقارنة لمفهوم الدعاية حسب التيار المثالي و الذي ارتبط كثيرا بما يسمى بنموذج الدبلوماسية العامة الجديدة. أما من ناحية الدبلوماسية الثقافية فقد ركز الميثاليون على اللغات والفنون والثقافة باعتبارها شكل من أشكال الدبلوماسية العامة و تشتمل لديهم على أربع فئات، المعرفة الثقافية، المعلومات الثقافية الحوار وأخيرا الكفاءات. يمكن من خلال طروحات التيار المثالي ملاحظة بروز نموذج جديد للدبلوماسية العامة قائم على قدرة تدخل للرأي العام في التأثير على مجريات السياسة الدولية و هو المتغير الذي أدى بدوره إلى تطور كبير في الوسائل والأساليب الدبلوماسية التي أصبحت تسعى إلى مسابرة التطور وتخدم أهدافه بأساليب تتناسب معها.

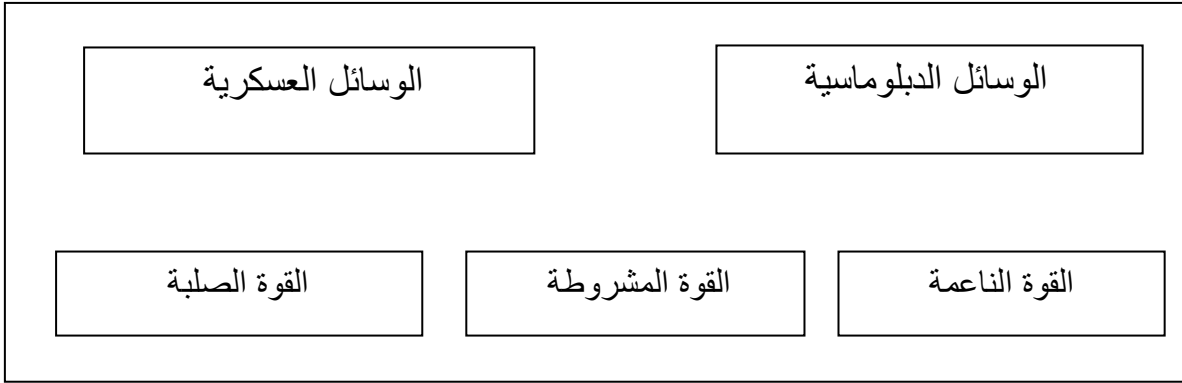
2. - الدبلوماسية العامة كقوة ناعمة عند جوزيف ناي :

تتعدد تعاريف مصطلح القوة بتعدد زوايا تناوله و هي من الظواهر التي يسهل وصفها و يصعب تعريفها لأنه مفهوم ديناميكي و يرتبط بالسياق و الزمان و المكان و المجال الذي يستخدم فيه. إن القوة ليست مجرد التسلط و لكنها تتضمن أيضا القدرة على الاستمالة و النفوذ لدى الآخرين

¹ Craig Hayden, *The Rhetoric of Soft Power: Public Diplomacy in Global Contexts* (Lexington Books, 2012). P. 7.

فبالاستخدام الماهر و الذكي للقوة يمكن للطرف (أ) أن يجعل الطرف (ب) يفعل ما يريد قهرا أو طوعا. فالقوة إذن هي مفهوم يتمتع بعدد من الخصائص أبرزها:

- ✓ القوة شيء نسبي لأن قوة الدولة تقاس بمقارنتها بالدول الأخرى
- ✓ القوة مفهوم حركي ديناميكي غير ثابت فترتيب الدولة من حيث القوة بين الدولة مرهون بوقت قياسي، هذه القوة و المجال المستخدمة فيه.
- ✓ تتدرج ممارسة القوة بين التأثير بالطرق السلمية (Soft power) و بين أسلوب الإكبار (Hard power) و عليه يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من القوة.
- أ- القوة المشروطة: وتتضمن الوعد و المنح مقابل تغيير المواقف و الاستجابة للمتطلبات
- ب- القوة القصرية: و هي التي تمارس على الآخر، و يتحقق إذعانه بالقهر و الإكرام و التهديد.
- ت- القوة الناعمة: و هي ذلك النوع من القوة التي تركز على الوسائل الدبلوماسية و السلمية في تحقيق أهدافها¹.



شكل 02 : شكل توضيحي للمعنى و للاستخدامات التي يشتملها مصطلح القوة الناعمة

المصدر :

Jean LECA, '« Soft power ». Sens et usages d'un concept incertain', , CERISCOPE, 2013

¹ Jean LECA, '« Soft power ». Sens et usages d'un concept incertain', , CERISCOPE, 2013 <<http://ceriscope.sciences-po.fr/node/549>> [accessed 1 April 2016].

لقد استخدم مصطلح القوة الناعمة في الكتابات الأكاديمية بلفظ القوة الناعمة كترجمة مباشرة لمصطلح (Soft power) في مقابل مصطلح (Hard power) و التي تعني القوة العسكرية أو الصلبة، و يأتي استخدام هاذين المصطلحين كمعادلة موضوعية لمسألة (hard ware) و (Soft ware) في الكمبيوتر¹، و لكن بالنظر إلى مضامينها و السياق الذي تستخدم فيه في الكتابات الأكاديمية فإن واقع الحالة غير ذلك فباستخدام لفظ القوة (power) في مجال القوة الناعمة ليقابل لفظ القوة الصلبة فإنه تسوده الكثير من المحاذير أهمها:

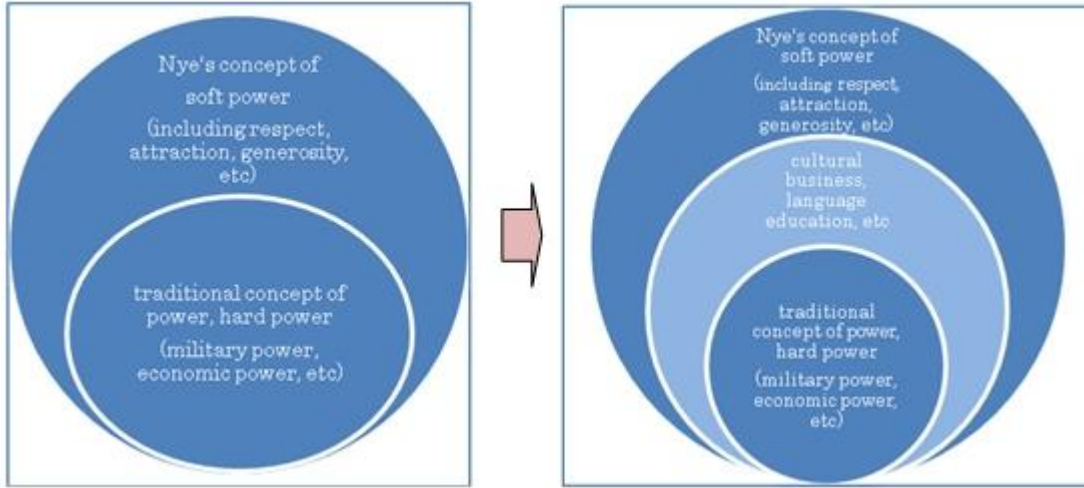
- ✓ إichاءات لفظ القوة (power) و من ثمة إردافه بمصطلح الناعمة (Soft) يتبادر إلى ذهن المتلقي مفاهيم خاطئة حوا معنى مصطلح القوة الناعمة.
- ✓ وسائل تحقيق القوة الناعمة لا تتضمن القصر أو الإكراه بقدر ما تتضمن الوسائل الفكرية و الحضارية و السياسية.

فالقوة الناعمة هي القدرة على الحصول على ما تريد من خلال الجذب لا من خلال التعنيف أو الإغراء، و هي تنشأ من جاذبية نموذج ما بمبادئه السياسية أو ساسته التي ينظر إليها على أنها مشروعة ، فالدولة التي تتمتع بهذا الصنف من القوة يمكنها تحقيق المخرجات التي تريدها في السياسات العالمية لأن دولا أخرى قد تخلق لديها ارادة الاتباع، و بهذا المعنى تكون القوة الناعمة قائمة أساسا على القدرة على تكوين مفضلات يرغب فيها الآخرون². إن هذا المصطلح و إن كانت أدواته قد استخدمت قديما تحت مسميات عديدة مثل : الدبلوماسية و الحوار الفكري و الإقناع و التفاوض... الخ إلا أن أول من استخدم لفظ القوة الناعمة (Soft power) هو جوزيف ناي Josef.Nye و الذي شغل منصب مساعد وزير الدفاع لشؤونه المن الدولي في الو.م.أ عام 1995م، حيث حظي المصطلح بانتشار واسع بين الكتاب و المفكرين داخل الو.م.أ و خارجها، و قد صاغه في كتابه " وثبة نحو القيادة " Pound to lead " الذي أصدر عام 1990 ثم عاود

¹ Idem.

² زهير بوعمامة، أمن القارة الأوروبية في السياسة الخارجية الأمريكية بعد نهاية الحرب الباردة (دار الوسام العربي، 2011) ص. 44.

استخدامه في كتابه " مفارقة القوة الأمريكية " " The paradox of America power " عام 2002، ثم كتابه الذي أصدره في عام 2004 م، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية¹.



شكل 03 : تغير مفهوم القوة بسبب تعدد المعاني عن القوة المرنة

المصدر²:

Kyoungtaek Lee, 'Towards a New Framework for Soft Power', *Inter Faculty*, 1.0 (2010)

لقد قدم جوزيف ناي (Josef.Nye) تعريفا أصيلا سنة 1990 للقوة الناعمة فهي في جوهرها قدرة أمة معينة على التأثير في أمم أخرى و توجيه خياراتها العامة و ذلك استنادا إلى جاذبية نظامها الاجتماعي و الثقافي و منظومة قيمها و مؤسساتها بدلا من الاعتماد على الإكراه أو التهديد فهذه الجاذبية حسب جوزيف ناي يمكن نشرها بطرق عدة مثل الثقافة الشعبية و الدبلوماسية

¹ LECA. *Op. cit.*

² Kyoungtaek Lee, 'Towards a New Framework for Soft Power', *Inter Faculty*, 1.0 (2010) <<https://journal.hass.tsukuba.ac.jp/interfaculty/article/view/3>> [accessed 10 June 2016].

العامة. تتحصر بالتالي القوة الناعمة لأي دولة من الدول الكبرى الفاعلة في المسرح العالمي في ثلاث عناصر أساسية :

- ✓ الثقافة العامة و ما إذا كانت جاذبية أو منفردة للآخرين،
- ✓ القيم السياسية و مدى جدية الالتزام بها سواء في الداخل أو الخارج سلماً أو حرباً،
- ✓ السياسة الخارجية المنتهجة و درجة مشروعيتها و قبولها الطوعي من طرف دول العلم و شعوبه¹.

من ناحية ثانية يعتبر جوزيف ناي أن القوة الناعمة ليست شبيهة بالتأثير فقط إذ أن التأثير قد يتركز على الأدوات الصلبة و المرنة معا بما فيها التهديدات و الرشاوي بينما تكون القوة الناعمة أكثر من مجرد الإقناع أو القدرة على استمالة الناس بالحجة و لو أن ذلك جزء منها بل هي أيضا القدرة على الجذب و الجذب كثير ما يؤدي إلى الإذعان. أما بالنسبة للموارد فإن موارد القوة الناعمة هي الموجودات التي تتيح مثل هذه الجاذبية. و يمكن قياس ما إذا كانت أصول أو موجودات معينة هي من موارد القوة الناعمة المنتجة للجاذبية عن طريق سؤال الناس من خلال استطلاعات الرأي، أما إذا كانت تلك الجاذبية بدورها تعطي النتائج المرغوبة في السياسة فهذا ما يجب الحكم عليه في قضايا معينة، فالجاذبية لا تقرر دائما تفضيلات الآخرين، و لكن هذه الفجوة بين قياس القوة بحسب الموارد و الحكم على القوة فبحسب نتائج السلوك ليست قاصرة على القوة الناعمة وحدها بل هي تحدث في كل أشكال القوة².

إن القوة الناعمة باعتبارها تعتمد على الجاذبية و الإقناع بدلا من القهر أو التطويع أو شراء التأييد بتقديم المال في النجاح في ممارستها يعتمد على ما يجري في عقل الطرف الذي تمارس معه أي (المتقلب)، و ربما يروق أسلوب الدعاية للطرف الذي يمارس هذه العملية (المرسل) لكن إذا

¹ Joseph Nye, 'U.S. Power and Strategy After Iraq', *Foreign Affairs*, August 2003
<<https://www.foreignaffairs.com/articles/united-states/2003-07-01/us-power-and-strategy-after-iraq>> [accessed 12 December 2016].

² جوزيف ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، مكتبة العينكان، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى، 2007، ص 26.

لم ينجح المرسل في اجتذاب المتلقي فإن ممارسة القوة الناعمة بهذا الأسلوب لا تحقق النتيجة المرجوة و لقد أثبتت التجربة أن أفضل الأساليب الإعلانية لا تنجح - بالضرورة - في الترويج لمنتج سيئ، و من ثمة فإن الدعاية لا تستطيع التعويض عن القصور الذي قد يحصل في جوهر السياسات المنتهجة. أما بخصوص الو. م. أ. بالحديث فيذكر جوزيف ناي أنه لديها مصادر كثيرة يمكن أن تقدم لها قوة ناعمة محتملة لاسيما في ميدان البراعة الاقتصادية الفائقة التي لا تعطي لها ثروة فقط بل تخلق لها جاذبية أيضا فأمريكا ليست صاحبة أول اقتصاد في العالم فحسب و لكن ما يقرب نصف أكبر خمسمئة شركة في العالم هي شركات أمريكية، أي أكثر بخمسة أضعاف مالدى اليابان، كما أن اثنتين و ستين بالمئة من أهم العلامات التجارية العالمية أمريكية و كل هذه العوامل تساهم في خلق جاذبية للنموذج الأمريكي لدى الشعوب الأخرى. إن الحديث عن الجاذبية يوضح مسألة مهمة تتعلق بالبحث في الرسائل المبعوثة، و من هم الذين ينقلونها وتحت أي ظروف، و كيف يؤثر ذلك على قدرة الو. م. أ. في الحصول على النتائج التي تريدها. إن هذه الرسائل و الصور ينتقل جزء منها عن طريق سياسات الحكومة في الداخل و الخارج و جزء آخر عن طريق الثقافة الشعبية و الثقافة العالمية، و لكن الرسائل نفسها يتم إنزالها و تفسيرها على أيدي متلقين مختلفين في سباق ظروف مختلفة فتترك آثارا مختلفة. فالقوة الناعمة ليست عنصرا ثابتا بقيمة ثابتة بل هي شيء يختلف باختلاف الزمان و المكان¹. لذلك فإنه لا بد من الإشارة إلى مظاهر القوة الناعمة و التي على رأسها الدعاية و الإعلام و الإنتاج السينمائي و التسلسل الإيديولوجي و الهيمنة الثقافية لذلك فقد أشار بعض المفكرين إلى أن القوة الناعمة هي **قوة الثقافة** و التحكم بنشرها بين الدول و تتلخص مصادر القوة الناعمة في:

- ✓ المصادر الدبلوماسية من سفارات و قنصليات.
- ✓ المصادر الاقتصادية من تبادل تجاري و توقيع اتفاقيات شراكة اقتصادية
- ✓ المصادر الثقافية و التعليمية كالتبادل الطلابي و المراكز الثقافية و الندوات و المؤتمرات

¹ جوزيف ناي، مرجع سابق، ص. 63.

من ناحية أخيرة ، يوضح ناي أن هناك خمس تحولات دولية ساهمت في تراجع القوة الصلبة و تنامي الاهتمام بالقوة الناعمة و هي:

✓ من الصعب استخدام القوة في صورتها الفقهية لما يمثله ذلك من خطر على النمو الاقتصادي و المصالح المالية،

✓ إن الفاعلين غير القوميين و الشركات المتعددة الجنسية و المنظمات الدولية سواء الحكومة أو غير الحكومية و حتى الجماعات الإرهابية أصبحت قادرة على ممارسة أنواع من القوة كانت مقصورة في السابق على الدول القومية،

✓ انبعاث النزعات و الحركات القومية قد صعب كثيرا من استخدام القوة حيث هذه النزعات تجعل الدول الكبرى تعيد النظر قبل استخدامها لقوتها،

✓ ساهم انتشار التكنولوجيا خاصة في مجال تطوير الأسلحة النووية في تعادل قوة الأطراف على أرض المعركة بغض النظر عن الاختلافات الحقيقية و التفاوت في القوة بينهما¹.

✓ التغيير الحاصل في القضايا السياسية أو بعبارة أخرى قضايا العلاقات الدولية جعل من القوة العسكرية أقل قدرة على حل المشكلات المعاصرة فامتلاك أقوى جيش لن يحل قضايا مثل الفقر و التلوث و انتشار الأوبئة، و هذا يتحقق من خلال القوة الناعمة.

إن القوة الناعمة لابد أن تتميز بالمصادقية الشرعية حيث تشكل المصادقية هنا عنصرا هيكليا من عناصر القوة. فإذا كانت الثقافة و القيم السياسة و السياسات الخارجية متناقضة مع القيم المقبولة عالميا فقد ينعكس ذلك سلبا على مصلحة الدولة لذلك يجب أن تكون وسيلة تعتمد على هيمنة العقول و الميول و التأثير على الدول الأخرى بما يصيب في مصلحة الدولة.

¹ Joseph S. Nye, 'Public Diplomacy and Soft Power', *The ANNALS of the American Academy of Political and Social Science*, 616.1 (2008), 94–109 <<https://doi.org/10.1177/0002716207311699>>.

3. - الدبلوماسية العامة كدعاية وإدارة السمعة : مساهمة برايان هوكينج

يعتبر برايان هوكينج Brian Hocking واحدا من أبرز كتاب تلك الموجة من الباحثين الذين وجهوا تساؤلاتهم نحو طبيعة ما يميز النموذج الحالي للدبلوماسية العامة عن النمط التقليدي للدبلوماسية العامة. بالنسبة لجميع كتاب ما سمي "بالدبلوماسية العامة الجديدة"¹ فإنه و منذ التحولات الكبرى التي عرفتها بداية القرن الواحد والعشرين (نهاية الحرب الباردة ثم حوادث الحادي عشر من سبتمبر) يمكن ملاحظة تحول الممارسات و الأساليب السائدة في الحقل الدبلوماسي العامة و انتقالها نحو نموذج جديد مرتكز بالضرورة على فكرة " كسب العقول و القلوب" بدلا من النموذج التقليدي السائد منذ فترة الحرب الباردة و القائم أساسا على الدعاية². إن هذه الطبعة المعاصرة جدا من الدبلوماسية العامة تعود أساسا إلى حركية رئيسية تشهدا العلاقات الدولية و هي ما دعاه برايان هوكينج و آخرون بـ " التدفقات الاعلامية ذات الاتجاهين "two-way information flow"³.

إن الدبلوماسية العامة أضحت في هذا العصر المعلوماتي عنصرا اساسيا يرتبط ارتباطا وثيقا بالمصالح الحيوية للدولة " Vital interest " و بالدعاية لها و بالصورة الذهنية للدولة لدى الشعوب الأخرى. يحتاج بناء هذه الصورة إلى عمل جد معقد و إلى تفاعل تكاملي في جهود المكونات الرسمية و غير الرسمية لمؤسسة الدبلوماسية العامة ككل. يزداد هذا التعقيد وضوحا خصوصا إن كانت الصورة النطية لهذه الدولة أو تلك تعاني من مساوئ أو من قصور مس منظومة القيم الرئيسية لها سواء بسبب فهم مغلوط أو بسبب سياسات دعائية غير مناسبة أو بسبب سياسات واقعية مهلكة. من هنا تبرز مدى الأهمية البالغة لإدارة السمعة و الصورة الذهنية و ارتباطها الوثيق

¹ هذا النموذج الجديد للدبلوماسية مهد له الكتاب الجماعي الذي اقترحة مجموعة من أهم مختصي حقل الدبلوماسية العامة تحت إدارة يان ميليسان - و هو مدير برنامج الدراسات الدبلوماسية بمعهد كلينجاندل Clingendael - حيث تمحور النقاش أساسا في البحث في ما إذا كانت هناك فعلا ممارسات "جديدة" تميز الدبلوماسية الحالية عن الدبلوماسية التقليدية. انظر القراءة التالية في كتاب ميليسان : 'The New Public Diplomacy: Soft Power in International Relations', *Choice Reviews Online*, 44.03 (2006), 44-1781-44-1781 <<https://doi.org/10.5860/CHOICE.44-1781>>.

² Brian Hocking, 'Rethinking the "New" Public Diplomacy', in *The New Public Diplomacy, Studies in Diplomacy and International Relations* (Palgrave Macmillan, London, 2005), pp. 28-43 <https://doi.org/10.1057/9780230554931_2>. P. 28.

³ Brian Hocking, 'Rethinking the "New" Public Diplomacy', op. cit. p. 29.

بالدبلوماسية العامة و بالأمن القومي للدولة. يمكن ملاحظة ازدياد هذه الأهمية بشكل لافت خاصة في زمن تدفق المعلومات من كل اتجاه حول العالم عبر تقنيات الاتصال التي تنمو و تتطور بشكل جد سريع. من هنا جاءت مساهمة برايان هوكينغ النظرية للموضوع لتوضح آليات عمل النمط الجديد من الدبلوماسية العامة في هذه البيئة الدولية الجديدة.

لا يقدم هذا التصور الجديد لمفهوم الدبلوماسية العامة تقييما فقط للتطورات الراهنة و الحاصلة في هذا الميدان بل إنه يبرز تمييزا مفاهيميا جادا بين الدعاية من جهة (النموذج التقليدي) و إدارة السمعة الدولية من جهة أخرى Branding و العلاقات الثقافية من ناحية ثالثة. إن مثل هذه الرؤية تستند في الحقيقة على خلفيتين رئيسيتين ؛

1. تتعلق الأولى برفض الشكل الخطي للدبلوماسية العامة من حيث أن ممارستها لا تقتصر على القطاع الدولاتي فقط فهي عبارة عن نموذج شبكة و لكنها متمركز هرميا حول الدولة¹،

2. بينما تشير الثانية إلى فكرة الحوار عبر التبادل الذي يفرضه الواقع الاعلامي المعولم ، و هو المفهوم الذي يحاول كتاب هذا التيار الترويج له من خلال قولبة المسار الخطي للدبلوماسية التقليدية.

يركز برايان هوكينغ كثيرا على أدوار الكثير من الفاعلين في صناعة الصورة و الترويج لها و يأتي على رأس هؤلاء :

أ- الدولة من خلال استخدام تقنيات تقوم على نظريات الاتصال الاستراتيجي و نظريات العلاقات العامة ، و يتم ذلك من خلال البرامج التي تعدها مسبقا و ضرورة تخصيص الموارد اللازمة لبلوغ أهدافها ،

¹ Jan Melissen, 'The New Public Diplomacy: Between Theory and Practice', in *The New Public Diplomacy, Studies in Diplomacy and International Relations* (Palgrave Macmillan, London, 2005), pp. 3–27 <https://doi.org/10.1057/9780230554931_1>. P. 11.

ب- القطاع الاقتصادي الخاص من خلال الاستثمارات التي يوقعها في الخارج و من خلال التبادل التجاري يقوم بأدوار دبلوماسية لأنه ليس فقط حامل لعلامة اقتصادية بل إنه أيضا جامل لقيم الدولة و سمعتها¹.

و في هذا السياق فإن بريان هوكينج يذهب في بحث قضية إدارة سمعة الدولة إلى التشديد على فكرة أن الدولة تحاول دائما خلق و تعديل سمعتها على النحو الذي يحقق لها الولاء داخليا و التأثير خارجيا كما يميز عدد من المناطق حيث تتنافس الأمم مع بعضها البعض بشكل مباشر و علني و حيث ترى إدارة سمعة الدولة ضرورة حتمية لكنه في الوقت ذاته ينبه إلى أن المكاسب ستأتي على المدى الطويل و لا يمكن قياسها مباشرة². فالدبلوماسية العامة بهذا المفهوم هي جزء من نموذج ناشئ حديث العهد للدبلوماسية التعاونية بحيث يحتاج إلى مقارنة تقوم على الحوار بشكل أساسي فهي تتعلق بالأفكار و القيم إلى حد كبير و أن إشراك الأطراف غير الحكومية يعتبر أحد أفضل الطرق لدفع و تطوير إدارة سمعة الدولة. من ناحية أخرى ، يصف بريان هوكينج النهج الهرمي و الذي كان يقصد به وزارة الخارجية و دبلوماسية النظام بأن التصور الهرمي للدبلوماسية العامة و يتمثل أساسا في رصد التفاعلات بين البيئات السياسية المحلية و الدولية و تسريب المعلومات فيما بينها و يضيف أن أهداف و أولويات الدبلوماسية العامة من قبل الحكومة و الدولة تهدف إلى نشرها من خلال دور المنظمات غير الحكومية داخل منظومة الدبلوماسية العامة و التي تعكس صورة سمعة الدولة لدى الشعوب الأخرى و بالتالي العمل على تحسينها أو إعادة هيكلتها بالشكل الذي يسمح للدبلوماسية العامة أن تكون مقبولة في أهدافها و أولوياتها³.

يشير بريان هوكينج في الأخير إلى أن هناك ارتباط وثيق بين سمعة الدولة و مفهوم القوة. فالسمعة الوطنية و الصورة الذهنية هي التي تحدد مدى القوة الوطنية كونها تعكس و تؤثر في مدى التفهم العالمي للدولة و فيما إذا كانت لها القدرة على بناء العلاقات و الأحلاف لتحقيق الأهداف السياسية ، أو التأثير في التطورات الدولية و في اتخاذ القرارات لدى الآخرين بخصوص شراء

¹ Brian Hocking, 'Rethinking the "New" Public Diplomacy', op. cit. p . 31.

² Ibid, p23.

³ Ibid , p 24.

المنتجات أو لجذب الاستثمارات الأجنبية. وبالتالي فإن دور السمعة الوطنية و الدعاية في السياسة و العلاقات الدولية و انعكاساتها على الدبلوماسية العامة هو دور فعال يساعد على تفعيل أنشطة هذا النوع من الدبلوماسية. حسب هوكينغ ، يتوقف النجاح في هذه العملية بحجم النجاح في إدارة تدفق المعلومات اتجاه الشعوب و هو حصريا مجال الدبلوماسية العامة لاسيما أن العالم الجديد لا يزال يحمل مزيدا من التقدم في تقنيات الاتصال و العولمة.

المطلب الرابع: القائمون بالدبلوماسية العامة الأمريكية.

1- وسائل الإعلام والدعاية:

يعتبر الإعلام في الو.م.أ قوة هامة التأثير في كل من جوهر السياسة القومية والعملية التي تصاغ بها، لاسيما في مجال السياسات الخارجية، ذلك أن تأثير وسائل الإعلام كظاهرة مستقلة أمريكية شهد العديد من التغيرات العميقة في مجال الإعلام الدولي وذلك من خلال الطريقة التي تسير بها هذه الأجهزة الإعلامية والمنظمات الاخبارية أعمالها على المستوى الدولي، والذي كان أكثر بروزا في علاقة وسائل الإعلام بالنظام الأمريكي وعلاقة كل منهما بالحكومات الوطنية في أنحاء العالم. أصبحت الوسائل الإعلامية الأمريكية تعتبر بصورة متزايدة في الخارج نموذجا تحاول باقي الدول محاكاته للتغلب على القيود المفروضة عليهم، فكانت بذلك وسائل الإعلام الأمريكية ظاهرة قد برزت في السنوات الأخيرة كعامل هام يتجاوز الحدود القومية بمحض إرادتها. لقد ارتبط الإعلام الأمريكي بالرأي العام في سباق صناعة القرار السياسي الخارجي كعامل محدد في اتخاذ القرارات، إذ يشارك في العملية السياسية بصفة مباشرة أو غير مباشرة وبذلك أصبح الإعلام المحور الرئيسي في صناعة القرار السياسي¹.

¹ سيمون سرقاتي وسائل الإعلام والسياسة الخارجية، ترجمة محمد مصطفى عني، الجمعية المصرية للنشر والمعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، 1995، ب ط، ص 27.

ومن المتعارف عليه أن الو.م.أ قد إختارت منذ البداية إستقلال الأجهزة الإعلامية عن الهيئة الدستورية وهذا ما إنعكس على مستوى الممارسة من خلال إرتباط الوسائل الإعلامية الأمريكية بتوجهات السياسة الخارجية الأمريكية وذلك بما يتماشى والتغيرات الدولية التي ميزت الساحة الدولية في السنوات الأخيرة ، من خلال زيادة الاهتمام بالأوضاع الدولية من طرف هذه المؤسسات الإعلامية. كل هذا أدى إلى إرتباط الإعلام بالنظام السياسي الأمريكي إرتباطا وثيقا سمح بدخول العملية الإعلامية في عملية إتخاذ القرار الأمريكي بصورة غير رسمية جعل منها الطرف الداعم للحكومة، بحيث تناقش القضايا الخارجية في إطار مرجعي مقبول جعل من صانعي القرار في الو.م.أ يتوخى الحذر في تعامله مع وسائل الإعلام لاسيما في مجال العلاقات الدولية والدبلوماسية والتي أصبحت فيه وسائل الإعلام الوسيط الرابط بين الدول تعتمد عليه الو.م.أ في تفسير طبيعة علاقاتها مع باقي الدول من خلال الاتصال المباشر بالجماهير والشعوب مستخدمة في ذلك الإعلام كألية لتعزيز الحوار الدولي. تعتبر وسائل الإعلام الأمريكية من أكثر وسائل الإعلام في العالم قوة وأصبحت وسائلها من نشر وبث إذاعي وتلفزيون هي أدوات جبارة في تشكيل الرأي العام وفي المشاركة في العملية السياسية تسمح لها ببناء صورة أمريكية تسعى إلى تحقيقها على المستوى الخارجي والعمل كألية فيما يسمى بالهمسات الدبلوماسية " Wispers.Diplomacy " لاسيما في قضايا الشرق الأوسط. فوسائل الإعلام الأمريكية هي وسيلة إتصال مع الدول الأجنبية وأداة للتفاوض معها بالدرجة الأولى لاسيما في مراحل الأزمات التي مرت بها فقد كانت تستخدم بمثابة رسائل سريعة مع باقي الدول الأخرى في حالة تعطيل القنوات الدبلوماسية التقليدية وذلك من خلال سياسة الهمس الدبلوماسي Wispers of Diplomacy كما حدث أثناء حصار الطلبة الإيرانيين للسفارة الأمريكية في طهران واحتجاز من فيها من الأمريكيين كرهائن حيث شهدت خلالها الو.م.أ واحد من أطول المسلسلات الدبلوماسية في تاريخ الإعلام الأمريكي فقد كان الرئيس " كارتر Karter " ووزير خارجيته فانس " Vance " يتحدثان إلى أي شخص يمكن أن يستمع إليهما في طهران من خلال وسائل الإعلام¹.

¹ JACK G. SHAHEEN, 'Media Coverage of the Middle East: Perception and Foreign Policy', *The ANNALS of the American Academy of Political and Social Science*, 482.1 (1985), p.167.

لقد حصل تركيز إعلامي شديد في مجال العلاقات الدولية لاسيما بعد أحداث 11 سبتمبر وسياسة الو.م.أ ومحاربة الإرهاب* فقد قامت صحيفة وولستريت " Wall-Street " بتقديم قائمة أهداف محددة مطالبة الو.م.أ بتنفيذ غارات جوية على معسكرات الإرهاب في كل من سوريا ليبيا، السودان، والجزائر ومصر على أنها قد تكون لها علاقة مباشرة بأحداث 11 سبتمبر 2001، هذا إضافة إلى صحيفة نيويورك تايمز " New york times " وصحيفة الواشنطن بوسط the washington post ، واللذان كانتا بحكم موقعهما ومركزهما في الو.م.أ تلعب دورا كبيرا من خلال التقاطها للأخبار المتسربة من قبل العناصر في الإدارة الأمريكية وذلك بالتأثير على تفكير وقرارات صانعي القرار في السياسة الخارجية الأمريكية. لم تكن وسائل الإعلام الأمريكية مقتصرة فقط على الصحف بل تعدى تعزيز العلاقات بين الدول وتحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية إلى وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، فقد سعت الو.م.أ إلى محاولة الترويج لسياستها تجاه الدول الأخرى وذلك بهدف تحقيق أنظار الرأي العام الأمريكي عما يجري خاصة في الدول العربية و كسب تأييدها تأييدها. وتعد إذاعة سوا " Rado.Sawa " واحدة من الخدمات الدولية الأمريكية التي يشرف عليها ويمولها مجلس أمناء الإذاعات الدولية الأمريكية حيث رصد لها 35 مليون دولار وبالرغم من أنها بدأت إرسالها برعاية الشقيقة الكبرى صوت أمريكا" فإنه سرعان ماتخلت واشنطن عن صوت أمريكا لصالح إذاعة سوا الجديدة لكسب الشباب العربي الذي تقل أعمارهم عن 30 عاما¹. ونتيجة لوجود قناعة بهيمنة الإعلام المرئي الأمريكي على باقي دول العالمي خاصة والعالم العربي قامت الو.م.أ بإطلاق قناة الحرة التلفزيونية " AL-HURRA " في فبراير 2004 وذلك في إطار أوضاع تميزت بتفوق قنوات عربية " كالجزيرة " وبثها لرسائل مضادة للتوجهات الأمريكية، حيث حصلت قناة الحرة بعد بثها على 2.3% من المشاركين في إستفتاء حول المصدر الرئيسي لأخبار المشاهدين وذلك في مقابل 52% حصلت على قناة الجزيرة، ووصلت الاعتمادات الأمريكية لإذاعة سوا وقناة الحرة والإخبارية في 2006 إلى 89 مليون دولار أمريكي².

¹ Jeremy M Sharp, 'The Middle East Television Network: An Overview' CRS Report for Congressm Fenruqy 2005. p. 5.

² ibid. p. 6.

وتجدر الإشارة إلى أن الـ.وم.أ قد استغلت هذه المساحة الإعلامية كي تنتشر رسالتها حول الديمقراطية والحرية، خاصة وأن هذه الوسائل تقوم بوظائف مختلفة إتجاه جماهير مختلفة فراديو سوا هو موجه حصريا نحو الشباب العربي، وإذاعة صوت أمريكا تؤمن الأخبار والمعلومات عن الـ.وم.أ لجمهور أوسع نطاق بضم النخبة حيث أصبحت الوسائل جزء من إستراتيجية الـ.وم.أ في مجال الدبلوماسية العامة من خلال التشديد على المسائل الاصلاحية، فالأزمات التي مرت بها الـ.وم.أ والتي لجأت فيها إلى وسائل الإعلام لإيصال رسائلها إلى حكومة ورأي الطرف الآخر هي من دون شك تعكس دور الإعلام الأمريكي في مجال العلاقات الدولية والدبلوماسية العامة وفي مساعدة الإدارة الأمريكية في التأثير على السياسة الخارجية بعدة سبل ، من خلال نقل مالا تريد الحكومة إرساله عبر الحقائق الدبلوماسية، ذلك أن أحد الأسباب هو أن الدبلوماسية التقليدية بلهجتها الهندسية المهذبة قد فقدت فعاليتها وبرزت دبلوماسية عامة تتضمن جزء علني دعائي حيث طورت هذه الدبلوماسية أسس جديدة للتواصل بين الحكومات والشعوب من خلال هذه الأجهزة. كل هذا يقودنا إلى الحديث إلى أن الإعلام الأمريكي هو أداة وعي وإيقاظ للرأي العام كونه يلعب دورا متميزا في القيام بالدبلوماسية العامة وذلك لكونه المحور الأساسي في تشكيل السياسة والقيام بعدة خدمات و وظائف للرأي العام وإيصال آراء معظم المشاركين في اللعبة السياسية، الأمر الذي يسمح للـ.وم.أ باتخاذ التدابير اللازمة من خلال تداخل معقد بين الإعلام وعدد كبير من الأطراف كالمنظمات غير الحكومية ومراكز الأبحاث والتي يكون فيها الإعلام أداة لمناقشة وجهات النظر المختلفة تسمح باتخاذ القرارات لاسيما في مجال القضايا الخارجية. لذلك نجد أن الإعلام الأمريكي يلعب دور الوسيط بين الحكومات في مجال الدبلوماسية العامة ذلك أن الإدارة الأمريكية تطرح وجهات نظرها المناقشة من خلال وسائل الإعلام لتعبئة الدعم لسياستها وبرامجها عندما تحتاج لدعم في الكونغرس وهذا ما أعطاها الحق بأن تكون أداة من أدوات الدبلوماسية العامة لاسيما في مجال التفاوض والعلاقات الدبلوماسية .

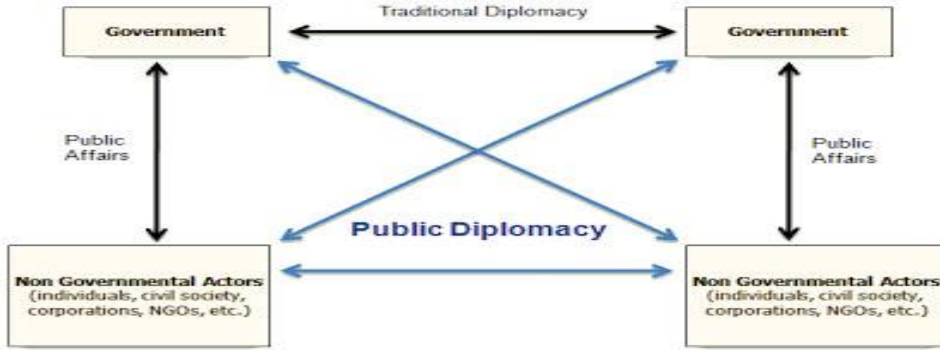
2- المنظمات غير الحكومية:

تحاول الو.م.أ من خلال سياستها الخارجية الترويج لصورة إيجابية عن هذه السياسة، وذلك بإعتبارها الدولة المدافعة عن حقوق الإنسان والديموقراطية والحكم الراشد في العالم أجمع وذلك من خلال حث العديد من الدول على ضرورة الالتزام بمبادئ الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان وتشجيع السياسات الاقتصادية ومحاربة الفساد والحد من إنتشار الأسلحة النووية... إلخ. هذا الأمر يتطلب جهود أكبر من طرف الو.م.أ لدعم وتعزيز الديمقراطية والسلام والحوار بين الشعوب وخلت العديد من الوسائل الاتصالية التي تسمح للسياسة الأمريكية بتحقيق أهدافها على المدى البعيد من خلال التعاون مع فواعل الدبلوماسية العامة التي أضحت الفواعل الرئيسي في دعم سياسة الو.م.أ الخارجي والمجسدة أساسا في المنظمات غير الحكومية التي تعتبر الداعم الأكبر للمصادقية الأمريكية في قدرتها على صناعة عالم قابل للنمو والتطور. وفي إطار الدبلوماسية العامة تلعب المنظمات غير الحكومية دور كبيرا داخل الو.م.أ لاسيما في حل المشاكل الدولية العالقة وذلك بطريقة تسمح لها بعكس مصالحها، فهي تسعى دائما إلى دعم هذه الأطراف غير الحكومية وذلك بهدف تعزيز أهدافها على مستوى علاقاتها بالعالم.

إن مادفع الو.م.أ إلى الاستعانة بأنشطة المنظمات غير الحكومية في العديد من القضايا الدولية هو أنها تلعب من خلالها الدور الدبلوماسي الذي يصنف نفسه كمدافع أول عن الشعوب وعن مصالح الو.م.أ من خلال محاولة زرع الثقة على المستوى المحلي تمر على المستوى الدولي كخطوة أولية للبدء في عملية التدخل في مساندة الو.م.أ لتعزيز سياستها وتحسين صورتها تجاه العالم والتي تعتبر نقطة البداية لإجراء عملية الحوار المفتوح والمستدام بين الو.م.أ والعالم من جهة وإحداث الحوار بين الشعوب كسياسة إستراتيجية تدخل ضمن أولويات السياسة الخارجية الأمريكية. لذلك فإن الو.م.أ تقوم بدعم هذه المنظمات غير الحكومية من أجل تعزيز جهودها المبذولة في مجال العلاقات الدولية والسياسة الخارجية والتي تحتاج إلى هذا الدعم مثل منظمة كارينجي للتعاون التي تتخذ من نيويورك مقرا لها ومؤسسة فورد " FORD " ومنظمة هيوليت " Hewelet " و منظمة مكارتز " Mckarter "

ومعهد الو.م.أ للسلام ، فبدون دعم الو.م.أ لهذه المنظمات ماكان لجهودها أن تتم¹. و لعل من أهم المنظمات غير الحكومية التي تنشط في مجال الدبلوماسية العامة نجد مركز كارتر للسلام، والذي عني إلى جانب العمل من أجل السلام بقضايا البناء الديمقراطي والحكم الرشيد وحقوق الإنسان، فقد عمل المركز على إنشاء شبكة دولية للتفاوض "INN" إنضم إليها بعض القيادات من دول العالم وذلك لبحث الأوضاع التي تستدعي تحليلها، حيث يقوم المركز بإجراء مشاورات مع بعض الحكومات والمنظمات الحكومية وحتى غير الحكومية كما يجري مشاورات مع البيت الأبيض والإدارة الأمريكية².

من ناحية أخرى ، تعتبر المنظمات غير الحكومية في الو.م.أ بمثابة الذراع الجديد للدبلوماسية العامة الأمريكية، ذلك أن المنظمات غير الحكومية هدفها الأول الوحيد هو تغيير المجتمعات من خلال لعب دور في سبيل حل المشاكل العالقة³، وهذا ما أدى إلى إعتبار المنظمات غير الحكومية أطراف شريكة في مجال الدبلوماسية العامة الأمريكية والتي أخذت مكانتها داخل الو.م.أ وداخل العديد من الوكالات التابعة للو.م.أ والتي تدعم النمو الاقتصادي طويل الأجل للسياسة الخارجية الأمريكية ومجالات الزراعة والتجارة والصحة والديموقراطية والمساعدات الإنسانية .



شكل 04: الفاعلون في الرسميون و غير الرسميون في الدبلوماسية العامة

المصدر:

Dowell, Mark. "Public Diplomacy at the Crossroads: Definitions and Challenges in and 'Open Source' Era". The Fletcher Forum of World Affairs. Vol. 32:3 Special Edition 2008.

¹ Alain Boinet, 'Aide humanitaire, ONG et diplomatie économique', *Géoéconomie*, 56.1 (2011), 123.

² Joseph J. Popiolkowski and Nicholas J. Cull, *Public Diplomacy, Cultural Interventions & the Peace Process in Northern Ireland: Track Two to Peace?* (Los Angeles: Figueroa Press, 2009). P. 07.

³ Alain Boinet, 'Aide humanitaire, ONG et diplomatie économique', *op. cit.* p 129.

يعكس هذا الشكل نموذج السياسة الخارجية الأمريكية و التي تعتبر نتاج عملية النمو المعقد لدور جماعات متعددة أصبحت لها القدرة على التأثير في سير العلاقات الدولية ، حيث أن السياسة التي تتبعها الو.م.أ هي نتيجة ثلاثية بين لجان الكونغرس ومختلف الوزارات والمنظمات غير الحكومية. يؤدي التفاعل الكبير بين الدولة وهذه المنظمات غير الحكومية إلى الاعتراف بمركزية هذه المنظمات في الحياة السياسية الأمريكية نظرا للتأثير المتزايد الذي تمارسه في مجال الدبلوماسية العامة مما جلب لها دورا متزايد في الشؤون الدولية. ومع تنامي دور المنظمات غير الحكومية داخل الو.م.أ بدأت تحظى هذه الجهات بالأهمية الكبرى من قبل الإدارة الأمريكية لما تقدمه من مساعدات في مجالات عديدة تسعى الو.م.أ إلى تطويرها على المدى الطويل لاسيما في مجال العلاقات الدولية والدبلوماسية العامة وفي عملية بناء السلام الدولي وفض النزاعات بين الشعوب بطرق سلمية تكون فيها الو.م.أ الطرف الأول في عملية فض النزاعات وحماية حقوق الإنسان.

ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى ما حدث من خلال إتفاق التجارة الحرة التي كانت فيها المنظمات غير الحكومية الطرف الفعال والذي أدى إلى وضع الإجراءات المعجلة للتفاوض التجاري أثناء الأزمة الآسيوية المالية التي كانت فيها الو.م.أ الطرف الأساسي. بالإضافة إلى ذلك فإن علاقات الاتحاد الأوروبي مع الو.م.أ قد تعززت من خلال الروابط الاقتصادية و تم ذلك أيضا بفعل ما يسمى بالحوار التجاري و هو عبارة عن إطار للتعاون في الاعمال التجارية والاقتصادية و عن روابط أعمال بين أصحاب العمل كان قد تشكل بفضل منظمات غير حكومية والتي كان لها دور في وضع مقترحات لسياسة تجارية مشتركة بين الو.م.أ والاتحاد الأوروبي¹. إذا كان الهدف الرئيسي هو تعزيز التجارة والاستثمار عبر المحيط الأطلسي عن طريق إزالة مختلف الحواجز التنظيمية، فإن ذلك يؤثر بشكل حاسم على تطور العلاقات الاستراتيجية حيث تظهر الكثير من الأمثلة العكسية أن تدهور العلاقات الاقتصادية مثل ما حدث من خلال العقوبات الاقتصادية التي إتخذتها الو.م.أ ضد كوبا وإيران يؤدي إلى تدهور الطابع الاستراتيجي للعلاقات البينية. كمثل آخر، قام مركز كارتر للسلام على دعم جهود الأمم المتحدة في مجال حقوق الإنسان وتقديم المقترحات

¹ Steven Ekevich, 'Les Ong Et La Politique Étrangère Des États-Unis | Académie de Géopolitique de Paris', 2007 <<http://www.academiedegeopolitiquedeparis.com/les-ong-et-la-politique-etrangere-des-etats-unis/>> [accessed 2 April 2016].

للمؤتمر الدولي لحقوق الإنسان "WCHR" كما دعم مسألة تعيين مندوب سامي لحقوق الإنسان بالأمم المتحدة وذلك بهدف تطوير مسألة حقوق الإنسان وحمايتها على المستوى الدولي وتعزيز التعاون بين قادة الدول والمنظمات غير الحكومية بهدف إتاحة الفرص لكل المنظمات غير الحكومية ليكون لها دور أكبر في الدبلوماسية العامة ومبادراتها بما في ذلك توفير مشاركتها في المؤتمرات وتقديم المقترحات في مجال السياسة الخارجية. تؤكد هذه الأمثلة على محورية الدور الذي تلعبه المنظمات غير الحكومية كفاعل دبلوماسي من شأنه أن يهيكل بشكل أو بآخر الجوانب الاستراتيجية للعلاقات بين الدول.

3. - مراكز الفكر: "Think Tanks"

تعرف مراكز الفكر والرأي بأنها مراكز للتحليلات حول المسائل العامة والهامة وهي تعمل بشكل منظمة تقوم بأنشطة بحثية سياسية تحت مظلة تنقيف وتنوير المجتمع المدني بشكل عام وتقديم النصيحة لصناع القرار بشكل خاص حيث تتجسد في الجامعات والمعاهد المنظمة بهدف إجراء بحوث مركزة ومتقنة تقدم الحلول والمقترحات للمشاكل بصورة عامة وخاصة في المجال السياسي والاستراتيجي والعلاقات الدولية. فمراكز الفكر أو مايعرف بـ "Think Tank" هي من المنظمات التي تهدف إلى نشر الثقافة والمعرفة وخدمة الأطراف الرسمية، حيث أصبحت هذه المراكز واحدة من المرتكزات الأساسية لإنتاج المعرفة والتفكير العام في الدولة من خلال النشاطات العلمية التي تقوم بها من الأبحاث والمؤتمرات والإصدارات والمنشورات التي تنشرها إلى درجة أصبحت مهمة مراكز الفكر ليست فقط تقديم دراسات أكاديمية تحليلية نقدية لكنها أصبحت تتناول مشكلة معينة بصورة مباشرة وتقدم للمختصين وصناع القرار السياسي في الدولة بدائل يمكن أن يختار أفضلها أو قد يقدم بديلا واحد لا بد من الاعتماد عليه من قبل الجهة المعنية لاسيما في مجال السياسة الخارجية والعلاقات الدولية¹.

¹ Richard Haas, *the role of think tanks in u.s. foreign policy*, 3, An Electronic Journal of the U.S. Department of State (Washington, DC, 2002), VII
<https://photos.state.gov/libraries/vietnam/8621/translations/ej112002.pdf>. p. 09.

لقد أعطت الو.م.أ لهذه المراكز الأهمية الكبرى حيث أصبحت تتمتع بمكانة واسعة في السياسة الخارجية الأمريكية. لقد أصبحت من أهم الفاعلين في السياسة الخارجية من ناحية التزويد بالايديولوجية و نشر الأفكار السياسية خصوصا على الصعيد الدولي. يبرز في هذا الجانب الدفاع و الترويج القوي للأفكار الليبرالية سياسيا و اقتصاديا من طرف هذه المراكز و التي أصبحت جزءا محوريا داخل إجماع عالمي بهذا الخصوص. إن هذه الهيئات البحثية تستهدف بالتأثير البيئة الليديولوجية و الفكرية أو ما يسمى بالبنى الخطابية لأية سياسة تقوم بها الو.م.أ. تبرز قوة هذا القطاع في الو.م.أ. و قوة تأثيرها في العالم من خلال الأرقام التي تضعها بعض الهيئات بهذا الخصوص. مثلا ، يقدر مؤشر متابعة نمو مراكز الفكر التابع لجامعة بنسلفانيا (Global Go To Think Tanks Index) عددها بحوالي 1835 مركز سنة 2012؛ أي نفس عدد هذه المراكز في الدول التسع التي تتبع الو.م.أ في هذا التصنيف مجتمعة. حسب هذا التصنيف دوما فإن أول ثماني مراكز من بين الـ 12 الأولى هي أمريكية الجنسية¹. تسمح هذه القوة بالتأثير كثيرا في معايير و قيم التي تحكم التبادلات الاقتصادية الدولية و هو ما يعطي دوما الأفضلية للجانب الأمريكي كما أنها تستطيع نمذجة modélisation الأنماط العامة التي تنتظم بها العلاقات بين الدول في شتى القطاعات (الاقتصاد ، حقوق الانسان ، الديموقراطية...). يعتبر مثل هذا التأثير عملا دبلوماسيا محضا من ناحية أنه يخلق مصدرا للجذب و لقبول "الايديولوجية" الليبرالية في العالم.

وتعتبر مؤسسات الفكر والرأي "Think Tank" من أهم المؤسسات التي تلعب دورا بارزا الأهمية في مجال الدبلوماسية العامة، فقد كانت هذه المؤسسات والتي تعتبر بمثابة مراكز بحثية مستقلة غير رسمية بصياغة التعاطي الأمريكي مع العالم لفترة تقارب مائة عام حيث أصبحت تسد فراغا في غاية الأهمية بين العالم الأكاديمي من جهة وبين عالم صناع السياسة الخارجية الأمريكية من جهة أخرى، ذلك أن دافع الأبحاث في الجامعات الأمريكية يكون في أحيان كثيرة النقاشات النظرية والمنهجية الغامضة التي لا تمت إلا بصلة بعيدة للمعضلات السياسية والقضايا الخارجية.

¹ Mathieu CRISTOFINI and others, *La Diplomatie Publique appliquée aux entreprises* (Paris: Ecole de Guerres économiques, 12 May 2017) <https://www.egf.fr/download/La_Diplomatie_Publique_appliquee%20_aux_entreprises.pdf>. p. 25.

ومن هنا فإن أولى المساهمات التي تحظى بها مراكز الفكر والرأي الأمريكي في مجال الدبلوماسية العامة الأمريكية هو سد الفجوة بين عالم الأفكار والعمل ذلك أن هذه المؤسسات هي حركة تستهدف الإحتراف في العمل الحكومي ودفع عجلة المصلحة الخاصة والعامة عن طريق تزويد الحكوميين الرسميين بالنصائح السياسية غير المتحيزة¹.

ويظهر دور مراكز التفكير في مجال الدبلوماسية العامة الأمريكية وصناعة السياسة الخارجية من خلال النقاط الأساسية التالية:

1- توليد أفكار وخيارات مبتكرة في الدبلوماسية والسياسة الخارجية الأمريكية بحيث تسعى إلى تغيير الطريقة التي ينظر بها صانعو السياسة الخارجية في العالم والاستجابة لها والتي يمكن من خلالها إحداث التغيير في المصالح القومية الأمريكية وفهمها والتأثير في أهداف وأولويات السياسة الخارجية الأمريكية ورسم برامج عمل السياسة الخارجية والعلاقات الدولية تحت غطاء الدبلوماسية العامة.

2- سد هوة الاختلاف وذلك من خلال لعب دور هام في الدبلوماسية العامة عن طريق رعايتها للحوادث الحساسة وتأمين وساطة فريق ثالث بين الأطراف المتنازعة وفي هذا الصدد فقد سهل معهد السلام الأمريكي لفترة طويلة كجزء من المهمة المعهودة إليه من قبل الكونغرس مفاوضات غير رسمية في مجال الدبلوماسية العامة، كما درب الجهات الرسمية الأمريكية على أعمال الوساطة في الخلافات المستمرة وفي تدبر أمر النزاعات وحلها².

3- توفير مكان للنقاش على مستوى رفيع من خلال محاولة التوصل إلى تفاهم مشترك إن لم يكن هناك إجماع حول خيارات السياسة الخارجية في مجال العلاقات الدولية ولا يمكن لأي مبادرة كبرى في السياسة الخارجية من الاستمرار ما لم تتمتع بقاعدة من التأييد الحاسم في أوساط جماعة المهتمين بالسياسة الخارجية فقد قام في هذا الصدد مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية " Center for Strategic and International Studies (CSIS) " بتغيير حسابات الو.م.أ في إعتماها

¹ Richard Haas, *the role of think tanks in u.s. foreign policy*, op. cit. p 05.

² ibid.p7.

على مصادر الطاقة في الشرق الأوسط حيث أشارت الدراسة ان إرتفاع أسعار مصادر الطاقة العالمية جعلت دول شرق الأوسط البترولية تتمتع بوفرة في دخلها القومي والذي يسمح باستثمار أجزاء كبيرة من هذا الدخل في إستخراج موارد الطاقة والذي سيؤدي إلى زيادة الإنتاج وفي نفس السياق فقد أصدر معهد واشنطن للدراسات الشرق الأدنى Washington institute for Near East Policy دراسة حول إستراتيجية الو.م.أ في الشرق الأوسط والتي تتلخص في الأمن والإصلاح والسلام¹ وقد أصدر تقريره مع فترة وصول إدارة جديدة للبيت الأبيض ليكون بمثابة دليل لها في سياستها في منطقة الشرق الأوسط بحيث تعتمد عليه الإدارة الأمريكية في تحديد توجهاتها السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية في منطقة الشرق الأوسط.

4- اشتراك المواطن الأمريكي في إستراتيجية الدبلوماسية الأمريكية والسياسة الخارجية مع تسارع وتيرة العولمة وضرورة التواصل مع الجمهور تحت ظل اندماج العالم ببعضه البعض ولهذا أصبح للمواطن العادي حصة متنامية في السياسة الخارجية الأمريكية وعلاقتها مع العالم وفي هذا الصدد فقد أطلقت مؤسسة آسين "ASSIN" في عام 1999 مبادرة الترابط العالمي التي تهدف إلى بذل جهود على مدى عشر سنوات لإعلام الجمهور بصورة أفضل ولتحفيز تأييده بصورة أكثر فعالية لأنواع الالتزامات الأمريكية الدولية التي تتلاءم مع عالم مترابط بكل أجزائه بعضها على بعض².

وعموما يمكن حصر أهم الخدمات التي تقوم بها مراكز الفكر والرأي الأمريكية في مجال الدبلوماسية العامة والسياسة الخارجية فيما يلي:

1- تقسيم السياسات السابقة ووضعها في إطارها التاريخي والسياسي السليم.

2- تحديد الآثار البعيدة المدى للسياسات المتبعة تجاه الدول سواء كانت الدول الصديقة أو العدو فيما يتعلق بمصالح أمريكا ومكانتها الدولية وعلاقتها الدبلوماسية.

¹ شبكة النبا المعلوماتية، مركز الأبحاث تينك تانكس في صنع السياسة الأمريكية حبال العرب في 2005. الاثنين 9 كانون الثاني 2006 - 3 ذي الحجة 1426 <http://www.annabaa.org/nbane.news/53/197/html..>

² Richard Haas, *the role of think tanks in u.s. foreign policy*, op. cit. p 05.

3- تقديم المشورة والنصح لأجهزة مؤسسات الدولة بناء على طلب تلك الأجهزة.

4- التأثير في الرأي العام الخارجي وفي صناعات السياسة الخارجية من خلال عقد الندوات والمؤتمرات ونشر الكتب والدراسات وتبرير سياسات معينة أو نقدها أو لترويج أفكار جديدة.

5- القيام بإجراء الاتصالات السرية من جهات أجنبية لحساب الحكومة الأمريكية ومحاولة جس النبض قبل طرح المبادرات السياسية أثناء إجراء المفاوضات.

وانطلاقاً من هذا يمكن القول ان دور وتأثير هذه المراكز في أمريكا بصورة خاصة ودور الأفكار والنظريات التي ينتجها مثقفو ومفكرو الو.م.أ لا تقتصر على المجتمع والدولة في الو.م.أ وإنما يمتد ليشمل كل العالم في الوقت الراهن وذلك بهدف تفسير السياسات الأمريكية والكونية لاسيما في ظل الأوضاع الراهنة وتقديم إطار عمل نموذجي لرؤية عالمية تجاه السياسة العالمية فهذه المؤسسات تستمد وجودها وإستمراريتها من التبرعات التي تتدفق من معظمها من الشركات الكبرى لذلك فإن من الملاحظ أن مراكز الفكر ونشاطها الفكري والبحثي يستند إلى أسس وقواعد الايديولوجية الرأسمالية الأمريكية ويجتهد في تلقين الجمهور بها وتعميق إيمانه بقديسيته إلا أنها تشهد في نطاق هذه المهمة حوار فعالاً واختلافات واضحة ذلك أن نقاشات السياسات على المستوى الخارجي داخل مراكز الفكر يقوي هذه السياسات من حيث أن وجهات النظر يتم تبادلها بكل حرية مما يعطي طابع التعاون والحوار فيما بين هذه المراكز والتي تتعكس على طبيعة هذه السياسات¹. لذلك يمكن القول أن هذه المؤسسات هي أهم مصدر من مصادر المعلومات والتحليلات والفكر والمعرفة في الو.م.أ وهذا ماجعل الو.م.أ تسعى للبحث عن أطراف جديدة والاستعانة بخبراتها والمتواجدة خارج أطر الدولة لاسيما في مجال الدبلوماسية العامة التي تتشط في ظلها هذه المؤسسات.

¹ خالد عبد الله، البنية السياسية الأمريكية ودورها في صنع القرار، مجلة شؤون عربية، العدد 111، خريف 2002. الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ص36.

المبحث الثاني: المنطلقات النظرية والمفاهيمية للسياسة الخارجية الأمريكية.

لقد أصبحت الو.م.أ في فجر الألفية الجديدة تتمتع بتفوق لم تشهده من قبل أية إمبراطورية، فمن صناعة الأسلحة إلى تنظيم العمل ومن العلوم التكنولوجية والتعليم العالي إلى الثقافة الشعبية، فكل هذا أعطى لها الحق في ممارسة سلطة لامثيل لها في كل أنحاء العالم فالموقع الذي شغلته الو.م.أ في العقد الأخير من القرن العشرين جعلها المكون الرئيسي الذي لاغنى عنه في تحقيق الاستقرار الدولي فقد توسطت في النزاعات وفي يقع الاضطراب الرئيسية إلى الحد الذي جعلها جزء لا يتجزأ من عملية السلام داخل هذه البقع، وذلك من خلال دور الوسيط الذي كانت تلعبه فاعتبرت بذلك نفسها مصدر المؤسسات الديمقراطية في كل أنحاء العالم والضامن لها. إنطلاقاً من هذا فقد اعتبر الكثيرون أن الو.م.أ بمثابة الحكم الأساسي الذي يسير التطورات المحلية في كل أنحاء العالم الأمر الذي جعلهم يتصرفون كما لو كان لدى أمريكا الحل الديمقراطي الملائم لكل مجتمع مهما اختلفت الخصائص الثقافية والتاريخية لهذه المجتمعات وهذا ينعكس من خلال إستراتيجية سياستها الخارجية التي تترجم هذا لتفوق الذي يدفع إلى تحديد آليات ومحددات السياسة الخارجية الأمريكية .

إن السياسة الخارجية للو.م.أ بعد الحرب العالمية الثانية هي بالدرجة الأولى سياسة رأسمالية بأهدافها النهائية ، وهذا مؤداه أن المصلحة القومية لها مضمون حسي و متغيرة تبعاً لتغيير تصور النظم السياسية للعالم الخارجي. و هذا يتوقف على كفاءة الأجهزة السياسية والدبلوماسية والدعائية داخل الدولة وأهميتها القصوى في تحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية خاصة منها التي تنشط في مجال الدبلوماسية العامة والتي يجب النظر إليها كعامل من عوامل قوة السياسة الخارجية الأمريكية، وذلك من خلال تأثيرها على آليات السياسة الخارجية والتي أصبحت تعكس أسس وفلسفة السياسة الخارجية الأمريكية في مجال العلاقات الدولية والتعامل الدبلوماسي بين الدول، بما يتماشى والاستقرار السياسي وكفاءة الأجهزة الدبلوماسية والتي أصبح النظام السياسي للو.م.أ بحاجة إليها في بناء القوة القومية وتحقيق الأهداف والأولويات وتحقيق الوحدة القومية والتجانس في اتجاهات الرأي العام لمواجهة الدول الخارجية وتفعيل علاقاتها بطابع التعاون والحوار الدولي.

ولما كانت أهداف السياسة الخارجية ومحدداتها تعكس القيم والمصالح الأساسية للوحدة الدولية من خلال الأوضاع التي تودان تحقيقها في البيئة الخارجية فقد سعت إلى التعبير عن هذه الأهداف والمحددات من خلال الأطراف والأشخاص المحولين الذين يقومون بتنفيذ هذه السياسة الخارجية من خلال أداة الدبلوماسية العامة والذين أصبح لهم دور أساسي في تحديد أهداف الدول ومضامين تلك الأهداف والمحددات من خلال إلزام الو.م.أ بمجموعة من الالتزامات تجاه الدول الأخرى ومحاولة السعي إلى إرساء نمط معين من العلاقات بين الدول قائمة على الحوار الشعبي بين دول العالم والذي من شأنه تأمين مصالح الو.م.أ في حد ذاتها¹. فالسلوك الدبلوماسي للسياسة الخارجية الأمريكية أصبح يتماشى وفق التغيرات الراهنة التي ميزت السياسة الدولية والنظام الدولي من جهة ووفق الواقع الأمريكي من جهة أخرى لاسيما منذ أحداث 11 سبتمبر 2001 التي سرعت سير الاتجاهات، التي بدأت مع علاقات الو.م.أ مع باقي الدول والتي شكلت تحدياً رئيسياً للأمن داخل الو.م.أ أدى إلى تبني بعد إيديولوجي و إستراتيجي جديد في مجال التعاون الأمني وحماية حقوق الإنسان ومكافحة الإرهاب الدولي والذي ترجم من خلال سياستها الخارجية التي تركز على المصلحة الوطنية بما يتماشى ومرتكزات وأهداف السياسة الخارجية ووضع إستراتيجية دبلوماسية طويلة المدى قائمة على التطلعات الديمقراطية لجميع الدول بحيث تندمج مع التحدي الذي يواجهه النظام الدولي.

المطلب الاول: محددات واهداف السياسة الخارجية الامريكية.

مع اعتبار أن السياسة الخارجية لاية دولة تتمثل في العمل على إيجاد التوازن بين الالتزام الخارجي لهذه الدول والقوة التي تلزم لتنفيذ هذا الالتزام، فإن السياسة الخارجية الأمريكية تسعى دائماً إلى محاولة وضع صياغة شاملة على مستوى الأهداف والأولويات والآليات الأمر الذي يعطي معادلة توفيقية بين مجموعة الالتزامات الخارجية وجملة من إمكانيات القوة الأمريكية اللازمة لتنفيذ هذه الالتزامات لاسيما في ظل التوجهات الكبرى للسياسة الخارجية الأمريكية تحت غطاء التغيرات الدولية ومنظومة العلاقات الدولية. ولما كانت جميع السياسات الخارجية للدول على اختلافها ترتبط بأطر

¹ محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية)، 2013 . ص. 45.

مذهبية معينة فهي إذن تشكل في الغالب خلفية تحركاتها في المجال الدولي وتساهم مع مجموعة أخرى من العوامل في رسم حدود أدورها في السياسة الدولية وتختلف هذه الأطر المذهبية باختلاف معطيات وخصوصيات كل دولة وهنا فقد تمخضت الخصوصيات التي نسبتها الو.م.أ لنفسها على مدى تاريخها على موقفين متناقضين تجاه السياسة الخارجية ؛ أما الأول فهو أن أمريكا تستخدم قيمها على أحسن وجه عبر تطبيقها الديموقراطي في عقر دارها وعلى أكمل وجه لتعدو عندئذ منارة لباقي البشرية، و أما الثاني فهو أن القيم الأمريكية تفرض على البلاد التزامات يجب نشرها حول العالم.

تميزت أيضا السياسة الخارجية بالنزعة الانعزالية التي كانت تخيم على سياسة أمريكا¹ الخارجية لاسيما في السنوات الأولى لإنشاء الجمهورية والتي كان لها انعكاس على المصلحة الوطنية الأمريكية التي تدعو إلى تحصين إستقلال هذه الأمة الحديثة مستفيدة في ذلك من مبدأ توازن القوى الأروبي ومن المناورة بين بريطانيا وفرنسا لتعزيد إستقلال أمريكا وتوسيع حدودها، وقد وجدت هذه الدولة آنذاك في خيار الحياد المبكر منفعة كأداة عظيمة للتفاوض. هذه الأوضاع جعلت من الو.م.أ اليوم المحرك الأكبر للقرارات السياسية الدولية حيث تشكلت الشخصية الأمريكية من عدد من الاستثناءات والتناقضات السياسية والتي شكلت بدورها مزيج المبادئ والتقاليد السياسية بشقيها القديم والحديث كالحرية المسماة بالاستثنائية والأحادية وحتى الانعزالية والنظام الأمريكي أو مبدأ مونرو والتوسعية المسماة بالمصير المبين في عهدها القديم كذلك حفل عهدها السياسي الحديث بعدد آخر من تلك التقاليد المحركة للسياسة الخارجية الأمريكية كالامبريالية المتقدمة (*) والتي تداخل عهدها مع التوسعية الأمريكية من العهد القديم، ليشكلا أهم امتدادات للسياسة الخارجية الأمريكية والتي تعكس الأسباب الرئيسية للوضع الراهن. من المعالم الأساسية أيضا نجد مبدأ ولسون أي الليبرالية

¹ كيسنجر، هنري، *الدبلوماسية من القرن السابع عشر حتى بداية الحرب الباردة*، ترجمة مالك فاضل البديري، (عمان، الأردن: دار الأهلية للنشر والتوزيع، 1995)، ص.

* هي تلك المرحلة المتقدمة من الرأسمالية وهي مرحلة التنافس التجاري والاقتصادي ومبدأ السعر والربح والتي إتسمت بتجمع الشركات الوطنية العملاقة في كارتلات وظهور الاحتكارات العالمية وخروج الشركات العملاقة من النطاق الوطني إلى العالمي وتكوين الشركات المتعددة الجنسيات والعبارة للقرارات وللإشارة فإن هذه الامبريالية قد تعزت بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 والتي أصبحت ذريعة في يد الو.م.أ لرفع شعارها الجديد " من ليس معنا فهو ضدنا " .

العالمية ومبدأ الاحتواء وتقليد إصلاح العالم وكل هذه الاعتبارات تعتبر من أهم مبادئ السياسة الخارجية الأمريكية والتي أصبحت بمثابة الأدوات التي تحرك صانع القرار السياسي الخارجي الحديث، الذي يعطي للو.م.أ ميزة القوة العالمية الكبرى التي تلت الحرب الأهلية من خلال عهد الثقافة الصناعية الأمريكية. لقد أصبحت الو.م.أ و حكوماتها تصنع قراراتها السياسية الخارجية من خلال ثقافة سياسية تسعى للهيمنة الداخلية أولاً ثم الخارجية ثانياً وذلك بهدف السيطرة على عقلية الرأي العام المحلي والعالمية¹ من خلال صناعة العديد من القرارات السياسية الحديثة كحملة الإرهاب والغزو على العراق وسياسة محاسبة الجمهورية العربية السورية واحتواء الجمهورية الإسلامية الإيرانية الأمر الذي شكل هيكل الهوية الأمريكية وممارساتها القومية الحديثة. إن هذه الاعتبارات التي طرحتها السياسة الخارجية الأمريكية بشقيها القديم والحديث جعل من السياسة الخارجية الأمريكية القومية امتداداً لنظرة الأمريكيين ومنها تسويق الأسطورة كعملية تنفيذية لتبرير المساعي التوسعية الامبريالية لسياسات الو.م.أ الخارجية اليوم².

إنطلاقاً من هذه النظرة التاريخية التي كانت بمثابة الطريق الأول للصياغات الحديثة للسياسة الخارجية الأمريكية التي ميزتها اليوم وفق متطلبات الموقف الراهن للتغيرات الدولية، أصبحت السياسة الخارجية الأمريكية تحظى باهتمام عالمي كبير بفعل الدور الريادي في العالم مابعد الحرب الباردة، حيث أصبحت من بين أولويات النظام الأمريكي الحاكم نظراً لدورها في تحقيق المصلحة القومية الأمريكية وكذا تعزيز النفوذ الأمريكي، عبر مناطق العالم. لقد أصبح صانع القرار في الو.م.أ لا يمكنه تجاهل العوامل المؤثر في السياسة الخارجية سواء كانت داخلية أو خارجية³. كنتيجة لهذا المعطى فإن تنوع المجتمع الأمريكي قد انعكس على السياسة الخارجية الأمريكية بحيث تؤثر علاقة المواطن الأمريكي بالسياسة الخارجية الممارسة بانعكاساتها الاقتصادية على وضعه المعيشي كفرد،

¹ Daniel Sabbagh, 'Les déterminants internes de la politique étrangère des Etats-Unis : une perspective diachronique', *Revue internationale de politique comparée*, 8.1 (2001), 135–61 <<https://doi.org/10.3917/ripc.081.0135>>. p. 135.

² Daniel Sabbagh, 'Les déterminants internes de la politique étrangère des Etats-Unis : une perspective diachronique', *ibid.* p. 139.

³ عادل عارف مرشد، 'السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين المحافظية الجديدة والواقعية'، مجلة شؤون عربية، ص.9.

فالساسة الخارجية الأمريكية تتميز بفاعليتها وتأثيرها على الساحة العالمية نظر للقوة العسكرية والاقتصادية التي تتمتع بها هذه الدولة واحتواء مؤسساتها المعنية على أعداد وفيرة من أصحاب العقول المبدعة والقادرة على إيجاد الحلول للمشكلات التي تواجه الوم.أ في نطاق انتشارها. كل هذه المقاربات أعطت للسياسة الخارجية الأمريكية بعدا مغايرا جعلها تتوسع في احتياجاتها. لاسيما في ظل التغيرات التي مست الساحة الدولية خاصة بعد فترة الحرب الباردة جمعت بين الأهداف الداخلية والخارجية وذلك بهدف تفعيل السياسة الخارجية الأمريكية وفي هذا الصدد يقول ستانلي هوفمان أن السياسة الخارجية الأمريكية تكون فعالة ومعقولة "decent and effectise" يجب أن لا تغفل القضايا الداخلية على انعكاساتها على السياسة الخارجية " ومن هذه القضايا الحاجة إلى العودة إلى حكم القانون وحماية الحريات المدنية ووضع حد لجهود التهرب من التزامات القانون الدولي من أجل محاربة الإرهاب والحاجة للإنفصال بشكل جذري عن السياسة الخارجية لكل من الديمقراطيين والجمهوريين خلال فترة ما بعد الحرب الباردة وهي التي تذبذبت من التعددية "Multilatera lisions" إلى الامبريالية "imperailising" والافتراض أن العالم سوف يستفيد فقط من التفوق الأمريكي واعتباره عاملا للقوة وشرط لأمن العالم ورخائه وهو الافتراض الذي يعتبر من بين أهداف وأولويات السياسة الخارجية الأمريكية¹.

ركزت الوم.أ على الأهداف الحقيقية الرئيسية للسياسة الخارجية كموضوع الديمقراطية وهي من القضايا المستقرة والتي لم تبدأ مع الرئيس السابق جورج بوش وإنما تعود إلى أيام ويلسون ومبادئه الأربعة عشر، وعلى هذا من المهم أن نميز بين التجليات التي قد تتغير دون أن تتصور أن هذا الهدف سوف يختفي، لذلك فإن الوم.أ في قضية الديمقراطية لا ينحصر تطبيقها في دولة دون غيرها وإنما هي سياسة تجاه العالم تدخل ضمن أهداف السياسة الخارجية الأمريكية من خلال الإصلاح والديموقراطية. وفي هذا الصدد فقد عملت الإدارة الأمريكية على محاولة تكييف البيئة الخارجية الأمريكية ومؤسساتها للتماشي مع التغيرات الدولية وفقا للتوجهات الجديدة في مجال السياسة الخارجية وقد أكد الرئيس كلينتون "Clinton" أثناء فترة رئاسته في خطاب ألقاه أمام الجمعية العامة

¹ السيد أمين شلبي، نظرات في العلاقات الدولية، مرجع سابق، ص، 123.

للأمم المتحدة في 27 سبتمبر 1993 على أنه لابد للجهود الأمريكية أن تركز على ثلاث أهداف¹ هي:

1- رفع مقام الأمن الاقتصادي لكي يكون هدفاً أولياً في السياسة الخارجية الأمريكية.

2- الحفاظ على التفوق في القوة العسكرية مع تكييف القوة الأمريكية لتصبح ملائمة للتعامل مع التحديات الأمنية الجديدة.

3- تنظيم السياسة الخارجية الأمريكية حول محور دعم انتشار الديمقراطية وحرية الأسواق في الخارج.

وقد أكد كريستوفر روس مستشار وكيل وزارة الخارجية الأمريكية للشؤون الدبلوماسية للشرق الأوسط على هذه الأهداف الثلاثة ذلك أن النمو الاقتصادي والتفوق العسكري ودعم الديمقراطية² ستكون ركائز سياستنا الخارجية في عهدها الجديد وهي تدعم بعضها البعض وتترجم أهداف ومحددات السياسة الخارجية الأمريكية ويمكن الإشارة إليها من خلال مايلي:

1- دعم مكانة الاقتصاد لاسيما التنافسية لأن ذلك هو الشرط الأساسي لتأمين عالمية الدور الأمريكي ذلك لأن أمريكا القوية في الداخل هو أساس أمريكا القوية في الخارج وهو التوجه الأساسي في السياسة الخارجية الأمريكية من خلال إعطاء الاقتصاد الأمريكي الأولوية الأولى وهذا ما أكده المسؤولون في البيت الابيض من خلال تحديدهم لثلاثة أوجه أساسية هي :

1- البحث عن سياسات اقتصادية دولية تؤمن إتساع السوق عن طريق تعميق الليبرالية على المستوى العالمي.

2- بناء فضاءات إقتصادية إقليمية قوية مع الالتزام بقواعد التجارة الحرة والجهوية المفتوحة.

¹ Voir le commentaire de ces objectifs dans : Randall Henning and Mercedes Neal, 'La politique économique extérieure de Clinton', *Politique étrangère*, 59.4 (1994), <<https://doi.org/10.3406/polit.1994.4331>>. p. 973

² Cité dans : Anna Dimitrova, 'Le débat sur la politique étrangère d'Obama : quelle nouvelle « grande stratégie » pour les États-Unis ?', *Études internationales*, 43.2 (2012), <<https://doi.org/10.7202/1011552ar>>. P. 233.

3- الاستفادة من واقع تفوق الو.م.أ الجيوستراتيجي الراهن باتجاه الضغط على القوى الاقتصادية الدولية لتكييف سياستها الخارجية مع احتياجات الاقتصاد الأمريكي.

تهدف الارادة الاستراتيجية الأمريكية إلى تدعيم الانتعاش الاقتصادي الذي تعرفه مجموعات كبيرة من الدول النامية وفي مناطق مختلفة من العالم والاستفادة منه سيكون من أبرز إهتمامات الو.م.أ في سياستها الخارجية الأمريكية. في تقرير "Lawrence Summer" لورانس سامر جاء أنه من مصلحة الو.م.أ أن تعرف الدول الأخرى النمو الاقتصادي و أن يزيد إتساع أسواقها كما أنه من مصلحتها أن تختار الشركات الأجنبية الاستثمار في الو.م.أ لأن من شأن ذلك توفير مناصب شغل جديدة للأمريكيين، لذلك فهو يرى أن تحقيق إزدهار اقتصادي عالمي يتفاسمه الجميع يجب أن يكون هدفا أساسيا لسياسة الخارجية الأمريكية وذلك للأسباب التالية:

1- انتعاش الاقتصاد العالمي هو إنتعاش الاقتصاد الأمريكي لأنه يعني توسيع الأسواق أمام الأمريكيين و الأجبيين.

2- الانتعاش الاقتصادي هو أحد وسائل الحد من مخاطر النزاعات التي قد تبرز نتيجة التدهور الاقتصادي فمن جنوب أفريقيا إلى فلسطين ومن روسيا إلى روندا فالمصلحة الأمريكية تقتضي تحقيق الانتعاش الاقتصادي كوسيلة لحفظ السلام.

3- تحقيق الانتعاش الاقتصادي يساعد في إنجاح عملية الانتقال إلى الديمقراطية التي تشهدها معظم دول العالم، وهذا يؤدي إلى المشاركة في المحافظة على البيئة وقضايا أخرى في مجال السياسة الخارجية¹.

لا تتحقق هذه الأهداف حسب لورانس سامر سوى بالاعتماد على آلية عولمة الديمقراطية. يعتبر هذا الهدف الاولوية الرئيسية في السياسة الخارجية الأمريكية والذي إتسم بالتوسع المتزايد و أصبح أكثر تسارعا لاسيما بعد نهاية الحرب الباردة من خلال تدعيم هذا الاتجاه المتنامي في كافة أنحاء

¹ Lawrence Summers and Marie-Aude Cochez, 'Prospérité partagée et nouvel ordre économique mondial', *Politique étrangère*, 59.4 (1994), <https://doi.org/10.3406/polit.1994.4332>. p. 985.

العالم ليس فقط لأنها كانت ولا تزال تمثل النموذج الأول عالميا للديموقراطية ولكن لأن مصلحة السياسة الخارجية الأمريكية تستدعي ذلك وهذا للأسباب التالية:

- كلما كان العالم أكثر ديموقراطية كلما أصبحت البيئة الدولية أكثر توافقا مع الو.م.أ.
- كلما كان العالم أكثر ديموقراطي كلما كانت فرص العمل أكبر فالديموقراطية هي قوة للإستقرار لأنها توفر الوسائل السلمية لمعالجة الخلافات والنزاعات بين الدول.

بالحديث عن الاقتصاد وتكريس الديموقراطية كمحاور أساسية لأهداف ومحددات السياسة الخارجية الأمريكية لاسيما في فترة مابعد الحرب الباردة فإن هدف الحفاظ على درجة التفوق الأمريكي في المجال العسكري والاستراتيجي يمثل محور إبتكار آخر لأهداف ومحددات السياسة الخارجية الأمريكية وهو لا يقل أهمية عن المحاور الأخرى في سياسة خارجية تسعى إلى الحفاظ على دور قيادي منفرد. فالنقد الأمريكي على باقي القوى الدولية هو تفوقها الواضح في هذا المجال فهي دائما تسعى إلى تكريس التفوق العسكري والجيواستراتيجي من خلال إستراتيجية مبنية على إعادة هيكلة القوى الأمريكية لمواجهة التحديات الجديدة وتحديث شبكة التحالفات الأمريكية مع القوى الديموقراطية وانتهاج سياسة مد الجسور مع الدول¹.

تسعى الو.م.أ للحفاظ على دفاع قوي لتكثيف قواتها للتعامل مع تحديات أمنية جديدة وقديمة نتيجة لجهود بدأت في عهد الرئيس كارتر في السبعينات واستمرت إلى غاية اليوم ورثت الو.م.أ أفضل قوة مقاتلة في العالم لذلك كان المجال العسكري للو.م.أ إحدى أهم الركائز الأساسية للسياسة الخارجية الأمريكية لاسيما السياسات الأمنية وقد سمح هذا القطاع للو.م.أ بالاحتفاظ بقوتها وتفوقها التكنولوجي والتصدي لجميع التهديدات التي يمكن أن يحملها المستقبل، فالاستراتيجية الأمريكية تهدف إلى تعزيز قوتها العسكرية لمواجهة التحديات الجديدة مع الحفاظ على التفوق الأمريكي نفقاتها العسكرية وتحويلها إلى عملية تفعيل الاقتصاد وعولمة الديموقراطية كأهداف في هذا المجال في إطار سياستها الخارجية، وذلك من خلال الاتجاه نحو تخفيض وركائز أساسية في السياسة الخارجية

¹ Anna Dimitrova, 'Le débat sur la politique étrangère d'Obama : quelle nouvelle « grande stratégie » pour les États-Unis ?', *op. cit.* . p. 256.

الأمريكية¹. لقد استمرت هذه الإستراتيجية من عهد كارتر إلى كلينتون إلى عهد إدارة بوش الأولى والثانية وحتى إلى عهد أوباما والتي تحولت فيها السياسة الخارجية الأمريكية من النمط البرغماتي إلى النموذج الأيديولوجي² أو النظرة الأحادية للعالم وفي هذا الإطار عولجت قضايا مثل الإرهاب والضربات الاستباقية والمعونات الخارجية وهذه الاستمرارية في النمط الأيديولوجي ترجع في بعض القضايا إلى إدارات سابقة لاسيما في قضية حماية حقوق الإنسان وفي قضية منع الانتشار النووي التي كانت قضية رئيسية في عهد بوش وإن كانت أساليب مختلفة عن عهد أوباما والتي تعكس أهداف السياسة الخارجية والأمريكية والتي كانت بمثابة الأساليب الرسمية في تحقيق السلم والأمن الدولي لاسيما في مجال العلاقات الدولية الدبلوماسية باعتبارها أداة فعالة للسياسة الخارجية الأمريكية.

المطلب الثاني: المضمون النظري للسياسة الخارجية الأمريكية.

1-الطرح الواقعي: Realism

تعرف الواقعية بأنها مقارنة الواقع كما هو عليه بموضوعية دون تدخل الذات وهي تصور سريالي من حيث جهاز إدراك الواقع ورؤيته ذلك أن الذات هي التي ترى الواقع في النهاية وتقرر ماتحاول هذه النفس التجرد منه. فالمدرسة الواقعية في السياسة الخارجية الأمريكية لا يمكن أن تقوم على أساس وصفي تقريرى للممارسة السياسية أو مسار تاريخي أو سلوك علماني بل تأخذ مكانها في إطار مناقشة المقولات الأساسية للذين حاولوا الكشف عن المحددات العامة والمميزات الأساسية لهذه المدرسة ومقارنتها بشكل موضوعي بما يسهل تشكيل صورة عامة وإن تكن تشكيلية. وربما نجد تبريرا أساسيا لهذه المقاربة من حيث أن الطرح الواقعي لا تملي أيديولوجيا محددة بل إنها تكونها كمفهوم أو كمدرسة جاء نتيجة لممارسة فردية، إنسانية ذاتية ولم تكن نتاج عقل مؤدلج، فالسياسة الخارجية

¹ Mark T. Clark, 'The Trouble with Collective Security', *Orbis*, 39.2 (1995), p. 237.

² Anna Dimitrova, 'Le débat sur la politique étrangère d'Obama : quelle nouvelle « grande stratégie » pour les États-Unis ?', op. cit. 260.

الأمريكية لا تحكمها مبادئ أو ثوابت أو إستراتيجيات أو تكتيكات بل تتعدد وتتنوع بكل أبعادها بحسب الجهة التي تتعلق بها السياسة في الساحة العالمية وظروفها الخاصة وبحسب اللحظة التاريخية والسياسية والإستراتيجية¹.

إن الواقعية في السياسة الخارجية الأمريكية هي قاعدة غامضة لا تطرح تعليمات إستراتيجية متسقة إنما هي سلوك وليست عقيدة فهي تنصح باستخدام العنف في بعض الصراعات والتسوية والاستيعاب في أخرى لذلك فإنه كثير ما يتم النظر للمدرسة الواقعية باعتبارها غياب الاعتبارات الأخلاقية والقانونية في السياسة الدولية ومع ذلك فإن واقعا كهنري كيسنجر دعم بشدة دور الشرعية والمؤسسات الأممية في تشكيل النظام العالمي، وحين يتعلق الأمر بالسياسة الخارجية الأمريكية نلاحظ حضور القوة والقيم، لا كبدائل مطروحة بل كإستراتيجية مدمجة تستعمل العربات العسكرية الأمريكية لنشر مفهومها الفريد عن الحقوق الأخلاقية والمسؤولية. فالنظرية الواقعية الأمريكية هي قائمة على أنه من واجب الدولة مضاعفة قدراتها وإمكاناتها العسكرية لردع الدول الأخرى وصدّها عن أي عدوان كما يجب عليها انتقاء نظام التحالفات الأمثل لتعزيز الأمن وضمان المصالح كما أن إقامة توازن للقوى كفيل بتحقيق الاستقرار الدولي². إن التمعن في هذا المنطق يدفعنا إلى التركيز على طبيعة السياسة الخارجية الأمريكية القائمة على الواقعية منذ الحرب العالمية الثانية و هي تحمل بوادر الهيمنة على العالم .

ليست الواقعية نظرية واحدة، بل عدة نظريات والتميز الأبسط في هذا الميدان يأخذ شكلا من أشكال التوزيع إلى فترات الواقعية التاريخية حتى القرن العشرين والواقعية الكلاسيكية من 1939 إلى 1979 والواقعية الجديدة منذ 1979 ولكن رغم التفرعات العديدة للواقعية إلا أن الواقعيين جميعا يؤمنون بالعناصر الثلاثة التالية: مذهب الدولاتية، البقاء، والعون الذاتي وقد ظهرت الواقعية الجديدة Neo.Realism في السبعينات من القرن العشرين متزامنة بذلك مع وصول جيمي كارتر

¹هادي قبسي، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين: المحافظية الجديدة والواقعية (بيروت لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008). ص. 72.

²علاء أبو عامر، العلاقات الدولية: الظاهرة والعلم - الدبلوماسية والاستراتيجية (دار الشروق للنشر والتوزيع، 2005). ص. 130.

إلى سدة الحكم في الوم.أ وعودة المبادئ الأخلاقية في الوقت الذي أثبتت فيه سياسة القوة عدم فاعليتها في السياسة الخارجية الأمريكية¹. وفي هذا الصدد فقد إعتبر روبرت كوكس " Robert cox " أن الواقعية الجديدة هي ظاهرة أمريكية تعكس الخصوصيات المتميزة للحرب الباردة، تستعمل القوة العقلانية والفرضيات البنيوية لبناء نوع جديد من التفكير².

وبالحديث عن السياسة الخارجية الأمريكية والدبلوماسية من منظور واقعي فقد مزج هنري كيسنجر بين العنف والتهديد به من جهة وبين الدبلوماسية من جهة أخرى بحيث تتال الدبلوماسية مصداقية واقعية حيث إعتد في إستراتيجيته إبان تنصيبه وزيرا للخارجية الأمريكية على ثلاث نقاط أساسية ؛

1- كي يكون ثمة سلام لابد أن تكون هناك تسوية قائمة على التفاوض يخرج منها الجميع في حالة توازن.

2- القوة المنتصرة يجب ألا تسحق المهزوم أو تبيده وإنما يجب أن تمتد قدرها ومنفذا لسلام مشرف.

3- أفضل ضمان للسلام هو التوازن³.

يظهر هذا النوع من التفكير مضامين وأفكار المنظور الواقعي في توجهات السياسة الخارجية الأمريكية سواء في فترة الحرب الباردة أو بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة، حيث كانت فكرة توازن القوى تسيطر على التفكير الإستراتيجي الأمريكي فأولها أهمية كبيرة خاصة في ظل وجود دولي تنذر بإحتمال حدوث نزاع شامل ولهذا نجد الوم.أ لجأت إلى عقد حلف الناتو مع دول من غرب أوروبا لمواجهة الخطر السوفياتي وتحسبا لما يمكن أن يحدث ، حيث مثلت نهاية الحرب الباردة في نظر العديد من منظري العلاقات الدولية المحك والمعيار الحقيقي للحكم على

¹ Jean-Jacques Roche, *Théories des relations internationales* (Montchrestien, 2004). P. 4.

² عبد الناصر جندلي، *التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية و النظرية التكوينية*، (1) edn الجزائر : دار الخلدونية للنشر و التوزيع) ..ص. 162.

³ Dario Battistella, 'L'ordre international.', *Revue internationale et stratégique*, 2004, <https://doi.org/10.3917/ris.054.0089>. p. 95.

مصدقية وصلاحية النظرية الواقعية، إذ أن الأحداث الدراماتيكية التي عرفها النظام الدولي في نهاية الثمانينات دون حرب تذكر جعلت من الو.م.أ قوة عالمية بلا موازن، كل هذه الأحداث لم تستطيع الواقعية التنبؤ بها ولا حتى تسيرها من بعد ذلك إنطلاقاً من مقولاتها المعروفة، خاصة مقولات الواقعيين الجدد حول تفسير السياسات الدولية وسلوكات الدول¹.

ولقد كان لهجومات 11 سبتمبر 2001 الحدث الأبرز الذي شكل تحدياً حقيقياً أمام القدرة التفسيرية للواقعية لظواهر عالم ما بعد الحرب الباردة و هذا التحدي برز من وجهين:

1- لم يكن القصد من هذا الهجوم هي إحداث توازن مع قوة الو.م.أ وإنما حركته دوافع ثقافية دينية بالأساس².

2- لم تقم بهذه العملية الهجومية دولة وإنما تنظيم دولي وصف بالإرهاب لذلك فإن أحداث 11 سبتمبر فرضت على الواقعيين إعادة مراجعة أنطولوجيا فواعل العلاقات الدولية والمحركات السياسية الدولية، باعتبار أن عالم ما بعد الحرب الباردة قد أعاد إلى الواجهة أو بالأحرى فتح الأعين المغمضة حول التأثير الكبير الذي أضحت تمارسه العوامل الثقافية والدينية في العلاقات الدولية وعليه يجب أن يظهر كذلك في تحليلات المفكرين والمنظرين.

ويمكن الإشارة إلى أن أحداث 11 من سبتمبر 2001 أرجعت بقوة مفاهيم واقعية كالأمن والقوة والتوسع فأصبح واضحاً أنه لا مجال لتأكيد أهمية المتغير الاقتصادي وتعويضه للمتغير العسكري فبعد تلك الأحداث تبين بأن المفاهيم الواقعية حول السياسة الدولية لا تزال تسيطر على توجهات السياسة الخارجية الأمريكية لإدارة جورج بوش إتخذت من الأمن مصلحة القومية الرئيسية وأصبح هناك عدو خلف الإتحاد السوفياتي يهدد الأمن الأمريكي بصفة خاصة والأمن الدولي بصفة عامة. والممثل في عدو الإرهاب الذي أصبح على الو.م.أ أن تلجأ إلى قوتها العسكرية من أجل القضاء عليه. كما يمكن القول من ناحية ثانية أن الواقعية هي نزعة أمريكية ركزت على إستعمال القوة

¹ Pierre de Senarclens, 'Théories et pratiques des relations internationales depuis la fin de la guerre froide', *Politique étrangère*, Hiver.4 (2006), <<https://doi.org/10.3917/pe.064.0747>>. p. 751.

² أحمد على سالم، القوة و الثقافة و عالم ما بعد الحرب الباردة: هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيء من الماضي؟، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 20، خريف 2008، ص 128.

العقلانية والفرضيات البنيوية لبناء أفكار جديدة تميل أكثر إلى النظرة الأخلاقية وإعتبار مفهوم الأمن بدلا من استعمال القوة العسكرية¹. إن الواقعية إذن هي نتاج أمريكي طبقته الو.م.أ على مستوى سياستها الخارجية في فترات مختلفة وكان له الأثر البالغ في تحديد المصالح وبلوغ الأهداف وهو ما يحرز على مدار السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية وكذا من أجل الحرب الباردة كما أن الواقعية لازمت السياسة الأمريكية أثناء سعيها لبلورة الهيمنة الكونية في عصرنا الحالي كقطب مسيطر على العلاقات الدولية لاسيما في علاقاتها مع الدول العربية.

2- الطرح الليبرالي:

تعد الليبرالية من النظريات التي تدافع عن العقلانية العلمية والحرية وحتمية التقدم الإنساني وهي اقتراب للحكم يؤكد على حقوق الفرد والمبادئ الدستورية والديموقراطية والقيود على سلطة الدولة كما أنها أيضا نموذج للتنظيم الاقتصادي بما حجج بأن رأسمالية السوق تشجع بأفضل طريقة رفاهية الجميع من خلال أكفا توزيع للموارد النادرة في المجتمع. وعلى الرغم من نسبتها القديم، يمكن قياس نفوذ الليبرالية اليوم من خلال إنتاجها لأعمق اتجاهين في السياسة الدولية الراهنة وهما انتشار الديمقراطية عقب الحرب الباردة وعولمة الاقتصاد العالمي². للتفكير الليبرالي بشأن السياسة الخارجية رؤية مسالمة حيث أنه نشأ مقترنا بالخطط المتعلقة بالسلام والتي أفصح عنها الفلاسفة ورجال الدين منذ أوائل القرن السادس عشر، حيث رفض الليبراليون الأوائل الفكرة القائلة أن الصراع وضع طبيعي للعلاقات بين الدول ولا يمكن تلطيف حدته سوى من خلال الإدارة الحريضة على القوة عبر سياسات ميزان القوة وإقامة التحالفات ضد الدول التي تهدد النظام العالمي. يقوم النظام الليبرالي على الافتراضات الأساسية التالية :

- أهمية الفواعل من غير الدول في السياسة العالمية .

¹ عبد الناصر جندلي، مرجع سابق، ص163.

² سكوت بورتشيل، نظريات العلاقات الدولية، ترجمة محمد صفار، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين، القاهرة، الطبعة الأولى، 2014، ص91.

- الدولة ليست فاعل وحيد بل تتكون من أفراد وجماعات مصالح و بيروقراطيات متنافسة والنظر إلى الدولة كفاعل وحيد يعتبر تجاهل لتعدد الفاعلين المشكلين للوحدة المسماة الدولة وتجاهل للتفاعلات الحادثة بين هذه الفواعل ودور التأثيرات الداخلية والخارجية بالنسبة للدولة .

- النظرة المجزأة للدولة تترك انطباع بأن صدام المصالح والمساومة والرغبة في التسوية يؤدي إلى إتباع مسار صناعة قرار عقلائي بسبب سوء الإدراك أو السياسة البيروقراطية .

- تبقى السياسية قابلة للتوسع فإلى جانب وسائل الأمن الوطني تزداد أهمية المسائل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية البارزة في تطوير الأمن بفعل تنامي عوامل الاعتماد المتبادل¹.

لقد كانت الليبرالية أكاديميا كأولى المحاولات التنظيرية للعلاقات الدولية بعد تأسيس الحقل بداية القرن العشرين وحملت طابع النظريات التي تسعى إلى تغيير الوضع الدولي القائم و الملء بالصراعات و النزاعات و استبداله بعالم خال من الحروب و لقد ظل هذا الهدف محور التنظير الليبرالي في مجال العلاقات الدولية ككل مختلف النسخ النظرية الليبرالية (الليبرالية الدولية، المثالية الوطنية، الوطنية الجديدة، الاعتماد المتبادل الليبرالية الجديدة، السلم الديمقراطي) تفيد بأن الليبراليين هم الأوائل في إيجاد الآليات والوسائل الكفيلة بنزع فتيل الحروب وأسبابها أو الظروف المفضية إلى ذلك، و بالمقابل إعادة تأسيس العلاقات الدولية على قواعد جديدة تضمن عدم العودة إلى الحروب².

وإذا كانت الواقعية هي المدرسة المهيمنة في مجال دراسة العلاقات الدولية فإن الليبرالية دائما ما تدعي بأنها البديل التاريخي للواقعية وإذا كانت الواقعية ترى بأن العلاقات الدولية هي علاقات صراع دائم تبحث فيه الدول عن الأمن فإن المدرسة الليبرالية هي أكثر مدارس العلاقات الدولية إملاءا لقيمة التعاون الدولي فتتظر إليه على أنه الحالة الطبيعية في العلاقات الدولية وتتنظر إلى

¹ Jean-Jacques Roche, *Théories des relations internationales* (Montchrestien, 2004). P. 73.

² Stéphane Paquin, 'Chapitre 5. La perspective libérale', in *Théories de l'économie politique internationale*, Références (Paris: Presses de Sciences Po (P.F.N.S.P.), 2013), pp. 183–224 <<https://www.cairn.info/theories-de-l-economie-politique-internationale--9782724613155-p-183.htm>>. p. 193.

النزاعات على أنها الاستثناء. وتجدر الإشارة إلى الليبرالية الجديدة التي يعتبر كل من جوزيف ناي "Joseph.Nye" و روبرت كيوهان "Robert.Keohane" مؤسسا لليبرالية الجديدة التي تشكل معها مفهوم ماوراء الوطنية والاعتماد المتبادل فترى الليبرالية الجديدة أنه إلى جانب الدول تدخل المنظمات العالمية والشركات المتعددة الجنسيات والمنظمات غير الحكومية في تشكيل العلاقات الدولية وبالنسبة لليبرالية الجديدة فإنه من خلال المنظمات والاتفاقيات التجارية والدولية يمكن للدول تحقيق رادع إضافي قوي من خلال التتويح بالعقوبات التجارية في وجه الممارسات غير المشروعة¹.

وإن المضامين الليبرالية التي تظهر من خلال اتجاهات المدرسة الليبرالية الثلاث الاعتماد المتبادل في الاتجاه الاقتصادي، السلام الديمقراطي في الاتجاه المثالي، والاتجاه المؤسساتي هذه المضامين وإن لم تكن سائدة على نفس الوتيرة في السياسة الخارجية الأمريكية إلا أن هذا يمنع من كونها كانت ذات تأثير واضح في هذه السياسة فهيمنة الو.م.أ هي التعبير الطبيعي عن وضعها بوصفها طليعة في تطبيق الرشد والليبرالية طبعاً هي لهذا السبب أمر لا يمكن تجنبه بل هي مقيدة للإنسانية جمعاء، فالأمر لا يتعلق بليبرالية أمريكية بل يتعلق بقيادة لطيفة غير مؤلمة لكما يسميه المثقفون الليبراليون الأمريكيون. لقد تزامن إحياء الليبرالية الجديدة مع حركة العولمة و لكنه جاء أيضاً كنجاح سياسي لليمين الجديد في الو.م.أ خلال سبعينات وثمانينات القرن العشرين مقارنة بالكثير من المنافسين الايديولوجيين حيث تعتبر كأول فلسفة متماسكة عن تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية استطاعت أن تولد القناعة بفوائد تعميم النمط الرأسمالي في العالم.

منذ نهاية الحرب الباردة جادل الواقعيون مثل كنيث والتز "kenneth waltz" بأنه في غياب ضغوط معادية فاعلة سيتزايد سعي الو.م.أ بشكل أحادي الجانب لتأمين مصالح سياستها الخارجية وستعتمد في قيامها بذلك على القوة العسكرية كي تتحقق رؤيتها للنظام العالمي الجديد ويبدو أن الحرب على الإرهاب لم تتغير سوى القليل من هذا الشأن إذ أن تلك الأحداث قد دعمت ذلك الميل

¹ J. Baylis, S. Smith, and P. Owens, *The Globalization of World Politics: An Introduction to International Relations*, op. cit. p. 158.

الذي اعتقد أو أمل بعض الليبراليين أن يطوى في طيات التاريخ¹ . وقد لاحظ المؤرخ إريك هويزياوم "Erik hwisbawm" أن العنصر الأساسي لفهم الوضع الحاضر هو أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر لم تهدد الو.م.أ فقد كانت مأساة إنسانية مفجعة أهانت الو.م.أ لكن الو.م.أ لم يصبها الضعف بأي معني في أعقاب تلك الهجمات كما أن ثلاث أو أربع أو خمس هجمات مماثلة لن تغير من وضع الو.م.أ أو قوتها النسبية في العالم. وتماثل هذه النظرة إدعاء والتز بأن مشكلة الإرهاب لا تمثل تحديا لاستمرارية السياسة الدولية ويذكر والتز على الرغم من أن الإرهاب يستطيع أن يكون مزعجا بدرجة بشعة لكنه لا يمثل خطر على نسيج المجتمع أو أمن الدولة فلم يغير الإرهاب الحقيقة الأساسية الأولى للسياسة الدولية وهي الاختلال الهائل في توازن القوة العالمية لصالح الو.م.أ وبدلا من ذلك كان إثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر هو دعم القوة الأمريكية وسيط وجودها العسكري في العالم على حد تعبير المتقنين الليبراليين² .

وتجدر الإشارة إلى الطرح الليبرالي الذي يرى أن الو.م.أ لا تستطيع البقاء دون أن يكون العالم مهيدا للديموقراطية ، فلكي يتحقق الأمن داخل الو.م.أ لابد من إستئصال الإيديولوجيات المعادية في الخارج، فالتيار الليبرالي الأمريكي يتبنى عالم الباب المفتوح. يشير التيار الليبرالي في هذا الصدد إلى أن مصالح الو.م.أ واسعة ويحتمل تهديدها في أي مكان، و هو ما يقتضي التفكير في صيانة الباب المفتوح ويتطلب ذلك من الو.م.أ الاستمرار في إثبات مصداقيتها وتضخيم الخطر لتبرير تدخلها في الخارج وذلك إنطلاقا من فكرة أساسية يقوم عليها التيار الليبرالي وهي أن الأحداث التي تبدو بعيدة يمكن أن تثير سلسلة من ردود الفعل التي تخرج عن نطاق السيطرة وتؤثر على الأمن القومي الأمريكي³ . فالتيار الليبرالي يركز على أن استخدام القوة يكون للدفاع عن الو.م.أ أو يكتسب شرعيته في إطار عمل المؤسسات الدولية وليس بصورة إنفرادية فالقوى العسكرية من المنظور الليبرالي هي الخيار الأخير يعد فشل الدبلوماسية. ويمكن الإشارة هنا إلى مفهوم القوة الناعمة "Soft power"

¹ J. Baylis, S. Smith, and P. Owens, *The Globalization of World Politics: An Introduction to International Relations* , op. cit. p. 160.

² سكوت بورتشيل، مرجع سابق، ص 116.

³ المرجع نفسه، ص130.

والتي ترتبط إلى حد كبير بمفهوم الشرعية¹ وهي أحد المفاهيم ذات العلاقة بحفظ قواعد ومعايير القانون الدولي والذي يمثل إنتهاكه جريمة من منظور الليبراليين. يؤكد هذا المفهوم على أن القوة الناعمة تؤثر على قدرة الو.م.أ في تحقيق مصالحها في الخارج وأنه عندما توعد الو.م.أ شرعيتها في عيون الآخرين تزداد درجة الشكوك في تصرفاتها ويقل ثقل تأثيرها في الشؤون الدولية ، وهذا من السمات المميزة لطبيعة السياسة الخارجية الأمريكية.

3. - الطرح الإمبريالي :

إن العلاقات الدولية بصفتها تجسيد للسياسة الخارجية للدول ما فتئت تشهد تغيرات سياسية شكلا ومضمونا منذ بداية القرن العشرين تماشيا مع تطور النظام الرأسمالي العالمي السائد وانتقاله منذ نهاية القرن التاسع عشر من رأسمالية المنافسة الحرة إلى الرأسمالية الاحتكارية أي (الإمبريالية) وزوال ما يسمى بالحرب الباردة وإحتمال ظهور لاعبين جدد على المسرح الدولي وما يترتب على ذلك من تشكيل نظام دولي جديد ومتعدد الأقطاب على ضوء المخاض الذي يسميه كثير من المؤلفين " إمبراطورية أمريكية " التي يراها البعض على أنها فوق إمبريالية " ما بعد إمبريالية"، "إمبراطورية حقيقية". هذه المصطلحات تعتبر في الواقع مرحلة جديدة من تطور الامبريالية نفسها إذ أنها لم تكن قد إستنفذت جل إمكانياتها وطاقاتها الكامنة حتى وإن تم الاعتراف بأن الو.م.أ تشكل القوة العظمى الوحيدة سياسيا وعسكريا واقتصاديا في العالم ويعتقد بأنها تمر بطور تحول إلى إمبراطورية عالمية².

وقد ظهرت الامبريالية من الناحية التاريخية في القرن السابع عشر من أجل وصف التوسيع البريطاني ثم بعد ذلك أخذ شكله الفكري في بداية القرن العشرين. إن مصطلح الامبريالية من الناحية اللغوية مشتقة من الكلمة اللاتينية " impercum " التي تعني السيادة أو السلطة في أعلى طورها، سواء باستعمالها لمعنى سياسة التسلط أو لمعنى التوسيع الخارجي. عند شومبيتر Schumpeter

¹ Christopher Layne, 'Liberalism and American Overexpansion: The Witches' Brew of Offensive Realism and Wilsonianism Authored by Layne, Christopher.', 2005
<http://citation.allacademic.com/meta/p_mla_apa_research_citation/0/7/1/1/9/pages71193/p71193-1.php> [accessed 4 April 2017]. P. 07.

² Pierre Guerlain, 'Le retour du discours impérialiste aux États-Unis', *Revue française d'études américaines*, 113.3 (2007), 5-25 <<https://doi.org/10.3917/rfea.113.0005>>.

تعكس الامبريالية سياسة توسعية من أجل التوسع و هي نابعة من إرادة القوة و الرغبة فيها. أما بالمعنى الذي استخدمه كل من هوبسون " Hobson " ولينين " Lénine " فهو يربط الامبريالية بالسيطرة الاقتصادية القائمة على الرأسمالية المالية الاحتكارية¹. ويمكن إرجاع ظهور هذا الاتجاه إلى التغير في ظروف المنافسة فمذ بضعة عقود قليلة كانت الشركات الكبرى تمارس معاركها التنافسية على الأسواق القومية و كانت الو.م.أ أكبر سوق قومي في العالم لاسيما من خلال سياستها الخارجية. وفي هذا السياق هناك إعتقاد سائد أن القوة العسكرية للو.م.أ ماهي إلا قيمة جيل جديد وأن هذه القيمة هي إمتداد لتفوق ذلك البلد في جميع المجالات الاقتصادية بالأساس ثم في المجالات السياسية و الثقافية². لكن ، في الواقع فإن النظام الإنتاجي للو.م.أ أبعد من أن يكون الأكثر كفاءة في العالم ذلك أن الو.م.أ لا تتمتع بأفضلية نسبية مؤكدة في قطاع إنتاج السلاح لأن هذا القطاع لا يخضع لقواعد السوق ويستفيد من دعم الدولة وبالطبع تعود هذه المزايا للقطاع المدني.

وتجدر الإشارة إلى الأجندة العالمية التي تصدرت في خريف عام 2002 لإعلان أقوى دولة في التاريخ عن نيتها الحفاظ على هيمنتها سواء من خلال التهديد بالقوة المسلحة أم باستعمالها فعلا . يصف جون إيكينبري هذا الاعلان بأنه إستراتيجية كبرى للسياسة الخارجية الأمريكية تنطلق من الالتزام الجوهري بالمحافظة على عالم أحادي القطب لا مكان فيه لند مزاحم للو.م.أ وهذه حالة من المفروض أن تكون دائمة بحيث يتعذر على أية دولة أو مجموعة من الدول أن تتحدى في أي وقت الو.م.أ كزعيم كوني يبسط حمايته وينفذ إرادته بالقوة . مثل هذا التوجه يعتبر بشكل عام اتجاها يرفض القانون الدولي والمؤسسات و يعتبرها غير ذات قيمة. ويردف إيكينبري قائلا " إن الإستراتيجية الامبريالية [الإمبراطورية] الكبرى الجديدة هذه تقدم [لنا] (أي الو.م.أ) كدولة تصحيحية تسعى إلى استغلال مزاياها الآتية و تخلق نظام عالمي تتولى بمقتضاه إدارة الأمور وهذا من خلال سياستها الخارجية دافعة بذلك الآخرين إلى البحث عن سبل تتيح لهم الالتفاف حول القوة الأمريكية وتفويضها

¹ Pierre Dockès, 'Mondialisation et « impérialisme à l'envers »', in *La mondialisation, stade suprême du capitalisme ?*, ed. by Wladimir Andreff (Presses universitaires de Paris Ouest, 2013), pp. 131-53 <<https://doi.org/10.4000/books.pupo.2740>>. p. 131.

² أمين سمير، الفيروس الليبرالي: الحرب الدائمة وأمركة العالم، trans. by سعد الطويل، (بيروت: دار الفارابي، 2004)، ص. 13.

واحتوائها والرد عليها"¹. ضمن هذا الاتجاه تتحدد أبعاد نفوذية الو.م.أ في العالم ، فالو.م.أ قد طورت قدرة عسكرية حاسمة مما يمكنها من نقل قوتها بطرائق أو أساليب هامة على الصعيد السياسي، و كذلك على الصعيد الدبلوماسي و الاقتصادي حيث تؤمن الدبلوماسية الأمريكية الاقتصادية الشروط الضرورية لممارسة السيطرة، أو السيادة العالمية من خلال توظيف مختلف أدوات سياسيتها الخارجية. إن الأهم من ذلك هو أن أمريكا حافظت على سبقها في استثمار النجاحات العلمية في تحقيق الأهداف العسكرية مما جعلها تلك المؤسسة العسكرية التي لا يوجد لها مثيل على الصعيد التكنولوجي وبالتالي أصبحت الدولة الوحيدة التي يمكنها الوصول الفعال إلى كافة أنحاء العالم ، وخلال كل ذلك حافظت أمريكا على مزاياها التنافسية القوية في تكنولوجيات المعلومات الحاسمة اقتصاديا ، حيث أن السيادة الأمريكية في القطاعات الحساسة من اقتصاد المستقبل يوحي بأن السيطرة التكنولوجية الأمريكية لا يحتمل أن تتراجع خاصة وأن الأمريكيين لا يزالوا موسعين تميزهم و سبقهم في القدرة الإنتاجية².

من ناحية أخرى ، أوضح روبرت تشراوس هوبيه³ " Robert Strausz-Hupé " في كتابه " توازن الغد" الذي نشره عام 1957 أن المهمة الأساسية لأمريكا من خلال نزعتها الامبريالية تسعى إلى توحيد الكرة الأرضية تحت قيادتها ومواصلة هيمنتها الثقافية الغربية وأن مهمة الشعب الأمريكي هي القضاء على الدول القومية، والمستقبل على امتداد الخمسين سنة القادمة سيكون من

¹ نعوم تشومسكي، الهيمنة أم البقاء، السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم، ترجمة : سامي الكعكي. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ، 2004، ص 34.

² زينغو بريجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى السيطرة الأمريكية وما يترتب عليها جيواستراتيجيا، ترجمة : أمل الشراوي. الأهلية للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، 1999، ص24.

³ يعتبر ستروس هوبيه من أعمدة مدرسة الجيوبوليتيك في الو م أ. تتلمذ على يده أهم الساسة الواقعيين الأمريكيين مثل هنري كيسنجر، ريتشارد نيكسون ، جيرالد فورد ، الكسندر هاينغ و جايمس شليسنجر و آخرون. من أهم أفكاره قبوله بل اقتناعه بفكرة الانحطاط الاوروبي و التي يقابلها التفوق الأمريكي و من أشرس المؤمنين بفكرة "المبراطورية الأمريكية" التي لا يمثل العالم فيها سوى ممالك خاضعة لأمريكا. بعد أن تم ابعاده من مركز الفكر المحافظ CFR المسمى بمجلس العلاقات الأجنبية أسس مركزه الخاص و المسمى Orbis أين نشر أهم أعماله البحثية. يعتبر كتابه the equilibrium of tomorrow المنشور سنة 1957 أهم أعماله على الاطلاق. أنظر بهذا خصوص مقال تيري ميسان من شبكة فولتير : [Thierry Meyssan, 'Le FPR et Robert Strausz-Hupé', Réseau Voltaire <http://www.voltairenet.org/article15022.html> \[accessed 4 April 2017\].](http://www.voltairenet.org/article15022.html)

نصيب الأمريكيين ويجب على أمريكا أن ترسي أسس الإمبراطورية الأمريكية بحيث تغدو مرادفة لـ "إمبراطورية إنسانية"¹، حيث جاءت السياسة الخارجية لإدارة بوش الابن لتعزز مبتغى النظام السياسي الأمريكي في حماية وحفظ المصالح الطبقية للنخبة الحاكمة والمجتمع الصناعي العسكري والشركات العملاقة وتأييد النظام الرأسمالي العالمي في سعيها لتحويل أمريكا إلى إمبراطورية كونية. من جهته أشار بريجنسكي في كتابه رقعة الشطرنج الكبرى "the grand chess board" بوضوح معالم الإستراتيجية الأمريكية في عصر الهيمنة وفي نظام دولي تكون فيه الأولوية لمصالح الو.م.أ. وأهداف سياستها الخارجية وقد حدد بريجنسكي المحاور الإستراتيجية للإمبريالية من خلال ثلاث عناصر:

1- الحيلولة دون التواطؤ والمحافظة على الاعتمادية الأمنية بين الدول التابعة (لأوروبا واليابان وشرق آسيا).

2- ضمان بقاء الدول الخاضعة طيبة ومحمية (الدول العربية وجمهوريات الإتحاد السوفياتي وآسيا الوسطى).

3- الحيلولة دون النقاء الدول " الهمجية " معا (الجمهورية الإسلامية الإيرانية والصين وروسيا)².

ويمكن القول أن الهدف من الإستراتيجية الامبريالية الكبرى هو قطع الطريق أمام أي تحد لنفوذ ومكانة الو.م.أ. في العالم ، وهذه الفكرة ليست لـ: ديك تشيني أو دونالد رامسفيلد أو أي من الرجعيين الدولاتيين (دعاة العزلة) بل هي لرجل الدولة دين اتشيسون أدلى بها عام 1963³، ذلك أن المبادئ الأساسية للإستراتيجية الامبريالية الأمريكية المعلنه في سبتمبر 2002 تعود إلى مطلع

¹ Robert Strausz-Hupé, 'L'avenir du monde occidental', *Politique étrangère*, 28.4 (1963),

<https://doi.org/10.3406/polit.1963.2300>. p. 306 .

² عادل البديوي، الإدراك الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية دراسة في المبادئ الجيوبوليتيكية (دار الجنان للنشر

والتوزيع، 2015) ص. 301.

³ عمرو ثابت، الاحتواء المزدوج وماوراءه : تأملات في الفكر الاستراتيجي الامريكي - دراسة عامة ،

مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية، أبوظبي، دولة الامارات العربية المتحدة ، 2001 ، العدد 41 ص44.

الحرب العالمية الثانية والتي تسعى فيها الو.م.أ إلى إمتلاك "قدرة لا ند لها"، وأن تعمل على ضمان حدود معينة لأية ممارسة سيادية في العالم. أدى خطر الارهاب الذي استهدف الو.م.أ نفسها منذ التسعينات ودخوله في مرحلة جديدة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 إلى تغيير إيدولوجيات السياسة الخارجية الأمريكية و إلى تبني تبني سياسة مكافحة الإرهاب كشكل من أشكال ممارسة الامبريالية حمل في شعار "من ليس معنا فهو ضدنا".

المطلب الثالث: الامبريالية الجديدة في السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث

11 سبتمبر 2001.

لقد كانت أحداث 11 سبتمبر 2001 التي ضربت نيويورك و واشنطن من الأحداث التي ألفت بظلالها على العالم بأسره وعلى جميع الأصعدة السياسية والأمنية، فكان لها الأثر البالغ على الو.م.أ التي كانت الطرف المتضرر الأول، الأمر الذي جعلها تفكر في معرفة المتسبب في ذلك ثم البحث عن مساندة لاسترجاع هيبتها وثقتها بنفسها واستقرار الأوضاع، وهذا ما انعكس على الإستراتيجية الأمريكية تجاه العالم من جهة وعلى السياسة الخارجية من جهة أخرى، فكانت مرحلة جديدة في تاريخ النظام العالمي بالنسبة للو.م.أ عبرت عن جوهر العقيدة الإستراتيجية الأمريكية. بعد حدوث هجمات 11 من سبتمبر حدثت تغيرات جذرية ومباشرة على إدارة الو.م.أ لسياستها الخارجية، حيث أصبحت السياسة الخارجية الأمريكية تحكم بمنظور واقعي برغماتي حيث طفا على السياسة الخارجية الأمريكية استخدام القوة والحرب لحماية الأمن القومي الأمريكي خاصة بعد تعرضها - بإعتبارها القوة الأعظم في العالم - إلى تهديدات من قبل لاعبين غير فاعلين على خريطة السياسة الدولية، فأطلقت الإدارة الأمريكية على أثرها سياسة الحرب العالمية على الإرهاب حيث شملت هذه القضية برامج السياسة الخارجية الأمريكية.

استغلت الو.م.أ هذه الهجمات لتنفيذ إستراتيجيتها الدولية وإيصال خطابها الأيديولوجي إلى دول العالم حيث وظفت معها التعاطف الدولي في إستصدار قرار مجلس الأمن (1373) مايسمح لها بضرب كل من له علاقة بالإرهاب، محددة بذلك خصومها في ثلاث فئات هي قوى إرهابية، ودول

ترعى الإرهاب ودول تحافظ على الإرهاب، واضعة بذلك العالم أمام خيارين إما مع أمريكا وإما مع الإرهاب فتحدت بذلك علاقة الو.م.أ مع دول العالم¹. تشكل على إثر هذه الأحداث أخطر تحدي إستراتيجي عكس واقع نظرية الأمن القومي الأمريكي حيث شهدت تطور إستراتيجيات نفوذ كونية تقوم أساسا على احتمال الاصطدام مع فاعلين عابرين للدول و لكن بعيدا عن أراضيها. شكل هذا الأمر انقساماً فاصلاً هاما في دول العالم حيث أصبحت هناك حالة من الصراع ما بين الغرب الممثل في الو.م.أ و حلفائها و بين العرب والمسلمين. قامت الو.م.أ بتطوير سياسات وإستراتيجيات مدعومة بسياسية خارجية متشددة ضد أي طرف دولي أو مجتمع مدني محاولة بذلك تحقيق تطلعات كونية لتبرير توسعها في الخارج وفي تعزيز وتدعيم علاقاتها مع باقي الدول. تميزت سياستها الخارجية بكلم كبير على استخدام القوة الصلبة (اتباع سياسة الحرب) التي تجسدت فيما سمي بالحرب على الارهاب و كرسها غزو افغانستان سنة 2001 ثم العراق سنة 2003 ، و هو انعكاس واضح لسياسة كونية أحادية الجانب.

ومن هذا المنطلق كانت لإدارة بوش نظرية واضحة في السياسة الخارجية الأمريكية عقب أحداث 11 من سبتمبر 2001، وقد وردت خلاصتها في ورقة من إحدى وثلاثين (31) صفحة تبنها حزب سياسي (الحزب الجمهوري) تمكن من السيطرة على الكونغرس (مجلس النواب والشيوخ) ويتولى تنفيذها جنود أمريكيون و دبلوماسيون وممثلون تجاريون على امتداد المعمورة. أصبحت الحرب على الإرهاب بمثابة المبدأ التنظيمي الذي يجمع بين النزوع إلى التفوق العسكري وبين تأمين مزيد من النفط الأجنبي لإرساء توجه يؤدي إلى إحكام السيطرة على العالم من خلال خيار الحلول العسكرية في مجال السياسة الخارجية والعلاقات الدولية.

لذلك كانت السياسة العسكرية لا تعترف إلا بحدود ضئيلة فهي تتفق مع نزعة انفرادية أحادية الجانب ما جعل إدارة بوش تمضي قدما في كسب عقول الشعوب في الداخل والخارج من خلال حملة اعلامية ثقافية مع الاستمرار في تأمين الأسواق الخارجية لفائدة أصحاب المال و الأعمال وذلك عبر التمويلات الهادفة وعبر تطبيق قواعد الليبرالية الجديدة ذات الصلة بحرية التجارة واقتصاد

¹ John Agnew, *Hegemony: The New Shape Of Global Power* (Temple University Press, 2005). p. 11.

السوق فيما بين دول العالم بأسره. تميز الخطاب الأيديولوجي للسياسة الخارجية الأمريكية الجديدة بعد 11 سبتمبر بتركيزه على العقيدة العسكرية بالدرجة الأولى، وذلك أن الكارثة الأمنية كشفت عن العديد من الحقائق الموازية للأزمة التي يواجهها الغرب في عقيدته العسكرية والإستراتيجية بعد زوال الخطر الشيوعي و للمخاوف الناجمة عن القلق من نشوء نظام إقتصادي منافس خارج إطار السيطرة الأمريكية. تركز الاستراتيجية الجديدة أيضا على العوامل الاقتصادية فالو.م.أ تستمد قوتها من الحروب ومن مبيعات السلاح ومن الاتفاقيات العسكرية فالحروب عند صانع القرار الأمريكي هي المحرك الفعال لكثير من الأنشطة الاقتصادية وهذا ما جعل العقيدة العسكرية تقف وراء التفوق الاقتصادي الأمريكي¹.

وتجدر الإشارة إلى أن أحداث 11 سبتمبر قد شكلت فترة نوعية بالغة الأهمية في أشكال وآليات التعامل بين الدول تحت غطاء الحوار والتعاون فقد تسببت في إعادة تشكيل السياسات الخارجية للعديد من الدول لاسيما الدول الكبرى بما يتضمنه ذلك من إعادة تعريف دور أدوات هاته السياسات ولاسيما منها العسكرية و من هذا المنطلق وضعت الو.م.أ هدفا رئيسيا للسياسة الخارجية بحيث تسعى لمساعدة العديد من الدول لمحاولة تحقيقه وهو مكافحة الإرهاب ومعاينة الدول التي ترعاه. تعتبر هذه هي المرة الأولى منذ نهاية الحرب الباردة التي تضع فيها الو.م.أ لنفسها هدفا محددًا يكون محور التركيز لسياستها الخارجية، الأمر الذي أتاح لجورج بوش فرصة فريدة لخوض سباق مضمار السياسة الخارجية وانتهاء سياسة جديدة في إطار آليات التعامل الدبلوماسي والعلاقات الدولية ودعوة الشعب الأمريكي إلى الالتفاف حول العالم².

لقد تمحور الهدف الرئيسي للسياسة الخارجية والدبلوماسية الأمريكية في فترة ما بعد أحداث 11 سبتمبر حول إدراج ميدان ومنظمات أخرى في الترتيبات التي تستدعم عالما يتماشى مع المصالح والقيم الأمريكية، وبهذا يدعم السلام والرخاء والعدل على أوسع نطاق ممكن، وأن هذا التعاون الدولي

¹ إسماعيل الشطي، تحديات إستراتيجية، مجلة المستقل العربي، لبنان، مركز الدراسات الوحدة العربية، العدد 253، سبتمبر 2002، ص 29.

² أحمد إبراهيم محمود، الإرهاب الجديد الشكل الرئيسي للصراع في الساحة الدولية، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، مؤسسة الأهرام العدد 147 جانفي 2002، ص 50.

وضرورة إدماج شركاء جدد في جهود الحرب على الإرهاب من شأنه المساعدة في التصدي للأخطار عبر القومية مثل الإرهاب الدولي وانتشار أسلحة الدمار الشامل. إن المتغير الجديد بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 على مستوى العلاقات الدولية وآلية الدبلوماسية والتعامل بين الدول هو تكريس أمريكا قطب أحاديا في ميزان القوى الدولية على حساب ديموقراطية العلاقات الدولية التي كانت تتجلى إلى حد ما ضمن إطار هيئة الأمم المتحدة فكانت النتيجة هي تهميش الأمم المتحدة ومؤسساتها، إذ تجاوزتها أمريكا على نحو يشبه كلي في الحرب على الإرهاب وهذا ما جعل هذه الحرب غير محددة باعتبار أن العدو أي الأصولية الإسلامية منتشرة في عدد كبير من دول العالم وفي هذا الصدد اعتبر أن الدين الإسلامي أصبح مؤثرا في العلاقات الدولية كما حدث مع الحرب العراقية والإيرانية وصار له إنبعاث في دراسة العلاقات بين الدول¹. وفي خضم هذه الأوضاع و من خلال سياسة الحرب على الإرهاب طغت الحسابات الأمنية على الحسابات الدبلوماسية في العلاقات الدولية بحيث لن يكون وزراء الخارجية وسفرائهم اللاعبين الوحيدين على ساحة العلاقات الدولية بل سيشاركهم في ذلك أجهزة أخرى رسمية وغير رسمية لاسيما المتخصصة في الأمن والسلام الدولي حيث أصبحت الغلبة لهذه الأجهزة على مستوى العلاقات الدولية والدبلوماسية.

ولما كان الاعتماد على القوة العسكرية في التعامل مع قضايا السياسة الخارجية والعلاقات الدولية بارزا بشكل أكبر فقد تزايد وتعمق الحوار حول استخدام القوة العسكرية في المجال الدبلوماسي، وقد جرى التذكير بالتشابه بين توجهات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر وغلبة الطابع الأيديولوجي عليها وبين فترة سابقة برئاسة الرئيس الأمريكي رونالدو ريغان (1980-1988) حيث كانت إدارته وقوى المحافظين الجدد يؤمنون بالقوة وجعلوها أساس تعاملهم في مجال العلاقات الدولية² كما حدث مع الإتحاد السوفياتي آنذاك ورفض التفاوض معهم إلا من موقع القوة حيث اعتبر أن القوة هي شرط لازم للدبلوماسية وفعاليتها ووجوب أن يكون هناك توازن بين القوة والدبلوماسية. فإذا كان الحوار الأمريكي حول استخدام القوة العسكرية خلال إدارة ريغان قد حرك الطابع الأيديولوجي

¹ مايكل هديسون، مأزق إمبريالية، إدارة المناطق الجامعة، مجلة المستقبل العربي، بيروت، لبنان، مركز دراسات

الوحدة العربية، العدد 284، سبتمبر 2002، ص 41.

² Pierre Guerlain, 'Le retour du discours impérialiste aux États-Unis', op. cit. p. 7.

واعتمادها على بناء القوة العسكرية في علاقاتها الدولية الدولية فإن الحوار في فترة ما بعد أحداث 11 سبتمبر قد أطلق مفاهيم الإدارة الإستراتيجية مثل الضربات الاستباقية وأساسا بفعل قرار الحرب على العراق ونتائجها التي وصفت بالكارثية، ويبدو أن هذه الخبرة كانت وراء ما خلص إليه بوش في أحد تصريحاته من أن على القائد الأعلى للقوات المسلحة أن يستنفد كل الوسائل الدبلوماسية قبل اللجوء إلى القوة المسلحة¹.

لذلك فإن وبعد أحداث 11 سبتمبر وبعد تغلغل هذه الحقائق السابقة الذكر في وعي العالم الديمقراطي، واجه العالم في أمريكا شعبا موحدا مصمما على إستئصال تمدد الإرهاب، فالديموقراطيات الغربية أصبحت تدرك أن الهجوم على الو.م.أ يظهر أيضا قابلية تعرض مجتمعاتها للهجوم ويمكن الحديث الدبلوماسية الائتلافية والتي إتضح من خلالها أن الدول الرئيسية في أوروبا تفضل الاتصال المباشر بواشنطن على دور الوسيط الذي تلعبه مؤسسات أوروبا الموحدة فإذا أرادت أوروبا ألا تصبح مهمشة يجب أن يكون للعودة إلى دبلوماسية التحالف الأولية على التشديد على تمييز أوروبا عن الو.م.أ . وبخصوص مسألة الإرهاب تراجعت المؤسسات الأوروبية إلى المركز الثاني أمام العلاقات الدولية الأكثر تقليدية بين دول شمال الأطلسي، وفي أول رد فعل على الهجوم على الو.م.أ أدرك الزعماء الأوروبيون أن نفوذهم في الإستراتيجية والدبلوماسية يتوقف على التعاون مع واشنطن أكثر بكثير من تحدي السياسات الأمريكية وتلك مهمة سهلتها دبلوماسية الائتلاف التي أنتجت إدارة بوش².

لقد كانت التقلبات في بيئة ما بعد أحداث 11 سبتمبر تأثيرا بالغا في السياسة الخارجية والدبلوماسية الأمريكية نتجت عنها تحولات طارئة في مسار العلاقات الدولية التي تقيمها الو.م.أ وأملت عليها إتخاذ الحذر في التحرك الدولي وانتهاج دبلوماسية مرنة ومحاولة عدم الوقوع في مطيات وفضائح دولية والتراجع عن متابعة سياسة القوة والضغط تجاه الخصوم ولو بصفة مؤقتة وهذا ما

¹ Pierre Guerlain, 'Les théories américaines en politique étrangère et leur réception en Europe', in *États-Unis / Europe : Des modèles en miroir*, ed. by Jean-Marie Ruiz and Mokhtar Ben Barka, Espaces Politiques (Villeneuve d'Ascq: Presses universitaires du Septentrion, 2017), P. 233.

² Boris Le Chaffotec, 'La politique régionale des États-Unis depuis la fin de la Guerre froide. Une nouvelle Frontière pour l'hémisphère occidental?', *Histoire, économie & société*, 33e année.1 (2014), <https://doi.org/10.3917/hes.141.0104>. p. 112.

حدث مع المواقف الأمريكية في سوريا وإيران وشمال كوريا حيث كان هناك حراك دبلوماسي أمريكي مختلف عما كان عليه قبل أحداث 11 سبتمبر وكان بمثابة تفعيل ملحوظ للدبلوماسية الأمريكية .

أدى كل هذا إلى توسيع نطاق أهداف الدبلوماسية الأمريكية بنفس نطاق تواجده في العالم بوجود علاقات دبلوماسية مع حوالي 180 دولة وأكثر من 250 مركزاً دبلوماسياً في سائر أنحاء العالم¹ ومؤسسات متعددة الأطراف ، العديد منها تحت إشراف الأمم المتحدة حيث تقوم بالتعاطي مع دول أخرى لمعالجة قضايا عديدة تتراوح بين حفظ السلام وحقوق الإنسان إلى الإغاثة الإنسانية والتجارة. وفي هذا الصدد فقد صرح الرئيس بوش في خطاب تنصيبه الثاني "أن هدف سياسة الـ.م.أ هي أن تسعى إلى تدعيم نمو الحركات والمؤسسات الديمقراطية في كل بلد وذلك بهدف إنهاء الطغيان في عالمنا"². في نهاية المطاف وبهذا التكاليف فإن الـ.م.أ تواجه تحديات هائلة هي شبيهة بالتحديات السابقة في العمل الدبلوماسي والعلاقات الدولية وفضلاً عن لجوء الرئيس إلى استخدام القوة العسكرية في مجال الدبلوماسية والعلاقات الدولية فقد سعت إدارته إلى دعم الإصلاحات كمبادرة الشراكة الشرق أوسطية عام 2002 وذلك بهدف تنسيق وإدارة جدول الأعمال الإصلاحي للحكومة الأمريكية في مجالات الاقتصاد والسياسة والتعليم وقضايا المرأة. وعملياً سعت المبادرة إلى تشجيع التجارة واستقطاب الاستثمارات الأجنبية المباشرة وتعزيز حكم القانون والمجتمع المدني ودور الجهات غير الرسمية والتصدي للتحديات التي تواجه الشعوب لاسيما في الدول العربية وكان ذلك برعاية الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية "USAID" لكل مقتضيات السياسة الخارجية الأمريكية. و بالتركيز على إدماج جهات أخرى غير رسمية في العمل الدبلوماسي³.

¹ Charles-Philippe David and Élisabeth Vallet, 'Qu'en est-il de l'hyperpuissance américaine?', *Revue internationale et stratégique*, 2008, 151-54 <<https://doi.org/10.3917/ris.072.0151>>.

² Paul Labarique, 'La démocratie forcée', *Réseau Voltaire* <<http://www.voltairenet.org/article15981.html>> [accessed 5 April 2017].

³ مادلين اولبرايت و فين وبيير، دعماً للديموقراطية العربية لماذا وكيف، تقرير مجلس العلاقات الخارجية، نيويورك، الـ.م.أ، 26 يناير 2005، ص58.

* الدبلوماسية التحويلية وتعرف بدبلوماسية الرأي العام وهي تعني نقل وتحويل الفعل السياسي الدبلوماسي الأمريكي من المكاتب والغرف المغلقة إلى شوارع الدول المستهدفة قصد التأثير المباشر على الأحداث وتأسيس التواصل المباشر بين الدبلوماسيين الأمريكيين والمواطنين وذلك تحت شعارات براقة كالديموقراطية وحقوق الإنسان وحرية الرأي والتعبير.

وهذا ماميز الدبلوماسية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر والتي سميت بدبلوماسية القرن الحادي والعشرين وذلك من خلال العمل مع الآخرين على بناء وإدامة الدولة الديمقراطية ضمن مصطلح الدبلوماسية التحويلية* من خلال التصريحات وزيرة الخارجية السابقة كوندرا ليزا رايس وذلك من خلال تعزيز الحكم الصالح والتي تلبية احتياجات شعوبها وتتصرف بصورة مسؤولة أمام النظام الدولي والشعبي واستعمال القوة الدبلوماسية الأمريكية لمساعدة الآخرين على تحسين حياتهم وتحويل مستقبلهم إلى الأفضل والترويج للحرية في كل ركن من أركان العالم ، وهذا يختلف من منطقة إلى أخرى من خلال تفاصيل السياسة الخارجية الأمريكية التي تؤكد أن هناك خيطا جامعا يربط جميع الجهود الدبلوماسية للو.م.أ في العالم وهي تصدير الدعوة للحرية واحترام الأفراد والالتزام بفرصة توفير حياة أفضل لجميع الناس في كل العالم. فقد عملت الو.م.أ بعد أحداث 11 سبتمبر على دراسة العوائق التي تقف حجر عثرة أمام تمويل المنظمات غير الحكومية والتي تلعب دور هاما في مجال العلاقات الدولية والدبلوماسية بصفة غير رسمية من خلال معالجة هذه الصعوبات مع تدقيق شامل وفرض شروط صارمة للحيلولة دون تمويل منظمات غير حكومية قد تدعم الإرهاب ومحاولة تخصيص موارد كبيرة للتنمية الاقتصادية والقضايا النسائية والتعليم والمجتمع المدني، وذلك على اعتبار أن أهم أداة بالنسبة للسياسة الخارجية الأمريكية في مجال الدبلوماسية والعلاقات الدولية هي الحوار المباشر مع الدول من خلال هذه الآليات وذلك لتعزيز الديمقراطية داخل كل دول العالم والذي ينعكس عنه علاقات وثيقة مع الو.م.أ من خلال توسيع العلاقات التجارية و تعزيز الروابط العسكرية و الدعم الدبلوماسي¹.

وفي هذا الصدد فقد أبدى الرئيس الأمريكي جورج بوش مباشرة بعد أحداث 11 سبتمبر بتصريح في إطار مؤتمر صحفي في 14 أكتوبر 2001 جاء فيه " إنني مندهش من وجود هذه

¹ مجلس العلاقات الخارجية، مرجع سابق، ص63.

*« I am amazed That There is such a misunderstanding of what Our country is about That people,would hate us. I like americans.I Just can't be live It becaus I know how good we are »
George w. Bush.Press Conference. Octobre 2001.
PDF #Stietus-war (accessed April 10 2017).
<http://www.whitehouse.gov/news/Releases/2001/10.2001.10.11-7.2005.02/05/2013>.

الدرجة من سوء الفهم بشأن بلدنا لدرجة أن هناك من يكرهنا، فأنا شأني شأن معظم الأمريكيين لا أستطيع تصديق هذا لأنني أعلم أننا أناس طيبون¹. لقد كانت هذه المقولة هي تجسيد للتحويلات التي واجهتها الدبلوماسية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر والتي دفعتها إلى تبني سياسة أكثر فاعلية في تعزيز دبلوماسيتها وتغيير الطريقة التي تعمل بها وزارة الخارجية كالعامل مع العديد من الشركاء حول العالم لبناء ودعم الدول التي تتعم بالديموقراطية والحكم الراشد والتي ستستجيب لحاجات شعبها وتتصرف بمسؤولية في النظام العالمي، فكانت من الأجزاء الأساسية لهذه الجهود هو برنامج حيوي واسع للدبلوماسية العامة كآلية تسعى لتعزيز المصلحة القومية والأمن القومي للوم.أ عن طريق التفاهم والإطلاع والتأثير على الشعوب الأجنبية وتعميق الحوار بين المواطنين والمؤسسات الأمريكية ونظرائهم في الخارج². وهذا ماجعل الإستراتيجية السياسية الخارجية والدبلوماسية الأمريكية تأخذ بعدا ايدولوجيا آخر بعد أحداث 11 سبتمبر وتنشط على مجال أوسع طويل المدى إنطلاقاً من كون أن النشاط الدبلوماسي الأمريكي المكثف سيساهم في الوصول إلى تحديد أدق الأهداف والأولويات للسياسة الخارجية الأمريكية، وذلك بإعتباره أن هذا النشاط الدبلوماسي سيكون بمثابة عامل مساعد لكل التقدم الذي سيطرأ على مسارات السلام والحوار والتعاون بين الدول وذلك بإشتراك أطراف من غير الدول تساهم في تجسيد دبلوماسية من نوع آخر بطريقة غير رسمية يكون لها الدور الكبير في تعزيز وتفعيل أهداف السياسة الخارجية الأمريكية وإعطاء صورة عن رغبة أمريكا في وضع آليات التعامل الدولي والتعايش بين الشعوب تحت غطاء الديمقراطية ودعم الحريات المدنية لشعوب العالم.

¹ 'A Nation Challenged; Excerpts From the President's Remarks on the War on Terrorism', *The New York Times*, 12 October 2001, section U.S. <<https://www.nytimes.com/2001/10/12/us/nation-challenged-excerpts-president-s-remarks-war-terrorism.html>> [accessed 5 April 2017].

² مادلين اولبرايت و فين وبيبر، مرجع سابق، ص 5.

المبحث الثالث: الدبلوماسية العامة و الأمن القومي الأمريكي : المقاربات

النظرية

تعتبر الدبلوماسية العامة - كما رأيناها آنفا - أداة من أدوات السياسة الخارجية الهادفة عموما إلى تقوية الأمن القومي الأمريكي نظرا لنزعتها نحو ممارسة التأثير في محيطها الدولي و ترقية المصالح في الخارج، و هي بهذا الشكل وسيلة من وسائل خدمة المصالح في الخارج عبر التعامل مع الجماهير الأجنبية. لقد تناولت أدبيات العلاقات الدولية مسألة الدبلوماسية العامة في البيئة الخارجية للدول من زوايا الواقعية ، الليبرالية الدولية ، السوسيولوجيا الكونية ... الخ و هو ما سمح بمراجعة القراءات التقليدية لهذا المفهوم (الاتصال الاستراتيجي ، المسارات المزدوج للاتصال ، الاتصال العبر للحدود). لكن، تتعرض البيئة الدولية إلى تغيرات راديكالية سريعة جدا تمس جانبيين مهمين من وجهة نظرنا و هما ؛ الأول تحول البيئة الدولية إلى "مجتمع كوني" بفعل ثورة المعلومات وهو ما يستدعي استخدام مقارنة "سوسيولوجية كونية" sociological globalism لفهمها؛ الثاني ، نظرا لكون تعامل الدولة مع محيطها الخارجي يخضع كثيرا لاعتبارات الادراك كما تؤكد عليه بشكل بارز أعمال روبرت جارفيس Robert Jervis فإنه الدبلوماسية العامة كمنار processus يجب أن تفهم وفقا لاعتبارات بنائية constructivistes و ليست واقعية فحسب. سنركز في هذا المستوى من البحث على عرض نظري غير شامل بل مقتصر على ثلاثة من أهم المساهمات التي تأخذ في عين النظر الملاحظتين السابقتين، و هي ؛ الواقعية، الليبرالية (مطلب 01)، ثم سنحاول تقصي التيارات الايديولوجية الكبرى التي تعمل كمرجعيات إضافية تفسيرية للعمل السياسي الأمريكي (مطلب 02) . تسمح لنا قراءة هذه الأخيرة باستيعاب و فهم البنى الفكرية و التصورية الخاصة بالدبلوماسية العامة الأمريكية كممارسة و التي عرفت تمايزا واضحا في الأساليب و المضامين بين فترتي جورج بوش (2000-2008) و باراك اوباما (2008-2016) (مطلب 03)

المطلب الاول : الدبلوماسية العامة في النظريات الأمنية الكبرى

إن مسألة الل(أمن) ظلت و لا تزال تؤثر على المقاربة الأمريكية الخاصة بمصالحها - ذات الطبيعة الكونية و ليست الاقليمية فقط - و بالتالي بنمط الدبلوماسية العامة المعبئة لبلوغ هذه

المصالح. تتعامل الو. م. أ. مع مسألة الأمن بالكثير من الواقعية السياسية و هي المقاربة التي يترتب عنها مباشرة تعبئة شديدة لمفاهيم و تصورات جد واقعية بخصوص الاستراتيجيات الواجب اعتمادها بهذا الشأن، فمثلا تم الاعتماد على دبلوماسية عامة جد دعائية (نمط واقعي) في فترة الحرب الباردة المتميزة بسياسة واقعية تجاه الاتحاد السوفييتي. رغم أن علاقة الو. م. أ. لا تزال حبيسة النظرة الأمنية المحضة - و بالتالي حبيسة التصورات الواقعية و التي لا تزال تنعكس في أهم المفاهيم التي ينتجها كبار المنظرين الأمريكيين مثل جوزيف ناي و مفهوم **القوة المرنة** - إلا أن اقتراح تفسير يقصي الأبعاد الإدراكية للبيئة الدولية يعتبر محاولة غير كاملة لفهم الدبلوماسية العامة في المنطقة العربية. هذه الأخيرة تظل في الغالب محكومة بمنظومة مبادرات واقعية و براغماتية، لكن و نظرا لأن المنطقة العربية مختلفة تماما عن الو. م. أ. اجتماعيا، ثقافيا، سياسيا و تاريخيا، و هو ما يجعل من طرق التعامل مع هذه المجتمعات أمرا بالغ التعقيد، فإن للاعتبارات الإدراكية (التصورية) وزن ثقيل جدا في فهم السلوك الاستراتيجي العام تجاه هذه المنطقة. هناك إذن ضرورة ملحة تستدعي التقريب بين الرؤى البنائية في نظرية العلاقات الدولية و الدبلوماسية العامة، و هو ما سنعرضه بعد تقديم أهم المساهمات التقليدية.

1. المقاربات الكبرى للأمن في العلاقات الدولية :

أ. النظرية البنائية للأمن في العلاقات الدولية :

يمكن الحديث عن النظرية البنائية من خلال بدايات أعمال جيامباتستا و كراتوشفيل نهاية العام 1989 والكسندر وندت "Alexander. Wendt" في مقالته سنة 1989 التي عنوانها الفوضى هي ماتصنعه الدول: التفسير الاجتماعي لسياسة القوة *Amarchy is what the State Make of* ، والتي كان لها تأثير كبير في بناء النظرية البنائية غير أنه وعلى رغم حداثة هذا الاتجاه النظري إلا أن جذوره التاريخية عميقة وممتدة إلى قول مؤسسها جيامباتستا بأن العالم الطبيعي من صنع الله بينما العالم التاريخي من صنع الإنسان¹ ، وهذا دليل على إبراز قيمة **الأفكار في بناء** الظاهرة

¹ عبد الناصر جندلي، مرجع سابق، ص445.

الاجتماعية التي تستدعي الرؤية لها مناهج غير تلك التي تستخدمها العلوم الطبيعية والمستمدة أساسا من الفلسفة الوضعية .

ويمكن الإشارة إلى أن البنائية ظهرت على نقد النظرية العقلانية والتأملية وذلك من خلال:

1- حدوث تطور كبير في فلسفة العلوم الاجتماعية الأخرى .

2- ظهور مفاهيم جديدة في السياسة الدولية وهو ما يدفع إلى إيجاد مقاربات جديدة.

3- عجز النظرية الواقعية عن التعامل مع العناصر الفاعلة من غير الدول والحركات الاجتماعية .

4- فشل الواقعية والليبرالية في التنبؤ بنهاية الحرب الباردة بسبب إهمال الجوانب غير المادية في النظام الدولي والتغيرات الداخلية في المجتمع السوفياتي خصوصا بعد تبني سياسة البيروستريكا والglasnost فسقوط الإتحاد السوفييتي ليس فقط بسبب قوة الو.م.أ كما يدعى الواقعيين¹.

والنظرية البنائية في الدراسات الأمنية توظف مفهوم البنية كمحدد للسلوكيات في العلاقات الدولية وهي تولي أهمية لمسألة الهوية في تحديد الفعل السياسي والعلاقة الجدلية بين الفواعل والبنية الاجتماعية، وأن الدول والفواعل في العلاقات الدولية تحكمها بنية مادية تتمثل في تركيبة توازن القوى وبنية الاقتصاد العالمي بالإضافة إلى البنية المعيارية التي تحكم توجهات وسلوكيات الفاعلين في العلاقات الدولية. وتتعلق الفكرة الأساسية للبنائية من توظيف النظرية السوسولوجية في العلاقات الدولية بأن العالم الاجتماعي ليس معطى بل يتشكل ويتغير باستمرار كما يرى ذلك انطوني غيز. وتمثل البنائية تصورا وسطيا بين النظريات الوضعية والنظريات مابعد الوضعية حيث أشار اليكسندر وندت سنة 1992 بأن الأمن ليس مسألة حتمية بل مسألة إدراك و أن صناع القرار هم الذين يضعون هذا الإدراك و يجعلون جوانب مادية حقيقية حيث تصبح الحروب و النزاعات ضرورة في العلاقات الدولية وبالتالي فإن المأزق الأمني ليس ظاهرة حتمية بل هو تمثيل وتصور عقلي وبالتالي

¹ Dario Battistella, *Théories des relations internationales*, 3. éd. mise à jour et augmentée (Paris: Presses de Siences Po, 2009). P. 238.

يمكن إعادة بنائه لصالح الأمن والسلم عوض المصلحة الضيقة والحرب والنزاعات¹ وإن غاية الأمن حسب اليكسندروندت هو ماتريده الدول تحقيقه وفعله لا ماهو الحقيقة الفعلية، فالبنائية تقوم على مسلمات وتبحث عن مواضيع مختلفة كالهوية والخطاب السياسي، القيم الثقافية والحقائق وإدراكات صناع القرار وكل هذه المتغيرات تؤدي في تصورهم إلى تغيير الوضع الدولي من وضع نزاعي إلى وضع سلمي. لقد أعطى الكسندر مفهوما بديلا للمعضلة الأمنية التي صورها الواقعيون، فهو يطرح مفهوم الحماية الأمنية كبديل لحالة الفوضى الدولية وأن الأمن هو نتاج لبناء سياسي وانتقلت من الأمن من مستوى الدولة إلى مستوى الفرد وأن سوء النية أو الإدراك السيئ هو سبب النزاع فيتغير الإدراك بتحقق السلم والأمن فهو مرتبط بالفرد وإدراكه².

إن البنائية حسب اليكسندروندت هي منهج للعلاقات الدولية بحيث تطرح ثلاث مسلمات رئيسية هي :

1. . الدولة هي الوحدات الأساسية للتحليل.
2. تذاثانية " inter-Subyectivity " البنى الأساسية للنظام القائم على الدول.
3. تتشكل هويات ومصالح الدول في إطار نسق مترابط بفعل البنى الاجتماعية ضمن النظام فالبنائية تنظر إلى بنية النظام الدولي نظرة اجتماعية باعتبار أن الوحدات الأساسية المشكلة له تبنى على أساس التفاعلات الاجتماعية المستمرة التي تؤدي إلى سلوكات غير مستقلة في الغالب فهي تعبير عن مصلحة اجتماعية داخلية ولذلك ينظرون البنائيون بمنظار سوسيولوجي للدولة، حيث أن الأنماط السلوكية الدولية ماهي في النهاية إلا توزيعات اجتماعية تضمن الحد الأدنى المشترك بين التفاعلات الاجتماعية داخل دولانية أي أن السياسة الدولية تفهم بشكل تذاثاني* ويصبح هذا الاقتراب صحيحا في دراسة ظاهرة الأمن .

¹ Audie Klotz and others, 'Le constructivisme dans la théorie des relations internationales', *Critique internationale*, 2.1 (1999),. p. 56.

² إنعام عبد الكريم أبو مور، مفهوم الأمن الإنساني في حقل نظريات العلاقات الدولية، مقارنة معرفية، أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر، غزة، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، الدراسات العليا، قسم العلوم السياسية، ص125.

³ عبد الناصر جندلي، مرجع سابق، ص445.

فالنظرية البنائية تقوم على تصور أساسه البحث في التكوينات والتفاعلات الاجتماعية للفواعل لإدراك الحالة الأمنية كما تركز على أهمية الأفكار والقيم والمعايير حيث استخدم كاتزشتابن متغيرات ثقافية لتفسير أسباب عدم اعتماد ألمانيا على سياسة عسكرية رغم امتلاكها لتكنولوجيا متقدمة¹، كما أن البنائية ترجع سقوط الإتحاد السوفياتي إلى اعتماد غورباتشوف لأفكار الأمن الجماعي الدولي في سياسته الأمنية الجديدة وليس للمنهج التوزيعي للقوة أي التفوق النسبي للو.م.أ في عناصر القوة على حساب الإتحاد السوفياتي. وتجدر الإشارة إلى أن رواد البنائية قد اهتموا بدراسة الأمن والسلام وقد ركزت دراساتهم على ثلاث محاور أساسية:

1- أشار بعض البنائيين إلى ما يسمى بثقافة الأمن لدى بعض البلدان التي تحدد الرؤية والسياسات الأمنية التي تضعها هذه الدول فيما يتعلق بأمنها القومي ويحاول إتباع النظرية البنائية دراسة الأثر التراكمي لتشكيل نوع من الثقافة ملامحها الأساسية الأمن أي ان ارتكازاتها الأساسية المنطقية هي تحقيق الامن و السلام كأولوية للحكومة المركزية و هذا يقود الى تداول مفاهيم و قيم تتعلق بالأمن وتصبح هذه المفاهيم جزءا من الإطار الاج " البناء " الذي يتفاعل معه الأفراد وفي ظل ذلك التفاعل تصبح ثقافة الأمن هي العامل الأساسي في رسم السياسات للدول .

2- قام مجموعة من أساتذة العلاقات الدولية بتطوير تحت عنوان " التجمعات الأمنية" أو الجماعات الأمنية "Security Communities" مجموعة من الدراسات التي إستمدت من دراسات كارل دوتش كثير من الأفكار والمبادئ² وتوجد التجمعات الأمنية عندما تشعر مجموعة من الدول بتأسيس مؤسسات وهيئات للحفاظ على السلام والأمن داخل هذا التجمع وقد ميز الباحثون بين عدة أنواع من التجمعات الأمنية أهمها التجمعات الكبيرة التي يعكسها نظام الأمن الجماعي على الصعيد الدولي والنوع الآخر هو الأصغر أو التجمع الإقليمي الذي ينشأ عندما تجتمع مجموعة من الدول لتتنشأ نظاما مشتركا للأمن.

¹ عبد الناصر جندي، انعكاسات تحولات النظام الدولي لما بعد الحرب الباردة على اتجاهات النظرية الكبرى في

العلاقات الدولية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2005، 447.

² Emanuel Adler, 'The Spread of Security Communities: Communities of Practice, Self-Restraint, and NATO's Post—Cold War Transformation', *European Journal of International Relations*, 14.2 (2008), P196.

3- إسهام البنائية في الدراسات الدولية المتعلقة بالأمن والسلام وتتمثل في إنخراط مجموعة من البنائيين في الجدل المتعلق بالأمن القومي "National Security" هذا المفهوم الذي كان دائما يركز على الجانب العسكري ولاسيما خلال الحرب الباردة وذلك مع بروز كتابات باري بوزان " Barry Buzan" وريتشارد ألمان "Richard.Ulman"¹.

من ناحية أخرى ، ترى النظرية البنائية أن التفسير الواقعي البنيوي للمعضلة الأمنية هو تفسير مطلق للعلاقات الأمنية في السياسة العالمية فأقرار الواقعيين الجدد بأن التهديد واحد في كل الحالات غير صحيح دائما لأن عنصر الإدراك الجماعي يتحكم دوما في تشكيل التهديدات وتوجيهها. وقد انطلقت النظرية البنائية في تقديم بديلها الأمني من خلال النقد الشديد للمنظور العقلاني حيث تأسست هذه المقاربة البنائية للدراسات الأمنية على أساس تفكيك مزدوج ل:

- علاقة الهوية بالمصلحة وكيف يدفع ذلك إلى تشكيل السلوكات الأمنية للفواعل وليس الفوضى كما تقره الواقعية البنيوية عند طرحها للمعضلة الأمنية.

-الفوضى هي ماتصنعه الدول كما قال الكسندرونندت وهي ليست وضعا مسلما به لأنها نتيجة وليست سببا² .

وعموما ، فإن رؤية البنائيين للدراسات الأمنية أنها منظومة تفاعلية اجتماعية وليست ميدانا جامدا يكتفي برصد العلاقات المادية بين الوحدات الأساسية في النظام الدولي فبالنسبة لهم فمفهوم الأمن هو مفهوم أناركي أي أن معناه وقيمه تعتمد على ما تجعل منه الدول وكما قال الكساندرويننت " Aleksander.Wendt " أناركي هي كما يراها ويجعل منها الفاعلون أو الدولة " ، إذن فهو مفهوم يعتمد على عملية البناء الناتجة عن تفاعل الدول مع البناء الاجتماعي في النظام الدولي.

ب. المنظور الليبرالي :

¹ Ibid, p.197.

² جون بيلس ، ستيف سميث ،مرجع سابق، ص 397.

تقوم النظرة الليبرالية على فكرة خضوع الدول لقواعد القانون الدولي العام ودور القانون الدولي في ضمان وصياغة الأمن والسلام العالمي فالتصور الأساسي الذي تنطلق منه الليبرالية هو إمكانية تطبيق مبادئ العقل والعقلانية في تطريح الطبيعة والمجتمع الدولي لخدمة المصالح الفردية والجماعية بما يسمح بتوسيع أفق الحرية والمساواة¹. ويمكن الحديث عن النظرية الليبرالية في الدراسات الأمنية من خلال كتابات كل من مايكل دويل "Michael.Doyle" وبروس راست "Russet Bruce" من خلال تأكيدهما على أن التحليل الأمني يجب أن يستند إلى المتغير الديمقراطي لأن إنتشار الديمقراطية وترسخها على مستوى الدول وأيضاً على مستوى بنى النظام الدولي من شأنه أن يكرس أطر السلام الدائم التي تفتح المجال أمام مسارات جديدة للسياسة الدولية تكون الصفة التعاونية سيمتها الرئيسية بعكس حالة الصراع الدائم التي صورها الواقعيون. ويبين التصور الأمني لهذا الاتجاه إستناداً لفكرة طرح السلمي الديمقراطي الكانطية والتي مؤداها أن الدول الديمقراطية لا تذهب إلى الحروب وهي الفكرة التي تبناها وودرو ويلسون مع بداية القرن العشرين لتفادي إندلاع حرب عالمية فوجود سند داخلي للسلام والرقابة المجتمعية على أعمال الحكومة والتمثيل غير المتحيز لمصالح خاصة وتحمل متكافئ للأعباء في تنظيم السياسات تؤدي إلى تلاقح إندلاعات النزاعات بشكل حتمي².

وتجدر الإشارة إلى أن الليبراليون يختلفون حول ما إذا كان الأمن والسلام هو هدف السياسة العالمية كما يختلفون أيضاً حول كيفية إقامته فهل يكون من خلال الحكومة العالمية أو الأمن الجماعي أو التجارة العالمية كما أنهم منقسمون حول كيفية استجابة الدول الليبرالية للدول أو الحضارات غير الليبرالية فظهر بذلك مذهبان ؛ المذهب الدولي الليبراليو يقوم على مبدأ أن النظام الطبيعي قد أفسدته سياسات نظام توازن القوى بالإضافة إلى رفض فكرة همجية العلاقات الدولية أو كما وصفها كانط كحالة الوحشية " التي لا تخضع لأي قانون ويرى أيضاً أن بإمكان العقل أن يحقق الأمن والحرية والعدالة كما دعا إلى إنشاء عقد فيدرالي بين الدول لإلغاء الحرب وهذه الفيدرالية تماثل معاهدة السلام دائماً عوضاً عن طرف فاعل " دولة عظمى وحكومة عالمية "؛و المذهب المؤسسي الليبرالي والذي يقوم على التشكيك في قدرة الدولة على أن تحقق الأهداف الليبرالية والمتمثلة في

¹ المرجع نفسه. ص 244 .

² المرجع نفسه ، ص248.

النظام والعدل والأمن حتى لو توفرت الإدارة فبعد قيام الحرب العالمية الثانية وفشل عصبة الأمم واستبدالها بمؤسسة دولية أخرى تكون مسؤولة عن السلم والأمن الدوليين وإنشاء هيئة الأمم المتحدة وإقرار نظام النقض " حق الفيتو " وهو ماشكل أنموذجا جديدا للأمن الجماعي¹. وتؤكد الليبرالية المؤسسية على أن المؤسسات الدولية تؤدي دورا جوهريا في تحقيق الأمن الدولي وحتى تعزيز الأمن الداخلي وذلك عندما أصبحت تملكه من صلاحيات وعناصر تسمح لها بضبط بعض الجوانب في المسائل الداخلية كنتاج للتحويلات التي مست السياسة العالمية والتي لم تعد تجعل الدول تتصرف بشكل منفرد في سياستها الداخلية وخاصة بعد أن كان التصور الواقعي للأمن الدولي قد أهمل دور المؤسسات الدولية في التقليل من حدة النزاعات².

من جهة أخرى فإن المنظور الليبرالي يركز على العلاقات بين الدول والمجتمع وأثرها على السياسة العالمية وهو يقوم على ثلاث إفتراضات:

- أ. الأفراد والجماعات في المجتمع المدني الوطني وعبر الدولي يشكلون الفاعلين الأساسيين في السياسة الدولية.
- ب. كل المؤسسات السياسية بما فيها الدولة، الأمة تمثل مصالح بعض وليس بالضرورة كل أطراف المجتمع الذي يخضع لحكمها.
- ت. سلوك الدولة يعتبر محدد المستويات النزاع والتعاون الدولي يعكس طبيعة وشكل مقاصد الدولة وخياراتها .

لذلك فمبررات تباين النماذج التفسيرية الليبرالية لحالتي الصراع والتعاون الدولية هي إستنادا إلى الجوانب التي يتناولها كل نموذج بخصوص العلاقة بين الدولة والمجتمع³.

¹ Andrew Moravcsik, 'Federalism and Peace: A Structural Liberal Perspective', *Zeitschrift Für Internationale Beziehungen*, 3.1 (1996), p. 123
<<http://www.jstor.org/stable/40844135>> [accessed 13 June 2016].

² Idem.

³ John Boy and Stive Smith, *the Clolealization of World Plitic : An Introduction to international Relations*. OXFORD University Press, 2000, p309.

كما يعتبر السلام والأمن بالنسبة لليبيراليين الحالة العادية للأشياء وحسب كانظ فإن السلام والأمن يمكن أن يكون أبديا وتملى قوانين الطبيعة والإنسجام والتعاون بين الناس¹. وتجدر الإشارة أنه في خضم هذا الجدل يرمز مفهوم الأمن الإنساني الذي يعبر عن جوهر الدراسات الأمنية بحيث يجب أن يكون الإنسان وليس المادة وهذا ما يعرف بالأمن الإنساني "Human Security" حيث كان المنطلق الفكري الذي يبنى عليه إتباع هذا التيار الجديد هو ما الذي تحاول أن تحافظ على أمته بمعنى آخر ماهو موضوع الأمن؟ بالنسبة إلى أتباع هذا التيار موضوع الأمن هو الإنسان وإذا كان الهدف هو أمن الإنسان فإن مصادر الخطر في هذا المجال متعددة (الإحتباس الحراري، التمييز العنصري، وانتهاك حقوق الإنسان) فهذه الموضوعات يجب أن تؤلف جزءا من الاهتمام والدراسات الأمنية وفي هذا الإتجاه يكتب أوليه ويفر "Ole Weaver" وباري بوزان "Barry Buzan" أن الأمن يجب أن يشكل قطاعات أخرى مثل الأمن الاقتصادي والاجتماعي للإنسان² وهذا ماتبنته النظرية الليبرالية من خلال منهج السلام الديمقراطي وشجعت على الحرية والملكية الخاصة والتنافس الاقتصادي الحر مما يكفل الأمن المعيشي للأفراد والتالي الأمن الجماعي الذي يتحقق من خلال الأمن الإنساني .

من هذا المنطلق تعددت مجالات الليبرالية في مجال الدراسات الأمنية بحسب النشاط الإنساني ذلك أن الليبرالية هي مفهوم شمولي يتعلق بإدارة الإنسان وحرية لتحقيق الإدارة فكل نشاط بشري يمكن أن تكون ليبرالية داخله فيه من هذه الزاوية وبهذا الإعتبار فإن خصوصية الليبرالية عامة أنه يرى في الحرية أصل الإنسانية الحقة وباعثة التاريخ لاسيما في الدراسات الأمنية حتى أصبحت نظرية متعددة الاتجاهات والأطر الفكرية حيث أن التصور الليبرالي يتبنى إستومولوجية وضعية مصنفة ضمن الإتجاه العقلاني في نظرية العلاقات الدولية ويلغي الصراع بين السادة والعييد بإعتبار أنهم سادة أنفسهم وبهذا يكون لها تأثير مباشر على العلاقات الدولية ذلك أن الديمقراطيات الليبرالية تبدل الرغبة غير العقلانية في الاعتراف بالدولة أو بالفرد برغبة عقلانية في الاعتراف على أساس من

¹ سكوت بورتشيل، مرجع سابق، ص95.

² Poarry Bozan, the Evolution of international.Security Studies, Cambridge University Press, New york. 2009. p16.

المساواة والسلام والأمن وكلما زاد عدد الدول الليبرالية زاد الاعتراف بشرعية الدول الأخرى وبالتالي التقليل من حافز الحرب وإحلال السلم والأمن¹.

ج. - نظرية ما بعد الحداثة : "Post modernism theory"

كان لإنهاء الحرب الباردة تغيير في النظام الدولي الجديد وتقلص الحدود بين الدول وظهور تهديدات جديدة للأمن هذا التغيير أدى إلى الحديث عن مواضيع جديدة كحقوق الإنسان والتنمية الإنسانية ومدى تأثيرها على السلم والأمن الدوليين التي لم يكن الاهتمام موجه إليها أثناء القطبية الثنائية حول كان التفكير منصبا حول القوة المادية والأمن الصلب في حين أصبح الفقر والإجرام والأوبئة والإنفجار الديموغرافي تهدد بقيام الدولة والنظام الدولي بأكمله وتحول الاهتمام بالنزاعات الداخلية التي تشترك في ظهورها الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحدودية والعرقية والتي تؤدي إلى الانتشار اللامحدود للفوضى والتي تتطور داخل المجتمعات نفسها. وإنطلاقا من هذه التغيرات التي عرفها العالم والتي كانت ذات طابع دولي أصبح من الضروري تبني عقيدة أمنية جماعية جديدة تتناسب مع طبيعة التحديات المعاصرة التي ميزت فترة ما بعد الحداثة حيث لم تستطع العديد من الدول التغلب على التهديدات التي تتعرض لها وبالتالي محاولة بناء مفهوم أمني أكثر توسعا يستطيع التحكم في هذه التهديدات هذا الوضع الجديد للعالم أدى إلى بناء مفهوم جديد للأمن يراعي مختلف الأبعاد والزوايا بالإضافة إلى تكملة وتصحيح النقائص التي عانى منها المفهوم التقليدي للأمن². وإذا كان تشكيل نظام دولي جديد و بروز الو.م.أ كقوى عالمية مهيمنة وتفردا في رسم المشاهد السياسة الدولية هي أبرز الانعكاسات السياسة والإستراتيجية لنهاية الحرب الباردة فإن تداعيات هذا الحدث على المستوى التنظيري للعلاقات الدولية برزت على مستويين:

- التحول في وحدات العلاقات الدولية حيث لم تعد الدولة الفاعل الوحيد والأساسي نتيجة لمزاحمتها من قبل عدد جديد ومتزايد من الوحدات.

¹ فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والرجل وخاتم البشر، مرجع سابق ص، 174.

² Paul D. Williams, Security Studies: An introduction, London ; Routledge, 2008, pp.106.107.

- التحول في موضوع العلاقات الدولية وهنا غلب العامل الاقتصادي على المتغيرات المركزية الأخرى كالمغيرات السياسية والاجتماعية.

لقد قاد هذا التحول إلى بروز نظريات ومقاربات جديدة حاولت تقادي القصور المنهجي والفكري الذي وقعت فيه النظريات التقليدية وظهرت نظرية ما بعد الحداثة التي نركز في تحليلها على عنصرين: المعرفة، والحقيقة¹ عبر مراجعة مفهوم الخطاب في فهم سلوكيات الدول وسياساتها و التي كان من روادها ديريدا « derida » و فوكولت "faucault" و بودريلار « boudrilard » و ليوناردو « léonardo » . ورغم هذا الامتداد فإن بروز نظرية ما بعد الحداثة كنظرية في حقل العلاقات الدولية قد ظهرت في سنوات الثمانينات من القرن الماضي من خلال ترجمة كتاب " الوضع ما بعد الحداثي" لجون فلانسوا ليوتار إلى الإنجليزي عام 1984م فمفهوم ما بعد الحداثة لتصور عام للأشياء يشير إلى نسق عام من الأفكار المتعلقة بمجموع متساوي من المواضيع التي انتقلت من الهندسة إلى النظرية الاجتماعية. أما ما بعد الحداثة كنظرية فإنها تفضل أن توصف بأنها موقفا وليس اتجاه نظري بعينه إذا أنها موقف نقدي للتحديث لذلك يطلق عليها رونالد بلاكي صفة التحول الجميل "esthetic Turn"².

ويعترف المفكرون والباحثون ذو التوجه المابعد حداثي في مجال العلاقات الدولية أن المفاهيم الأساسية في الحقل مثل الدولة والسيادة والقوة والأمن قد تشكلت وتطورت في ظل ظروف تاريخية معينة وتحديدا في ظل هيمنة الدول الأوروبية على العالم وعليه فإن العلاقات الدولية المعاصرة، نظرية وممارسة تعكس خبرة أوروبية خالصة، لذا فإن مهمة التحليل ما بعد حداثي هي تفكيك المفاهيم الأساسية للحقل واستبدالها بحقائق ومفاهيم تعكس فكرة التعدد والإختلاف³. وعلى هذا الأساس قدمت نظرية ما بعد الحداثة إسهامات قامت على نقد البناء الواقعي حيث قدمت منظورها الأمني إنطلاقا من نقد الطرح الأمني الواقعي أو ما عبرت عنه بالخطاب الأمني للواقعية الذي يعكس دلالات سلبية

¹ عبد الحي وليد، تحول المسلمات في نظريات العلاقات الدولية، مؤسسة الشروق للإعلام والنشر، الجزائر، الطبعة الأولى، 1944، ص449.

² جندلي عبد الناصر، مرجع سابق، ص449.

³ Robert O. Keohane, 'International Relations Theory: Contributions of a Feminist Standpoint', *Millennium*, 18.2 (1989), p 245.

بخصوص اتجاه ومضمون الدراسات الأمنية¹. كما يجب أن نشير إلى أنه لا تزال إسهامات ما بعد الحداثة في تطوير نظرة أو تصور بديل للسياسة العالمية لاسيما في مجال الدراسات الأمنية والتي أصبحت تهتم بتكثيف النقد الإبيستيمولوجي والمنهجي لتقويض أسس الفكر الإنساني المهيمن الذي كان نتاج المشروع التنويري الغربي القائم على الفلسفة الوضعية والمناهج التجريبية العقلانية وبذلك يسعون إلى إعادة النظر في كثير من المفاهيم في مجال العلاقات الدولية. و هنا يمكننا الإشارة إلى عاملين أساسيين في فهم التفسير المابعد حدثي للدراسات الأمنية :

1- البديل للخطاب الأمني الواقعي هو خطاب أمني جماعي يركز على متغيرات التعاون والسلام والعدالة والفهم المشترك من جهة ويعمل على نزع بذور التفكير الواقعي المغروسة في أذهان الساسة والأكاديميين من جهة ثانية.

2- تصميم الدراسات الأمنية من خلال التركيز على القضايا الأمنية الجديدة التي أهملها الواقعيون فبخصوص النقطة الأولى يبقى لنا أن نعود إلى أحد الأسس الأبيستيمولوجية الما بعد حدثية لفهم خلفيات طرح فكرة الخطاب الجماعي².

وهذا يعني أن أنصار مابعد الحداثة يرون أن كل شيء قابل للتفسير وللتأويل من الأمن والقوة والفوضى والنظام الدولي، ذلك أن القيمة الأساسية للمقاربة النظرية هي خلق بيئة أمنية مستقرة ومسالمة إستنادا إلى خطاب تعاوني سلمي، ومن ثم فإن البناء الأمني المابعد حدثي حول طبيعة السياسة العالمية يبحث عن كيفية تغيير اتجاهات السياسة الدولية من خلال رسم مسارات التفاعلية جديدة بين الدول أي أنها تؤدي وظيفة تكوينية إنشائية لا تقف عند حدود وصفية تفسيرية، وبالتالي ضرورة إنفتاح الحقل على التعددية النظرية والفلسفية والاسيتمولوجية والمنهجية، وكذا الالتفات إلى الأبعاد المختلفة التي تحكم الحياة الإنسانية ككل، لذلك يقترح مفكروا مابعد الحداثة في تطوير خطابهم الأمني الجماعي اللجوء إلى الجماعات المعرفية " epistemic communities " لتشر

¹ Paul R. Viotti and Mark V. Kauppi, *International Relations Theory*, 5th edn (Boston: Pearson, 2011).p.20.

² Ibid. p19.

القيم الأمنية المشتركة والأفكار التعاونية والسلمية بين الدول لأن هذه الجماعات تعبر عن إدراكات موضوعية للسياسة الدولية .

2. - الدبلوماسية العامة في منظور المقاربات الأمنية الكبرى :

أ. - الدبلوماسية العامة الواقعية réaliste

تعتبر الواقعية أولى و أهم المصادر المحددة لتطور الدبلوماسية العامة كممارسة و كنظرية. تستند الدبلوماسية العامة الواقعية على مسلمتين رئيسيتين ؛ الأولى هي أن الدولة هي الفاعل الرئيسي و الأهم في النظام الدولي و الثانية هي أن سياسة القوة و الاعتبارات الأمنية الناتجة عنها هي أهم اهتمامات الدول في المحيط الدولي. ينتج عن هذا القول أن الواقعية باعتبارها تنظر إلى الدولة كفاعل وحيد أنها الفاعل الوحيد أيضا على صعيد السياسات الاتصالية و التعامل مع الجماهير الأجنبية و أنها تتعامل مع هؤلاء وفق لمنطق يحقق مصالحها ضمن أفق واقعي محض *realpolitik*. لكن ، يجب الإشارة إلى نقطة مهمة في الفكر الواقعي و هي أنه بالنسبة للواقعيين الكلاسيكيين فان الجمهور الأجنبي لا يعتبر الغاية المباشرة لنشاط الدبلوماسية العامة بل المستهدف النهائي هو الدولة أو مجموعة الدول المستهدفة ؛ إن المخرجات النهائية لأنشطة الدول يجب توقعها على صعيد سلوك الدول و ليس على سلوك الجماهير في حد ذاتهم. إذن يكمن الهدف من الدبلوماسية العامة لدى الواقعيين في " التأثير على سلوك الحكومات المستهدفة عبر التأثير في مواقف و انطباعات مواطني هذه الدول"¹. إن مثل هذه المسلمات لا تزال تلقى صدى كبيرا لدى المفكرين الواقعيين خصوصا بعد نهاية الحرب الباردة أين عرف العالم موجة انتشار للديمقراطية الانتخابية و التي يترتب عنها عناية أكبر بالرأي العام في العملية السياسية ككل و في سياسات التأثير التي تمارسها الدول

¹ Gifford Malone, Political Advocacy and Cultural Communication (Lanham, Md. : [Charlottesville, Va.]: University Press Of America, 1988). P. 03

الأجنبية على مسارات الانتخابات المحلية¹. للرأي العام الأجنبي إذن ثقل مهم جدا في رسم السياسات الخارجية للدول.

إن الواقعيين ينظرون أيضا إلى مسألة الأمن القومي باعتبارها ناتجة عن ادراك الدولة لمحيطها الخارجي و الذي يعتبر حسبهم فوضويا و مصدرا لعدم الثقة مما يخلق لديها ما يسمونه . "المعضلة الأمنية". يتم ضمان الأمن عند الواقعيين عن طريق تعظيم القوة و عليه فإن الدبلوماسية العامة يجب أن تكون في خدمة سياسات القوة و الأمن القومي. تعتبر الحرب و هي الحالة التي تترجم تصادم قوتين متعارضتين مصلحيا الشكل الخالص لسياسات القوة. كنتيجة لهذا فإن الواقعيين ينظرون إلى منافع الدبلوماسية العامة ضمن إطار الحرب و تتجسد عبر الدعاية الحربية. هذا ما أفرزته التجربة الحديثة من خلال الحربين العالميتين الأولى و الثانية ثم بعدها الحرب الباردة و استخدمت للتأثير في ذهنيات و نفسيات الخصم من جنود و مواطنين لتحقيق مكاسب سياسية بالمقابل. إذن و بهذا الشكل فالدبلوماسية العامة عند الواقعيين هي مرادف للدعاية الحربية أو ما يسمى حاليا بالعمليات النفسية. لكن ، أليست هذه المصطلحات مرتبطة اليوم بالبنى العسكرية للقوة و أن هناك أشكالا من الاتصال تمارس مع الجماهير الأجنبية تقودها هيئات مدنية ذات نجاح و رواج في حقل العلاقات العامة و التسويق.

من الناحية العملية نشأت الدبلوماسية العامة الأمريكية في خضم الحربين العالميتين الأولى و الثانية و كانت بالتالي دبلوماسية عامة واقعية و استمرت إلى فترة الحرب الباردة بنفس الشكل. إن ثقل الحرب الباردة على الو. م. أ. باعتبارها مترجمة "العالم الحر" كان قد وجه إلى حد كبير محتوى و أسلوب الدبلوماسية العامة الأمريكية و جعلها تصنف في الخانة الواقعية قبل كل شيء. في إطار المنافسة مع الخصم السوفييتي الذي يمارس دبلوماسية عامة واقعية أيضا فإن خبراء الاتصال المكلفين بالتواصل مع الجماهير الأجنبية تحولوا إلى خبراء دعاية في معركة كسب القلوب و العقول. لكن ، و خلال سنوات السبعينيات تحديدا و بفعل سياسات الاتفراج خلال الحرب الباردة فقد تلاشى

1 نلاحظ مثلا مع نهاية سنة 2017 و بداية سنة 2018 كيف أن هناك أصوات تجرم التدخل الروسي في نتيجة الانتخابات الرئاسية الأمريكية.

الاسلوب الدعائي للدبلوماسية العامة الأمريكية. يدل على هذا التحول بعض التقارير التي اشارت مثلا خلال العهدة الثانية لادارة الرئي كارتر إلى أن " زمن الاقناع الأحادي الجانب قد ولى و ترك مكانه لصالح الاتصال المتبادل و الاقناع المتبادل مع جميع الدول"¹. لكن ، فترة تجدد الحرب الباردة أو ما سميت بالموجة الثانية من الحرب الباردة عرفت عودة ادارة ريغان إلى " العهد الذهبي للحرب الباردة " و لكن أيضا الى "العهد الذهبي للدبلوماسية العامة الواقعية". منذ نهاية الحرب الباردة دخلت الدبلوماسية العامة الأمريكية في مرحلة جديدة من التكيف التدريجي مع مجموعة من السلوكات الحربية التدخلية التي ميزت فترة التسعينيات (التدخل في العراق 1991، التدخل في هايتي 1994 و الحرب في كوسوفو 1999). ظلت هذه الدبلوماسية العامة المتكيفة حديثا مع التغيرات الاستراتيجية الكبرى التي يعرفها العالم دبلوماسية واقعية أيضا، و هو ما أشار اليه الكثير من الكتاب و منهم ي. لورد الذي أعطى تعريفا مناسباً لها في فترة التسعينيات واصفا أياها "بأنها أقل خضوعا لاستراتيجية كبرى و لكنها أكثر نشاطا و اكثر عملياتية من فترة الحرب الباردة لأنها أكثر مساندة للمجهود الحربي في الخارج"². مع نهاية القرن العشرين و بالضبط سنة 1999 تحت ادارة الرئيس كلينتون عرف جهاز الدبلوماسية العامة أهم تحولاته الوظيفية حينما تم دمج الوكالة الأمريكية للاعلام تحت كتابة الدولة. لكن بعد هذا التحول المؤسساتي المهم أتت حرب كبرى أخرى للو. م. أ. لتغير الدبلوماسية العامة الواقعية من مرحلة عدم الخضوع لاستراتيجية كبرى إلى مرحلة خدمة استراتيجية كبرى و هي الحرب الشاملة على الارهاب. مباشرة عقب حوادث الحادي عشر من سبتمبر و ما اعقبها من حرب على افغانستان و العراق وضعت الدبلوماسية العامة مجددا في خدمة "الحرب الشاملة على الارهاب". من المفارقات في هذا التطور و هو أن فترة بعد 11 سبتمبر فإن العملية الاتصالية التبادلية التي أشار اليها كارتر في السبعينيات لم تعد سوى عملية أحادية الجانب تعرض لها بشكل خاص الجمهور في العالم العربي و الاسلامي و الذي لم يصبح شريكا بل متلقيا فقط.

¹ Jeffery Klaehn, *The Political Economy of Media and Power* (Peter Lang, 2010). P. 287.

² Carnes Lord, 'The Past and Future of Public Diplomacy', *Orbis*, 42.1 (1998), P. .69

ب. - الدبلوماسية العامة الليبرالية

لا ترى الليبرالية الدولية - على عكس الواقعية- أن الدولة هي الفاعل الرئيسي في النظام الدولي بل ينظر إليها على أنها فاعل من بين فواعل أخرى و أن دورها يتضاءل أكثر فأكثر. هذا لا يعني بتاتا أن دورها غير مؤثر بل لا يزال كذلك لكن فهمه يجب أن يتم في إطار تفاعلي مع فاعلين آخرين. ينتج عن هذا القول أن الليبراليين لا يركزون على المسائل الأمنية فحسب مثلما تفعل الواقعية، كما أنهم لا ينظرون إلى الأمن و المصلحة القومية بنفس المنظور الواقعي المتمحورة على اعتبارات عسكرية بل ينظرون إليه بمنطق اقتصادي ، إجتماعي و ايكولوجي أيضا. على هذا النحو تعطي الليبرالية اهتماما كبيرا للاتصال المعقد و المتعدد المستويات مع الجماهير الأجنبية (موضوع الدبلوماسية العامة) و مع باقي الكيانات الأخرى غير الدولة (خصوصا المنظمات غير الحكومية و الشركات الاقتصادية) الذين يعتبرون كأطراف شركاء في الاتصال. يعتبر الليبراليون بهذا الخصوص منذ كتابات كيوهين و ناي (مدرسة الاعتماد المتبادل في نهاية السبعينيات) أن العالم قد دخل في مرحلة جديدة من التطور تتميز بعالمية و شمولية الاعتماد المتبادل و التي لم تعد القوة العسكرية فيها القاعدة الوحيدة لسياسات القوة بل تصاحبها بقدر هام أيضا تلك القوة التي دعاها جوزيف ناي بالقوة المرنة. تعني هذه الأخيرة قدرة بلد معين على الحصول على يريده من الآخرين بواسطة قدراته على الجذب و ليس بالقهر في جميع أشكاله. تتضمن جاذبية دولة ما ثقافته القومية و منظومته القيمية المحمولة في سياساته المتبعة داخليا و خارجيا.

يكن درو الدبلوماسية العامة حسب الليبراليين إذن في خلق هذه الجاذبية لتقااة (القيم الثقافية) بلد ما أو منظومته القيمية (القيم السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية) أو سياساته بهدف ايجاد هذه البيئة الملائمة لتطویر المصلحة الوطنية للدولة¹. لكن ، و كما يشير المصطلح السابق (القوة المرنة) الذي يشير شطره الأول (أي القوة) إلى مفهوم واقعي بامتياز فإن هذه المقولة التي تتضمن تتبع المصلحة الوطنية لا يمكن أن تكون مسألة ليبرالية حصرية بل هي قضية واقعية أساسا. لكن، يوجد هناك اختلاف يكمن في أن ممارسة الدبلوماسية العامة تعتبر عملية اتصال معقدة تجري في

¹ Joseph Nye, 'The Velvet Hegemon', *Foreign Policy*

<<https://foreignpolicy.com/2009/11/02/the-velvet-hegemon/>> [accessed 13 June 2016].

بيئة معقدة لا تحتل فيها القوى الاتصالية الحكومية المسار الوحيد بل هي مسار من بين مجموعة مسارات دولية و اجتماعية و اقتصادية. إن الدبلوماسية العامة الليبرالية ترتبط أكثر بشروط القوة المرنة (المصادقية و الشرعية) التي بواسطتها تستطيع دولة معينة تحويل مقدرات قوتها المرنة إلى قوة مرنة فعلية. يشير جوزيف ناي في هذا الاطار إلى " أن جاذبية الو. م. أ. تعتمد على موارد مثل (الثقافة) و قيمها السياسية المتمثلة في الديمقراطية و حقوق الانسان و سياساتها الفعلية(التي تكون مؤطرة بشيء من التواضع و التعامل الحذر مع الآخرين ". إن الليبراليين لا يشكلون وحدة متجانسة فهناك من يفضل التركيز على السياسة الاتصالية للدولة من خلال اجراء الربط بين ما تنادي به الدولة (الأقوال و الشعارات) و ما تقوم به (السياسات الميدانية).

استطاعت الدبلوماسية العامة الليبرالية في الو. م. أ. أن تشكل لنفسها مقدرة تنافسية ضد الدبلوماسية العامة الواقعية. يشير الكثير من الكتاب بهذا الصدد إلى الرواج العالمي الكبير لمصطلح "القوة المرنة" مثلا كمؤشر على القدرة التنافسية للمسلمات الليبرالية مقابل المسلمات الواقعية. خلال سنوات 2000 و رغم صعود صورة الواقعيين المدعمة بعمليات الدعاية و عمليات التأثير النفسي المصاحبة "للحرب على الارهاب" فقد استطاع الليبراليون أن يوصلوا اصواتهم إلى المسؤولين الحكوميين سواء على صعيد الممارسة أو على صعيد الخطاب. لكن ، و منذ ظهور المصطلح فإن مفهوم القوة المرنة كان منتوجا أمريكيا خالصا تم توظيفه لدعم الزعامة الأمريكية على العالم عن طريق استخدامه في شرعنة السياسات القائمة. بهذا الشكل فإن الليبراليين الأمريكيين لا يبحثون سوى عن دبلوماسية عامة مهيمنة و عن قوة مرنة تستفيد من مزايا التفوق الاعلامي و التكنولوجي الأمريكي. لذلك فقد وردت في عبارات جوزيف ناي نفسه هذه الاشارات إلى "القيادة الأمريكية" ؛ فهو يرى مثلا أن الو. م. أ. هي من تمتلك (أ) الثقافة و الأفكار الأقرب من الثقافة المهيمنة عالميا و (ب) الأكثر تحكما في الأدوات و القنوات الاتصالية المسيطرة عالميا، و هو من وصف بنفسه سنة 2003 و سنة 2009 في مجلة *foreign policy* الدبلوماسية العامة الأمريكية باعتبارها جوهر لقوة المرنة الأمريكية بأنها غطاء الهيمنة *the velvet hegemon*¹.

¹ Joseph Nye, 'The Velvet Hegemon', *op. cit.*

المطلب الثاني: تأثير الايديولوجيات السياسية الكبرى على مضامين السياسات الأمنية الأمريكية

لقد أدى سقوط الإتحاد السوفياتي إلى تسارع الو.م.أ من أجل الاستمرار في التعبئة الداخلية داخل المجتمع الأمريكي إلى إيجاد بديل جديد بهدف الحفاظ على حالة القوة و التماسك الداخلي في الو.م.أ لأن غياب النقيض كما يرى المحللون الإستراتيجيون يؤدي إلى غياب المحفزات والعناصر المحركة للمجتمع ، وهكذا فإن حالة من التعب تصيب القوة الكبرى إذا فقدت القدرة على التمسك بهدف إستراتيجي يعمل بمثابة محرك لتنشيط وتعبئة مختلف القدرات المجتمعية¹. وقد بنيت النظرية الأمنية الأمريكية على العديد من الفرضيات التي حظيت بقبولية كبيرة لدى المفكرين المؤسسين عقب الإستقلال الوطني على إعتبار أن التهديد الأمني في تلك الفترة إتخذ صفة الإعتداءات العسكرية الخارجية ذات الطابع المباشر كما وجدت هذه الفرضيات صداها ضمن أطر التفكير الإستراتيجي الأمريكي لاسيما ذي الميل الإنعزالي فالإبتعاد الأمريكي عن قضايا المسرح الدولي وعدم الإنغماس في صراعاته أكسب صناع القرار رؤية إيجابية لمفهوم الأمن القومي الأمريكي خصوصا وأن التاريخ الأمريكي يفتخر للتجارب التي تعرضت فيها الو.م.أ لحالات التهديد الداخلي ذلك ما جعل الأمن الأمريكي يقف وفقا لإعتبارات التهديد الخارجي. ولقد ظلت هذه الإفتراضات مستحكمة على العقل الإستراتيجي الأمني الأمريكي حتى مع كسر سياسة العزلة الدولية التي كانت منتهجة فعلى الرغم من دخولها الحرب العالمية الأولى ظلت الو.م.أ ترى في مهمتها أداء إستراتيجيا و عسكريا لا بخلق تهديدا مباشرا لمنظومتها الأمنية . وفيما يلي سنحاول الكشف عن هذه المضامين الأمنية للسياسة الأمريكية من خلال توضيح أهم التحولات النظرية في السياسة الأمنية الأمريكية عبر متغيرات التهديد

¹ مفيد نجم، النظام الدولي الجديد: الإمكانيات وغياب الاستراتيجية والمعايير. الفكر السياسي، (دمشق ، اتحاد الكتاب العرب، 1999)، ص ص ، 206-207.

الأمني الذي تعكسه التيارات النظرية و الفكرية التي إستحكمت الفكر الإستراتيجي الأمني الأمريكي والتي كانت تعبر عن إدراكات إستراتيجية للمصلحة القومية الأمريكية .

1. تيار الانعزاليين Isolationnistes :

لقد كانت السياسة الخارجية الأمريكية في السنوات الأولى لتأسيس الولايات المتحدة إنعكاسا متطورا لمصلحتها الوطنية المتمثلة في تعزيز الإستقلال الوطني و البقاء بعيدا عن فوضى اوربا و حروبها، و كان الحياد سياسة حكيمة اعتمدها الاباء المؤسسون للتعاون مع فرنسا وبريطانيا وهو ماعبر عنه جينفرسون بالخط الوسط بين الطغيان على الأرض مشيرا إلى فرنسا والطغيان على البحر والذي كان يقصد به إنجلترا¹. لقد تزامن بناء الدولة الفدرالية الأمريكية مع مرحلة التوازن الأروبي والهيمنة البريطانية وهي أسباب فرضت العزلة عليها بحكم البعد الجغرافي وكذلك بسيطرة البحرية البريطانية في المحيط، وهذه الوضعية ساهمت في بروز توجه إنعزالي تغذيه أفكار مثالية صادقة ولكن بنظرة واقعية لرسم السياسة الوطنية فالعزلة هذا التوجه سمح بتعزيز الأمن القومي والسلام بعيدا عن اضطرابات أروبا². لقد عرفت الو.م.أ إنعزالية شبه تامة إلى أنها شهدت مرحلة إنتقالية في الفترة الممتدة بين 1901 و 1919 والتي شكلت المرحلة الإنتقالية من الإنعزالية إلى التدخل في الشؤون الدولية وكان ذلك خلال الحرب العالمية الأولى. وقد تميزت هذه الفترة الإنتقالية بحوار بين دعاة العزلة ودعاة المشاركة الدولية وتزامنا مع هذا الحوار بدأت الدبلوماسية الأمريكية تسجل حضورا محتشما على الساحة الدولية، وقد دار الحوار أساسا بين الرئيس تيودور روزفلت مؤسس مذهب المشاركة الدولية وبين وودرو ولسون ذو المذهب المثالي القريب من عقيدة مونرو ويعتبر جوهر الخلاف هو النظرة المبدئية لحالة الحرب والسلام على الصعيد الدولي إعتبار للحالة الحالية

¹ André Allix, les fondements de la politique extérieure des états unis librairie ARMAMD COLON. Paris, 1999.p43.

² هنري كسنجر، الدبلوماسية، هل تحتاج أمريكا الى سياسة خارجية نحو دبلوماسية القرن 21، الطبعة ، ترجمة :هند بهلول، دار الرأي،دمشق ، 2006 ص 30 .

هل هي الحرب أو السلم¹. وفي هذا السياق كان روزفلت هو أول رئيس يفصح بصورة لا موازية لها عن تبرئه من عقيدة مونرو الإنعزالية وموعظة الاباء المؤسسين بعدم جدوى التورط في نزاعات أوروبية. ويمكن الإشارة إلى أن مونرو التزم بمبدأ ليمنج الو.م.أ متعة الإنعزال وعدم التلوث بالتفاعل السياسي مع العالم القديم والإكتفاء بالعالم الأمريكي وحده ولا جدال في أن مبدأ مونرو صنع في التاريخ الأمريكي واحدة من أهم حقبة فلو انخرطت الو.م.أ مبكر في صراعات القرن التاسع عشر وفتحت العالم الجديد أمام صراعات الأوروبيين لكان من الممكن إجهاض تجربتها والحد من مكاسبها لذلك ليس من المستبعد أن إنعزالية مونرو كانت موطن رضي روزفلت نفسه في ظروف القرن التاسع عشر لكنها في ظروف القرن العشرين المتغيرة بدت له سياسة عتيقة لم يعد ثمة جدوى من الالتزام بها². وفي مقابل مبدأ مونرو كان مبدأ تجنب الأحلاف وهو المبدأ الذي نادى الرئيس جورج واشنطن Gorge Washington وقد جاء هذا المبدأ لإجتتاب التورط في سياسة الأحلاف والأحلاف المضادة التي طبعت سياسة توازن القوى الأوروبية حيث جاء في تصريح ألقاه جورج واشنطن عام 1796 أمام الكونغرس مايلي : أن سياستنا الحقيقية هي تجنب كل تحالف دائم مع أي حكومة أجنبية أي كان نوعها وإذا إقتضى الأمر التحالفات فيجب أن تكون قصيرة المدى وقد عقب هذا المبدأ مونرو اللذات كان يعكسان الإتجاه الإنعزالي المسيطر حتى القرن العشرين³.

ويمكن الإشارة إلى الإنعزالية الأمريكية لم تكن ذات أهداف برغماتية مادية فحسب بل أظهرت قيما ومبادئ أرادت الو.م.أ أن تبرز من خلالها كدولة مثالية محبة للسلام، راعية لشؤونها دون التدخل في شؤون الآخرين وترسخ بذلك مفهوم لدى الرأي العام مفاده أن السياسات الأوروبية تميل إلى العنف والرداءة والبؤس لأنها تهتم أكثر بالسياسة الخارجية وأن بناء قوة ديموقراطية نزيهة لا يجب أن تتشغل بالشؤون الخارجية. لذلك فقد كانت المهمة الأساسية لسياسة أمريكا الخارجية في أوائل

¹ هنري كسنجر، الدبلوماسية من القرن السابع عشر حتى بداية الحرب الباردة، ترجم مالك فاضل البديري، الطبعة 1 الجزء الأول، دار الاهلي للنشر و التوزيع 1995، ص.47.

² إبراهيم أبو خزام، أفواس الهيمنة: دراسة لتطور الهيمنة الأمريكية مع مطلع القرن العشرين حتى الآن، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2005، ص.28، 29.

³ زهير بوعمامة، أمن القارة الأوروبية في السياسة الخارجية الأمريكية بعد نهاية الحرب الباردة، دار الوسام العربي للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2011، ص.78.

القرن العشرين هي تحقيق مصير هذا البلد والبقاء دونما التزامات خارجية وعدم التورط في صراعات القوى الأوروبية ولكن هذا الإتجاه لم يمنعها من إتباع سياسات توسعية في نصف الكرة الغربية - القارة الأمريكية- وهو امتدادها الحيوي الطبيعي والمباشر ثم ذهبت أبعد من هذا حينما أعلنت ألا تتدخل في شؤون القارة الأمريكية وأن الو.م.أ ستعتبر كل توسع أروبي في أي بقعة من النصف الغربي للعالم خطرا يمس سلامتها وأمنها¹. وفي هذا السياق لا بد من الحديث عن مثالية ولسون والذي قدم رؤية شمولية لعالم مابعد الحرب ودعا إلى أول تنظيم دولي في العصر الحديث وحاول أن يؤسس عالم جديد يقوم على التعاون الدولي عوضا عن الصراع فأسس عصبة الأمم وتقدم بنقاط ولستون الأربع عشر الشهيرة وهي نقاط تتمحور حول تقرير المصير للشعوب الصغيرة وتسوية المطالب الإستعمارية تسوية عادلة والكف عن ممارسة الدبلوماسية السرية وتنظيم العلاقات بين الدول بموجب معاهدات علنية.

لكن ، و من ناحية أكثر واقعية فإن مثالية ولسون لم تستطع فرص نفسها إلى آخر الشوط حيث تمخض عن عالم مابعد الحرب العالمية الأولى نتيجتين ؛ الأولى ، تجدد الصراعات الأوروبية و الثانية هي عودة العزلة الأمريكية، حيث عادت الو.م.أ إلى عزلتها مبكرا ورغم أن العزلة هي العقيدة الولسونية إلا أن عزله كانت منبعثة من مذهبه مرتبطة بالصراعات الإنتخابية الداخلية². لذلك فإن كل الدوافع التي رسخت نزعة الإنعزالية لدى الأمريكيين كانت تتميز بالخطورة وتهديد لمصالح الأمريكية والتعارض مع قيمتها ومصالحها وهو ما تراه أخطر بكثير فأصبح الإعتقاد بأن اعتماد سياسة خارجية والإهتمام بها هو تعاهد مع الشر ومساهمة في عمل سيء لذلك فإن مبدأ العزلة بالنسبة للمصالح الأمريكية أخذ أبعاد معنوية وجغرافية وسياسية واقتصادية³.

وعلى هذا الأساس كان هناك نقاش بين التيار المؤيد للإنعزالية والمعارض لها فالعزلة لدى التيار الأول هي الالتزام بتقاليد الاباء المؤسس وحماية إستقلال الدولة وبالنسبة للمعارضين فهم

¹ زهير بوعمامة، مرجع سابق، ص80.

² إبراهيم ابو خرام، أقواس الهيمنة، مرجع سابق، ص، ص41، 46.

³ Graham H Stuart and others, *Conception américaine des relations internationales: diplomatie américaine* (Paris: Publications de la Conciliation internationale, 1935). P. 129.

يؤكدون على ضرورة أن تلعب الو.م.أ دورها العالمي في نشر مثلها وقيمها عبر التدخل في شؤون العالم ولم يكن الجدل بشأن سياسة العزلة التي إنتهجتها الو.م.أ داخليا فحسب بل امتد ليضع ردود أفعال دولية وهو ما صرح به القائد الفرنسي جورج كليمنصو " George clemenceau " لا أفهم الأمريكيين الذين ساهموا في إنشاء عصبة الامم ثم رفضوا الانضمام اليها " و كان رد الامريكيين بأن لكل دولة تقاليدها وعبادتها فإذا كان لفرنسا سياستها الأمنية وبريطانيا سياستها الإنعزالية المريحة فإن للو.م.أ سياسة العزلة فقط وكل تراجع عن هذه السياسة هو تراجع عن قيم تقليدية أسسها المفكرون الأوائل. ويمكن القول أن مرحلة الإنعزالية التي إستمرت عقدين من الزمان¹ انعكست عليها أقواس الهيمنة الأمريكية فقد تراجع القوس ولم تلعب الو.م.أ دورا يذكر في السياسة الخارجية لكنها بدت مستعدة للوثوب نحو قوس يتجاوز بكثير ماتحقق في الحرب العالمية الأولى.

2. تيار الهيمنة: Hegemonie

بحلول عام 1973 كانت السيطرة الأمريكية على العالم قد تدهورت من الذروة التي بلغت في أعقاب الحرب العالمية الثانية وأحد أبعاد هذا التدهور هو تقلص التحكم الأمريكي بالثروة العالمية فقد أشارت التقارير الى انه انكمش منه 50 بالمائة نصف هذا الرقم من جراء صيرورة الاقتصاد العالمي نظاما مثلت الأقطاب قوامه ثلاث مراكز قوى رئيسية هي أمريكا الشمالية أوروبا وقاعدتها اليابان وقد طرأت تغيرات إضافية على هذه البني ولاسيما مع صعود النمر الشرق آسوية ودخول الصين لاعبا رئيسيا في النظام العالمي². لقد كانت الو.م.أ قبل زمن طويل من نشوب الحرب العالمية الثانية، أعظم قوة إقتصادية على الإطلاق في العالم إن لم تكن لاعبا أساسيا في إدارة العالم وكانت لا تملك سيطرة إقتصادية كأسلحة فحسب بل وتحل مكانة أمنية لا تضاهي أيضا إذ باتت تسيطر على نصف الكرة الغربي والمحيطات التي تحف به فتحرك الأمريكيون على عجل لترتيب أمر النظام العالمي وقف خطط سبق أن وضعت إستجابة لحاجات الو.م.أ في عالم تعترم أن يكون لها فيه سلطان لا ينازع. و تجدر الإشارة إلى أن كل الدراسات التي تحدثت عن فكرة الهيمنة الأمريكية على العالم

¹ ibid. p . 130.

² نعوم تشومسكي، الهيمنة أم البقاء، السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ب ط ، 2004، ص 172.

لاسيما في مجال العلاقات الدولية هي ترتبط بين قوة ونفوذ الو.م.أ في مجال السياسة الدولية والعلاقات الدولية فكريا وممارسة وبين أدوات تحقيق المصالح الأمريكية على المستوى الدولي¹ من خلال كل مايطرحه من مفاهيم ونظريات يدعى أنها عالمية وعلمية وبالتالي يجعل من السهل جدا توقع إمكانية استمرار هيمنة النخبة الأمريكية على الحقل قياسا على إستمرارية قوتها ونفوذها في مجال العلاقات الدولية وكذا تضاعل إمكانية تغيير هذا الوضع².

إن الهيمنة الأمريكية على العالم لم تأت من فراغ فقد اعتمدت على موقعها الجيوستراتيجي ووجودها خلف محيطات شاسعة تفصلها والعالم مما يحفظ لها شيء من الأمن والاستقرار كما لا توجد دولة قوية تشكل خطرا عليها في إطارها القاري، فالو.م.أ تمتلك التماسك السياسي داخليا على الرغم من أن أصول مجتمعها ما هو إلا أقليات وأشتات من جميع أنحاء العالم كما أنها تحوز على تقدم تكنولوجي مذهل في مجال الأسلحة على إختلافها، حيث إستفادت الو.م.أ من رسم إستراتيجيتها العالمية من نظريات سابقة مثل التي وضعها الفريد ماهان Alfred Mahane، ونيكولاس سبيكمان Nicolas Spickman حيث أنها قامت بإستخلاص كل نظرية مما ساعدها في تدبير وتقادي ماوقع فيه سابقوها من أخطاء، وكل هذا جعل من الو.م.أ قوة مؤثرة في الساحة الدولية ولديها من الآليات مما ساعدها في الهيمنة على العالم في ظل القطبية الأحادية بزعامتها تحت مسمى النظام العالمي الجديد³. منذ 1989 سعت الو.م.أ إلى تطبيق سياسة إمبريالية لا توجهها أي قوة مضادة في النظام الدولي فكان إحتكار التفوق والهيمنة والحرص على عدم قيام قوة موازية هو هدف السياسة الخارجية الأمريكية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة وهذا ما أقره النبتاغون بالتنسيق مع كتابة الدولة ومجلس الأمن القوي في التقرير الإستراتيجي لمرحلة 1994-1999 والذي تضمن مايلي :

1- ضمان إستقرار النظام الدولي.

¹ Andrew J. Bacevich, *American Empire – The Realities and Consequences of U.S. Diplomacy*, New Ed (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 2004). P. 24.

² كنود إريك يورقنسن، نحو علم إجتماعي من ستة قارات، ترجمة عبد الله راقي، مجلة العلاقات الدولية و التنمية"، 6:4 ديسمبر 2003.

³ جمال قنان، نظام عالمي جديد أم سيطرة إستعمارية جديدة، المستقبل العربي، العدد 180، 1994، ص75.

2- تحقيق الأمن والرفاهية للأمريكيين .

3- ضمان التفوق الأمريكي في كل المجالات¹.

لقد ذهب العديد من المفكرين لاسيما في المجال الأكاديمي والعسكري والسياسي إلى توصيف الو.م.أ بالقوة العظمى الوحيدة في عالم مابعد الحرب الباردة والذين كانوا يمثلون الإتجاه الذي يدعو إلى إنفراد أمريكي بدور الريادة في السياسة العالمية الجديدة ولعب دور القوة المهيمنة ليس لأن الو.م.أ أصبحت الإمبراطورية المحورية على حد تعبير بيير ميلندري "Pierre Melandri" التي يدور حولها باقي العالم وإنما أيضا لأن العالم صار بحاجة ماسة إلى الو.م.أ أكثر مما هي بحاجة له². فإذا كانت المساعي الأمريكية للهيمنة تعود إلى حرب الإستقلال الأمريكي في القرن الثامن عشر فإنها قد مرت بمراحل صعود وهبوط متتالية لعل أبرزها ماتجلى في الفترة الممتدة بين عام 2001 و 2008 وذلك على أكثر من صعيد الأمر الذي أفضى إلى حدوث سخط محلي وعالمي على تلك الهيمنة تمخض بدوره عن جنوح قوى أو دول أو حتى كيانات دون مستوى الدول كالمنظمات المدنية غير الحكومية أو بعض الجماعات المسلحة لرفض تلك المساعي الأمريكية نحو الهيمنة بل والتصدي لها وتحديها قدر الإمكان، لذلك فإن نزوع الو.م.أ المستمر نحو الهيمنة على العالم وسعيها المحموم لبسط سلطانها عليه وإصرارها على التدخل في شؤون الدول وشن الحملات العسكرية ضد المارقين والمعارضين لتلك التوجهات الأمريكية أصبح يشكل ضغوطا هائلة على الو.م.أ وشعبها على نحو قد يضر بمصالحها المستقبلية لاسيما وأن تلك الضغوط تتضمن بين ثناياها أعباء سياسة وأمنية واقتصادية يمكن أن تنتقل كاهل تلك الدولة وترهق شعبها.

ولعل أبرز ما توحى به أحداث سبتمبر 2001 على صعيد تراجع الهيمنة الأمريكية على العالم هو المجال الأمني والإختراق الإستخباراتي للذين يمثلان جسد الإمبراطورية الأمريكية، ذلك أن كل أسباب القوة الأمريكية بما فيها أجهزة الأمن و الإستخبارات الفائقة و الكفاءة قد عجزت عن التنبؤ

¹ Thierry Meyssan 'La doctrine stratégique des Bush,' , Réseau Voltaire ,2004, <<http://www.voltairenet.org/article14489.html>> [accessed 14 June 2016].

² Serge SUR, 'L'hégémonie américaine en question', 2003 <<http://www.afri-ct.org/article/1-hegemonie-americaine-en-question/>> [accessed 14 mai 2016].

بمثل هذه الأحداث أو الحيلولة دون وقوعها كما أن مثل هذه الإعتداءات إنما تعكس في جوهرها زوال هيبة القطب الأمريكي العالمي المهيمن وتسيء إلى سمعتها ويشوه صورتها أمام شعبها وأمام العالم أجمع لأنه يتنافى والدور العالمي الخيري- المهمة الإنسانية السامية التي أخذت الو.م.أ على عاتقها تنفيذها باعتبارها القوة العالمية القائدة لهذا العالم فيما يعرف " بالهيمنة الرحيمة " أو السيطرة المفيدة التي تحقق إستقرار العالم وتضمن أمن شعوبه من خلال فكرة " الإستقرار بالهيمنة" الأمريكية لتوفير المبرر الأخلاقي للهيمنة على العالم²¹. ويمكن القول الهيمنة حسب هذا التيار لا تعني مجرد فرص التبعية على الآخرين وإمتلاك الكلمة الأولى في الشؤون الدولية بل هي تولي البيت في هذه الشؤون بصورة منفردة لا تسمح للآخرين سوى بالمشاركة المجددة لهم فإن هذا الإتجاه يناقض تماما الإنعزاليين بدعوته إلى سياسة أكثر تدخلية وأكثر شمولية في الشؤون الدولية، فالو.م.أ هي القطب الوحيد .

¹ Berch Berberoglu, *Turmoil in the Middle East: Imperialism, War, and Political Instability* (Albany, NY: State Univ of New York Pr, 1999). P.14.

3. - تيار الأمميون Les Internationalistes

حينما استلمت إدارة أوباما مهامها كانت هناك مجموعة من التيارات الفكرية المتميزة، وكانت كل واحدة تقترح توجهات متباينة للو.م.أ في مسألة الأمن، وتقترح هذه التوجهات تقوية الهيمنة الأمريكية حتى وإن اقتضى الأمر اللجوء إلى الأعمال العسكرية والوقائية والعمل على دعم الاستقرار الدولي باستعمال التفوق العسكري الأمريكي قبل كل شيء كوسيلة للردع و الاحتواء و تفضيل نظام دولي أكثر تعاوناً و أفضل تشريعاً باللجوء إلى قوة أمريكية جاهزة للعمل المشترك مع الأصدقاء و الحلفاء. ويمكن تقسيم التيارات الفكرية حسب هذا الاتجاه المسمى بالاتجاه الأممي أو الدولي (internationalisme) و التي تقترح شكلاً معيناً لإدراك مصالح الو.م.أ و سياساتها الخارجية و ذلك بالاستناد إلى مجموعة من المحاور التي تمكننا من إدراج عموم المواقف حول مختلف المشاكل السياسية الخارجية خصوصاً ما تعلق بها من مسائل الأمن و القانون الدولي و التجارة. إن تيار الأمميون لا يخرج عن هذه القاعدة و تبعاً لهذه الأسس يمكننا فهم التركيبة التي تتحكم في أفكار و مواقف منظري هذا التيار بخصوص ثلاث سجلات كبرى ؛ العزلة ، الديمقراطية و التعددية القطبية في النظام الدولي¹.

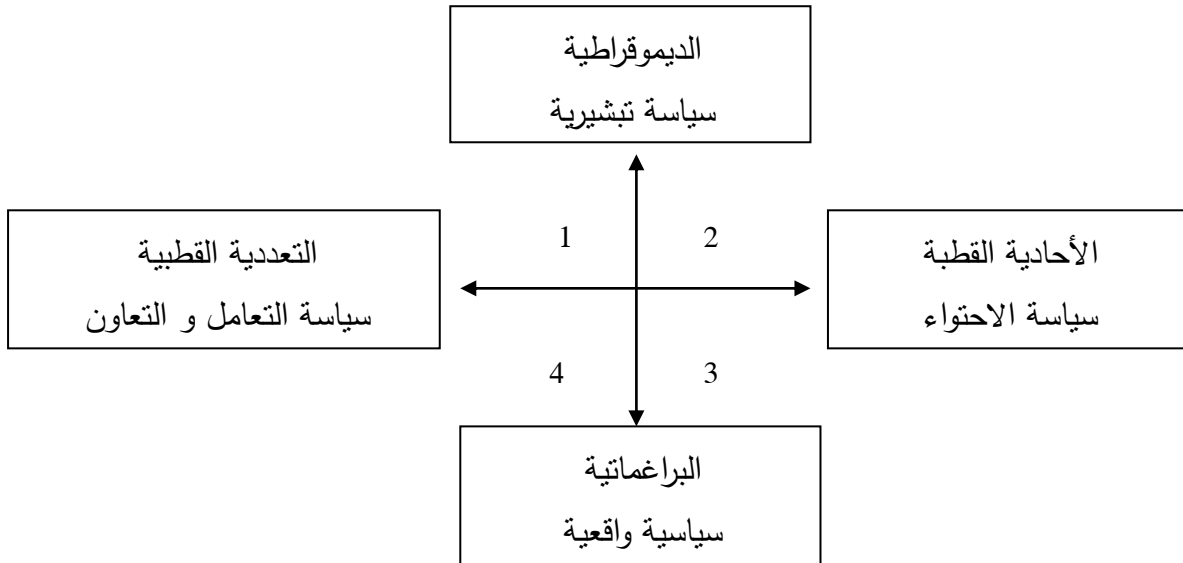
أ. - من العزلة إلى الأممية: و يذهب هنا تيار الأمميون إلى القول أن تيار العزلة و حتى في أشكاله الأكثر تطرفاً، أي الانسحاب المطلق من تسيير شؤون العالم، لم يعد لها قبول ملحوظ حتى لدى العامة من الناس خاصة في فكرة التقليل من الحضور الأمريكي في الساحة الدولية، فكان تيار الأمميون يدعون إلى استبدال هذه الفكرة بأشكال أخرى من التعاون العسكري تستند على فكرة تطوير التحالفات الدولية بحيث يكون للقوى الإقليمية دوراً بارزاً مع وجود تنسيق مع القوة الأمريكية، وهذا ما جعل جميع منظري السياسة الأمريكية يتواجدون في القطب الذي يسمى بالتيار الأممي أو الدولي " internationalisme".

¹ Justin Vaïsse, 'Les États-Unis sans Wilson. L'internationalisme américain après la guerre froide', *Critique internationale*, 3.1 (1999), p. 104.

Isolationnisme → internationalisme

أ. - الديمقراطية : حيث اعتمد فيها تيار الدوليين " الأميين " على محور التبشير الديمقراطي، فتبنى بذلك مهمة تبشيرية تسمح بتحديد الموقف حسب المحتوى حول أية مشكلة تواجهها السياسة الخارجية الأمريكية لذلك فقد أخذ بعض المفكرين مسألة المهمة التبشيرية لتيار الأميين محل الجد و هي مهمة عالمية متمثلة في نشر الديمقراطية و حماية حقوق الإنسان.

ج. - من أحادية القطب إلى تعددية الأقطاب : هذا المحور حسب تيار الأميين يتوافق مع الطريقة التي يجب التصرف بها مع مشاكل النظام الدولي و ذلك من خلال الدفاع عن العمل الجماعي و عبر المنظمات الدولية في تسيير علاقات الاعتماد المتبادل الموجودة في العالم و يعتبر هذا التيار أن الحوار مع الدول المتحفظة بشأن القوة الأمريكية هو أفضل طريقة لإحداث التحول المرجو ذلك أن مصلحة الو.م.أ في العمل الانفرادي لا تصلح للسيطرة على المواقف الصارمة. إن هذين المحورين الأخيرين، أي الديمقراطية - أحادية القطب و تعدد الأقطاب يعكسان في تفاعلها الشكل الآتي :



شكل 05 : موقع الأفكار الأممية في خارطة التيارات الايديولوجية الكبرى الموجهة للسياسة الخارجية الأمريكية

المصدر :

Justin Vaïsse, 'Les États-Unis sans Wilson. L'internationalisme américain après la guerre froide', *Critique internationale*, 3.1 (1999),p. 104.

يعكس مثل هذا الشكل التوضيحي أربع ملاحظات رئيسية حول المحددات الفكرية للسياسة الخارجية الأمريكية و هي ؛

أ. يمثل المربع رقم "01" في الشكل الاتجاه الولسوني التقليدي : يجب على الو. م. أ. باعتبارها زعيم عالمي أن تقيم نظاما دوليا ديموقراطيا خاضع لحكم القانون. هذا النظام لا يتحقق سوى بالمنظمات الدولية و سيادة القانون الدولي.

ب. يمثل المربع رقم "02" اتجاه الهيمنة *hégémonie* : لكي تستطيع الو. م. أ أن تنشر نموذجها المبني على حقوق الانسان و مبادئ حرة السوق لا يجب أن تضطر إلى التعاون مع عملاء متحفظين أو غاعلين بيروقراطيين يقفون كعائق أمامها، فلا بد لها بل يجب عليها أن تتصرف بأحادية إن اضطرت. يمثل هذا الاتجاه من الناحية المؤسساتية خصوصا "الكونغرس" الذي بات يعرف عنه معارضته المتزايدة للمنظمات الدولية و يمثله من الناحية الفكرية محافظون خصوصا أو من يسمون برثة الرؤية الريغانية و منهم ارفين كريستول و روبرت كاغان.

ت. أما الاطار الثالث و الرابع فهما الاطاران الخاصان بالواقعية و البراغماتية و ما يشار إليه هنا هو عدم وجود حدود فاصلة واضحة بين الاثنين إذ أن الاتجاه البراغماتي هو اتجاه واقعي في حد ذاته. ما يمكن تحديده كتمييز بين الاثنين هو مناداة الاتجاه البراغماتي بالتعامل مع المسائل الدولية بحسب الحالة الخاصة و السياق الخاص الواقعة فيه، فهو شكل من الواقعية غير المطلقة. تعكس البراغماتية حسب جوستين فايس نوع من الالتزام و التعاون الانتقائي *engagement sélectif*¹.

فهذه المحاور تسمح بصورة عامة بتحديد مضامين المواقف التي تقيمها الو.م.أ بخصوص النظام الدولي، و على العموم يذهب تيار الأمميين إلى تبني الأفكار التالية :

¹ Justin Vaïsse, op cit. p. 105.

- ✓ الو.م.أ يجب أن تقدم مصالحها السياسية والاقتصادية والأمنية من خلال بناء وقيادة نظام دولي ذو توجهات ليبرالية،
- ✓ النظام الدولي يعتبر متفردا بخلاف الأنظمة الامبريالية التي عرفت عبر التاريخ في السياسة الأمريكية و التي كانت محكومة بميزان القوى لأنه يستند إلى فكرة القانون والتجارة المفتوحة و الحرة والالتزام بنظم الحكم الديمقراطي،
- ✓ الو.م.أ لها مسؤولياتها في قيادة وتزعم هذا النظام الدولي من خلال خلق المنفعة، التزود بالأمن والأسواق المفتوحة وتعزيز التحولات السياسية،
- ✓ التحالفات، الشراكة والالتزامات المؤسسية لا تعيق القوة الأمريكية ولكن تجعلها أكثر فاعلية و شرعية و ديمومة.
- ✓ الالتزامات القوية في جميع مناطق هذا النظام من خلال الدفاع المتقدم عن التجارة و الدبلوماسية هو ما يلزم للحفاظ على هذا ولحماية المصالح الأمريكية¹.

مع مجيء أوباما إلى الرئاسة، تشترك الأدبيات في اعتبار أن الاتجاه الأممي البرغماتي هو السمة المميزة لسلوك ادارته، و منهم جون ايكينبري إيكينبري " ikanberry " - وهو أهم ممثلي الاتجاه الأممي - الذي يرى أن أمريكا ليست في تراجع بسبب أن المعارضين لسياسة أوباما يؤمنون بالتشكيك في استخدام القوة العسكرية، بل إنها أصبحت أكثر أممية لأنها تحتضن هامشا أكبر من الشركاء والالتزامات الدبلوماسية والمؤسسية التي تشكل النظام الذي تقوده الو.م.أ. كما يرى هذا المفكر أن التدخل العسكري يمكنه أن يقوض الجهود التعاونية الأممية كما بينته التجربة العراقية، ويمكنه أن يكسر زعامة الو.م.أ للعالم وسمعتها بخصوص قوتها وعلى هذا الأساس فإن إدارة أوباما تعتقد فعلا أهم مسلمات وقناعات التيار الأممي والتي قادت السياسة الخارجية الأمريكية خلال النصف الثاني للقرن العشرين وحتى الآن².

¹ Jacob Shively, *Hope, Change, Pragmatism: Analyzing Obama's Grand Strategy*, Palgrave Pivot (New York: Palgrave Macmillan, 2016).p.25.

² G. John Ikenberry, 'The Right Grand Strategy', *The American Interest*, 2010 <<https://www.the-american-interest.com/2010/01/01/the-right-grand-strategy/>> [accessed 16 June 2015].

على هذا الأساس يمكن توصيف السياسة الأمريكية في الوقت الراهن بأنها أممية براغماتية، ويتجسد ذلك من خلال استراتيجية الزعامة من الخلف "leading from behind" التي تحاول أن تتراوح بين المحافظة على المركز الريادي للو.م.أ في العالم و لكن عبر استراتيجية اقتسام الأعباء. من المهم جدا الإشارة إلى أن تيار الأممين لا ينفي فكرة الزعامة الأمريكية للعالم، فقد ذكر جوزيف ناي وهو الممثل الأكثر شهرة لهذا الاتجاه أن القوة الصلبة تأتي من الدمج بين القوة العسكرية والقوة الاقتصادية. وفي هذا الشأن فإنه لا بد على كل مذهب أمريكي أن يستمد قواه من القوة الصلبة والقوة المرنة حتى يتمكن من اكتساب شرعية على الصعيد الدولي. فالمنتجون إلى هذا التيار وأنصاره أمثال بربرا بوكسر " Barbara Boxer"، ورون فايد " Rone Fayder"، تاد كيندي "Tade Kenedy" يؤكدون أنه إذا كانت طريقة الحياة الأمريكية والأمن الأمريكي مهدد من طرف الإرهاب والدول المارقة وأسلحة الدمار الشامل فإنها مهددة على المدى الطويل بالنتائج الكارثية التي يولدها الفقر العالمي، و التغيير المناخي وبالنمو الفوضوي للمجتمع الدولي فهم يساندون الفكرة التي مفادها أن اللجوء إلى القوة كعنصر محوري للأمن القومي - سواء - باستعمال الحرب الوقائية أو بسياسة هيمنة واضحة لن يكون كافيا لصد هذه التهديدات على المدى القصير. كذلك على الو.م.أ أن تركز ميزانية أقل للقوة العسكرية أو القوة الصلبة والاهتمام أكثر بالقوة المرنة أي التعاون الدبلوماسي والاقتصادي، فالو.م.أ يجب أن تبقى قوة عسكرية قوية¹ عليها أن تكون قادرة على جمع التحالفات لحل المشاكل الكبرى للعالم و بناء منظومة دولية تكون هي من تديرها بهذه التحالفات القائمة، وهي الفكرة الأساسية لتيار الدوليين أو الأممين " internationalisme " .

¹ Korb Lawrence J. Article, traduit de l'anglais par Pootere Aurelie, la stratégie de sécurité national du président Obama ou la fin de 1^{er} Bush, politique Americane, 2010, n : 17, pp 13-14.

<http://www.cairn.info/revue-politique-americain/2/2010.pdf>.

المطلب الثالث : التطورات الاستراتيجية في السياسة الخارجية الأمريكية.

لقد حدث تحول مهم في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الكثير من بلدان العالم وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 خلال إدارة بوش الابن التي عملت إلى جانب تيار المحافظين الجدد على إستغلال تلك الأحداث حيث تغيرت الكثير من المفاهيم في العلاقات الدولية حيث أصبح العالم ينظر إلى ماحدث بأنه حدث يهدد الجميع، واستغلت أمريكا هذا الحدث لتثبيت قوتها وهيمنتها على العالم بجة ما أسمته محاربة الإرهاب وإنسياق العالم وراء هذه المفاهيم الأمريكية وأصبحت أمريكا أكثر هيمنتها على مجلس الأمن و بدت قراراتها جد أحادية تركزت بالخصوص في شعار " من ليس معنا فهو ضدنا " .

وفي هذا السياق فقد إهتمت دوائر المحافظين الجدد التي كانت تميز إدارة بوش بتأسيس نظام عالمي ذو مقدرة معيارية متفوقة يمكن فيه الو.م.أ من إنجاز إحساسها الخاص بالإستثناء ورغم كل هذا إلا أن أمريكا أدركت أنها لا تستطيع مجابهة تهديدات هذا القرن و أن العالم لا يستطيع مجابهة هذه التهديدات بدون أمريكا، ذلك أن الو.م.أ ستعدل أهداف سياستها الخارجية الأساسية وسيبقى تعزيز الأمن، الحرية وازدهار الشعب الأمريكي كهدف رئيسي ، وهذا مآظهر من خلال إدارة أوباما التي كشفت عن إستراتيجية جديدة للأمن القومي واعتبرتها إستراتيجية تبدأ من الداخل على إعتبار أن هناك مخاطر تهدد الأمريكيين على غرار ظاهرة الإرهاب الذي لم يعد التهديد الوحيد الذي تتعرض له أمريكا.

فيما يلي سنتطرق بالتفصيل إلى تداعيات الإستراتيجية الأمنية الأمريكية لأوباما محاولين تبيان التطور البراديغمي لهذه الإستراتيجية نظرا لأنها تمثل نوعا من القطيعة مع الفترة التي أعقبت مباشرة فترة مابعد أحداث 11 سبتمبر 2001 مع إدارة الرئيس الأمريكي بوش الابن.

1- فترة بوش الابن وتأثير المحافظين الجدد :

أشار وليام كريستول "William Kristol" ولورانس كابلان Laurance Kaplane في كتاب " الحرب على العراق " the war over Iraq أن سياسة بوش الابن هي أممبيريالية أمريكية مميزة

تحمل العناصر الإيجابية من الواقعية والليبرالية وفيها تزاوج بين القوة الأمريكية والمثل الأمريكية على طريقة تيودور روزفلت وهاري ترومان وجون كيندي ورونالدو ريغن وهي تتبع من الإستثنائية الأمريكية ومن الاعتقاد بفرادة النظام السياسي الأمريكي وفضيلته التي حين تترجم إلى سياسة خارجية فإنها تقدم النموذج الذي يحتذى به في كل العالم وهي إستثنائية يرفضها الليبراليون لأنها تتناقض مع النسبية الثقافية وهي أممية تسعى إلى السلام العالمي عن طريق القوة الأمريكية لا عن طريق المؤسسات الدولية¹. فقد إنتخب جورج بوش سنة 2000 رئيساً للو.م.أ عبر إنتخابات أثارت الكثير من الشكوك لدرجة أنها لم تكن مقنعة وعرف في الأشهر الأولى من حكمه بتجاهله للشأن الخارجي وتراجع شعبيته أمام أزمة إقتصادية وأغلبية غير مستقرة، فكانت أحداث 11 سبتمبر بمثابة المنفذ للرئيس من هذه الوضعية وهكذا وجد الرئيس جورج بوش فرصة لتوحيد الشعب الأمريكي من حوله عبر ما يسمى بالوحدة المقدسة *union sacrée* وهو مادفع به يوم 20 سبتمبر لإستغلال الموقف والتصريح بقوة " على كل دولة في هذا العالم أن تتخذ موقفا صريحا وواضحا إما أنها معنا أو أنها مع الإرهاب"².

ومن هنا كانت إدارة بوش تتم عن إنفراج دولي من القبضة الأمريكية التي ظلت مسيطرة على الساحة الدولية منذ نهاية الحرب الباردة وبيروز قوى دولية أخرى تعزز التوجهات الدولية التعاونية فكانت هذه السياسة ستقضي على نظام القطب الواحد لولا أحداث 11 سبتمبر 2001 فظهرت بذلك تطورات جوهرية ومهمة في المقاربة الأمنية الأمريكية³ وخاصة في السياسة الخارجية أهمها إنهاء ما عرف بنظرية الإستثناء الأمريكي حيث أيقن الساسة الأمريكيون أن أمريكا لم تعد بمنأى عن الإستهداف والهجوم، فقد إتضح أن ثمة تهديدات فعلية تهدد الأمن القومي الأمريكي قد تتسبب في تراجع هيمنتها و قوتها كقوة عظمى أحادية، ومن أجل ذلك أعلنت الو.م.أ الحرب على الارهاب بالقضاء على التنظيمات الإرهابية وإضعاف الدول الداعمة لها. وفي هذا الإطار فقد أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن في 15/03/2002 مقولته في دفاعه عن ميزانية الدفاع لسنة 2002 أنه

¹ الفضل شلف، العدوان على العراق والمحافظين الجدد " مجلة شؤون الأوسط، بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والوثائق، العدد 151، خريف 2004، ص42.

² Bruno Cabanes and Jean-Marc Pitte, *11 Septembre, La Grande Guerre Des Américains* (Paris: Armand Colin, 2003). P. 68.

³ هيثم مزاحم، السياسة الخارجية الامريكية بعد 11 أيلول ،شؤون الاوسط العدد 107 ،صيف 2002 ص175.

"على العالم المتحضر أن يأخذ على محمل الجد التهديد الإرهابي المتزايد على مستوى كارثي و علينا أن نمنع إنتشار أسلحة الدمار الشامل...و لن ندع الأنظمة الأخطر في العالم تتعاون مع قتلة لمحاصرة الأمة الأمريكية العظيمة"¹. لقد تغيرت سياسة التدخل الأمريكي فجأة وبشكل جذري على إثر احداث 11 سبتمبر، حيث أن ما سمي بمذهب بوش ترك علامة حاسمة على إستراتيجية الأمن القومي (NSS) للو.م.أ لعام 2002 حيث بنى هذا المذهب على العناصر التالية:

- أصبح الكفاح ضد الإرهاب الدولي الهدف السائد على السياسة الخارجية والأمنية الأمريكية.

- لم يصبح هذا الكفاح مشروعاً قصير الأمد لكنه بدل من ذلك صار مهمة ستتابع لسنوات عديدة قادمة.

- بسبب طبيعة التهديد فسيكون من الضروري أن تجلب الو.م.أ كل ال2002.توضع تحت تصرف هذا الكفاح والذي هي النقطة المركزية لإستراتيجية الأمن القومي (NSS) للو.م.أ لسنة 2002².

وتجدر الإشارة إلى مفهوم الحرب الإستباقية التي كانت تحولاً ملحوظاً في المنظومة الفكرية للسياسة الخارجية الأمريكية بعد أن تميزت بتطبيق مبدأ الردع والإحتواء في الفترة التي سبقت أحداث 11 سبتمبر، حيث دفعت التهديدات الجديدة التي تواجهها الو.م.أ بصقور البيت الأبيض ممثلين في تيار الإستباقية كأساس للحرب على الإرهاب وتقادي ضربات أخرى تهدد الأمن القومي واشتهرت هذه الحرب بأنها عقيدة بوش والركيزة الأساسية للإستراتيجية الجديدة. لقد قامت هذه الفلسفة على إعتبار أن النظريات الكلاسيكية لم تعد صالحة ومواكبة لمستوى التهديدات التي تعرفها البيئة الأمنية الأمريكية ويات من الطبيعي اعداد إستراتيجية للدفاع قائمة على منع المنظمات الإرهابية والنظم الداعمة لها من الحصول على أسلحة بيولوجية كيميائية أو نووية من شأنها تهديد للعالم. من هذا المنطلق فقد آمن جورج بوش وإدارته بإستراتيجية الحرب الإستباقية و أعتبر أن الو.م.أ قوة

¹ محمد بوبوش، 'إدارة بوش والحرب على الإرهاب'

[accessed 13 June 2015]. <<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=147522>>

² اسكندر وولف. تدخلات الولايات المتحدة الأمريكية في الخارج: ظهور مذهب باول؟ ص ص 45-46.

عالمية متفوقة عسكريا واقتصاديا وتفاقيا مما يجعلها تعرض نموذجا على دول العالم بشكل آمن وبادر إلى غزا أفغانستان والعراق لتكونا نموذجين لتطبيق تلك السياسة¹.

لقد قامت الحرب الإستباقية حسب عقيدة بوش على مايلي :

- 1- إستباق التهديدات الخارجية بشن الحرب؛
- 2- نشر المبادئ الأمريكية في العالم بما يؤدي إلى تغيير الأنظمة التي لا تتناسب مع هذا المثل؛
- 3- تطوير القوة الأمريكية لتبقى متفوقة بحيث لا تستطيع أي قوة أخرى أن تضاهيها²؛

لذلك فإن الأمن سيتطلب أن يكون كل الشعب الأمريكي جاهزا للعمل الوقائي عند الضرورة للدفاع عن حريته وحياته، فهو يمكن أن يشعر بالأمان فقط عندما يزال الإرهاب العالمي بالإضافة إلى خطر الهجوم النووي من قبل الدول المارقة وقد أعطي هذا بطبيعة الحال شرعية للتدخلات الوقائية بسبب أن الدفاع ضد الإرهاب وتهديدات القرن الحادي والعشرين المتصاعدة الأخرى يتطلب أفضل دفاع ويجب أن يكون الهجوم الجيد.

لقد كان لتيار المحافظين الجدد تأثير كبير على السياسة الخارجية الأمريكية و على رسم توجهاتها المستقبلية والتي شكلت المنظومة الفكرية لها خاصة وأنهم أصبحوا يحتلون المراكز الأساسية للنفوذ في السلطة الأمريكية مع مجيء جورج بوش الابن إلى السلطة. يتميز هذا التيار بكثير من العقلانية وبروز النزعة الإنعزالية في بعض الأحيان، إلا أن التهديدات الجديدة وتأثيرها على التفكير والعقلية الأمريكية ونظرتها للعالم وكذلك على المفاهيم التقليدية للأمن القومي أعطى دعما قويا لفكر المحافظين الجدد ومنطلقاته الإستراتيجية، حيث تزامن مع بلوغ معظم قيادات التيار مقاليد السلطة وضع القرار في إدارة جورج بوش الابن الذي مكن التيار من تطبيق مبادئه وتحقيق أهدافه وتنفيذ

¹ السيد أمين شلبي، أمريكا و العالم متابعات في السياسة الخارجية الامريكية، الطبعة الاولى علام للكتب،بيروت ، 2005 ص127 .

² صبري فارس الهيتي، العالم الإسلامي والمتغيرات الدولية من وجهة نظر جيوبوليتيكية، الطبعة الأولى، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2005، ص441.

إستراتيجياته التي تتمحور أساسا حول الحفاظ على القوة الأمريكية وهيمنتها الفردية على العالم واستخدام كل الأدوات العسكرية وغيرها لتحقيق مثل هذا الغرض مع عرض القطيعة مع الأنظمة غير الديمقراطية¹. بالرغم من هذا النفوذ الفكري و السياسي إلا أن المحافظين الجدد ليسوا قوة سياسية بذاتهم بقدر ما هم قوة سياسية بالظروف السياسية التي اتاحت لهم وللرئيس الذي يستمع إليهم ويتعاون معهم و ينفذ خططهم، فتأثير المحافظين الجدد على السياسة الأمريكية يقوى ويضعف حسب الظروف الدولية والإقليمية. لقد تحدث المحافظون الجدد في وثيقة توحيد التخطيط الدفاعي عام 1992 عن ضرورة اعتماد الضربة الوقائية Preventive ضد الدول التي تمتلك أسلحة الدمار الشامل و استطاعوا التأثير فيها بعد على إدارة بوش الابن الذي ردد نفس الكلام من خلال مبدئه ومع الولاية الثانية للرئيس بوش الابن ظهرت بوادر على أن الإدارة الأمريكية تتخذ مسار جديدا حيث تبنى الرئيس بوش خارطة الطريق التي عارضها المحافظون الجدد وبعض المسؤولين في البنتاغون لخططهم السياسية لمابعد الحرب على العراق².

وتجدر الإشارة إلى أن المحافظين الجدد ينطلقون بأفكارهم من تفسيرات الكتاب المقدس "الإنجيل" ، وفي المقابل فهناك مؤشرات تدل على أثر الدين في تكوين شخصية جورج الابن وفي توجه رؤيته السياسية فهو يميل إلى التفسير الديني للأحداث السياسية ومن أقواله إن الإرهابيين بمقتوتنا لأننا نعبد الرب بالطريقة التي نراها مناسبة كما أنه كثير الحديث عن الرب والصراع بين الخير والشر وما مصطلح محور الشر إلا مثال على ذلك . كما يستند المحافظون الجدد على ثقل العلاقة التحالفية مع اسرائيل و في هذا الاطار يشير مايكل ليند "Michael Linde" في كتاب حول السيرة الذاتية لجورج بوش الابن إلى أن تأثير المحافظين الجدد لا يمكن إنكاره، ففي عهده إندمج الجهاز التنفيذي في الحكومة الأمريكية بالحكومة الإسرائيلية إلى درجة غير مسبوقة في التاريخ

¹ أحمد يوسف، الاسلاميون و أمريكا التحدي و الاستجابة ، الطبعة الاولى ، دار قرطبة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2006 ، ص 78 .

² شاهر إسماعيل الشاهر، مرجع سابق، ص. 35.

الأمريكي وهذا الوضع يعود الفضل فيه إلى تأثير النموذج الإسرائيلي والمحافظين الجدد في حكومة جورج بوش الابن¹.

وفي هذا السياق فيمكن القول أن إدارة جورج بوش الابن قد جمعت بين تيارين حيث فتح المجال لكي يعيش المحافظون الجدد والمسيحيون الأصوليون معا ومن أبرز المحافظين الجدد بول ولفوفيتز و المسيحي الصهيوني جون شكروفت Aschkroft John وهذا الجمع مميز لأنه جمع بين تيارين متعارضين، وأن الجمع في الرئاسة الأمريكية الابن موجودة منذ السبعينات من القرن الماضي، ومن خلال المزج بين أيديولوجية محافظة جديدة ولاهوت ديني- أصول متشددة في المجتمع الأمريكي تتم ساهم في خلق أرضية مواتية لدفع الوسط الأمريكي نحو اليمين والتطرف و تمكن للتيارات المحافظة من التأثير على السياستين الداخلية والخارجية معا². لكن وبالرغم من أن إدارة بوش قد نفذت التدخلات للدفاع عن تفسيرات المحافظين الجدد للمصالح الحيوية الأمريكية إلا أنها لم تضع أي نوع من الإستراتيجية للخروج منها، حيث كان على إدارته أن تجد حلولا سياسية وعملياتية لحالات الأمن غير المستقرة. تلك الحلول التي طورت في أفغانستان والعراق وعدلت إستراتيجية الأمن القومي "NSS" لسنة 2006 خصائص التدخل الوقائي والأحادي الجانب للسياسة الخارجية الأمريكية وضعت تأكيدا متزايدا على المبادرات الدبلوماسية المتعددة الأطراف - و لو جزئيا- للحصول على الدعم المطلوب من الدول المتحالفة ولكن الحفاظ على المهمة وأهداف إنتشار الديمقراطية و الحرية وحقوق الإنسان بقيت سارية المفعول، ذلك أن إستراتيجية الأمن القومي "NSS" لسنة 2006 لم تختلف بصورة مهمة عن إستراتيجية الارتباط والتوسع لإدارات الرؤساء السابقين³.

¹ اقتباس وارد في : شاهر إسماعيل الشاهر، المرجع نفسه، ص 39.

² الجراد خلف، أبعاد الإستهداف الأمريكي، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2004. ص 33

³ مروة محمد عبد الحميد عبد المجيد، 'التغير والاستمرار في إستراتيجية الأمن القومي الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر'، المركز

الديمقراطي العربي، 2016. [accessed 13 June 2016]. <<https://democraticac.de/?p=26157>>

2- فترة باراك أوباما :

إن أهم الملامح الإستراتيجية الأمريكية في عهد الديموقراطية برئاسة الرئيس باراك أوباما تختلف لحد كبير عنها لعهد الجمهوريين برئاسة بوش الابن، ويتجلى ذلك في إعادة رسم حدود الدور الأمريكي في العالم وتراجع النزعة الفردية لصالح العمل الجماعي ومراجعة ميزانيات التسلح الضخمة مع مراعاة متطلبات الأمن القومي الوطني والتركيز على الإرهاب العالمي وعدم إستشارة أعداء العالم العربي والإسلامي تشجع التحول الديموقراطي مادام يتماشى والمصالح الأمريكية، و العمل على كسب المزيد من التحالفات وهي فترة واقعية لدرجة كبيرة وهنا غابت مفاهيم الحرب الإستباقية وإستراتيجية الصدمة والرعب ولو مؤقتا من القاموس السياسي الأمريكي .

يفسر مثل هذا التغيير من خلال النتائج التي ظهرت أثناء التدخل في أفغانستان والعراق حيث إكتشفت واشنطن حدود ماكان يعتقد من أن قوتها ليس لها حدود وأدركت بأن أمريكا لا تستطيع مواجهة تهديدات هذا القرن لوحدها وهذا ما يعني ضرورة تعديل أهداف سياستها الخارجية الأساسية رغم بقاء أهداف الأمن و الحرية وإزدهار الشعب الأمريكي كأهداف رئيسية و حيوية ، بالإضافة إلى " تأسيس لنظام لدولي عادل و مستقر"¹. لتحقيق هذه الأهداف عملت إدارة أوباما على استخدام أوسع للقوة الذكية " Smart Power " ودبلوماسية القوة الناعمة "Soft Power" وأصبحت هذه النظرة قاعدة جد مهمة للمذهب الجديد. تستند هذه الرؤية على مبادئ ثلاثة ؛

1- منزلة أمريكا في العالم هي شرط لأمنها وإزدهارها،

2- التحديات الحالية يمكن فقط أن تواجه بالتعاون مع شركاء قادرين وراغبين،

3- الوسائل غير العسكرية يمكن أن تزيد من شرعية التأثير وإستمرارية الأداء الأمريكي.

¹ جوزيف ناي، تنفيذ القوة الذكية: وضع جدول الأعمال لإصلاح الأمن القومي لا تصريح أمام لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ 2008. Testimony. <http://Foreign.senate.gov/testimony/2008/nye.Testimony>. 00042.4a.pdf.

وقد اعتمدت هذه الإستراتيجية التي تركز على القدرة الناعمة أو ما يسمى بدبلوماسية القوة الناعمة في محاولة التواصل وجعل الخيار العسكري آخر حل يتم اللجوء اليه وتؤكد على توسيع الشراكة الدولية خارج إطار الدولة الحليفة التقليدية لتشمل دول وقوى أخرى مثل روسيا والصين والهند. و بالنظر الى برنامج الرئيس باراك أوباما و تحركاته التي يحاول من خلالها رسم خطط جديدة للامة الامريكية بعدما أدى بها بوش و فريقه إلى انتكاسات كبيرة سواء على صعيد الاقتصاد أو على صعيد الصورة و السمعة الدولية، فإن أوباما ما كان يسعى لتحقيق ما تكلم عنه بريجيتسكي في مؤلفه الفرصة الثانية حيث كان يعلق أما لا كبيرة على فترة ما بعد بوش الابن، ذلك أن الرئيس باراك أوباما انطلق في حملته الانتخابية لاستخلاف جورج بوش الابن سعياً للتغيير وإن استطاع استمالة الناخبين الأمريكيين إلا أنه ورث وضعية مميزة عند إعتلائه سدة الحكم في البيت الأبيض، وبين بقائه وفيما لوعوده الانتخابية ومواجهته لواقع صعب تعيشه الو.م.أ على المستويين الداخلي والخارجي.

وفي هذا السياق فإنه تجدر الإشارة إلى التحديات التي تواجه باراك أوباما على صعيد السياسات المحلية والخارجية. بالرغم من أن المواطن الأمريكي مازال يأخذ باهتمام كبير شؤون السياسة الخارجية وبشكل خاص المعركة ضد الإرهاب كان رأي 81 % من المواطنين يذهب إلى القول أنه على باراك أوباما أن يركز على المشاكل الداخلية، و بالمقابل كان هناك 11% يشعرون بأن قضايا السياسة الخارجية يجب أن تأخذ الأسبقية* ، فإذا كان الرئيس اوباما يريد أن يتجنب تعريض برنامجه الداخلي مبكراً للخطر في فترة حكمه الأولى فسيحتاج إلى دعم الرأي العام الواسع، وعليه يجب أن يعتمد على إدامة العلاقة البناءة بالأغلبية الديمقراطية في الكونغرس والتي تحابي بالدرجة الأولى الاستخدام الموسع للدبلوماسية بدلا من الوسائل العسكرية في الكفاح ضد الإرهاب.

* هو إستطلاع أجراه مركز (راند) للبحوث في فيفري 2009 يسأل فيما إذا كانت العمليات العسكرية أم الجهود الدبلوماسية أنسب لمنع الهجمات الإرهابية، وقد إختار 57 من الديمقراطيين الجهود الدبلوماسية وإختار 28 % منهم العمليات العسكرية ولم يختار 15 % لا الجهود العسكرية ولا الدبلوماسية. أنظر : إسكندر وولف، تدخل الو.م.أ في الخارج، مرجع سابق، ص50.

لقد سعت السياسة الخارجية الأمريكية في عهد الرئيس باراك أوباما إلى رسم معالم سياسة إنفراج عميق تجاه العالم الإسلامي من خلال خطابه في القاهرة في الرابع من جوان 2009 والذي أحال فيه إلى علاقات جديدة مع العالم الإسلامي ووضع حد لسياسة الإملاء من فوق التي كانت تريدها إدارة بوش فيما يسمى الشرق الأوسط والكبير وانتهج أوباما هذه النظرة المثالية نفسها فيما يخص الملف النووي الإيراني من خلال الجنوح إلى الحوار¹. وتجدر الإشارة إلى أن التغيير الذي يطمح إليه باراك أوباما فيما يتعلق بعلاقة بلاده مع دول الشرق الأوسط تجسدها رغبته في إخماد العنف المتزايد بالمنطقة ومعالجة النفور المتنامي من قبل المسلمين والعرب إتجاه الو.م.أ الذي يلقي تداعياته السياسية على المصالح الأمريكية في المنطقة²، حيث تنطلق إستراتيجية أوباما للتغيير من منظور أن الو.م.أ والعالمين العربي والإسلامي تجمعهما مصالح مشتركة، وأن على الو.م.أ إعادة النظر في العلاقة الأمريكية الإسلامية من منظور مختلف يركز على تحقيق هذه المصالح وتحقيق آمال الناس وأحلامهم بغض النظر عن عقائدهم ويظهر ذلك من خلال التفرق بين الإسلام والإرهاب وأن الو.م.أ ليست في حرب مفتوحة مع العالم الإسلامي. لذلك فإن هذه الإستراتيجية تثير فروقا بين إدارته للسياسة الخارجية الأمريكية مقارنة بسلفه جورج بوش من حيث التخلي عن الضربة الإستباقية في السياسة الخارجية الأمريكية والتخلي عن سياسة " من ليس معنا فهو ضدنا " وعسكرة المجتمع الدولي، بينما أوباما يدعو للحوار والدبلوماسية وإبداء الإستعداد للإصغاء و ربط الجسور مع العالم الإسلامي وتفهم قضايا الشعوب العربية والإسلامية والظهور بوجه أكثر إنسانية وأكثر شعبية فيما يخص سياسات إدارته. تركز هذه الاستراتيجية على مجموعة من النقاط منها ؛

- محاربة الإرهاب الذي هو حرب أفكار، فيجب أن تقوم على الموائمة القائمة على إبراز القوة العسكرية بصورة حكيمة وزيادة التعاون مع الأمم الأخرى؛

- فهم العولمة باعتبارها تجعل من أمن أمريكا وإقتصادها مرتبط أيضا بمحاولة لفهم الآخر؛

¹ حسن أبو زيد، ملامح السياسة الخارجية الأمريكية في ظل ولاية أوباما الثانية، مجلة العدد 17، جانفي، فيفري، مارس 2013، ص 19.

² رائد نعيرات، الثابت والمتغير في السياسة الخارجية الأمريكية في عهد الرئيس جورج بوش وإنعكاساتها المتوقعة على سياسة باراك أوباما، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث والدراسات، العدد 26، مارس 2016، ص 346.

- اللجوء الى العمل العسكري بصورة إنفرادية من حق أمريكا إذا ما شعرت بتهديد يمس أمنها على أن تكون الأهداف مشروعة وأخلاقية ؛

- تحسين أداء المؤسسات الدولية النقدية والاقتصادية لمعالجة مشكلات الفقر في العالم المتنامي من خلال إتباع سياسة خارجية تجاه الدول الفاشلة التي لا تستطيع السيطرة على أمنها وإستقرارها.

وفي هذا السياق فقد ظهرت معالم توجهات سياسته الخارجية من خلال تركيزه على قضايا الشرق الأوسط وهذا ضمن اهتمامه بتغليب الدبلوماسية كأداة للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، لاسيما في عملية السلام الفلسطينية والإسرائيلية ذلك أن ايجاد حل للصراع هو أولوية من أوليات السياسة الأمريكية التي كان ينبغي التركيز عليها في بداية عهد بوش بدل غزو العراق الذي نسف جهود أمريكا وأضعف نفوذها في هذا الملف وأضر بأمن إسرائيل¹ ، ذلك أن حل الصراع مصلحة أمريكية قبل أن يكون مصلحة إسرائيلية وأن إقامة دولة فلسطين سوف تخدم الأمن القومي الأمريكي وليست مجرد مصلحة عربية أو فلسطينية أو إسرائيلية، فهو يدرك أنه لن يكون بمقدور الو.م.أ أن تحقق أهدافها في الشرق الأوسط ما لم تتعامل مباشرة مع الصراع العربي الإسرائيلي، لذلك فهو يرى ضرورة النظر في المطالب العربية وإعادة الإعتبار لمبادرة السلام التي طرحتها الدول العربية. إن الإستراتيجية التي ينتهجها أوباما في نظرتة لحل الصراع العربي الإسرائيلي تبرز جوهر التغير في سياسته مقارنة باستراتيجيات الإدارات السابقة، إذ أن أوباما يتعامل مع ملفات المنطقة جميعها بشكل مترابط سواء بالنسبة للصراع العربي الإسرائيلي أو مايجري في سوريا ولبنان- فهو يعتقد أن الإدارة الأمريكية يمكن أن تجني تقدما في هذه القضايا إذا ما بعث رسالة إلى العالم خاصة العالم العربي بأن الو.م.أ مستعدة لبدء شراكة جديدة قائمة على الإحتواء المتبادل والمصالح المشتركة².

من ناحية أخرى ، فإن موقف أوباما تجاه الدول العربية الكبرى بخصوص قضية الديمقراطية يشير إلى غلبة النزعة الواقعية على سياسات أوباما تجاه الشرق الأوسط، فأوباما المثالي في توجهاته

¹ رائد نعيرات، مرجع سابق، ص349.

² نفس المرجع.

وفي نزعتة الليبرالية نحو الحوار والدبلوماسية يبدو حذرا في نشر الديمقراطية وفي التعامل مع الدول العربية الكبرى، فهو يريد تعاونها في دعم إستقرار العراق في مواجهة إيران وفي دفع عملية السلام¹ ولا يبدو أن أوباما يكن قدرا كبير من التقدير للدول العربية الكبرى فهو يرفض فتح سجلها على مستوى الحقوق المدنية وعلى مستوى الديمقراطية ولكنه يبدو حريصا على عدم فتح تلك الملفات ويفضل أن ينظر إليها كمفاتيح داخلية يجب أن ينبع حلها من داخل الدول والمجتمعات العربية ذاتها، وأن دور أمريكا هو المساعدة في المطالبة بالإصلاح وربطه بالمساعدة الأمريكية، ولكن يرى أن الأولوية تذهب للتعاون مع الدول العربية في معالجة مشاكل المنطقة الأكثر إلحاحا كالعراق وإيران وعملية السلام. لذلك فإنه يمكن القول أن إستراتيجية أوباما وخطته ترمي إلى الحفاظ على التوجهات الكبرى للوم.أ وعلى رأسها محاربة الإرهاب التي تمثل إحدى أولويات السياسة الخارجية الأمريكية لكن بأسلوب مختلف يقوم على متابعة هذه الحرب من خلال الاعتماد على المزوجة بين الوسائل التكنولوجية المتطورة للرصد و الردع فضلا عن التنسيق الأمني مع الدول الحليفة²، وهذا ما أكدته الإستراتيجية الأمنية الجديدة والتي أكدت أيضا على أن الأمن القومي الأمريكي تبدأ من الداخل وهذا على إعتبار أن إدارة أوباما مقارنة سياستها لا تخرج عن نطاق إستمرار النهج الإيديولوجي السياسي كإنعكاس لنفس المصالح والتي أصبحت تشكل مبادئ إستراتيجية الأمن القومي الثابتة في السياسة الخارجية الأمريكية.

¹ Fawaz A. Gerges, 'The Obama Approach to the Middle East: The End of America's Moment?', *International Affairs*, 89.2, p. 299.

² *ibid.* p. 304.

الفصل الثاني

الفصل الثاني : السياق الجيو- استراتيجي و الاتصالي للدبلوماسية العامة الرسمية الأمريكية في المنطقة العربية

تميزت السياسة الخارجية الأمريكية منذ مجيء أوباما بتحول مهم مرتبط بعنصرين رئيسيين هما:

- إعادة التكيف مع التهديدات الجديدة للقرن الواحد والعشرين و التحديات الجديدة التي يفرضها "العالم المتعدد الأقطاب (الصين على الوجه التحديد و روسيا)،
- التخلص من طابع الغطرسة الذي ميز سياسة الرئيس الأسبق جورج بوش و التي تميزت بالتدخلية و الأحادية بالقوة.

هذه السياسة الجديدة تستند على ما سمي بالقوة الذكية أي التوفيق " الذكي " بين القوة الصلبة و القوة المرنة بهدف استعادة ثم الحفاظ على الزعامة في العالم. لقد تشكل وفقا لهذه المعطيات على مستوى الخطاب اتجاه يهدف إلى إعادة تفعيل القوة المرنة الأمريكية. يترجم هذا الواقع الجديد وجود إستراتيجية حمائية و عودة إلى ما تم اغفاله من قبل إدارة بوش منذ حوادث الحادي عشر من سبتمبر. تخضع إذن استراتيجية القوة المرنة عبر الدبلوماسية العامة إلى المعطيات التي يفرزها السياق الاستراتيجي الذي تعرفه المنطقة العربية (مبحث 1) (أي : يمر فهم الدبلوماسية العامة ليس فقط كمجرد آلية اتصالية بل كأداة استراتيجية دفاعية عبر فهم السياق الاستراتيجي العام و الخاص الذي تندرج فيه) و الذي يفرز آليات عمل سياسية و دبلوماسية للإدارة الأمريكية تتوافق و هذا المحتوى (مبحث 2). في الحقيقة ، فإن هذا الاستثمار في القوة المرنة من خلال الدبلوماسية العامة لا يمثل سوى عودة إلى سياسات واقعية تمليها التطورات الجيوسياسية في المنطقة العربية (مبحث 3).

المبحث الأول : المنطقة العربية كفضاء جيو-استراتيجي غير آمن

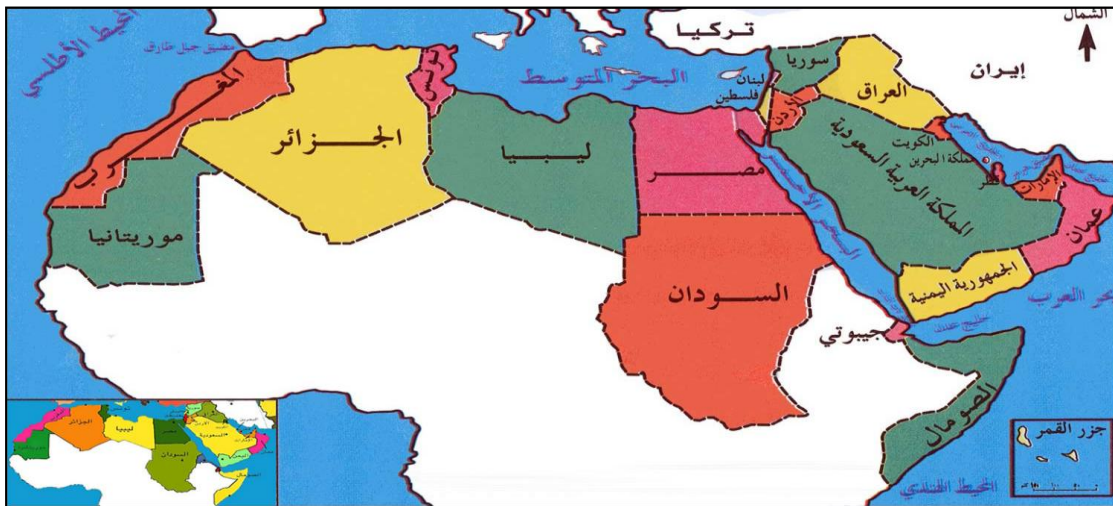
للم أروابط وثيقة بالمنطقة العربية نظرا للأهمية الاستراتيجية لهذه الأخيرة. لكن ، بالرغم من هذه الروابط القوية بين الطرفين إلا أن الو م أ تفتقد لمشروع سياسي و استراتيجي منسق. تظل السياسة الأمريكية في المنطقة ، منذ الحادي عشر من سبتمبر و إلى الآن ، مجرد مبادرات و

مبادرات ثم مبادرات (الشرق الأوسط الكبير، مبادرة الشراكة الأمريكية العربية 2002)¹. يتضح هذا الغموض في المشاريع السياسية من خلال ردود الأفعال الفورية التي أعقبت حوادث ما سمي بالربيع العربي حيث افتقدت الأخيرة لعدم وضوح الصورة و إلى تسيير استراتيجي براغماتي للمصالح من دون الاستناد إلى مرجعية سياسية واضحة تعكس وجود مشروع سياسي في المنطقة. تعاني المنطقة العربية اصلا - من الناحية الهيكلية - من هشاشة في النظام الأمني الإقليمي (مطلب 1). أثر الوجود الأمريكي الهادف إلى التحكم في المنطقة بشكل كبير في استقرار المنطقة (مطلب 2) و هو الأمر الذي يجعل من السياق الجيواستراتيجي العربي في سيرورة مستمرة تؤثر على مضامين و أهداف السلوك الاستراتيجي الأمريكي ، بما فيها الدبلوماسية العامة (مطلب 3).

المطلب الأول : المنطقة العربية كفضاء جيوسياسي

تتمتع المنطقة العربية بمجموعة من الميزات الجيو استراتيجية التي توفر لها قيمة استراتيجية في السياسة الدولية (1). لكن ، بمقابل هذه الأهمية الجيو استراتيجية فان هذه الخصائص الفضائية غالبا ما كانت مصدرا للتصادم و المواجهة بين و داخل الدول العربية اكثر من كونها عوامل اندماج عضوي. تتحكم هذه الخصائص إذن في تحديد حجم و طبيعة المشاكل الجيوسياسية و الأمنية التي تعاني منها المنطقة العربية (2).

1. فضاء المنطقة العربية



خارطة رقم 01 : الخارطة الجيو سياسية للعالم العربي
المصدر : carte-du-monde-arabe.net

¹ Yassîn Haj-Saleh, « La démocratie dans la vision américaine du Moyen-Orient : Point de vue arabe », *Confluences Méditerranée* 49, n° 2 (2004): 31-41, <https://doi.org/10.3917/come.049.0031>. p. 35.

يشير مصطلح المنطقة العربية اساسا إلى فضاء ثقافي (منعوت العربية) مبني على الموروث الثقافي المهيكل حول اللغة العربية - كلسان - و لكنه يعرف أيضا بأنه مجموع الدول المندمجة في هذا الفضاء الثقافي الناطق بالعربية و المعرف بالطبع بحدود جغرافية. تمتد هذه الأخيرة من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر (بما فيها الصومال) و إلى الخليج العربي / الفارسي شرقا. كل حيز جغرافي يعرف من خلال آفاقه الفضائية و التاريخية. على هذا الأساس فإن المنطقة العربية ورثت حدودها الجغرافية من الفترة الاستعمارية و التي كانت في الغالب مصدرا للمشكلات السياسية لعدد من الدول (ليبيا مع التشاد ، الجزائر مع المغرب بخصوص العمق الصحراوي ، ايران و العراق...). تتميز المنطقة العربية من الناحية الفضائية بعدم التجانس و هي بالتالي تشتمل على العديد من الفضاءات التحتية (خصوصا الثقافية منها - مثل الأكراد في الحدود الشمالية لدولتي سوريا و العراق و الأمازيغ في منطقة المغرب العربي و مثل الإنقسامات الدينية مثل الشيعة و السنة داخل الاسلام او حتى داخل المسيحية في دول الشام و مصر) كما أنها محتواة في مضامين فضائية أكثر حجما (العمق المتوسطي ، العمق الصحراوي الافريقي و العمق الآسيوي المركزي). يتميز بالتالي هذا الفضاء العربي بأهمية استراتيجية بالغة نظرا للتنوع و للغنى في الموارد (أ). لكن ، من خصائصه الجوهرية أيضا أنه فضاء يخضع لتقاطعات قوية مع فضاءات خارجية جد مؤثرة على مسألتني الأمن و الاستقرار فيه (ب).

أ. الأهمية الجيواستراتيجية للمنطقة العربية : العناصر الهيكلية

ترجع الأهمية الاستراتيجية للعالم العربي أولا إلى جغرافيتها الاستراتيجية. يقصد بهذه الأخيرة القدرة على التحكم ، الدخول أو الوصول إلى فضاء جغرافي معين (مجال جوي ، أرضي و بحري) قادر على التأثير - سواء بالسلب أو الايجاب - على الأمن و درجة الازدهار الاقتصادي لهذا الفضاء¹. تنقسم الجغرافيا الاستراتيجية بهذا المفهوم إلى العديد من الأقسام ؛ الجغرافيا المادية ، البشرية ، الاقتصادية ، السياسية و العسكرية و كل قسم في تفاعله مع المعطيات الأخرى يشكل محدد لفهم الأهمية الاستراتيجية لمنطقة معينة.

¹ Saul B. Cohen, *Review of Strategic Geography and the Changing Middle East*, par Geoffrey Kemp et Robert E. Harkavy, *Geographical Review* 88, n° 1 (1998), <https://doi.org/10.2307/215891>. p. 169.

- من ناحية الجغرافيا المادية فإن المنطقة العربية عبارة عن صحاري في الغالب باستثناء الشريط المطل على البحر المتوسط و المحيط الأطلسي في المغرب و المتميز بسلاسل جبلية خضراء و سهول زراعة معتبرة. يخلق هذا المعطى جملة من المشاكل الجيوسياسية و على رأسها مشكلتي الماء و التبعية الغذائية. لكن من جانب آخر فالمنطقة العربية تتمتع بموقع جيواستراتيجي مهم جدا ؛ تتواجد المنطقة العربية في نقطة إلتقاء ثلاث قارات ؛ آسيا، أوروبا و افريقيا، بعبارة أخرى تحتل وسط و مركز العالم القديم. يعني هذا استراتيجيا أن موقعها يوفر لها فرصا كما يشكل عليها ضغوطا. من جهة أولى، هذا يعني أنها تتموقع في قلب خطوط التجارة الدولية بعوائدها و من جهة ثانية هذا يعني انه يشكل مصدرا لتنافس القوى الخارجية و للتدخل الخارجي (تاريخ المنطقة العربية هو تاريخ احتلال خارجي).
- من الناحية البشرية ، تتغير المعطيات الجغرا-بشرية بشكل سريع و متفاوت بين الدول العربية لكن الملاحظ أنها مجتمعات سليمة من ناحية التركيبة الديموغرافية إذ تتسم بكبر حجم فئة الشباب. لكن و حتى و إن كان هذا المعطى يعبر عن "فرص" للنهوض الاقتصادي إلا أنه و بفعل الصعوبات الاقتصادية لكثير من الدول العربية (باستثناء الخليج العربي) يعتبر مصدرا لمشاكل جيوسياسية تتعلق بالهجرة و بالاستقرار الأمني و السياسي (أحداث "الربيع العربي").
- من ناحية الجغرافيا الاقتصادية ، تعتبر المنطقة العربية منطقة غنية جدا بالموارد الأولية خصوصا الطاقوية و منطقة تجارة دولية (ليس فقط الخطوط الحربية البحرية التقليدية كما تتصورها و تروج لها الامبراطورية الأنجلوساكسونية - أي عبر الخليج العربي نحو شرق اسيا مروراً بالمحيط الهندي ثم الهادي و عبر قناة السويس باتجاه المتوسط و أوروبا - بل و الخطوط الحربية البرية البديلة كما تدافع عنها روسيا و الصين حاليا أي ربط اسيا بأوروبا عبر البوابة العراقية و السورية). تتباين وفرة الموارد بين دول المنطقة العربية من دول غنية جدا مثل دول مجموعة التعاون الخليجي و العراق و الجزائر و ليبيا إلى دول فقيرة جدا مثل جيبوتي. توفر هذه الخصائص الاقتصادية فرصا للدول العربية و لكنها تشكل في آن واحد ضغوطا عليها من ناحية كونها مصدرا للنزاعات، لحركات الهجرة و للتنافس الدولي.
- من ناحية الجغرافيا السياسية فهي متغيرة باستمرار و ذلك بفعل مشاكل الحدود ، الحروب (انشاء دولة اسرائيل ككيان دخيل داخل الكيان العربي ، تفكيك العراق الداخلي ، مشاكل

اليمن ، انقسام السودان الى شمالي و جنوبي،...). تتغير إذن الخارطة السياسية للعالم العربي باستمرار حتى بعد فترة الاستعمار. هذه التغيرات الناتجة اساسا عن الحروب تصاحبها في الغالب حركات هجرة قاسية و درامية تؤثر في طبيعة المشاكل السوسيو اقتصادية للدول المعنية (طرد الفلسطينيين من أراضيهم من طرف قوى الاحتلال الاسرائيلي ، هجرة الفلسطينيين إلى لبنان سنوات السبعينيات و الأردن ، حركة المهاجرين السوريين منذ 2011 إلى الأردن ، تركيا و أوروبا).

- تتميز الجغرافيا العسكرية للمنطقة العربية على وجه الخصوص بوجود قوة نووية في المنطقة (اسرائيل) و بتواجد عسكري أجنبي كثيف للقوى الكبرى (القواعد الأمريكية في الخليج العربي حيث تحوز قطر على أكبر قاعدة عتاد عسكري أمريكية في العالم -قاعدة العبيد-، قواعد روسية في سوريا). يندرج هذا المعطى ضمن استراتيجية سيطرة الإمبراطورية الانجلوساكسونية - أمريكا و الو م أ - على موارد منطقة ما بين النهرين منذ فترة الاحتلال البريطاني. هذه العسكرية للمنطقة العربية ترهن كثيرا استقرارها و أمنها الداخلي و الخارجي.

لكن ، و حسب Georges Mutin فإن العالم العربي يمثل مركز التنافس الجيوبولتيكي العالمي على الاطلاق. هذه المركزية تعود للغنى في الموارد الاقتصادية. حسب جورج ميتان ، ينتج العالم العربي ثلث النفط العالمي و يمتلك أكثر من نصف الاحتياط المعروف عالميا. لكن الأهمية تكمن على وجه الخصوص في كون هذه الموارد سهلة الاستغلال و التصدير عبر جميع الممرات البحرية المؤدية إلى جنوب آسيا و أمريكا (الخليج العربي) و إلى أوروبا (البحر المتوسط)¹. تزداد هذه الأهمية حساسية مع نشوء ما يسمى بأزمة الطاقة العالمية التي تشير إليها دراسات مفادها قرب تصدع النموذج الطاقوي المبني على المحروقات. يمكن - رغم هذا - الاستخلاص أن المعطيات الهيكلية و الطبيعية للعالم العربي توفر له نقطة قوة و هي البترول (اي امكانية بناء نموذج تنموي فعال نظرا لوجود الموارد المالية و الطاقوية اللازمة) و لكنه في نفس الوقت يعاني من نقطة ضعف شديدة تقوض الطموحات التنموية ؛ مشكلة الماء². أفرزت هذه المشكلات الهيكلية ا نظاما عربيا اقليميا هشاً من المنظور الأمني و زاد من هشاشة المنظومة تقاطع الفضاء العربي مع الفضاءات

¹ Georges Mutin et Olivier Barge, *Géopolitique du monde arabe* (Paris: Ellipses, 2012). P. 103.

² ibid. P. 109.

الخارجية المؤثرة. ذلك نظرا لارتباطاته العضوية بسياسات التنافس و التدخل التي تمارسها القوى الكبرى الدولية و الاقليمية.

ب. التقاطعات الهرمية لفضاء المنطقة العربية مع الفضاءات الجيوستراتيجية

الأخرى

لا ترجع الأهمية الاستراتيجية للمنطقة العربية إلى مواردها الاقتصادية فحسب، فهذا الفضاء له ميزات استراتيجية كبيرة جعلته يكون مركزا للسياسة الدولية و من منظور جميع أشكال التنافس. يتقاطع الفضاء العربي مع ثلاث مستويات رئيسية (الفضاء الكوني ، الفضاء الدولي و الفضاء الإقليمي) يؤثر في طبيعته الأمنية. كل فضاء يمثله مجموعة من اللاعبين الذين يمتلكون مجموعة من المصالح في تقاطعهم مع الفضاء العربي. تساهم هذه التقاطعات كثيرا في تحديد طبيعة المشاكل الجيوستراتيجية التي تعاني منها المنطقة العربية. سوف نتناول بالتفصيل هذه المستويات الثلاثة ابتداء من أكثرها أهمية إلى أقلها أهمية.

أ. الفضاء الكوني : الو م أ

في اول مستوى للتقاطع مع الفضاءات الخارجية تأتي الو م أ باعتبارها القوة الوحيدة القادرة على الانتشار كونيا و التصرف بحرية في المسرح العربي. منذ انهيار الإتحاد السوفييتي أصبح العالم أحادي القطبية اين تلعب الو م أ دور المهيمن الوحيد. لا توجد في المنطقة العربية أية قوة كونية قادرة على موازنة و ردع الدور الأمريكي فيها. اثبتت حرب العراق خصوصا مدى قدرة الو م أ على تدمير الدول و إعادة صياغة دورها الجيوستراتيجي بحسب المصلحة الأمريكية. تستطيع الو م أ أن تتصرف بحرية في المنطقة العربية انطلاقا من قواعدها العسكرية المتواجدة خصوصا في الخليج العربي (ثلاث قواعد في عمان، السعودية ، الكويت ، الأردن ، مصر ، تركيا)¹. أغلب الاتفاقات الأمريكية مع الدول المذكورة تتيح للو م أ حرية التصرف إنطلاقا من هذ القواعد مهما كان نوع المبرر الداعي إلى ذلك. إذن لا تحتاج الو م أ سوى للمبرر الذي يدفعها لفعل ذلك حتى تقوم باحتلال أو تغيير شكل الفضاء العربي أو جزء منه (حالة العراق).

¹ Denis Corentin, « Géographie des forces militaires au Moyen-Orient - Les clés du Moyen-Orient », 4 décembre 2014, <http://www.lesclesdumoyenorient.com/Geographie-des-forces-militaires-au-Moyen-Orient>.

لكن في الحقيقة ، فإن التحكم المادي الأمريكي في الفضاء العربي (بمعنى الاحتلال المادي) ليس له فائدة كبرى. من الناحية الفضائية ، لا يوفر هذا الأمر أي ميزة فضائية لا على الصعيد التكتيكي و لا على الصعيد الاستراتيجي¹. تعوض مرتفعات منطقة ترودوس و القواعد العسكرية الأمريكية في قبرص كثيرا الميزات السابقة التي تحوز عليها المنطقة العربية في مسائل المراقبة بالرادار لمنطقة البحر المتوسط و المراقبة الإلكترونية. الأسطول السادس الأمريكي لا يمر بالموانئ العربية لأن الأسطول الجوي يمتلك قواعد عسكرية بالمناطق لمتاخمة للمنطقة العربية مثل قاعدة إنجربليك Incirlik جنوب غرب تركيا (بحوزتها حوالي عشرون رأس نووي) و في دياربلكير Diyarbakir جنوبي تركيا و في ديبغو غارسيا Diego Garcia في المحيط الهندي و في غيرغستان، أوزبكستان و طاجيكستان². هذا الإحتواء للمنطقة العربية من الداخل و من الخارج لا يعطي لدول المنطقة العربية أية قدرة على المقاومة في حالة العمل العسكري الأمريكي ضدها.

على عكس الفضاء العسكري فإن الفضاء الاقتصادي و التشريعي العربي يمثل أهمية بالغة للولايات المتحدة الأمريكية. جعلت العولمة الاقتصادية - و هي مرادف لاقتصاد الربح ذو الايديولوجية الليبرالية الذي تؤسس له الشركات الأمريكية - من الضروري خصخصة الشركات القومية العربية. لكن ، لا يزال في المنطقة العربية قطاع عام قوي تحت مراقبة الدولة خصوصا في الجزائر و السعودية (شركات النفط مثل سوناطراك و أناداركو ، شركات الكهرباء و الغاز و المياه و النقل الجوي و البنوك). تحاول الشركات المتعددة الجنسيات التغيير من الأطر التشريعية لهذه الدول من أجل خصخصة جزء من رساميل هذه الشركات و تحقيق أرباح إضافية - مثلما يصل مع قاعدة 49/51 في الجزائر التي تتعرض لمحاولات تكسير مستمرة).

إن الفضاء الجغرافي التجاري العربي يمثل أهمية بالغة لحركة النقل التجارية بين القارات الثلاثة ؛ آسيا ، إفريقيا و أوروبا. يمر الخط التجاري الناقل للنفط السعودي و العراقي باتجاه أوروبا عبر فضاء الشام ؛ لبنان تحديدا (يمر أنبوبي النفط العراق - بيروت التابع لشركة النفط العراقية و أنبوب التاب-لاين Tapline بلبنان)³. من وجهة نظر الشركات الأمريكية فإن هذين الطريقين للنفط

¹ Philippe Boulanger, *Géographie militaire et géostratégie: enjeux et crises du monde contemporain*, Collection U Géographie (Paris: A. Colin, 2011). P. 146.

² Boulanger. P 151.

³ Loïc Simonet, « Les pipelines internationaux, vecteurs de prospérité, de puissance et de rivalités. Oléoducs et gazoducs dans la géopolitique et les relations internationales », *Revue internationale et stratégique* 65, n° 1 (2007), <https://doi.org/10.3917/ris.065.0051>. p. 58.

العربي باتجاه الغرب يسمح بتجنب ثلاث مناطق غير مستقرة عسكريا ؛ تركيا بسبب المشاكل المحتملة مع الأكراد ، قناة السويس بسبب الحضور الإسرائيلي و مضيق هرمز بسبب الحضور الإيراني). تسمح الأنابيب النفطية العابرة للشام بالتحكم في مصادر الطاقة المتواجدة في الخليج العربي و في آسيا الوسطى و منطقة بحر قزوين لأنها خطوط برية آمنة. (يفسر لنا هذا الأمر جزئيا الحرب في سوريا حاليا).

على صعيد الفضاء السياسي يتم التحكم في "الدولة العربية" عن طريق دعم هيئات و جماعات متمركزة بشكل استراتيجي جيد في هياكل الدولة (المستشارون ، الجيش ، أجهزة الاستخبارات). باستعمال الضغوطات المباشرة (التهديد بالتدخل ، العقوبات الاقتصادية ...) أو غير المباشرة (أعمال قنصلية ، استشارات عن بعد و توصيات ...).

ii. فضاء القوى الدولية : الاتحاد الأوروبي ، روسيا و الصين

في المستوى الأقل قوة من الو م أ تبرز ثلاث فواعل مهمة لها تقاطعات فضائية مع المنطقة العربية و هي الاتحاد الأوروبي ، روسيا و الصين). يمكن إدراج أوروبا في هذا المستوى نظرا لمصالحها في المنطقة العربية على الصعيد السياسي و الاقتصادي. الاتحاد الأوروبي هو أهم شريك اقتصادي للعديد من الدول العربية خصوصا المغربية و ليبيا و لبنان. المنطقة العربية هي اقرب فضاء من أكبر كتل اقتصادي و سياسي عالمي (الاتحاد الأوروبي). بعبارة أخرى ، المنطقة العربية هي "مجال النفوذ المباشر" لأوروبا و أول خلفية دفاعية لها. بالنسبة للاتحاد الأوروبي الذي له مرجعية اقتصادية نيولبرالية فإن الكثير من الدول العربية التي تقسم معه هذ المرجعية تمثل فضاء متميزا و مفضلا لسياسات النفوذ. تؤكد جميع الاتفاقات الاقتصادية -خصوصا اتفاقات الشراكة الأوروبية-متوسطة- بين الدول العربية المتوسطة و الاتحاد الأوروبي أن هذه المنطقة تندرج ضمن استراتيجية الاتحاد في "السيطرة" على محيط المتوسط. بالنسبة لأوروبا التي لا تحوز على قيادة عسكرية مستقلة (تحت القيادة الحلف أطلسية) فإن هذا البعد الاقتصادي يضل أهم محاور تقاطع الفضائين العربي و الأوروبي¹. لكن ، و بحكم أن الاتحاد الأوروبي ليس كتلة متجانسة تعكس سياسة موحدة بل هو مجموعة من السياسات المتباينة بين مجموعة دوله فإن الدول العربية المتوسطة تظل

¹ Abdennour Benantar, « L'Amérique, l'Europe et les Arabes », *Outre-Terre* 7, n° 2 (2004), <https://doi.org/10.3917/oute.007.0141>. p. 143.

خاضعة للتأثير الفرنسي أساسا و البريطاني و الايطالي لكن دوما بمنافسة أمريكية قوية في الكثير من المجالات (الاقتصادية و الثقافية)¹.

يتقاطع الفضاء العربي مع فضاء روسيا استراتيجيا و عسكريا. رغم أن روسيا اليوم ليس بإمكانها أن تلعب دورا ضخما في المنطقة العربية ، أي دور الطرف الموازي للوم أ كما حدث ذلك خلال فترة الحرب الباردة نظرا لعدم امتلاكها لنفس قدرة الانتشار في المتوسط و الخليج العربي و البحر الأحمر إلا أنها تستفيد كثيرا من الامتيازات التي يتيحها الموقع الجغرافي العربي. تمتلك روسيا قاعدة جوية و بحرية في طرطوس بسوريا و هي المنفذ البحري الوحيد للقوة القارية الأوراسية في المتوسط و المياه الدافئة. ينظر إلى المنطقة العربية في روسيا على أنها فضاء لرهانات استراتيجية أكثر منها ايدولوجية كما حصل أيام الحرب الباردة. تستعمل روسيا منفذها على شرق المتوسط كقاعدة خلفية دفاعية لمواجهة الاحتواء الذي يمارسه حلف شمال الأطلسي من الجهة الغربية لروسيا (رومانيا و دول البلطيق) و الجنوبية (تركيا و آسيا الوسطى). اقتصاديا، تمثل المنطقة العربية فضاء مهما و من نوع خاص جدا بالنسبة لروسيا. بحكم السيطرة الروسية على سوق الغاز العالمي فإنها فتحت بابا جديدا لتدعيم تحكمها في هذا القطاع مع قطر - و هي قوة منافسة و صاعدة جدا ايضا في ميدان الغاز - من خلال موافقة إدارة شركة روزنفنت Roseneft الروسية - و هي أكبر شركة بترولية في العالم تمتلك الدولة الروسية 50 % من رأسمالها - على تحرير 19.5 % من أسهمها لصالح شركة غلينكور Glencore أي لصالح الدولة القطرية التي تمتلك أغلب أسهمها². يستعمل الكثير من الفاعلين الاقتصاديين الروس الفضاء العربي (الخليج العربي و لبنان خصوصا) كمنصات

¹ Benantar. P. 144.

² حسب الجريدة الفرنسية المختصة في الاقتصاد " Les Echos " فإنه و رغم العقوبات الغربية على روسيا نعتبر عملية الدمج بين شركة روزنفنت و غلينكور من أكبر العمليات الاقتصادية في اقتصاد ما بعد الأزمة العالمية لـ 2008 و التي تتيح لروسيا بالتعاون مع قطر التحكم أكثر في سوق الغاز العالمي. تبين العملية أيضا أنه لا علاقة لروسيا اليوم بالممارسات الاشتراكية المعروفة في عهد الحرب الباردة حيث تعبر عن لبررة للمفاهيم و للممارسات بل و عن القدرة على احداث صفقات كبرى بعيدا عن المراقبة الغربية « Moscou privatise partiellement Rosneft, le premier producteur russe de pétrole », 8 décembre 2016, http://www.lemonde.fr/economie/article/2016/12/08/moscou-privatise-partiellement-rosneft-le-premier-producteur-russe-de-petrole_5045520_3234.html.

خدماتية بنكية لتبييض الأموال الآتية من بعض الأعمال المحظورة كتجارة المخدرات و الأسلحة و التي تمر عبر دوائر لبنانية و خليجية¹.

يتقاطع الفضاء العربي على المستوى الدولي مع الفضاء الصيني في الجوانب الاقتصادية فحسب و لكن بنسب معتبرة جدا. تعتبر الصين أول الشركاء التجاريين للكثير من الدول العربية و على رأسها الجزائر. لكن الارتباط الأهم بين الفضائين يكمن في المواد الطاقوية. يحتوي الفضاء العربي الشرق أوسطي مدمجا مع منطقة بحر قزوين (أي العربية السعودية ، العراق و ايران) على حوالي 65 % من الاحتياط العالمي الأكد من البترول. تنتج المنطقة العربية أكثر من 30 % من الاستهلاك العالمي اليومي. بالمقابل كان الاستهلاك الصيني اليومي من البترول سنة 2006 في حدود 7,4 مليون برميل يوميا (ب/ي) - 40 % منها مصدرها الشرق الأوسط - و يتوقع أن يبلغ حوالي 14,2 مليون ب/ي , ما يعني استمرار تبعية الصين للمنطقة العربية لعشرات السنين². تعمل الصين على استقرار وصولها إلى الموارد الطاقوية العربية في هذه المنطقة التي تتحكم فيها الو م أ بشدة. تقوم الاستراتيجية الصينية بهذا الشأن على اجتناب التصادم مع الو م أ بالشكل الذي قد يؤدي إلى تفويض مصالحها النفطية في المنطقة العربية. تجاريا ، تشهد العلاقة تجديدا هيكليا من بداية القرن الواحد و العشرين حيث يتفق أغلب المختصين على ما يسمى باعادة بعث "الطرق الحريرية" القديمة بين الصين و العالم العربي. سنة 2002 كانت الامارات العربية المتحدة هي أول مستورد للمنتجات الصينية عالميا بينما تأتي السعودية في المركز السابع. سنة 2009 أصبحت الجزائر أول بلد عربي مستورد للمنتجات الصينية (لكن في المرتبة التاسعة عالميا)³.

iii. المستوى الإقليمي : اسرائيل ، ايران و تركيا

- التقاطع العربي مع اسرائيل :

يتقاطع ايضا الفضاء العربي مع فضاء إقليمي يتميز بوجود لاعبين لهم ارتباطات تاريخية بالمنطقة العربية ، لعل من أهمهم اسرائيل ، تركيا و ايران. يساهم هذا التقاطع كثيرا في تحديد

¹ Igor Delanoë, « Le retour de la Russie en Méditerranée », *Cahiers de la Méditerranée*, n° 89 (1 décembre 2014), <https://cdlm.revues.org/7652>. p.32.

² Djallil Lounnas, « La Chine au Moyen-Orient : un nouvel acteur ? », *Monde chinois* 38-39, n° 2-3 (2014), <https://doi.org/10.3917/mochi.038.0111>. p. 116.

³ Olivier Pliez, « Toutes les routes de la soie mènent à Yiwu (Chine). Entrepreneurs et migrants musulmans dans un comptoir économique chinois », *L'Espace géographique* 39, n° 2 (2010), <https://doi.org/10.3917/eg.392.0132>. p. 137.

المشاكل الجيوسياسية للمنطقة العربية. بدون شك ، تحتل اسرائيل هرم القوة العسكرية في المنطقة العربية. هذه الدولة - و هي قوة نووية و تحوز على جميع أنواع أسلحة الدمار الشامل- تقوم على ايدولوجية عرقية-دينية ممزوجة بأشكال من القومية التي سادت كثيرا في أوروبا خلال القرن التاسع عشر. أصبحت قراءتها الدينية للتاريخ ايدولوجية سياسية محضة ، بمعنى أن فكرة أن الله وعد ارضا لشعب ما و أنها محددة لغرض ما -فكرة أرض الميعاد - أصبحت ايدولوجية سياسية و هي الصهيونية. تعمل هذه الأخيرة على عودة جميع يهود العالم إلى هذه الأرض لذلك فهي تعمل بأساليب عسكرية (احتلال الأراض باستمرار ، رسم و اعادة رسم الحدود بالقوة ، تصفية عرقية للعنصر غير اليهودي) اقتصادية (نوع اقتصادي اشتراكي قائم على الاكتفاء الذاتي ، اندماج كبير في مسار العولمة المالية) و ثقافية (إعادة احياء لغة ميثية -العبرية - ، استكشاف هوية جديدة مبنية على ايدولوجية)¹.

هذه القراءة الخاصة للفضاء الزماني -التاريخ- و المكاني تؤثر كثيرا على حدود الفضاء العربي. في قلب هذا الأخير تتواجد قوة غير عربية معادية و عنصرية تحتل واحدة من أهم مقدساتها الدينية ، بيت المقدس. إن أكبر تهديد في مسألة حدود الفضاء العربي يأتي من الفكرة التي يتضمنها مشروع "اسرائيل الكبرى" الذي يشمل مناطق الشام وسيناء و شمال الحجاز-العراق و السعودية)². تساهم القوة العسكرية لإسرائيل بالإضافة إلى الدعم الذي تلقاه من طرف الوم أ و أوروبا في احتلال فضاءات جغرافية أوسع (جنوب لبنان ، الجولان بسوريا). حاليا ، لا تسمح الاستراتيجيات العليا (الوم أ روسيا و أوروبا) لإسرائيل بتغيير كبير في الوضع القائم في المنطقة العربية ، لكن هذا الكيان يظل مصدرا فعليا لجميع مصادر التهديد الأمنية بالمفهوم التقليدي و غير التقليدي.

- التقاطع العربي مع ايران :

يتميز التقاطع بين الفضائين العربي و الايراني بصعوبة التعايش و التي تؤثر كثيرا في استقرار النظام الجيوستراتيجي العربي خصوصا و أن الانقسام الشيعي - السني لا يلعب دور المهدئ. منذ إقامة النظام الاسلامي في ايران 1979 تحاول ايران عبر العديد من المفاهيم و السياسات تزعمها للعالم الاسلامي. يعكس التوتر المستمر في العلاقات مع المملكة السعودية منذ ذلك الحين (خصوصا

¹ Mutin et Barge, *Géopolitique du monde arabe*. Op. cit. p. 43.

² Mutin et Barge. Ibid, p. 44.

في موسم الحج و حول قضايا الاسلام و النزاع الفلسطيني الاسرائيلي) هذا التنافس الشرس في تقديم رؤية قيادية للعالم الاسلامي¹. تعرف العلاقات مع مصر أيضا انقطاعا دبلوماسيا منذ سنة 1980 (بفعل زيارة السادات لاسرائيل و امضاء اتفاق السلام كامب ديفيد 1979 ، و خصوصا بعد استقبال مصر للشاه إثر الثورة الاسلامية) إلى غاية ثورة جانفي 2011.

من جهة أخرى يتفاعل الفضاء الإيراني مع سوريا بشكل ايجابي و متميز جدا. سوريا هي الدولة العربية الوحيدة التي تربطها علاقات جد متينة مع ايران. منذ حرب العراق و ايران 1980 - 1988 كانت سوريا الدولة العربية الوحيدة التي دافعت عن الموقف الإيراني و هي النقطة التي كرس هذا الارتباط الوثيق بين الطرفين. إن ثمره هذا التعاون كانت تكوين حزب الله في لبنان كأداة استراتيجية للقوتين الاقليميتين لتسيير أوضاع الشرق الأوسط. تحتفظ ايران ايضا بنفوذ كبير على القسم الشيعي في عراق ما بعد صدام حسين. يمثل العراق أهمية استراتيجية بالغة لإيران ، فهو فضلا عن الحدود الجغرافية الممتدة على طول 1458 كلم - أي أكثر من 40 % من الحدود البرية لإيران - و التي تمثل تاريخيا الحدود بين المنطقة العربية و إيران ، بين الامبراطورية العثمانية سابقا و الامبراطورية الفارسية مأوى للعديد من المقدرات الشيعية التي يريد كل من الشيعة أو السنة مراقبتها. تمتلك إيران أقوى أداة للتأثير على العراق الحالي ؛ الشيعة. أكثر من 60 % من سكان العراق هم شيعة و هو ما يساعدها على الاستثمار في هذه الفئة التي تربطها معها علاقات متينة منذ الثمانينيات من القرن المنصرم². لا يتم الدعم الإيراني للشيعة العراقيين على اساس ديني فقط بل يبرر على اساس جيوسياسية محضة أيضا . وصول حكومة شيعية أو أحزاب موالية لإيران إلى سدة الحكم في العراق يدعم بشكل كبير المواقف الإيرانية حول القضايا الجهوية و حتى بخصوص الشأن العراقي. تتميز العلاقات الاقتصادية بين الطرفين بتماسك كبير ، بل إن العراق هو أهم متعامل اقتصادي بالنسبة لإيران.

المنطقة العربية ذات أهمية بالغة بالنسبة لإيران خصوصا المجالات المتاخمة لحدود التأثير الفارسي. تتميز إذن العلاقات الإيرانية بالعالم العربي بصعوبة التعايش و ذلك يعود أساسا إلى "تباعد الرؤى"³ الموجود في مخيلة كل طرف عن الآخر منذ فترة زمنية قديمة في التاريخ بين العرب و

¹ Mohammad-Reza Djalili, « La politique arabe de l'Iran », *A contrario* 5, n° 1 (2008), <https://www.cairn.info/revue-a-contrario-2008-1-page-134.htm>. p. 137.

² Djalili, p. 143.

³ Djalili, p. 144.

الفرس. ساهمت فيما بعد القوميات الوطنية الايرانية و العربية المبنية على شاكلة الدولة الغربية في تغذية هذه الاختلافات بالشكل الذي يجعل الفضائين العربي و الايراني في تنافس مستمر من أجل زعامة العالم الاسلامي.

- التقاطع العربي مع تركيا :

يتميز التقاطع بين الفضائين التركي و العربي أيضا بعدم الاستقرار. لقد ظل الفضاء العربي في المخيلة التركية كفضاء للتوسع (الاحتلال العثماني ، التوغل المستمر للقوات التركية داخل الأراضي العراقية خصوصا 2003 ، 2016) ، و كفضاء هزيمة (بسبب الموقف العربي المدعوم من بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى ضد القوات العثمانية من أجل تحقيق الاستقلال) ، و أيضا كفضاء مواجهة¹ (القوى الاقليمية المنافسة على زعامة العالم الاسلامي ؛ ايران و السعودية). نتيجة لهذا الموروث التاريخي ، كان لدى الدولة التركية الحديثة التي أنشأها مصطفى كما اتاتورك توجه نحو اعتبار الفضاء العربي كفضاء "يجب اجتنابه"². لكن و منذ مجيء النخب الجديدة في تركيا منذ 2002 مع حزب العدالة و التنمية (AKP) أصبح الفضاء العربي ذو أهمية فائقة يجب الاستثمار فيه. في الفكر الاستراتيجي لمسؤولي الحزب ، فإن للمنطقة العربية وظيفة استراتيجية و هي أنها تستخدم كقاعدة ضرورية لوصول تركيا إلى مركز القوة الجهوية بداية ، ثم القوة العالمية (Mondiale)³. هذا التقييم الجديد لأهمية المنطقة العربية من طرف إطارات حزب الـ AKP يدل على عودة للأترك إلى الفضاء العربي و لكن بإتباع حسابات معقدة و باستعمال وسائل و استراتيجيات تتوافق و سلوكات القوى المتوسطة الحجم. في كتابه " العمق الاستراتيجي : المكانة الدولية لتركيا" يوضح أحمد داوود أوغلو⁴ الأسس الجديدة للسياسة التركية في محيطها الاقليمي. حسب هذا العقل التركي فإن تركيا عليها أن تستغل الامكانيات التي يوفرها لها العمق الاستراتيجي ؛ العمق الجغرافي و العمق التاريخي. هذا الأخير ينحدر أساسا من الماضي العثماني القريب ، اي المنطقة العربية و حوض المتوسط. تجسيد هذه النظرة تراوح اساسا بين القوة المرنة – اي سياسية ثقافية قوية

¹ Emel Parlar Dal, « Le paradoxe méditerranéen de la Turquie. "La Turquie pour la Méditerranée", de l'indifférence à l'ambiguïté », *L'Europe en Formation* 356, n° 2 (2010), <https://doi.org/10.3917/eufor.356.0087>. p. 87.

² Jana Jabbour, « Le retour de la Turquie en Méditerranée : la « profondeur stratégique » turque en Méditerranée pré- et post-printemps arabe », *Cahiers de la Méditerranée*, n° 89 (1 décembre 2014), <https://cdlm.revues.org/7671>. p. 53.

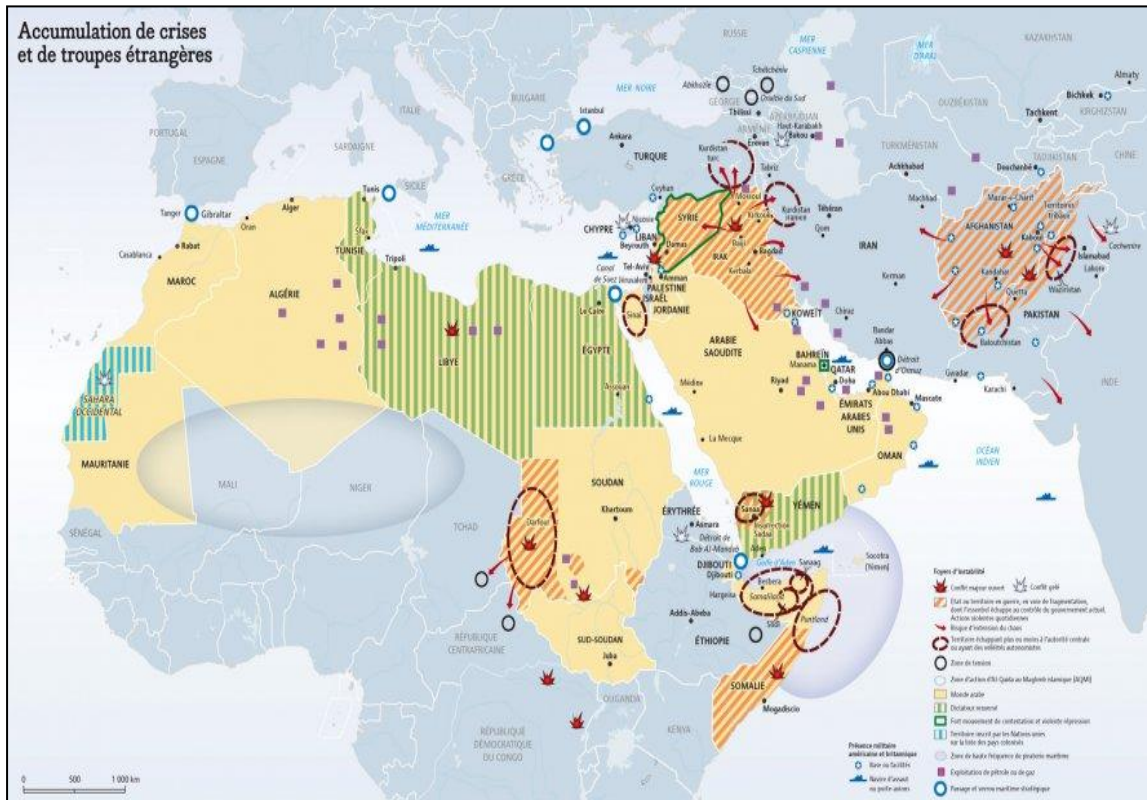
³ Parlar Dal, « Le paradoxe méditerranéen de la Turquie ». p. 91.

⁴ رئيس الوزراء السابق لتركيا و استاذ العلاقات الدولية بجامعة مرمره.

- و القوة الصلبة - التدخل في سوريا 2014 و التوغل المباشر في العراق 2016. الرؤية التركية للفضاء العربي هي رؤية استخداماتية و وظيفية¹ من أجل إدماج تركيا في رقعة الشطرنج العالمية.

2. خصائص المشاكل الجيوبوليتيكية التي يفرزها فضاء المنطقة العربية : الحركات المهيكلة

تتحكم جملة الخصائص و التقاطعات الفضائية السابقة في تحديد طبيعة المشاكل الجيو- سياسية للمنطقة العربية. على الصعيد الداخلي ، و رغم أن العالم العربي تأثر كثيرا بـ"حلم الوحدة العربية " الذي جسده جملة من الرؤى الاستراتيجية المنضوية تحت ما يسمى بتيار العروبة Panarabisme إلا انه يضل منقسما سياسيا بين 22 دولة (معيار العضوية في الجامعة العربية المستند على اعتبار اللغة العربية لغة رسمية دستوريا) و ثقافيا بين العديد من العرقيات و الديانات بما فيها الاسلام ، دين الأغلبية.



خارطة رقم 02 : جغرافيا عدم الاستقرار و الحضور العسكري الأجنبي في العالم العربي
المصدر : Atlas 2012 du Monde Diplomatique "Mondes émergents"

¹ Jabbour, « Le retour de la Turquie en Méditerranée ». 48.

على الصعيد الخارجي ، يضل القرب من أوروبا و الحضور الأمريكي العسكري الدائم في المنطقة العربية محددًا رئيسيًا لسياسات التدخل الخارجية التي يصاحبها عادة استعمال جدي و خطير للقوة العسكرية. ينتج عن هذه الأخيرة مجموعة من المشاكل المقوضة للاستقرار و الازدهار الاقتصادي و الاجتماعي للمنطقة و التي يمكن تلخيصها في أربع حركات كبرى ؛ الحركية الجغرا - استراتيجية ، الحركية السياسية و موروثها النزاعي ، حركية النزاع الفلسطيني الاسرائيلي و حركية التنافس العالمي في المنطقة العربية.

- **الاقليم الجغرا-استراتيجي كمصدر لعدم الاستقرار :** يعتبر التنوع الاقليمي ميزة حقيقية للدول العربية و لكنه في نفس الوقت مصدر من مصادر اللإستقرار. تعتبر الصحاري و هي أغلب ما يشكل الاقليم العربي فضاء تجاريا و موردا اقتصاديا مهما لأنه عبارة عن حقول ضخمة للنفط السهل استخراجة و لكنها في نفس الوقت اقليم للنشاط الارهابي (الجزيرة العربية ، الشام و العراق و الصحراء الجزائرية و شبه جزيرة سيناء)، اقليم ممتاز لمختلف أنشطة التهريب (الصحراء الغربية و دول الساحل) و اقليم للنزاع الاستراتيجي بين الدول العربية (الجزائر و المغرب حول الصحراء الغربية، السعودية و اليمن حول الأحواض النفطية). يفرز الاقليم ايضا تحديات بخصوص الزراعة التي تعاني من مشاكل المردودية و تحديات بخصوص ندرة الموارد المائية ما ينعكس سلبا على أمن السكان ، من الناحية الديمغرافية فإن النمو السكان يتباطأ باستمرار منذ بداية التسعينيات و لكن أكثر من ثلث السكان هم من فئة أقل من خمسة عشر سنة و هو ما يشكل تحديات حقيقة بخصوص التعليم و الشغل بالنسبة للدولة العربية¹.

- **الظاهرة النزاعية كانعكاس للخلاف السياسي :** تتعدد النزاعات في المنطقة العربية من حروب دولانية (حروب العراق ضد ايران و الكويت سنوات الثمانينيات و بداية التسعينيات) إلى حركات تحرر (الأكراد في العراق و سوريا ، الصحراويون في المغرب) ثم إلى حروب أهلية (العراق ، سوريا و اليمن). يرجع هذا الأمر إلى ثقل الخلافات السياسية بين الدول العربية المعنية و التي تعكس عادة مشاريع سياسية زعاماتية لدول و أخرى. في الحقيقة ، فإن الدول العربية ذات الثقل السياسي و الاقتصادي (السعودية بثقلها الاقتصادي و

¹ Tancrede Josseran, Florian Louis, et Frédéric Pichon, *Géopolitique du Moyen-Orient et de l'Afrique du Nord. Du Maroc à l'Iran*, Major (Paris: Presses Universitaires de France, 2012), <https://www.cairn.info/geopolitique-du-moyen-Orient-et-de-l-afrique--9782130606383.htm>. p. 22.

السياسي، مصر بموروثها الاستراتيجي و البلماسي ، العراق قبل التقسيم بمقدراته الاقتصادية ، سوريا بتأثيره الاقليم، الجزائر بمقدراتها البترولية و الدبلوماسية و المغرب بمقدراته الاستراتيجية و الدبلوماسية) كلها ذات طموحات زعاماتية للمنطقة لكن من دون وجود قدرة لأحدهم على فرض هيمنته و على صياغة مشروع سياسي و استراتيجي واضح المعالم. هذا الوضع هو ما سمح لقوى اقليمية غير عربية (اسرائيل ، تركيا و ايران على وجه الخصوص) إلى فرض مشاريع سياسية بديلة للمنطقة. من جهة أخرى فإن كل الدول المشار إليها هنا عليها أن تتعامل مع مسائل الأقليات (الأكراد ، الشيعة و الأمازيغ في المغرب و الجزائر). كل هذه الصعوبات جعلت الدولة العربية تفضل التعامل الثنائي مع العناصر الخارجية بدلا من صياغة مشاريع مشتركة بموجبها تستطيع أن تحافظ و ترقى مصالحها في بيئة جد متغيرة.

- **غياب التسوية للنزاع الفلسطيني الاسرائيلي** : يتجسد هذا من خلال عدم تأسيس الدولة الفلسطينية إلى حد الساعة و إلى استمرار الانتفاضات التي تظهر من حين إلى آخر و إلى استمرار سياسة الاستيطان الاسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المخالفة للشرعية و الأعراف الدولية. منذ نشأة الدولة العبرية سنة 1948، عرفت المنطقة حربين بفعل هذه المشكلة (حربي 1948 و 1967) حيث أفرزت الأخيرة احتلال القدس و قطاع غزة و الضفة الغربية. محاولات التسوية تميزت باتفاقيين مهمين هما اتفاق طابا و بروتوكول أسلو 1993 الذي انتهى بالفشل خصوصا إثر الانتفاضة الثانية. أدى مسار الحرب و مسار السلام إلى بروز "فلسطين مفتتة" و تابعة كليا لإسرائيل و القوى الدولية و الاقليمية. يعتبر هذا النزاع أهم المحركات التي تهيكّل الرأي العام العربي حول الغرب و سياساته بصورة عامة.

- **التنافس بين القوى الكبرى في المنطقة العربية** : هناك تنافس كبير بين القوى الكبرى في العالم في المنطقة العربية. تواصل الو م أ الحفاظ على مصالحها الحيوية (الحفاظ على أمن الحلفاء و خصوصا اسرائيل ،التحكم في موارد الخليج العربي و نشر القوة العسكرية لحماية الطرق الحريية التقليدية). تحافظ روسيا بدورها على تحكمها في منطقة بحر قزوين لمراقبة موارد الغاز و طرق النقل إلى أوروبا عبر المتوسط (ما يفسر الموقف الروسي الداعم للجمهورية العربية السورية في الحرب على الارهاب و حمايتها من التفكك) و هو الأمر الذي يهدف في الأخير إلى التحكم في مفاتيح نظام توزيع الغاز العالمي. الاحتياجات المستمرة

للطاقة تجعل من الصين لاعبا تابعا جدا لموارد المنطقة العربية (خاصة الخليج العربي) (45 % من صادرات النفط الصينية سنة 2010 مصدرها الشرق الأوسط)¹.

فضلا عن العناصر الهيكلية المشار إليها سابقا فإن للمصالح الأمريكية كقوة فضائية كونية تأثيرا خاصا على بنية النظام الاقليمي العربي .

المطلب الثاني : تأثير المصالح الأمريكية على النظام الجيوسياسي الإقليمي العربي

من الصعب جدا تحليل العالم العربي من زاوية جيوسياسية من دون إبراز دور فاعل مركزي فيه و هو الولايات المتحدة الأمريكية. يعتبر الحضور و التدخل الأمريكي في العالم العربي حديثا نسبيا مقارنة بالدول الأوروبية التقليدية (فرنسا و بريطانيا). لقد تجسد هذا الحضور في البداية على المستوى الاقتصادي من خلال استثمارات و أعمال الشركات البترولية الأمريكية خصوصا في المملكة العربية السعودية (كانت المناطق البترولية غير السعودية في الشرق الأوسط خصوصا ثم في الجزائر و ليبيا تحت سيطرة القوى الأوروبية). أصبحت الموارد البترولية للعالم العربية مهمة جدا خلال فترة ما بين الحربين العالميتين و أثناء الحرب العالمية الثانية و هي القيمة الإستراتيجية التي استوعبها الرئيس روزفلت جيدا ما أفرز اتفاق - أو بالأحرى تحالف - كوينسي 14 فيفري 1945 مع الملك ابن سعود . أسس هذا التحالف في الحقيقة للنظام الاقتصادي العالمي الحالي و هو ذو أهمية بالغة : البترول السعودي ضروري للأمن الأمريكي و بالعكس تعتبر الحماية العسكرية الأمريكية ضرورية للأمن السعودي. لكن من جهة أخرى ، فإن الوقوف الأمريكي بجانب إسرائيل هو متغير آخر أكثر من مهم لفهم الوجود الأمريكي في المنطقة العربية و يبدو "تحالفا قويا " بين الطرفين و محدد مركزي لفهم المنظومة الأمنية غير المستقرة في المنطقة العربية.

¹ François Lafargue, « Chine/États-Unis. La course aux hydrocarbures ! », 2007, https://www.scienceshumaines.com/chine-etats-unis-la-course-aux-hydrocarbures_fr_21236.html.

رغم قوة الحضور الأمريكي في المنطقة العربية و رغم قوة التحالفات التي تربطها بأهم قوى المنطقة إلا أن هذا الحضور يعاني من ضعف في شرعيته و هو الأمر الذي يغذي الكثير من المقاومة التي يبديها بعض الفاعلين المحليين. تلجأ بالتالي الو م أ لمختلف أنواع الدبلوماسية لتبرير هذا الحضور ، بما فيها الدبلوماسية العامة التي يجب التعامل معها بحذر " كتقنية إستراتيجية " للدفاع عن المصالح الأمريكية و ليس كمشروع سياسي للمنطقة. في الحقيقة ، الوجود الأمريكي في المنطقة العربية يعاني من أزمة شرعية منذ نهاية الحرب الباردة ، و هي الفترة التي تم فيها تقديم "الهيمنة الأميركية " للرأي العام العربي على أنه "ضرورة " لمواجهة الخطر الشيوعي " . لكن اليوم الو م أ هي "العدو " بالنسبة للكثير من الفاعلين (الرأي العام ، أنظمة سياسية كما في حالة العراق و سوريا ، قوى الارهاب الاسلاموي) و مواجهتها أصبحت الطاقة الموحدة لجهود هؤلاء. يبرر إذن التواجد الأمريكي في المنطقة العربية بمجموعة من المصالح الاستراتيجية (1) و التي اصبح تتبعها مصدرا في حد ذاته من مصادر تهديدها (2). أي أن السياسات الواقعية في حماية هذه المصالح لا تفرز فقط مجموعة من الحلفاء بل هشاشة في منظومة العلاقات البينية نتيجة لصعود قوى مناوئة للوضع القائم.

1. المصالح الأمريكية في المنطقة العربية

يتميز العمل السياسي الأمريكي الطويل المدى في العالم العربي بالانسجام و التوجه نحو حماية المصالح الاستراتيجية بالمنطقة. هناك استمرارية و مبادئ ثابتة في توجهات السياسة الخارجية الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية و تأكدت بشكل صريح بعد نهاية الحرب الباردة. تشكلت " هوية" المصالح الأمريكية بالمنطقة العربية بشكل تدريجي ، تراكمي و اتحادي. بعبارة أخرى ، هي نتيجة للتفاعل مع اعتبارات السياسة الداخلية و لمنطق التفاعل الموجود بين الكثير من الفاعلين الداخليين (الحكومة ، الكونغرس ، اللوبيات ، مراكز الفكر ، وسائل الإعلام). يفسر لنا هذا المعطى الاستمرارية الموجودة في السياسة الخارجية الأمريكية و خصوصا في المنطقة العربية حيث من الصعب على أية إدارة إحداث تغييرات جذرية فيها و حتى إن حصلت فهي تدريجية و بطيئة. داخل

هذا السياق المؤسسي للسياسة الخارجية هناك خمس مصالح الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة العربية ، حسب أمين آيت شعلال¹.

- استقرار و أمن إمدادات المحروقات ،
- ضمان المركز الاستراتيجي كمهيمن سواء كان ذلك على الوجه الذي حصل خلال فترة الحرب الباردة أو على الوجه الحاصل منذ نهاية الحرب الباردة،
- دعم و حماية الأنظمة المساندة أو الحلفاء الهيكليين في المنطقة، ومنه تتأتى مصلحة الو م أ في "استقرار الوضع القائم"،
- ديمومة التحالف الاستراتيجي بين الو م أ و إسرائيل ،
- الحرب الشاملة ضد الإرهاب منذ "الحادي عشر من سبتمبر".

لكن ، من المهم جدا الإشارة إلى أن هذه المصالح لا تستجيب لإستراتيجية أمريكية متجانسة خاصة بالمنطقة العربية. أدركنا أنفا أن المنطقة العربية ليست فضاء سياسيا و استراتيجيا متجانسا بفعل التقسيم السياسي الموجود بين 22 دولة ، و كذلك المصالح الأمريكية لا تستجيب لإستراتيجية عربية للوم. أ بل هناك استراتيجيات تحت عربية. هذه الأخيرة تتميز ايضا بكونها "ظرفية" أي تستجيب لطموحات استراتيجية خاصة بأوضاع معينة و منها مثلا "مشروع الشرق الأوسط الكبير" الذي ورد في سياق جيو استراتيجي ظرفي محدد. حسب الأستاذ ناصف حتي² و هو أيضا سفير الجامعة العربية في باريس فإن للمصالح الأمريكية في المنطقة العربية ثلاث أعمدة رئيسية : إسرائيل ، البترول و استقرار الأوضاع القائمة³.

أ. أمن إسرائيل

يعود الحضور الأمريكي في النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني خصوصا و الدعم الأمريكي لإسرائيل عموما إلى فترات تاريخية غير قديمة ، أي بعد الحرب العالمية الثانية ، و هو ما يعتبره هنري لورنس استمرارا للآزمات الكبرى التي عرفها "الشرق" خلال القرن التاسع عشر و هو ما يسميه

¹ Amine Ait-Chaalal, « Les Etats-Unis et les soulèvements arabes (Janvier 2009 - Janvier 2013) », *Observatoire des mutations politiques dans le monde arabe IRIS*, 2014, 1, <https://dial.uclouvain.be/pr/boreal/object/boreal:167162>. P. 4.

² و هو أيضا سفير الجامعة العربية بفرنسا. شغل منصب أستاذ العلاقات الدولية بالجامعة الأمريكية في القاهرة.

³ Denis Bauchard, *Le nouveau monde arabe: enjeux et instabilités* (Bruxelles: André Versaille éditeur, 2012). P.19.

بتواصل أزمات الشرق¹. لكن ، ما هي العوامل التي أدت إلى الدعم الأمريكي لإسرائيل ؟ عند قيام الدولة الاسرائيلية كانت الو م أ تشهد شعورا حادا ضد السامية ، لذلك رأت الإدارة الأمريكية في تأسيس الدولة اليهودية ملاذا لها في مواجهة المشكلة اليهودية من حيث أنها ستحول حركة الهجرة نحو اسرائيل و توقفها باتجاه الو م أ². تدخلت فيما بعد - خلال سنوات الخمسينيات - قضية الهولوكوست بقتل كبير كعامل إضافي مفسر للدعم الأمريكي لإسرائيل³. أنتت الحرب الباردة التي تزامنت في المنطقة العربية مع قيام دولة اسرائيل لتؤكد انحياز الو م أ نحو اسرائيل. خلال هذه الفترة و خصوصا بعد سبتمبر الأسود حصل تحول في نوعية خلفيات الدعم الأمريكي لإسرائيل و تحولت بموجبها اسرائيل إلى " حليف استراتيجي " .

بجانب هذه الارتباطات التاريخية توجد روابط جد متينة بين الو م أ و اسرائيل على الصعيد العسكري و الاقتصادي. تعتبر اسرائيل دولة غنية اقتصاديا و تمتلك بنية تكنولوجية رفيعة و جد متطورة و هي بالتالي تمتلك ارتباطات وثيقة بالشريك الأمريكي (خصوصا في الصناعة العسكرية و الصناعة الالكترونية) كما أنها مركز استقطاب للاستثمار الأمريكي و من أمثلة هذا الجذب قرار شركة *Intel* في قطاع تجهيزات الالكترونية سنة 2012 ببناء مركزها الرئيسي الخاص بإنتاج الشرائح *Les Processeurs* من الجيل الأخير في اسرائيل. تمتلك الصناعة العسكرية الأمريكية مبررات قوية لدعم اسرائيل بالسلاح. أولا ، التمويل يأتي خصوصا من المؤسسات ذات الطابع غير الربحي مثل *Ford Foundation* المعروفة بقربها من الأوساط اليهودية الاسرائيلية كما يأتي من استثمارات صناديق الحماية الاجتماعية في اسرائيل. ثانيا ، هذا التمويل الكبير لإسرائيل بالسلاح ينتج عنه سياسات تسابق في التسلح بالنسبة للدول العربية المعادية لإسرائيل ما ينتج عنه في النهاية مبيعات ضخمة للسلاح الأمريكي للدول العربية (ولكن أسلحة أقل تطورا من تلك المقدمة لإسرائيل). من المبررات الأخرى للدعم الأمريكي لإسرائيل وجود طبقة مفكرين منحازة لإسرائيل و لديها سهولة في الوصول إلى وسائل الاعلام و هذا ما يساعد دوما على تقديم الأحداث بصورة تتوافق مع مصالح الطرفين في المنطقة العربية.

¹ « Henry Laurens : le retour de la géopolitique », *Les Cahiers de l'Orient* 115, n° 3 (2014),

<https://www.cairn.info/revue-les-cahiers-de-l-orient-2014-3-page-81.htm>. p. 83.

² Lloyd P. Gartner, « THE GREAT JEWISH MIGRATION 1881-1914: MYTHS AND REALITIES », *Shofar* 4, n° 2 (1986), <http://www.jstor.org/stable/42940756>. p. 17.

³ « Henry Laurens : le retour de la géopolitique ».op. cit. p. 97.

من الناحية الاستراتيجية ، تستند العلاقة الثنائية بين الوم أ و اسرائيل على فهم مشترك للمصالح الاستراتيجية و على تعاطف أمريكي كبير ينظر إلى إسرائيل على أنها مجتمع ديمقراطي متفتح مبني على قيم الحرية و الانسانية. ينظر إلى الدولة اليهودية على أنها دولة غربية و ديمقراطية. في الكثير من الأحيان ، ينظر إلى اسرائيل على أنها انعكاس لأمريكا ليس فقط بسبب القيم الثقافية و السياسية المقتسمة بين الطرفين بل بسبب التوافق الإثني و الثقافي و الديني للنخب المسيطرة في الدولتين¹. يفسر لنا هذا الأمر لماذا لم تتأثر العلاقات الأمريكية - الاسرائيلية كثيرا بفعل التقلبات الجيو- استراتيجية الحاصلة منذ الحرب الباردة و بعد الحادي عشر من سبتمبر ثم بعد الربيع العربي. لم يضعف الدعم الأمريكي لإسرائيل بتاتا رغم أنه مكلف جدا من الناحية الاقتصادية ، الدبلوماسية و البشرية. لكن ، هذه العلاقة الحميمة بين الطرفين تعتبر من أهم مصادر " مشاعر عداء الرأي العام العربي للوم أ " ² و هو الأمر الذي يؤسس لنوع من الاختلاف بين الطرفين : في حين ان الوم أ لها مفاهيم كونية لأن مصالحها ذات طبيعة كونية تظل اسرائيل ذات رؤية أمنية اقليمية محضة (عقيدة البقاء) و هذا ما يؤسس لشكل من أشكال الخلاف على المدى البعيد³. من أمثلة ما يؤكد هذا الطرح المواقف المختلفة للطرفين حول "الربيع العربي" ؛ في حين تخلت الوم أ عن الحلفاء السابقين (نظام مبارك خصوصا) بسبب نظرتها لمصالحها الكونية كانت اسرائيل في تحذير مستمر من استيلاء "الاسلاميين" على السلطة. بنما كانت نظرة الوم أ تستهدف عدم تعرض الملكيات الخليجية إلى الاهتزاز كانت اسرائيل لا تطالب سوى بممارسة الضغط الدولي على النظام الجديد في مصر من أجل احترام معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية. يشكل هذا النوع من الاختلافات العقدية مصدرا من مصادر خطر الوقوع في العزلة الاقليمية بالنسبة لإسرائيل أو حتى فرصة لإعادة تحريك "الجبهة الجنوبية" (مصر).

ب. أمن التمويل بالمحروقات

أهم المصالح المحسوسة على الإطلاق بالنسبة للوم أ هي أمن التمويل البترولي. منطقة الخليج العربي و صحراء شمال افريقيا تحتويان على موارد ضخمة. بحكم أن البترول هو عصب النموذج الطاقوي الحالي للإنسانية فإن المنطقة العربية تعتبر أيضا في مركز هذا النموذج بفعل

¹ Elizabeth Stephens, *US policy toward Israel: the role of political culture in defining the « special relationship »* (Portland OR: Sussex Academic Press, 2006). PP. 42-45.

² Stephens. p. 51.

³ Idem.

حيازاتها على حوالي 75 % من الاحتياطات العالمية المؤكدة¹. من أجل فهم أوضح لقيمة هذا المتغير بالنسبة للأمن الأمريكي - أي الأمن الطاقوي - فإنه من الضروري أن نسوق بعض التخمينات عن هذه المسألة.

أحدثت التقلبات المفاجئة لسعر البترول في الأسواق الدولية خلال فترة 2003 - 2007 (سعر البترول في نهاية سنة 2002 كان في حوالي 25 دولار للبرميل بينما تجاوز مع بداية 2008 الـ 120 دولار ، أي حوالي ست أضعاف) تغييرات هيكلية في المنظومة الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية العالمية². منذ هذه الصدمة البترولية الثالثة (الأولى 1973-1974 و الثانية سنتي 1979-1980) يلاحظ تشكل مفاهيم جديدة ، على رأسها "الأمن الطاقوي" ، " السلاح الطاقوي" ، "الدبلوماسية الطاقوية" ... إلخ. لم يعد البترول مجرد سلعة اقتصادية ، بل تم تسييسه فعلا ، بمعنى أنه أصبح محور أية استراتيجيات تقوم بها الدولة. يلاحظ أيضا مع هذه الصدمة الثالثة و على عكس الصدمات السابقة أن البترول أصبح "كثير التداول إعلاميا". تحتل النقاشات الاعلامية و حتى المعرفية (أي المبنية على الخبرة العلمية) عن ذروة الإنتاج و محدودية الاحتياطات أو حتى نهاية "عهد البترول" مركز النقاش عن أمن الدولة المعاصرة. لقد خلقت هذه النقاشات نوعا من القلق الاجتماعي و الذي بدوره ساهم في تغذية الصدمة -أي في رفع الأسعار - و في تكريس أزمة النموذج الطاقوي البترولي.

تقوم الاستراتيجية الطاقوية الأمريكية على فكرة "الأمن الطاقوي" الذي يجب تحصيله بجميع الوسائل. يتم تعريف الأمن الطاقوي في الو م أ على أنه " توفر الطاقة بجميع مصادرها و تحت جميع

¹ يجب أن نشير إلى أن مفهوم الاحتياط لا يجب النظر إليه على أنه مفهوم جيولوجي ، أي كاحتياط توفره الطبيعة بل هو مفهوم اقتصادي لأن الصناعة البترولية هي التي تنتجها (الاحتياط) من خلال الاستثمارات التي تعتمد عليها في حقول معينة تم التأكد من وجود أحواض نفطية فيها. الاحتياطات المؤكدة هي إذن احتياطات تم تقديرها بعد الاستثمارات و التطويرات على مستوى الحقول. الاحتياط هو "مخزون البترول القابل للإنتاج حاليا". لا تقوم الدول العربية على العموم - و هي المالكة عموما للشركات البترولية - بالاستثمار لتأكيد الاحتياط رغم أن الأمر نافع جدا من الناحية الاقتصادية و الاستراتيجية و هذا في إطار استراتيجيتها للدفاع عن سعر جيد. ينتج عن هذا أن الطلب العالمي على البترول تضاعف بحوالي الثلث منذ 1973 بينما ظل انتاج المنطقة العربية هو نفسه تقريبا خلال ثلاثين سنة الأخيرة ما يعني أن الدول العربية فقدت حصصا في السوق لصالح منتجين آخرين.

² Pascal Chaigneau, « Géopolitique et enjeux stratégiques du pétrole », Carnets du Business, consulté le 2 décembre 2017, http://www.carnetsdubusiness.com/Geopolitique-et-enjeux-strategiques-du-petrole_a468.html.

أشكالها للمستهلكين بكميات معقولة و بأسعار معقولة¹. تكمن خصوصية الاستراتيجية الأمريكية للأمن الطاقوي في كيفية مواجهتها للتهديدات. هذه التهديدات تدرج في فئتين هما : التبعية *dépendence* و التضرر *vulnérabilité*. تبعا لهذا، و حسب فرانسيس لالوند ، تقوم السياسة الطاقوية الأمريكية على تنويع العرض العالمي للمحروقات و ليس على الحد من الطلب القومي على المادة. بعبارة أخرى ، لا تحاول الو م أن تغير من عادات الاستهلاك أو البحث عن نموذج طاقوي بديل بل موردين جدد قادرين على تزويد الو م بأحتياجاتها اللازمة². من جهة أخرى ، فإن حساسية الاقتصاد الأمريكي أمنيا في هذه النقطة لا تكمن في درجة التبعية للمنتجين الخارجيين بل في درجة "تركز العرض العالمي" في منطقة ما³. في هذه النقطة بالذات تتواجد المنطقة العربية في قلب المسألة لأنها أهم منطقة قادرة على إنتاج الكميات اللازمة في حالات الأزمات البترولية و التي هي أهم مؤثر أمني طاقوي على اقتصاد الو م أ و ليست درجة التبعية. هذا ما يفسر لنا لماذا لا تقوم الاستراتيجية الطاقوية الأمريكية على "التقليص و الحد من التبعية" بل على التبادل الدولي المرن مع الممولين الأكثر تنافسية في مجال الانتاج و الأسعار (في مسألة توريد النفط السعودي إلى الو م أ تقع أعباء النقل على المملكة مثلا)⁴.

يتعلق التهديد الثاني بمسألة التضرر *vulnérabilité* و التي لا تتعلق كثيرا بالتبعية بل بمخاطر انقطاع التمويل بالنفط. رغم أن الاقتصاد الأمريكي تابع بنسبة 60 % للبتروال الأجنبي و رغم أن هذا الأمر ليس بمؤشر ايجابي للأمن الطاقوي الأمريكي إلا أن ثلثي الاستيراد الأمريكي يأتي من مصادر جد موثوقة (كندا و المكسيك) بينما يأتي الثلث الآخر من دول حرجة أمنيا (العربية السعودية ، فنزويلا ، العراق ، نيجيريا ، الجزائر - 6% -)⁵. للحد من التبعية تقوم الاستراتيجية الأمريكية على الاستثمار بنفسها في الحقول الأجنبية. هذه الاستراتيجية تسمح من جهة بالتقليل من التبعية و من جهة أخرى بخلق أسواق أخرى للرأسمال الأمريكي. يتم حماية هذه الاستثمارات في نهاية الأمر بالقوة العسكرية إن تطلب الأمر. لا تتردد الو م أ في تنفيذ هذه الاستراتيجية باستخدام

¹ Pierre Noël et Sonia Marcoux, « La "doctrine Bush" et la sécurité pétrolière », *Politique étrangère* Été, n° 2 (2006), <https://doi.org/10.3917/pe.062.0243>. p. 243.

² Francis Lalonde, « La sécurité énergétique américaine ou la défense de l'American way of life ? », *Bulletin d'information de l'Institut d'Etudes internationales de Montréal*, n° 65 (2006).

³ Noël et Marcoux, « La "doctrine Bush" et la sécurité pétrolière ». p. 245.

⁴ Pierre Noel, « La Stratégie américaine de sécurité et le pétrole du Moyen-Orient », *Institut Français des Relations Internationales, Centre français sur les Etats-Unis, Working paper* 10, n° 03 (2003): 1. P. 07.

⁵ Noel. P.5.

الأساليب العسكرية و مثال حرب العراق 2003 ترجمة فعلية لهذا المنطق. لكن هذا لا ينفي اللجوء إلى استراتيجيات أخرى ، فهي تعتمد على الدبلوماسية الاقتصادية و على الشراكات التاريخية (ميثاق كوينسي ؛ البترول مقابل الحماية الأمنية)¹.

ت. دعم الأنظمة الموالية و استقرار الوضع القائم

يعتبر الحفاظ على الأوضاع القائمة في الكثير من جهات المنطقة العربية سمة من سمات السياسة الأمريكية فيها (عدم تدعيم أية مبادرة لحل ملف الصحراء الغربية ، مساندة الأنظمة الخليجية ، مصر ، تونس ...). لكن الهدف الاستراتيجي من هذه السياسة هو تطوير التعاون العسكري و الاقتصادي لأسباب أمنية². يندرج هذا الهدف ضمن خطة تقوم على إشراك الأنظمة العربية " الحليفة " في المنظومة الأمنية الإقليمية و التي تمر أساسا عبر تقوية التحالفات الاقتصادية مع دول المنطقة و ذلك عن طريق تشجيع الإصلاحات الاقتصادية في المنطقة التي تتم عبر تقوية القطاع الخاص على وجه التحديد. تعكس مبادرة الشرق الأوسط الكبير بصراحة هذه الأهداف و كفاءات بلوغها. لكن بمقابل سياسة الحفاظ على الوضع القائم تقوم السياسة الأمريكية على مفهوم آخر نقيض ؛ تغيير النظام. منذ نهاية الحرب الباردة ظلت القائمة الخاصة بالدول المعنية بالتغيير تضم العراق ، سوريا و ليبيا. يبدو أن الأمر قد تم مع زوال نظام صدام حسين و نظام القذافي في انتظار ما ستسفر عنه الحرب في سوريا التي يبدي فيه نظام الأسد مقاومة بمساعدة روسية. يقصد بتغيير النظام في المصطلح السياسي الأمريكي قدرة الو م أ على قلب حكومة معينة بكل الأساليب الممكنة ، بما فيها العسكرية مع إقصاء الأشخاص ذوو العلاقة بالنظام المخلوع من المشاركة في الحكومة البديلة من دون التأثير على المجتمع. لكن على الصعيد العملي ، لم تؤدي هذه السياسة سوى إلى تفكيك مزدوج للدولة و للمجتمع مع بلقنة أو عرقنة Irakisation للأوضاع الأمنية لفترة زمنية ليست بالقصيرة. إن الهدف من تغيير النظام يكمن أيضا في الحفاظ على المنظومة الأمنية القائمة و تجريدها من مصادر التهديد. لقد صرحت كوندوليزا رايس سنة 2008 عن الحالة العراقية قائلة أن " لم تقم الو م أ بقلب

¹ Noël et Marcoux, « La "doctrine Bush" et la sécurité pétrolière », p. 253.

² Yahia H. Zoubir, « Les États-Unis et le Maghreb : primauté de la sécurité et marginalité de la démocratie », *L'Année du Maghreb*, n° II (1 mars 2007), <https://doi.org/10.4000/anneemaghreb.169>.

نظام صدام حسين من أجل ديمقراطية الشرق الأوسط بل لتخليص المنطقة من تهديد طويل المدى للأمن الأمريكي"¹.

2. المصالح الأمريكية في المنطقة العربية كامتداد للأمن الأمريكي

بالنسبة لقوة كونية مثل الو م أ فإن حدود الأمن القومي لا تتوقف مع نهاية الحدود السياسية للدولة بل تتعداها إلى جميع مناطق النفوذ الخارجية. لكن ، و كما رأينا آنفا فإن للمنطقة العربية تقاطعات حساسة جدا مع فضاءات قوة منافسة تؤدي في الغالب إلى توصيفها كمصادر للتهديد . ينتج عن هذا المعطى نظرة أمريكية أمنية محضة للمنطقة العربية غالبا ما تشترك مع عسكره لسياسات التعامل مع قضايا هذا الفضاء الجيو استراتيجي. قدمت إدارة جورج بوش مبررات أمنية صريحة عن حربها في العراق و عن مشروعها الاصلاحى المسمى الشرق الأوسط الكبير و أبرزتها " كدفاع عن المصالح الأمنية عبر محاولة تغيير الظروف التي تؤدي إلى العنف و العداء ضد الو م أ"². كان التبرير المقدم إذن هو احتواء التهديد الارهابي عبر تغيير نظام سياسي لدولة عربية و الذي لم يكن يتماشى و المصالح الأمريكية. ولد هذا السلوك الامبريالي الحربي وضعا من الفوضى في العراق (لا تزال مستمرة إلى الآن) و هشاشة في المنظومة الأمنية العامة لمنطقة الشرق الأوسط لكنه حقق الأهم بالنسبة للو م أ؛ السيطرة على النفط العراقي ضمن استراتيجية حرب طاقوية مستمرة. بالمقابل تجاهل الخطاب الرسمي الأمريكي بشكل لافت مسألة "غياب الأمن الاجتماعى " للشعب العراقي. يستمر عدم الاعتراف بأن السياسات التدخلية الأمريكية هي المصدر الأهم للـأمن العربي من خلال أمثلة عدة و منها التجاهل الكبير للموقف العام العربي بأن الوجود الاسرائيلي هو أهم مصدر تهديد للأمن العربي.

تبين هذه المعطيات حقيقتين : الأولى ، أن الأمن الأمريكي مشروط هيكليا بالحضور الدائم في المنطقة العربية ، و الثانية مفادها أن الهيمنة الأمريكية تتعرض باستمرار للمواجهة من طرف قوى داخلية (أي دول عربية كالعراق سابقا و سوريا حاليا و هيئات مثل الأوببب مثلا في مسألة النفط) و

¹ Alexandra de Hoop Scheffer, « Les États-Unis en Irak : les errances du regime change », *Politique étrangère* Automne, n° 3 (2011): 559-72, <https://doi.org/10.3917/pe.113.0559>. p. 565.

² Waleed Hazbun, « US Policy and the Geopolitics of Insecurity in the Arab World », *Geopolitics* 15, n° 2 (19 mai 2010), <https://doi.org/10.1080/14650040903486918>. p. 247.

قوى خارجية (تركيا ، ايران ، الصين ، روسيا). هذا العامل الثاني يساهم كثيرا في عدم استقرار المنطقة العربية و يخضع المصالح الأمريكية باستمرار إلى التهديد.

أ. مشروعية الأمن الأمريكي بالحضور الدائم في المنطقة العربية

يوضح السلوك الاستراتيجي للوم أ في المنطقة العربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية أن هذه الأخيرة لا توافق على :

- حرمانها من الوصول إلى البترول العربي و
- أن تتعرض هيمنتها على المنطقة العربية إلى التهديد أو المواجهة من منافسين آخرين.

أشارت إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي الأخيرة (2015) أن منطقة الشرق الأوسط و شمال إفريقيا فإن الأمن الأمريكي يرتبط بمدى قدرة الوم أ على الحفاظ على استقرار المنطقة و خصوصا بضمن أمن ساحل الخليج العربي¹. لماذا هذه الإشارة الخاصة إلى هذه المنطقة ؟ لا تكمن الإجابة سوى في متغير النفط و الأمن الطاقوي. بإشارة بسيطة فإن الوم أ لا تمتلك سوى 2 من المائة من الموارد البترولية العالمية بينما تستهلك حوالي 25 من المائة من اجمالي المنتج العالمي. يتوقع خبراء الطاقة أن يصل العرض العالمي (و منه الطلب العالمي)² خلال العشرين سنة المقبلة إلى حدود 120 مليون برميل يوميا ، يكون فيها للصين و الوم أ الحصة الكبرى من الاستهلاك. هذا المعطى جعل خبراء مراكز البحث في الطاقة إلى المناداة بإعداد "استراتيجية الطاقة لعام 2025" و التي فيها إشارة واضحة إلى حتمية الهيمنة على الخليج العربي / الفارسي. الهدف الجيو استراتيجي النهائي هذه الخطة هو استكمال حركة الانتشار و السيطرة على المحيطين الهادي و الأطلسي بهدف السيطرة على "أوراسيا" ، تماما بالشكل الذي يتصوره الجيواستراتيجي زيغنيو بريجينسكي.

في الحقيقة ، للهيمنة الأمريكية على البترول العربي امتداد تاريخي و لكنها تتطور عبر سيناريوهات متنوعة. منذ سنوات العشرينيات ، أي قبل الحرب العالمية الثانية ، تتواجد الشركات الأمريكية في المنطقة. خلال فترة الحرب الباردة ، تركز السلوك الاستراتيجي الأمريكي على تقديم مساعدات للدول الإقليمية الكبرى (تركيا ، السعودية ، و اسرائيل) لمحاربة و لمنع وصول الاتحاد

¹ « National Security Stategy » (The White House, février 2015), <http://nssarchive.us/wp-content/uploads/2015/02/2015.pdf>. p. 26.

² يبلغ الطلب العالمي حاليا ، أي نهاية 2016 ، ما يقارب 77 مليون برميل يوميا و بلغ ذروته سنة 2008 بحوالي 98 مليون برميل يوميا.

السوفيتي إلى النفط الخليجي على وجه التحديد و إلى المنطقة العربية بصورة عامة. هذه الهيمنة الأمريكية شهدت الكثير من الأزمات ؛ الأزمة مع نظام مصدق في إيران الساعي إلى تأمين حقول النفط ما انتهى بالتدخل البريطاني بمساعدة وكالة الاستخبارات الأمريكية لقلب نظامه و تعويضه بنظام الشاه المقرب إليها. انتهت هذه الأزمة بسيطرة الو م أ على النفط الإيراني ، السعودي ، اليمني و الكويتي. من الأزمات الأخرى في هذا السياق أزمة قناة السويس التي وضعت حدا نهائيا للسيطرة البريطانية و الفرنسية على المنطقة الشرق أوسطية خصوصا و التي أفرزت اكتشاف البترول كسلاح نظرا لأن القناة عصب التبادل البترولي. تأمين القناة كان له مخاطر كبيرة على المصالح الغربية و عكس إلى درجة كبيرة أهمية البترول كسلاح سياسي.

من الأزمات الأخرى الكبرى الحرب على العراق 1991 و 2003. منذ استقلال الكويت سنة 1961 استمر العراق في المطالبة بالكويت التي يعتبرها كمقاطعة عراقية. بغزوه للكويت 2 أوت 1990 يكون العراق قد خطا خطوة كبيرة نحو السيطرة على النفط الكويتي و بالتالي تكسير التوازن البترولي السائد (كان ليصبح الرائد البترولي خلفا للسعودية) في الخليج العربي / الفارسي. هذا السلوك تم النظر إليه على أنه تهديد للتوازن الاستراتيجي العام في المنطقة و كتهديد للإمداد النفطي ، و هو مساس صريح بالأمن الأمريكي كما ينص عليه صراحة مذهب كارتر 1980 الذي يعتبر منطقة الخليج كمنطقة أمن حيوية¹. سمح التدخل العسكري سنة 1991 (تم إرسال 400000 جندي أمريكي) ثم حرب 2003 بالقضاء على هذا التهديد و بهيمنة أمريكية على المنطقة ، و بأمننة لخطوط الامداد البترولية و بضمان أمن اسرائيل.

يمكن بالتالي الحديث عن إستراتيجية بترولية بالموازاة مع الاستراتيجيات الدبلوماسية و العسكرية. تصب كل هذه التكتيكات في خدمة هدف واحد يتم بناؤه عادة على مدى متوسط و هو التحكم في جميع البؤر الإستراتيجية للطاقة. لكن ما يلاحظ أيضا هو أنه و رغم أن مجموع الدول العربية ترى في إسرائيل تهديدا أمنيا لها إلا أن السلوك الاستراتيجي الأمريكي يركز على فكرة المصالحة بين المتناقضين (مثلا : الو م أ هي الواقي الأول للمملكة السعودية التي تعتبرها إسرائيل عدوا صريحا لها و هي في نفس الوقت الواقي الوحيد لإسرائيل التي تعتبرها الدول العربية عدوا لها). تدفع الحاجة إلى الموارد النفطية العربية واشنطن إلى تجنب الدول العربية و يدفع أمن اسرائيل إلى

¹ Valentin Germain, « Détroit d'Ormuz, un passage stratégique - Les clés du Moyen-Orient », consulté le 2 décembre 2017, <http://www.lesclesdumoyenorient.com/Detroit-d-Ormuz-un-passage.html>.

التشدد ضد الدول العربية (السلوك الحربي و التدخل العسكري كما في حالة العراق). للتمكن من تسيير هذا التناقض الهيكلي تدافع واشنطن عن مذهب الاستقرار في المصالح، لكن آليات تحقيقه لا تنفي اللجوء إلى جميع الوسائل المتاحة بما فيها الاعتداء العسكري من دون شرعية قانونية و لا سياسية دولية (حالة العراق).

ب. نحو مناهضة مستمرة للمصالح الأمريكية في المنطقة العربية ؟

تعرض الهيمنة الأمريكية على المنطقة العربية للعديد من أشكال الاحتجاج و المناهضة ؛ منظمات اقتصادية (OPEP) دول (العراق و ليبيا سابقا) و حركات سياسية (القوى الاسلاموية) و رأي عام. يمر فهم السلوك الاستراتيجي الأمريكي في الدول العربية عبر فهم التكتيكات التي تتبناها واشنطن في التعامل مع هذه الحركات المناهضة.

تأسست منظمة الاوبيب سنة 1960 من أجل مناهضة تدهور اسعار النفط التي يفرضها منطوق الشركات الكبرى. قررت الدول الكبرى المصدرة للنفط - السعودية ، العراق ، ايران ، الكويت و فنزويلا التي يمثل انتاجها آنذاك 40 في المائة من الانتاج العالمي - توحيد سياساتها البترولية. لقد كان الهدف من هذه الخطوة هو التأسيس لتبعية أقل للشركات الكبرى. تحقق هذا مباشرة خلال سنوات الستينيات خصوصا من خلال سياسة تأميم المحروقات (العراق سنة 1961 ، الجزائر سنة 1971 ، ليبيا 1970...الخ). خلال الصدمة البترولية الأولى 1973 نجحت المنظمة في رفع الأسعار في الأسواق العالمية (مثلا تضاعفت المداخيل البترولية للسعودية بين سنة 1973 و 1976 سنة بثلاث اضعاف - من 11 مليار دولار إلى 34 مليار دولار). تركز التكتيك الأمريكي على إضعاف المنظمة و من مظاهرها قيام كيسنجر في فترة إدارة نيكسون سنة 1974 بتأسيس كيان عالمي موازي هو الوكالة الدولية للطاقة التي أصبحت الطرف المقابل المحاور للاوبيب. لقد هدفت الإستراتيجية الأمريكية إلى تحييد دور العراق بعدها و الذي انتهى بحربين أدتا إلى زوال قوى المناهضة بهذه الدولة المحورية.

منذ فترة الحرب الباردة تعرف المنطقة العربية حضورا عسكريا أمريكيا متزايدا حيث يتواجد في أغلب الدول الخليجية قواعد عسكرية و اتفاقات عسكرية مع الووم أ بالإضافة إلى الأردن ما يجعل المنطقة من أكبر الجهات المعسكرة في العالم. هذا الوجود الأمريكي لا يحظى دوما بالترحاب العربي.

منذ الثورة الاسلامية في ايران و بداية بروز التيارات "الاسلاموية" (مصر ، الأردن ، سوريا ، الجزائر) تتغذى القوى السياسية ذات الخلفية الايديولوجية و الدينية الاسلامية بجملة من المسلمات و منها رفض الهيمنة و حتى الوجود الأمريكي في المنطقة العربية. تتشكل في الحقيقة هذه التيارات الاسلامية من منبعين اثنين : الأول ، الراديكالية الدينية و الثاني رفض الهيمنة الامبريالية الأمريكية. هذه الفكرة الأخيرة ليست أصلية في فكر الحركات الاسلامية بل هي فكرة يسارية علمانية في الأصل. ليست الحركات الإسلامية المنتشرة في المنطقة العربية حركات إسلامية محافظة تطالب بتطبيق للإسلام الأصلي بل هي حركات إيديولوجية تعرض الهيمنة السياسية و الإستراتيجية الأمريكية. أصبح هذا النوع من التيارات الإيديولوجية بعد الحرب الباردة هو مبرر جميع السياسات المنتهجة في المنطقة من طرف الإدارة العسكرية الأمريكية. من نتائج هذه الحركات ضعف العلاقة التحالفية الكلاسيكية التي تربط الو م أ مع القوى الرئيسية في المنطقة العربية و على رأسها المملكة السعودية. رغم أن نظام آل سعود ينادي باستمرار بصداقته للو م أ - و هو أمر ضروري لأنها - إلا أنها من المشجعين الرئيسيين و الممولين الأساسيين للحركات الإسلامية السنية خصوصا لمواجهة القوى الشيعية في المنطقة. يحدث دوما و أن هذه القوى تخرج عن السيطرة أو يتم توظيفها تكتيكيا لأهداف إستراتيجية ما أدى إلى اضطراب في العلاقات الأمريكية السعودية (من مظاهره إعادة بعث النقاش حول ضلوع السعودية في هجمات الحادي عشر من سبتمبر - نصف عدد الانتحاريين من أصل 19 آنذاك يحمل جنسية سعودية - في النقاش الأمريكي بمناسبة الانتخابات الرئاسية الأمريكية في نوفمبر 2016). انتقلت السعودية بفعل هذه الاضطرابات من وضع الحليف Allié إلى وضع الشريك المحدود Partenaire Limité .

إذن ، يؤدي البحث المستمر عن أمننة المصالح إلى تفعيل قوى مناوئة في النظام الاقليمي العربي التي تتفاعل بشكل جدلي مع أهداف الو م أ. غالبا ، لا تحسم هذه الجدلية أو التناقض سوى عبر اللجوء إلى العنف و أدوات التدخل العسكري. من مظاهر هذه التصادم الجدلي وضع الفوضى التي تعرفه المنطقة العربية منذ الحادي عشر من سبتمبر. تسمح الفوضى بتبرير أشكال التدخل و الهيمنة على السواء تحت مسميات عدة ، و من أهمها "الحرب على الإرهاب". تتضمن المقاربة الأمريكية بهذا الخصوص شقين اثنين ؛ مرن و صلب. إذا كان الأخير ينحصر في استعمال الأداة العسكرية كآلية حسم سريعة للقوى المناوئة للمصالح فإن الأولى تشير إلى برامج الدبلوماسية العامة

من أجل "تفسير أوضح و مقبول " للدور الأمريكي في المنطقة. بينما تسعى القوة الصلبة نحو التجسيد الفعلي و المادي للمصالح تقوم القوة المرنة بدور خطاباتي يستهدف البني الإدراكية العربية يمكنها من تجسيد المصالح بكلفة أقل. في هذا الإطار يجب فهم الدبلوماسية العامة كسلوك استراتيجي آمن و الذي يقتضي تحليلا هيكليا للسياق الاستراتيجي العام الذي تعرفه المنطقة العربية.

المطلب الثالث : السياق الجيو - استراتيجي المتغير في المنطقة العربية

يقصد بالسياق الجيو-استراتيجي حسب ايمريك شوبراد Aymeric Chauprade¹ الشكل المهيمن أو السائد على علاقات التفاعل بين أصحاب السلطة و القوة - الدولة ، الفاعلين تحت الدولة و الشبكات و القوى العابرة للدولة - انطلاقا من المتغير الجغرافي - الذي لا يعني الجغرافيا الطبيعية بل القوى التاريخية الكامنة في حيز جغرافي معين². إن جملة المعطيات الهيكلية التي تحدد مصالح و استراتيجيات اللاعبين المحليين و الدوليين و تطوراتها في اقليم "المنطقة العربية" ليست ستاتيكية بل حركية بحسب تفاعلها مع العوامل السياسية الظرفية المهيمنة في مجال زمني محدد. يتميز النظام الاقليمي العربي بتبلور أربع اتجاهات كبرى (1) تؤثر بشكل ملموس على مكانة الدور و الاستراتيجية العامة للوم أ في المنطقة العربية (2).

1. الاتجاهات الجيواستراتيجية الجديدة في المنطقة العربية

حاليا، أي منذ بداية العشرية الثانية للقرن الواحد و العشرين المتزامنة تقريبا مع فترة حكم اوباما، يتميز هذا السياق بتبلور أربع اتجاهات كبرى : الاتجاه السياقي الأول هو "المنافسة الجيو-سياسية الناجمة عن صعود الصين (اقتصاديا) و روسيا بدرجة أقل (عسكريا من خلال قدرتها على فرض

¹ من أهم ممثلي المدرسة الفرنسية الحالية في الجيوبوليتيك و مدير المجلة الفرنسية للجيوبوليتيك La Revue française de géopolitique. يقرن اسمه حاليا في أدبيات التخصص بفكرة ضرورة تعامل و انفتاح أوروبا على روسيا بدلا من مواجهتها. هو أيضا برلماني عن حزب الجبهة الوطنية أي اليمين المتطرف الفرنسي في البرلمان الأوروبي و له ارتباطات غير خفية مع روسيا. يروج من خلال مركزه الفكري و السياسي لصالح تقارب اوروبي غربي مع روسيا في تسيير أوراسيا المشترك.

² Aymeric Chauprade, *Géopolitique : Constantes et Changements dans l'Histoire*, 3e édition revue et augmentée (Paris: Ellipses Marketing, 2007). P. 13.

إرادتها في إدارة الحرب في سوريا) . الاتجاه الثاني هو القلق المتزايد للوم أ من تكاليف و عوائد التحالفات الاقليمية (التقارب الايراني التركي الروسي ، التقارب القطري الروسي في مجال الغاز...) . الثالث هو الدور المتنامي لقطر في المنطقة العربية نتيجة لاستراتيجياتها الدبلوماسية. الرابع و هو تأثير هذه العوامل الثلاثة السابقة على مكانة القوى الاقليمية التقليدية (مصر ، السعودية ، الجزائر في المنطقة المغاربية).

أ. التنافس الجيوليتيكي الراهن في المنطقة العربية

ب. تحديات التحالفات الاقليمية

ت. الدور المتنامي لقطر في المنطقة العربية

هناك علاقة قوية جدا تجمع الو م أ و قطر. تحتوي القاعدة العسكرية في منطقة العديد (جنوبي غرب قطر) على أكبر مستودع للتجهيزات و الآليات العسكرية خارج الو م أ. هذا العامل هو بالفعل ما يحد من التوجهات الزعاماتية للملكة السعودية في المنطقة و يسمح بالتالي لقطر أن تظهر دبلوماسية جد واثقة من خياراتها. رغم أن هذه العلاقة المؤسسة على المصالح المشتركة لم تكن دوما بسيرة كما يدل عليه انقطاع العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين في نهاية سنوات الثمانينات (بسبب حيازة قطر لصواريخ من طراز Stinger حصلت عليه بقنوات غير رسمية)¹ فإنها اليوم تعمل بشكل جيد. تشارك قطر في منظومة نشر القوة الأمريكية في الشرق الأوسط ، و هي منظومة تهدف إلى حماية أمن حلفاء و احتواء القوة الشيعية الايرانية التي تمتلك توجهات في بناء القوة العسكرية نقلق الأنظمة العربية السنية في المنطقة و كذلك إلى أمننة التدفقات البترولية من منطقة الخليج العربي- الفارسي.

تعترف الو م أ بشكل محسوس بضعف شعبيتها لدى المواطنين في الدول العربية و حتى لدى بعض القوى الاقليمية (تركيا و ايران على الخصوص). تستعمل الو م أ الدبلوماسية التوافقية لقطر كوسيلة تأثير و كقناة للاتصال من أجل نشر استراتيجيتها في منطقة شمال افريقيا و الشرق الأوسط و من أجل تقوية مصالحها لدى النخب السياسية الاسلامية المتصاعدة حديثا (الاخوان في تركيا). الدوحة كانت مثلا عاصمة المفاوضات مع الطالبان. يتشكل المحيط القريب لأمير قطر من العديد

¹ Christopher M. Blanchard, *Qatar: Background and US relations* (DIANE Publishing, 2011). P. 8.

من الرموز الدينية المحافظة و السلفية ذات المرجعية الوهابية و قد كان لهؤلاء روابط مع الطالبان و لذلك تستعمل الدوحة كوسيط من أجل تسهيل التواصل مع القيادات المعتدلة في الطالبان. حركة حماس أيضا لها مقر في الدوحة و تلعب قطر أيضا دور الوسيط المسهل للمفاوضات و الاتصالات ما يسمح للو م أ أن تبقى عنصرا لا بد منه في اللعبة الشرق أوسطية رغم صورتها المتدهورة التي تعاني منها في هذه المنطقة¹.

منذ بداية ما سمي بالربيع العربي، كان لقطر الفرصة المناسبة من أجل توسع حدود نفوذها السياسي في المنطقة العربية و من أجل تقوية دورها على الساحة الدولية العالمية. لقد استغلت الدوحة- مستفيدة من الاستقرار الداخلي و غياب الاحتجاجات الاجتماعية و السياسية- هذا الجو غير المستقر لكي تساهم في إعادة تشكيل العالم العربي ، لكي تكون في مقدمة الأحداث ، لكي تبرز طموحها في أن تكون القوة الجهوية الأولى في المنطقة و لكي تبرهن خصوصا أنها لا تمتلك فقط سياسة خارجية و لكن أيضا أجندة خاصة بها. مع اندلاع ثورات الربيع العربي ، كان لقطر جميع الامكانيات لكي تلعب هذه الأدوار : تمتلك قطر قناة فضائية قوية (الجزيرة) يتابعها 50 مليون مشاهد في المنطقة العربية (أي 7/1 تعداد سكان المنطقة²) ؛ تمتلك قطر أيضا موارد مالية ضخمة و علاقات جد قوية مع أغلب القيادات الاسلامية في العالم العربي ، أي مع النخب الاسلامية المستقبلية المحتملة ، و التي بإمكانها أن تفرض وجودها في أي مسار انتخابي محتمل.

حتمت التقلبات السياسية في المنطقة العربية على قطر أن تكون أكثر وضوحا في مواقفها و أن تدقق بشكل أكبر في اتجاهها الدبلوماسي و أن تختار حلفاءها دون إمساك العصا من الوسط ؛ تصرفت بشكل صامت مع قضيتي الاخوان في مصر و تونس ؛ تصرفت بوضوح كبير في حالتي ليبيا و سوريا و كذا من خلال زيارة أمير قطر إلى قطاع غزة - و هو أول رئيس دولة عربية يزور المقاطعة الفلسطينية منذ أن أصبحت تحت حكم الاخوان -. هذا التدخل أخذ أشكالا عسكرية أيضا ؛ في ليبيا و سوريا. حاولت قطر أن تتموقع في مقدمة التحولات الجديدة التي يعرفها العالم العربي سواء عن طريق الدعم المالي أو العسكري للحركات و الجماعات المناهضة للقذافي في ليبيا أو عن طريق

¹ Fatiha DAZI-HENI, « Désir de puissance. Le Qatar a-t-il les moyens de ses ambitions diplomatiques dans le monde arabe ? », IFRI, 2012, <https://www.ifri.org/fr/publications/editoriaux/actuelles-de-lifri/desir-de-puissance-qatar-t-moyens-de-ambitions>. p. 4.

² DAZI-HENI., p.p, 4-5.

الامداد بالأسلحة للجماعات المسلحة في سوريا¹. لكن و بشكل مناقض ، فقد لعبت قطر دور الناطق باسم الثورات العربية - عبر قناة الجزيرة - في حين أن طبيعة نظامها السياسي لا تكاد تكون سوى النقيض لما تناشد له من خلال دعم الثورات "الديمقراطية" و أنها ، أكثر من سكت عن الأوضاع السياسية المتوترة في البحرين².

ث. تأثير مصالح القوى العربية الإقليمية على السياق الجيواستراتيجي

تؤثر العناصر السابقة على مكانة القوى الاقليمية التقليدية - خاصة السعودية ، مصر و الجزائر- و التي بمصالحها الاقليمية تمارس تأثيرا على دور و مضامين الدبلوماسية العامة في المنطقة ، أي أنها توجه مضامين الدبلوماسية العامة في الاتجاه الذي يراعي المصالح المشتركة بين الو م أ و باقي القوى الاقليمية في المنطقة العربية. سنتناول هنا الدور الاقليمي لهذه القوى الثلاثة.

i. المملكة العربية السعودية :

لدى السعودية حساسية كبرى للمعطيات الجيوبوليتيكية في المنطقة العربية. تتمتع أيضا بعلاقة تحالفية قوية مع الو م أ بل هي الحليف المحوري لها سواء على الصعيد الاقتصادي أو الإستراتيجي. ترجع قوة العلاقات الثنائية إلى ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية (اتفاق كوينسي كعهد حماية مقابل الامتيازات البترولية) لكنها تطورت بشكل ملموس منذ بداية سنوات السبعينيات (إعادة صياغة النظام المالي العالمي على أساس تحرير التبادلات المالية العالمية مقابل الدولار و بروز البترول كواقي لاستقرار هذا النظام) و بعد الصدمة البترولية سنة 1973 التي قربت كثيرا بين البلدين. تعتبر المملكة السعودية أكبر ممول بالبترول للو.م.أ. بالإضافة إلى ذلك فهي تعتبر الدولة الوحيدة في العالم التي بإمكانها أن تتكيف مع فترات الطلب المرتفع بتعويض الانخفاض في الانتاج العالم و هذا بفضل حقول النفط الاحتياطية التي تحوز عليها و التي بإمكانها انتاج ما معدله 2 مليون برميل اضافية يوميا³. لعبت السعودية جورا محوريا في فترة الثمانينيات مع حرب العراق ضح ايران ، و خلال حرب العراق 2003 ثم خلال فترات عدم الاستقرار في فينزويلا و نيجيريا. لقد كان بإمكانها أن

¹ Blanchard, *Qatar*. Op. cit. p. 23.

² Mehdi LAZAR, « Le Qatar cherche une influence sur la scène diplomatique mondiale », 2012, <https://www.diploweb.com/Qatar-une-politique-d-influence.html>.

³ Steven R. David, « Washington : de l'Orient à l'Orient », *Outre-Terre* 13, n° 4 (2005), <https://doi.org/10.3917/oute.013.0039>. p. 48.

تضمن تدفق النفط بكميات كافية في السوق العالمي حتى لا ترتفع الأسعار إلى معدلات غر مرغوبة. بالإضافة إلى هذا ، فإن السعودية تقدم أسعارا تفضيلية للوم أ و ذلك عن طريق تحمل أعباء النقل. يسمح هذا الوضع في النهاية للوم أ بضمان أمنها الطاقوي¹.

إن خسارة التمويل بالبتروال السعودي سيكون له نتائج كارثية بالنسبة للاقتصاد الأمريكي . مرت الوم أ حسب David Steven بأربع فترات ركود اقتصادي متتابعة بفعل ارتفاع أسعار النفط 1974 ، 1980 ، 1991 و 2008. سنة 2004 و بسبب ضجة اعلامية بسيطة عن اضطراب في ماكنة تدفق البتروال السعودية ارتفع السعر بأكثر من 8 دولارات في دقائق. يعتبر الخبراء أن أي خلل في الإمدادات السعودية بالبتروال سيرفع الأسعار إلى حوالي 150 دولار في شهرين فقط². لهذا السبب لا تستعمل السعودية سلاح النفط كوسيلة ضغط في خيارات سياستها الخارجية و ذلك رغم التوترات في العلاقات البينية ، مثل النقاش الدائم عن ضلوع السعودية غير المباشر في حوادث 11 سبتمبر. من جهة أخرى فإن حجم الاستثمارات السعودية في الوم أ يفوق الـ 6000 مليار دولار. بفضل التأثير الكبير الذي تلعبه السعودية داخل كارتل المحروقات و كذلك بفضل استثماراتها في النظام البنكي و في قطاع الصناعات العسكرية فإن السعودية تأتي على رأس قائمة الزبائن فيما يخص السلاح الأمريكي³.

خلال فترة "الربيع العربي" تم اتهام السعودية بالتآمر على الديمقراطيات الفتية في المنطقة العربية و تم تصويرها على أنها لا تريد لهذه التجارب أن تتجح. تفضل السعودية الحفاظ على الفوضى المتحكم فيها على نجاح التجارب الديمقراطية حتى لا تنتقل العدوى إليها. هذا ما يفسر أصلا لماذا خلق رد الفعل المتأخر للرئيس اوباما حينما ناشد الرئيس مبارك بالرحيل سنة 2011 أزمة دبلوماسية بين البلدين ، حيث شعرت السعودية و كأنها مهددة بدورها أيضا⁴. برز تبعا لأحداث الربيع العربي موقفان متناقضان للحليفين؛ في حين أن الوم أ تحاول الاستثمار في الثورات فإن السعودية تحاول على العكس اجتناب انتقال العدوى و الحد من آثار الدومينو. قامت السعودية بتعبئة قوية ضد احتجاجات الشيعة في المملكة السنية - البحرين - لاجتتاب سيناريو صعود الشيعة إلى الحكم ، و

¹ David. p. 48.

² Idem.

³ Ibid, p. 55.

⁴ Philippe Droz-Vincent, « Du 11 septembre aux révolutions arabes : les États-Unis et le Moyen-Orient », *Politique étrangère* Automne, n° 3 (2011), <https://doi.org/10.3917/pe.113.0495>. p. 504

من ثمة الحد من تأثير ايران في القسم الغربي من الخليج العربي. رغم حساسية السعودية للتغيرات الاستراتيجية في المنطقة و رغم محاولاتها لتطوير و تنمية مصالحها في المنطقة إلا أنها تظل من الناحية الأمنية امتداد بل "وكيل" للأمن الأمريكي في المنطقة.

ii. مصر

منذ امضاء اتفاقات السلام مع اسرائيل في عهد السادات سنة 1978 و مرورا بخليفته حسني مبارك لثلاث عقود أخرى ظلت الخيارات الدبلوماسية لمصر تستجيب لاعتبارات المصلحة القومية أكثر منها للشعارات المحمولة فيما سمي - من طرف مصر خصوصا - بالتضامن العربي. اختارت مصر منذ هذا الحدث مساراً جديداً أسس لسياسية تقارب وثيقة مع الو م أ كان لها فوائد جمة. فضلاً عن الربيع المالي و العسكري التي تجنيه مقابل اتفاق السلام¹ من طرف الو م أ فإن أكثر ما استفادت منه الدولة هو استرجاع سيادتها على شبه جزيرة سيناء المحتلة آنذاك.

تبنى العلاقات المصرية الأمريكية في الحقيقة على حسابات استراتيجية واضحة. بالنسبة للو م أ فإن ما يهم هو السلام المصري الاسرائيلي و الذي يتحكم في استقرار منطقة الشرق الأوسط على الخصوص. ساعد إتفاق السلام مع اسرائيل من جراء المساعدات العسكرية و المالية الأمريكية على تحديث الجيش المصري و على تقويته كفاعل سياسي في النظام السياسي المصري و ذلك حتى يتسنى له لعب دوره كقوة اقليمية حافظة للاستقرار. أدت هذه العلاقة الخاصة بين مصر و الو م أ خلال الـ 35 سنة الأخيرة ليس فقط إلى تأسيس "جيش مصري" معتدل ايديولوجيا بل ايضا إلى تقويته كمؤسسة سياسية تلعب دور الشريك الاستراتيجي في المنطقة. من الضغوط المؤسسية التي تفرضها هذه العلاقة الخاصة هو أن النظام المصري لا يقدر بل عليه أن يتجاوب مع طموحات

¹ رغم أن حجم المساعدات يتراوح ما بين الارتفاع و الانخفاض فان المساعدة العسكرية الأمريكية لمصر تبقى مهمة جدا و تبقى مستقرة في حدود ملياري دولار سنويا. في حين تبقى حجم المساعدة المالية الأمريكية موجهة بشكل أكبر لشراء التجهيزات العسكرية و الأسلحة الأمريكية و هي في حدود 1.3 مليار دولار سنويا فان القيمة المخصصة للاستثمار في التنمية الاقتصادية تتناقص بشكل مستمر خلال الفترات الأخيرة (أكثر من 800 مليون دولار سنة 1998 إلى ما يقارب 250 مليون دولار سنة 2009 فقط)؛ انظر: Jeremy M. Sharp, Egypt : Background and U.S. Relations, Congressional Research Service, 2 septembre 2009, <http://www.fas.org/sgp/crs/mideast/RL33003.pdf> يعود سبب في هذا الانخفاض إلى تحفظات الكونغرس حول تطور النظام السياسي الذي لا يساير الانفتاح الديمقراطي فتحوّلت المساعدات إلى آلية تهديد يستخدمها الكونغرس كلما تصادمت الارادات بخصوص الانفتاح الديمقراطي (قضايا المرأة ، قضايا الأقليات)

واشنطن قبل أن يقوم بصياغة اية مبادرة دبلوماسية معينة في المنطقة العربية و في الدول المجاورة¹. هذا ما يفسر لنا إلى حد كبير لماذا و كيف ساعدت مصر على حشد الدعم العربي في الحرب على العراق 1991. هذا الارتباط الوثيق مع مصر هو ما يسمح للوم أ بالمحافظة على قدرتها على مراقبة مصالحها الاستراتيجية في المنطقة العربية . تستند هذه القدرة بايجاز على العوامل التالية :

- تمتلك مصر أهم و اثقل صوت " معتدل " - في نظر الوم أ - قادر على التأثير في الدول العربية الأخرى ،
- موقعها في مسألة السلام بين اسرائيل و الدول العربية ،
- النفوذ السياسي لمصر يحدد و يوجه الأجندات السياسية في المنطة العربية ،
- يمتلك السلك الدبلوماسي للقاهرة نفوذا كبيرا في المنظمات الاقليمية و الدولية. تلعب مصر دورا كبيرا داخل الأمم المتحدة في تشكيل إجماع عربي بخصوص مسائل الاستقرار السياسي و الأمني ،
- عادة ما يشكل الموقف المصري بشأن القضايا ذات الأهمية غطاء للدول العربية الكبرى ،
- تعتبر العلاقة العسكرية بين الطرفين قوية جدا : (هناك اشتراك كبير في ادراك التهديد بين أجهزة الاستخبارات - الأجهزة الأمنية المصرية تعارض بشدة الارهاب الاسلامي- ، حقوق الملاحة الجوية و حقوق العبور عبر قناة السويس خصوصا خلال فترات تفاقم التهديدات ، احتضان مصر لأضخم تمرين عسكري مشترك بين الطرفين في العالم - ما يسمى بمناورات Operation Bright Star ...²). هذه القوة في التعاون العسكري تبعث برسالات رديعية تحت القوى الاقليمية العربية على ضرورة توخي السلوك المعتدل ،
- تمتلك مصر أقوى تأثير فكري ، إعلامي و أكاديمي في المنطقة العربية. تستخدم النخب المعنية هنا في الدعاية لصالح المواقف المعتدلة و لتبرير وضع الاستقرار في المنطقة.

تعرض هذه الامكانيات الهيكلية إلى نوع من الاهتزاز منذ " ثورة " جانفي 2011. اهتز على الخصوص موقع مصر كشريك استراتيجي للوم أ بفعل عدم استقرارها السياسي و الأمني. لقد فقدت المؤسسة العسكرية المصرية مصداقيتها كشريك استراتيجي من جراء طريقة تسيرها لملف التحول

¹ Barah Mikail, « Les Etats-Unis et l'Egypte ou la loi du pragmatisme », *Confluences Méditerranée* 75, n° 4 (2010), <https://doi.org/10.3917/come.075.0181>. p. 183.

² Mikail. p. 184.

الذي فرضته "ثورة" يناير. تعاني مصر منذ انقلاب عبد الفتاح السيسي على الشرعية الديمقراطية من تحديات لا تزال تقوض وضع الاستقرار في المنطقة و السلام مع اسرائيل. هناك عنصران رئيسيان يؤثران بشكل خاص على هذه العلاقة الخاصة : الأول ؛ تنامي العنف السياسي الناتج عن الانقلاب و بداية تشكل ما يسمى "بالإرهاب" و الثاني تنامي الدور البوليسي و الاكراهي للدولة تحت مبرر مكافحة الارهاب ما يؤدي إلى تفاقم في مشاكل الحريات¹ و المشاكل الاقتصادية المتدهورة أصلا بفعل توجيه الموارد إلى القطاع الأمني.

لكن و رغم أن مصر هي الحلف الأول فيما يخص الاستقرار و أمن اسرائيل فإن هذه الوضعية تحمل مخاطر كبيرة. تعاني إذن العلاقة الخصوصية بين أمريكا و مصر من هشاشة هيكلية. فبالإضافة إلى وجود شعور متنامي معاد لأمريكا ناتج عن التناقض الموجود بين الرأي العام المصري و الخيارات السياسية و الدبلوماسية المنتهجة من قبل الدولة ، فإن هذه الأخيرة تعاني من ضعف تفاوضي مقابل الطرف الأمريكي خصوصا مع تزايد الطلبات باستعمال مسالة المساعدات ضد النظام المصري². تتفق انتليجانسيا مراكز الفكر بشأن هذه القضية اتفاقا صارخا حيث ينادي جميعهم (محافظون كانوا أم وسطيون أو تقدميون) بضرورة استعمال سلاح المساعدات للحد من حرية حركة نظام السيسي³. مع تراجع الاقتصاد المصري و تفاقم حدة المشاكل الاجتماعية فإن التلويح بقطع المساعدات سيكون له آثار وخيمة ما يطرح التساؤل لدى الطرف المصري عن مدى عقلانية المواصلة في تبني الخيارات الليبرالية للرأسمالية في سياستهم الاقتصادية.

iii. الجزائر

للجزائر مكانه هامة في منطقة شمال افريقيا. رغم أنها ليست بنفس الثقل السعودي و المصري في المنطقة العربية إلا أن موقعها الدولي في السياسة العالمية الحالية للوم أ في مكافحة الارهاب يجعل منها لاعبا اقليميا محوريا. تتميز السياسة الخارجية الجزائرية بمحاولة بناء هوية قائمة على احترام مبادئ معينة و على احترام الالتزامات و التعهدات الدبلوماسية في آن واحد. منذ الاستقلال

¹ منذ الانقلاب و حتى شهر مارس 2015 اعتقلت قوات الأمن المصرية أكثر من 40 ألف شخص أغلبهم مناصرون للاخوان المسلمين و لكن أيضا يساريون ، صحفيون و أكاديميون و حتى طلبة جامعات. الأمر الأكثر شدة هو حالات الاختفاء المبهمة لعدد كبير من المواطنين.

² Mikail, « Les Etats-Unis et l’Egypte ou la loi du pragmatisme ». p. 187.

³ Maya Kandel, « Obama et la politique étrangère américaine », *Esprit*, n° 3 (2011). PP. 25-26.

1962 استطاعت الجزائر من خلال جهودها الدبلوماسية في العديد من القضايا (الدور الرائد في التمكين السياسي لحق تقرير المصير و التخلص من الاستعمار ، الدور البارز في عدم الانحياز ...) أن تصنع لنفسها دورا دوليا قائما على الحياد يساعدها على الحفاظ على مصالحها القومية. تأتي العلاقات مع الخصم المغربي على رأس المصالح الأمنية للدولة الجزائرية (لم يحصل و أن تعرضت الجزائر لاعتداء عسكري من طرف قوة خارجية منذ الاستقلال سوى من الجار المغربي -حرب الرمال 1963) لكنها تبقى أيضا الخلفية التي بموجبها تتحدد طبيعة علاقات الجزائر مع الدول الأخرى. يقدم لنا هذا الأمر - مثلا - مبررات عن سر عدم ازدهار العلاقات بين الجزائر و فرنسا منذ الاستقلال بسبب خلفية التقارب بين المغرب و فرنسا التي أبقت الجزائر في وضع "الحذر" بخصوص حماية مصالحها. نفس القراءة يمكن أن تطبق على الحالة الأمريكية أيضا.

لم تحظ العلاقات بين الجزائر و الو م أ بالكثير من الحميمية غداة الاستقلال 1962 و خلال فترة الحرب الباردة بسبب الخيارات الايديولوجية للقيادة الجزائرية التي تهدف في مجملها إلى الحد من نفوذ المستعمر القديم في البلاد. إذا كانت الاستراتيجية خلال الحرب الباردة تهدف إلى التعاون مع الاتحاد السوفييتي فإنها و منذ نهاية التسعينيات أخذت أشكالا أخرى تتسم بالكثير من البراغماتية حسب الكثير من الملاحظين¹. رغم أن بداية فترة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة لم تكن باليسيرة (عدم ترحيب الو م أ بنتائج الانتخابات الرئاسية لسنة 1999) إلا أن الأخير استطاع أن يضع الجزائر على توافق مع القوة العظمى في العالم -سياسة الوفاق الوطني ثم قانون المصالحة الوطنية ، اشراك الاسلاميين المعتدلين في العملية السياسية ، مصافحته الشهيرة للوزير الأول الاسرائيلي ايهود باراك في جويلية 1999- .أحدثت حوادث الحادي عشر من سبتمبر 2001 تماسكا كبيرا في العلاقات الجزائري الأمريكي الناشئ و أصبحت الحرب الشاملة على الارهاب المحدد الأكبر و الأهم على الاطلاق للتقارب الجزائري الأمريكي².

بدأت قوة هذا التقارب تتنامى منذ 11 سبتمبر بشكل محسوس في الجوانب الأمنية ثم الجوانب السياسية و الاقتصادية. كان المسؤول الأول عن الاستخبارات الجزائرية (المدعو الجنرال توفيق) أول

¹ Yahia Zoubir, « The United States and Algeria: The Cautious Road to Partnership », *The Maghreb Center Journal* 1 (2010).

² Zoubir. Ibid, p. 8. Voir aussi : Djallil Lounnas, « L'évolution de l'environnement stratégique de l'Algérie post-Printemps arabe », *Maghreb - Machrek* 221, n° 3 (2014), <https://doi.org/10.3917/machr.221.0047>. p. 54.

مسؤول أمني أجنب يزور واشنطن عقب هذه الأحداث. بعدها ، و في سنة 2002 وافقت واشنطن لأول مرة على تزويد الجزائر بتجهيزات عسكرية متطورة تساعد الجيش الجزائري في مكافحته للإرهاب. تشهد هذه التطورات في العلاقات الأمنية و العسكرية على تحول سياسي و رمزي في مكانة الجزائر الدولية إقليميا ؛ أصبح هناك تناغم كبير بين خطاب الادارة الأمريكية عن الحرب على الارهاب و خبرة الأجهزة الأمنية في هذا الميدان و التي حظيت بتقدير رفيع من الطرف الأمريكي. استطاع الرئيس بوتفليقة حينئذ أن يخرج الجزائر من عزلتها الدولية و أن يرسم لها دورا إقليميا جديدا. على الصعيد الأمني على الأقل كسبت الجزائر مركز "الشريك" بالنسبة للوم أ¹ . صرح الرئيس جورج بوش سنة 2005 في هذا الصدد أن " الوم أ ستستمر في الاعتماد على الجزائر كشريك قوي في مكافحة الارهاب و في تحقيق أهدافنا بخصوص ترقية الديمقراطية و الازدهار في منطقتكم و في العالم"².

على الصعيد العسكري صرحت الوم أ و خصوصا بعد الزيارة المغاربية لكاتبة الدولة السابقة كوندوليزا رايس - سبتمبر 2008 - أنها تعتزم اعادة نظر في سياستها بخصوص توريد الأسلحة إلى الجزائر. نشير هنا أن السياسة الأمريكية بهذا الشأن ظلت مبنية على عدم الاخلال بميزان القوى الاقليمي بين الجزائر و المغرب ، لكن و بالرغم من هذا فقد أصبح موقع الجزائر الجديد في السياسة الأمنية في المنطقة يقتضي التخلي عن بعض السياسات السابقة. رغم أن الجزائر لم تكن تستهدف (ولا تزال) شراء معدات ثقيلة و بكميات كبيرة بل أبدت اهتماما بالأجهزة المتطورة تكنولوجيا مثل أجهزة الاستشعار الليلية و بعض الرادارات فإن التعاون العسكري بين الطرفين ظل محصورا على هذه المواد فقط. يفسر هذ السلوك لدى الطرف الجزائري بأمرين :

- لا تريد السلطات الجزائرية تطوير تعاونها العسكري مع الوم أ إلى مستويات تخضعها فيما بعد للمشروطية الأمريكية ما يشكل ضغطا على حرية خياراتها الدبلوماسية و الاستراتيجية ،
- لا تريد الجزائر من الناحية المبدئية أن تصبح تابعة لأي طرف أجنبي على الخصوص في مسألة الأسلحة ، سواء كانت الوم أ ، روسيا أو الصين (هذا يفسر لنا تعدد مصادر تمويل العسكري من روسيا ، الصين ، الوم أ ، تركيا ، جنوب افريقيا)

¹ Lounnas, « L'évolution de l'environnement stratégique de l'Algérie post-Printemps arabe ». p. 50.

² Zoubir, « The United States and Algeria ». p. 9.

شمل التعاون العسكري جوانب أخرى مهمة و هي :

- الجانب الاستخباراتي من أهم قطاعات التعاون بين الطرفين فقد تم اقامة خلية استخباراتية تابعة لوكالة الاستخبارات الأمريكية بالجزائر العاصمة بتمويل من الأخيرة و التي تهدف إلى "التخلص من الخلايا الإرهابية في المنطقة،
- تتضمن المساعدات العسكرية الأمريكية للجزائر قسطا موجهة للتدريب و التكوين و قسطا آخر لتمويل جهود مكافحة الارهاب (سنة 2007 بلغ مبلغ القسط الأول حوالي 800 مليون دولار بينما بلغ الثاني مبلغ 731 مليون دولار¹.
- تشارك الجزائر في اللقاءات الوزارية لحلف شمال الأطلسي في بروكسل ، و هي عضو مشارك في الهيئة البرلمانية للحلف. تشارك الجزائر دوريا على وجه الخصوص في المناورات البحرية في المتوسط لكن يتحفظ نسبي من الحضور الاسرائيلي.

يبرز الثقل الجيوسياسي للجزائر بالنسبة للسياسة الخارجية الأمريكية من خلال عنصرين ؛ الأول ثقلها الدبلوماسي في إدارة مسألة الاستقرار في الشمال الافريقي ، و الثاني ثقلها السياسي و العسكري ضمن سياسة مكافحة الارهاب العالمية في منطقة الساحل. يشهد على هذا الأمر الانخراط الجزائري في منظومة الأمن الإقليمية و التي تحكمها أساسا الرؤية الأمريكية حول مصالحها في منطقة شمال افريقيا و الساحل. حسب الو م أ فإن التهديد الأساسي للمصالح الأمريكية فيما يسمى بـ "افغانستان الجديدة" هو "الارهاب الاسلاموي" . انخرطت الجزائر مباشرة في 2002 في مبادرة "مكافحة الارهاب العابر للصحراء" Trans-Sahara Counterterrorism Initiative و تتعاون منذ 2009 مع قيادة الـ AFRICOM التي دشنت سنة 2007².

رغم هذا التقارب الملحوظ في العشرية السابقة بين الجزائر و الو م أ إلا أنه لم يغير كثيرا في توجهات السياسة الأمريكية في منطقة شمال افريقيا. تظل الو م أ حسب العديد من الملاحظين حساسة جدا للمصالح المغربية في المنطقة أكثر منها للمصالح الجزائرية و هذا يفسر بمجموعة من الأسباب التاريخية و الايديولوجية و السياسية. لقد شكل سوء التفاهم و الاختلاف بين الجزائر و الو م أ قبل العشرية الأولى من القرن الواحد و العشرين مناخا من "عدم الثقة" المتبادلة بين الطرفين". نظرا

¹ Zoubir. P.9.

² Lounnas, « L'évolution de l'environnement stratégique de l'Algérie post-Printemps arabe » . p.55.

لهذا المعطى التاريخي فانه و رغم التقارب المشار إليه سابقا إلا أن آثار عدم التوافق لا تزال موجودة في العديد من الملفات (الصراع الفلسطيني الاسرائيلي ، ملف الصحراء الغربية) و هذا ما يفسر لنا أسباب عدم ارتقاء العلاقات الدبلوماسية إلى تحالف حقيقي استنادا إلى الخلفية التي مفادها أن مواقف الجزائر كانت دوما معارضة لمواقف الو م أ (الصحراء الغربية ، إنشاء الأفريكوم مثلا)¹. لكن ، و بالرغم من هذه الاختلافات ، فان العلاقات بين الجزائر و الو م أ تتميز "بالاحترام المتبادل" و يشهد على هذا من التاريخ أزمة الرهائن الأمريكيين في طهران سنة 1981 و محاولة الجزائر التوسط بين الولايات المتحدة و ايران بخصوص الملف النووي سنة 2005².

2. تراجع الدور الأمريكي في المنطقة العربية ؟

رغم هذه الارتباطات الهيكلية القوية بين الو م أ و المنطقة العربية إلا أن القوة الأمريكية تتعرض للإضعاف شيئا فشيئا. لم يبرز هذا الاتجاه بفعل التنافس الدولي و الاقليمي المتزايد بل بسبب التوجه السياسي الأمريكي منذ مجيء اوباما نحو الاهتمام بالمنافس الاستراتيجي الصيني و كذلك لوجود خمس تحديات قائمة تتعرض لها مكانة الو م أ التقليدية :

1. لا تزال النتائج السياسية و الأمنية غير ايجابية في العراق التي بينت التجربة فيها أن القوة العسكرية لأقوى دولة في العالم و في المنطقة تعاني من حدود كبيرة في تحقيق الأهداف الاستراتيجية المرجوة ؛
2. استمرار قدرة " الارهاب " على التعبئة نظرا لقدراته على اعادة التشكل و المرونة في التنقل من مسرح إلى آخر (من العراق إلى سوريا ، إلى مصر ، إلى الصحراء المغربية و دول الساحل)
3. استمرار القوى المناهضة للو م أ في مقاومة السياسة الأمريكية و يتزايد العدد منذ الربيع العربي (ايران و حلفائها منذ أربع عقود ، روسيا و تركيا من خلال الملف السوري خصوصا مع بداية التأكد من عدم قدرة الغرب على إسقاط نظام بشار الأسد منتصف 2016) ؛

¹ Zoubir, « The United States and Algeria ». p. 10.

² Zoubir. P. 14.

4. نهاية الانحياز المطلق للأنظمة العربية لصالح الوم أ (بداية 2017 أعلنت السعودية عن برنامج استثماري ضخم بقيمة 60 مليار دولار مع الصين ، زيارات متتالية لرؤساء كبريات الدول العربية باتجاه روسيا -مصر و السعودية- ...) ؛
5. هشاشة في دور حلفاء الوم أ التقليدية سواء بسبب تزايد حدة عدائية التأثيرات المفروضة من طرف البيئة الجيوستراتيجية (اسرائيل) أو بفعل غموض الأدوار التي تلعبها الأنظمة الصديقة في مسألة الارهاب (قطر ، السعودية ، مصر و الجزائر).
- لكن ، رغم هذه العوامل المضعفة للدور الأمريكي في المنطقة العربية إلا أن هذا لا يعني أن الوم أ تفقد القدرة على الدفاع عن مصالحها و هذا لخمس أسباب ايضا :
1. تبقى القدرات العسكرية الأمريكية فعالة و لا يملك مجاراتها من طرف قوة أخرى (تستعمل الوم أ اساليب أخرى مثل اجهزة الدرون في مكافحتها للارهاب و بالمقابل هناك فشل عسكري للقوى الاوروبية - فرنسا و بريطانيا - في متابعة الملف الليبي) ؛
 2. رغم أنه لم يتم الوصول إلى حلول سياسية لمسألة الارهاب إلا أن الوم أ استطاعت أن تحافظ على حدود ضعيفة للتهديد المباشر على أراضيها (لا توجد أية اعتداءات ارهابية مباشرة على الأرض الأمريكية منذ عقد و نصف) ؛
 3. يتم التحكم في التهديد الذي تفرضه القوى المناهضة للوم أ أفييران مثلا تقع تحت نظام مراقبة و عقوبات و رغم الاتفاق النووي مع الغرب إلا أن الطموحات العسكرية للبرنامج النووي الايراني تظل خاضعة للمراقبة ؛
 4. مجئ الأنظمة الجديدة التي خلفها لحراك العربي منذ 2011 لم يعرض المكانة الأمريكية للخطر ؛
 5. يستمر حلفاء الوم أ (اسرائيل) و أصدقاؤها (السعودية و مصر) في الهيمنة على المنطقة العربية.

إذن هناك استمرارية في "الطلب" على الدور الأمريكي في المنطقة العربية. و على هذا الأساس يمكن تأويل ما سمي بالانسحاب النسبي للوم أ من المنطقة العربية خصوصا الشرق الأوسط منها بأنه إرادة أمريكية للتقليل من التزاماتها المباشرة في المنطقة و المبادرة فيها بشكل جديد

يسمى "الزعامة من الخلف"¹ Leadership from behind. تم تبني سياسة الانسحاب النسبية من المنطقة العربية للتركيز على منطقة المحيط الهادي لمواجهة و احتواء الصين. يعتبر هذا المنحى خيارا استراتيجيا خاضعا لمعطيات السياسة الداخلية الأمريكية (الوضع الاقتصادي لما بعد أزمة 2008). لا يقصد بإستراتيجية الزعامة من الخلف أو الانسحاب الاستراتيجي بأنه التخلي عن المنطقة بل يعكس تحفظا إراديا أمريكيا في الاستثمار المباشر في القدرات العسكرية و الذي تترجمه الكثير من الحوادث (الحرب في ليبيا تم تمويلها سعوديا و تم تنفيذها بواسطة الحلف الأطلسي بتشكيلة أوروبية فرنسية و بريطانية خاصة ؛ الحرب في سوريا تعكس نفس التوجه التمويل من الخليج العربي ، التنفيذ من المليشيا الارهابية رغم المقاومة الاستراتيجية الروسية). يتم تعويض هذا الانسحاب بإشكال أخرى من القوة و هي على العموم اثنان: الأولى هي اللجوء إلى القوة المرنة أكثر فأكثر بهدف ممارسة التأثير ؛ و الثانية هي الاستجابة للطلب على القوة الصلبة يعوض بأساليب اقل كلفة و أكثر نجاعة (الحروب بالنيابة ، استعمال الأجهزة المتطورة مثل أجهزة الدرون لبلوغ الأهداف بكلفة أقل...الخ).

بالنسبة للعديد من الملاحظين للتطورات الجيوسياسية الحاصلة في المنطقة العربية منذ نهاية الحرب الباردة فإن أفضل المصطلحات التي تستخدم لوصف الحالة السياسية السائدة هي "الفوضى" ، "التفكك" و "العنف". اطلق مصطلح "البلقنة" لتطبيقه على الواقع الجيوسياسي في هذا الفضاء و الذي يشير في آن واحد إلى التفكك الإقليمي الحاد و إلى حالة العنف الداخلي و إلى حالة الضغوطات الخارجية السائدة منذ عشرينين و نصف. عرفت المنطقة العربية منذ 1991 حروب أهلية (الجزائر سنوات التسعينيات ، اليمن و سوريا منذ 2011) ، حروب اقليمية (الحرب الأمريكية على العراق ، الحرب الاسرائيلية المستمرة في قطاع غزة و اعتداءات جنوب لبنان 2006 ، الحرب السعودية على اليمن منذ 2013) ، احتلال مستمر (الاحتلال الأمريكي للعراق)، تفككات مذهلة للدولة (اليمن، العراق ، ليبيا ، السودان)، صعوبات اقتصادية و اجتماعية شديدة غالبا ما تنتهي باحتجاجات سياسية مدمرة (الربيع العربي) و حركات هجرة شاملة بفعل عدم الاستقرار (سوريا ، السودان). أدت حالة العنف السائدة إلى تفكك الدولة ثم إلى استبدال تام لسلطات الدولة بسلطات ميليشيا (الحركات الجهادية في سوريا و العراق عبر ما يسمى بتنظيم داعش ، الميليشيات المتصارعة

¹ Philippe Gros, « "Leading from behind" : contour et importance de l'engagement américain en Libye », *Politique américaine* 19, n° 1 (2012), <https://doi.org/10.3917/polam.019.0049>. p. 49.

في ليبيا (...). ما حول الفضاء الجغرافي (أو الاقليم) إلى مسرح حرب لا إلى إقليم سياسي خاضع لسلطة سياسية شرعية و مستقرة. يؤدي هذا الوضع غير المستقر في الغالب بعد محاولات التسوية إلى مشاريع إعادة بناء و لكن دوما استنادا إلى خلفية احتلالية (الوم أ في العراق ، النفوذ الايراني في لبنان و العراق ، السعودية في اليمن ...) و إلى فساد النخب السياسية و تواطؤها مع القوى المهيمنة. يتميز الوضع السياسي في المنطقة العربية فعلا بعدم الاستقرار السياسي و الأمني.

المبحث الثاني : تطور الفضاء الاتصالي العربي و اعادة توجيه الدبلوماسية العامة نحو الاتصال الاستراتيجي

رأينا من خلال المبحث السابق كيف أن المنطقة العربية تعرف سياقاً جيو - استراتيجياً يتميز بالكثير من عدم الاستقرار و من هشاشة المنظومة الأمنية فيه. تعترف التقارير و الخبرات الأمريكية أيضاً بأهمية المقاربات غير المبنية على العنف لتصحيح هذه الحركات و منها أدوات الدبلوماسية العامة. لكن ، و كما يذكر فيليب سايب Philip Seib فان استعمالات الدبلوماسية العامة في هذه البيئات المتسمة بعدم الاستقرار يجب أن يتم بكثير من الحذر¹. يلاحظ فيليب سايب أيضاً أن العالم العربي يتطور بشكل سريع خصوصاً على صعيد البيئة الاعلامية و التواصل باستعمال الأجيال الجديدة من تكنولوجيات الاتصال. اذا كانت الدبلوماسية العامة تشير إلى كيفية التعامل الاستراتيجي مع الجماهير الأجنبية فهي بهذا المدلول أداة اتصال استراتيجي تتخذ من الفضاء الاتصالي العربي متغيراً محورياً لها. لقد خضع هذا الأخير إلى الكثير من التطورات منذ بداية الألفية الجديدة حيث أدى التحول في البيئة الاعلامية و الرقمية العربية إلى اعادة تكييف مؤسسة الدبلوماسية العامة سواء على صعيد البنى أو على صعيد استراتيجيات العمل (مطلب 01). بهذا المنطق فإن الدبلوماسية العامة لا تعتبر سوى شكل من أشكال الاتصال الاستراتيجي (مطلب 02) المرتكز على خدمة أهداف الزعامة على المنطقة العربية. لكن ما يمكن ملاحظته على مسار التكيف المؤسسي و الاستراتيجي هو أنه و على غرار طابع السياسة الخارجية الأمريكية محكوم بنزعة الأمنة و هو ما تؤكد مجموعة من الممارسات الخطابية الواضحة (مطلب 03) التي تتغذى من الثقافة السياسية السائدة في النظام السياسي الأمريكي.

¹ Philip Seib, *New medias and the new Middle East*, Palgrave Macmillan Series in International Political Communication (Palgrave Macmillan, 2007). P. 43.

المطلب الأول : البيئة الاتصالية و الاعلامية العربية كفضاء نشاط للدبلوماسية العامة الأمريكية : أولوية الاستثمار في الفضاء الافتراضي

لقد تعرضت البيئة الاتصالية العربية للكثير من التغيرات الجوهرية بفعل ما سمي بثورة الاتصالات أو التكنولوجيات الحديثة للاتصال مخلفة مجموع من التحولات التي مست طرق ادراك و رسم استراتيجيات التعامل مع العالم العربي. يلاحظ فيليب سايب أن الفضاء الاتصالي العربي تميز منذ بداية الألفية الثالثة بحركيتين كبيرين ؛ تتعلق الأولى بما يسميه ظاهرة الجزيرة¹ Al Jazeera phenomenon او حقبة الجزيرة Al Jazeera Era للإشارة إلى حجم التأثير السياسي الذي أصبحت تمارسه الفضائيات العربية و تتعلق الحركية الثانية بالوسائط الاعلامية الاجتماعية Social medias. لقد صاحب هذه الحقائق الميدانية الكثير من التغييرات التي مست مؤسسة الدبلوماسية العامة². فيما يأتي سنقوم بقراءة لأهم سمات البيئة الاتصالية العربية الجديدة و التي تعتبر المناخ الذي يفسر نزوع مؤسسة الدبلوماسية العامة الأمريكية نحو ما يسمى بالاتصال الاستراتيجي بأشكال دعائية محضه و لكن من جيل جديد.

1. الفضاء الاتصالي و الافتراضي العربي الجديد

تعرض المشهد الاتصالي و الافتراضي العربي إلى تغييرات بالغة الأهمية بفعل تعميم و دمقرطة وسائل و تكنولوجيات الاتصال الحديثة بشكل أدى إلى تغيير جذري في مفاهيم عدة كالتعبئة و النشاط السياسي. تؤكد البيانات³ المتوفرة في قواعد البيانات و في تقارير التنمية البشرية الخاصة بالمنطقة العربية على نمو متزايد و مستمر لهذا الفضاء و هو ما يعكس بدوره وجود تغيير في حركات العمل الدبلوماسي و الاستراتيجي الممارس من طرف القوى الكبرى في المنطقة و على

¹ Philip Seib, *Public diplomacy and the media in the Middle East* (Los Angeles, CA: Figueroa Press, 2013). P.5.

² يقصد بمؤسسة الدبلوماسية العامة مجموع الهيئات المختصة قانونيا و سياسيا بأداء مهام التواصل مع الجماهير الأجنبية إضافة إلى استراتيجيات عملها.

³ سوف نعلم بشكل رئيسي على البيانات الواردة في موقع الوكالة الفرنسية للتعاون الاعلامي و هي هيئة حكومية تابعة لوزارة الخارجية الفرنسية مهمتها هي توفير بيانات و دراسات خبرة في حقل الاعلام في العالم العربي موجهة للقطاعية الخاص و العام على حد سواء. للمزيد حول تقارير و بيانات هذه الهيئة أنظر الموقع الالكتروني للهيئة : <http://www.cfi.fr/fr>

رأسها الولايات المتحدة الأمريكية. لكن ، لا ينبغي أخذ هذه البيانات على أنها مترجم فوري لوضعية متجانسة اقليميا. تتراوح و تتفاوت نسب هذا التطور من دولة إلى أخرى ، لكن مجموع الدول العربية الكبرى مثل دول مجلس التعاون الخليجي و دول المغرب العربي و الأردن و مصر تعبر عن وجود اتجاه عام في استخدام الانترنت و الوسائط المباشرة.

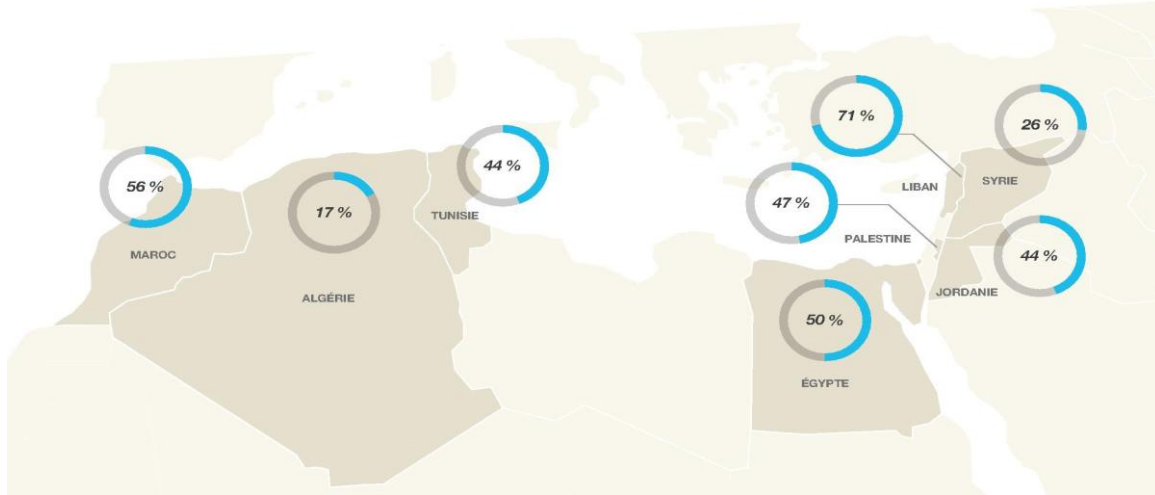
لا يمكن قراءة الوضعية الاعلامية و التكنولوجية في العالم العربي سوى من خلال استقراء مجموعة من المؤشرات التي تتيح لنا تعريف الديناميات المسيرة للفضاء الافتراضي العربي كفضاء للدبلوماسية العامة الأمريكية. سوف نركز على المؤشرات التي تتدخل بشكل حاسم في تكوين هذا الفضاء الاعلامي و الافتراضي المتعدد و المعقد و منها :

- نسبة الدخول و الوصول إلى الانترنت ،
- ازدهار ظاهرة اللاعبين الافتراضيين "pure players" ،
- تضخم استخدام الشبكات الاجتماعية ،
- صعوبة تحول القطاع الاعلامي التقليدي نحو الوسائط الافتراضية .

ما يمكن ملاحظته على هذه المؤشرات هو أنها تشكل قاعدة لفهم التفاوت الموجود بين الدول العربية فيما يخص تركيبة الفضاء الاعلامي الافتراضي العربي.

أولا : مؤشر الدخول و الوصول إلى الانترنت :

يشهد على هذا المؤشر الأول الخاص بالدخول إلى الانترنت و الذي يؤكد أن دولا عربيا قد سارت قدما في هذا المجال بينما لا تزال دول أخرى تعاني من تأخر نسبي مثل الجزائر .

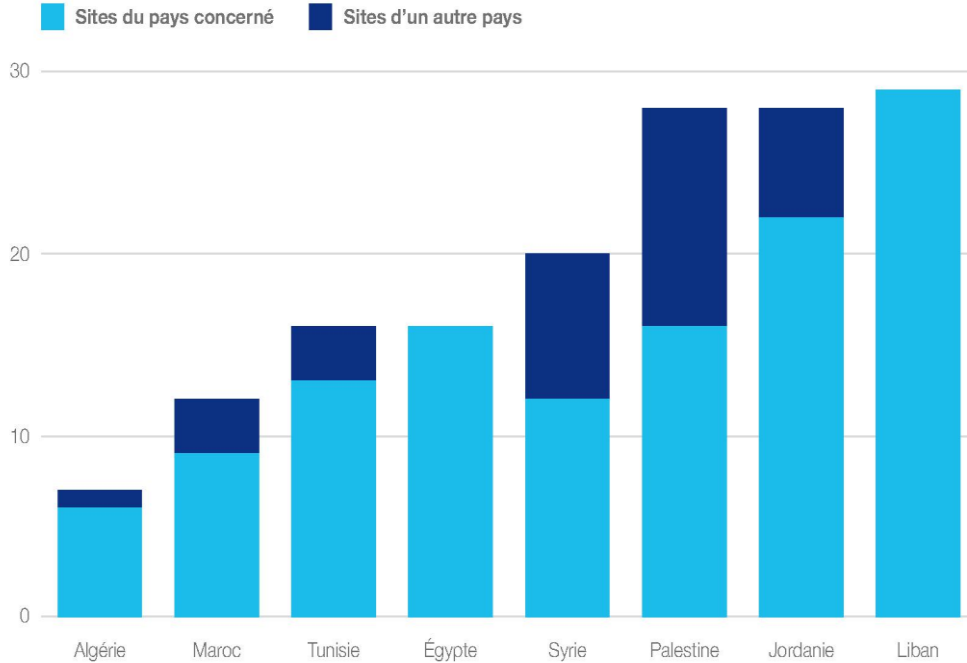


خارطة رقم 03 : نسبة الدخول و الوصول إلى الانترنت في بعض الدول العربية لسنة 2013. (المصدر : تقرير الوكالة الفرنسية للتعاون الاعلامي)

يعود هذا التفاوت خصوصا إلى أسباب هيكلية متعلقة بحجم الاستثمارات المسبقة التي كرسست لتطوير قطاع تكنولوجيايات الاعلام و الاتصال¹ مثل المغرب و لبنان بينما تأخرت دول أخرى مثل الجزائر و سوريا كثيرا في الاستثمار في هذا القطاع. يمكن ملاحظة هذا التفاوت على مستوى شعبية وسائل الاعلام الافتراضية و حجم التردد على المواقع الالكترونية ذات الطبيعة الاعلامية و ليس التجارية أو المؤسساتية (التابعة لهيئات أو مؤسسات). رغم أن الاحصاءات التي تقدمها الوكالة اقتباسا من قاعدة البيانات Alexa تبرز هذا التفاوت إلا أنها توضح ايضا تزايد حجم الإقبال على المواقع الاعلامية.

¹ LAURENT GIACOBINO, « Panorama des médias en ligne » (L'agence française de coopération médias, 2015), <http://www.cfi.fr/fr/actualites/panorama-des-medias-en-ligne>.

ما يسجل في قراءة مؤشر الدخول و الوصول إلى الانترنت هو وجود ذلك التفاوت بين دول المغرب العربي و دول المشرق العربي و لكن ما يجب تسجيله أيضا هو أن ديناميكية و شعبية استعمال وسائل الاعلام على شبكة الانترنت تبقى في تزايد مستمر¹.



شكل 06 : عدد المواقع الاعلامية الرائدة من بين الـ 50 موقع الأولى الأكثر زيارة حسب قاعدة

البيانات *Alexia*.

(المصدر : موقع الوكالة الفرنسية للتعاون الإعلامي)

لقد تغيرت بيئة الاتصال على الانترنت بشكل جذري منذ دخول تكنولوجيا الجيل الثالث للاتصال عبر الهواتف الذكية. يمكن القول أن هذه الخدمة متوفرة في جميع الدول العربية (باستثناء فلسطين بسبب رفض السلطات الاحتلالية الاسرائيلية لتوفير خدمات الاتصال عبر الموجات و ذلك لدواعي أمنية) من طرف متعامل واحد على الأقل. تعتبر بعض الدول العربية مثل الأردن ، المغرب و لبنان رائدة و متقدمة في هذا المجال مقارنة بالدول الغربية إذ أن 25 في المائة من

¹ Kamel Touati , « Appropriation des technologies de l'information et de la communication par les pays arabes : difficultés d'adoption ou source de développement ? », *Mondes en développement*, 2010/3 (n° 151). DOI : 10.3917/med.151.0113. URL : <https://www.cairn.info/revue-mondes-en-developpement-2010-3-page-113.htm>. p. 116.

السكان يستفيدون من هذه الخدمات - منذ 2007- و هو رقم ليس بالبسيط، في حين أن بعض الدول مثل الجزائر لم تعط رخص الاستغلال سوى اعتبارا من 2013¹. إن العامل الذي يشجع النمو في هذا المجال هو توفر الهواتف الذكية القادمة من دول آسيا بسعر بأسعار معقولة و هو ما ساعد في ديمقراطية مثل هذه الخدمات و التي تغذت أيضا من الصناعة التي قامت في هذه الدول بفعل تدخل مجتمعات صناعية مثل "كوندور" في الجزائر و "اينار" في مصر و "ليدر فون" في تونس. حسب هذه التطورات فإن النمو المتزايد في الاقبال على تكنولوجيا التواصل عبر الهواتف النقالة قد أحدث ثورة في كيفية تصور استهلاك الاعلام في الدول العربية². هناك إذن نوع من الانتقال نحو مقاربة مبنية على الهاتف النقال كعنصر محوري في انتاج و نشر و استهلاك المعلومة أو ما يسمى بمقاربة "الهاتف النقال أولا". هذا الانتقال يكرس نوعا جديدا من انماط الاستهلاك الاعلامي لكنه أيضا يشكل فضاء يتيح الفرض للنشطاء السياسيين (مختلف التنظيمات و القوى ذات المطالب السياسية)، الاقتصاديين (فرصا للمتعاملين الاقتصاديين لتحقيق استثمارات و مداخيل من الاعلانات و مختلف أنواع التعاملات مثلما يعمل عليه الموقع الجزائري Algérie-focus بشراكته مع العملاق الكوري الجنوبي سامسونغ) و الاجتماعيين (اعادة هيكلة الحركات الاجتماعية)³.

ثانيا : ازدهار الفاعلين الاعلاميين الافتراضيين *les pure players*

يعبر هذا المصطلح الانجليزي (و هو من دون مقابل في اللغة العربية و لا في الفرنسية) عن ظاهرة فعلية في العالم العربي⁴. يشهد قطاع المتدخلين الاعلاميين غير الكلاسيكيين على الشبكة العنكبوتية نموا لا نظير له في المنطقة العربية خصوصا منذ أمدق ما سمي بالربيع العربي. يرجع سبب هذا التضخم بالخصوص إلى تأخر وسائل الاعلام التقليدية في التكيف مع ضغوطات الاعلام التي أفرزها الانترنت⁵.

¹ GIACOBINO, « Panorama des médias en ligne ». p. 19.

² Touti, p. 117.

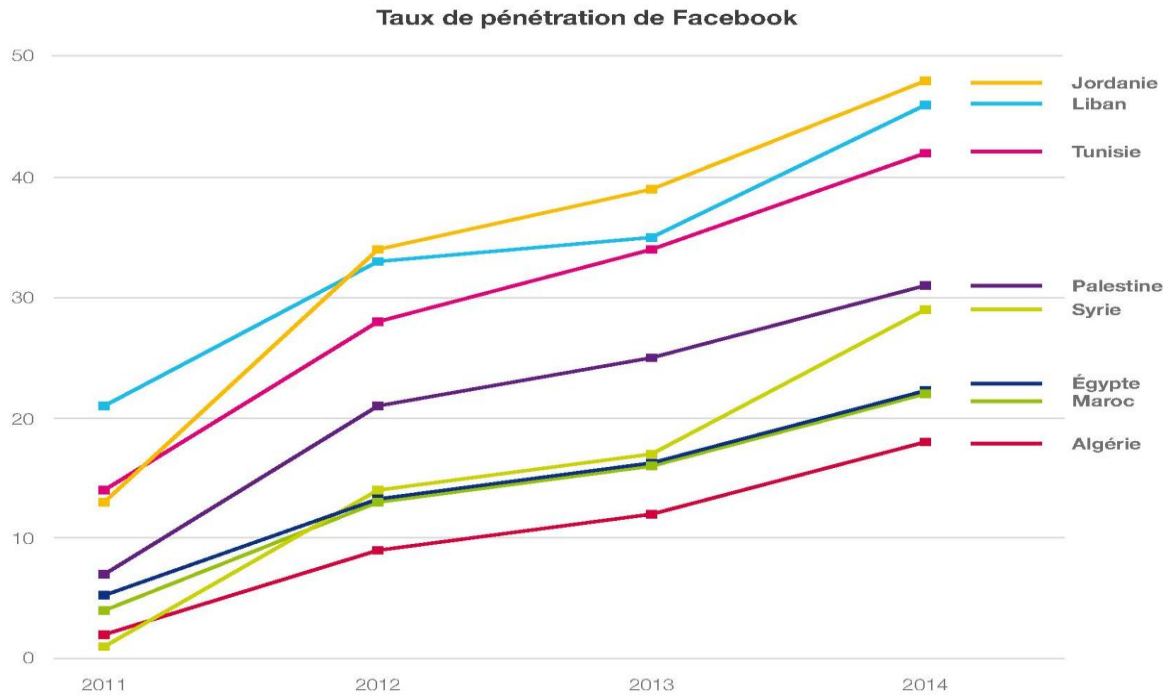
³ Kamel Touati, « Appropriation des technologies de l'information et de la communication par les pays arabes : difficultés d'adoption ou source de développement ? », *Mondes en développement* 151, n° 3 (2010), <https://doi.org/10.3917/med.151.0113>. p. 123.

⁴ Louisa S. Ha et Richard J. Ganahl, *Webcasting Worldwide: Business Models of an Emerging Global Medium* (Routledge, 2013). P. 351.

⁵ Touati, « Appropriation des technologies de l'information et de la communication par les pays arabes : difficultés d'adoption ou source de développement ? »

حسب الوكالة الفرنسية للتعاون الاعلامي¹ فإن المغرب يحوز على حوالي 500 إلى 1000 موقع اخباري محلي. في تونس هناك ما يقارب 180 موقع من هذا النوع بينما في الأردن يوجد أكثر من 500 موقع أغلبها محطات راديو. ما هو أهم من هذا الأرقام هو الحجم المعتبر للمتابعين المشتركين على الفايسبوك و على تويتر و هو المؤشر المعبر عن شعبية و قبولية لهذه الوسائط لدى الرأي العام العربي.

ثالثاً : تضخم استخدام مواقع التواصل الاجتماعي :



ارتفاع نسبة استخدام الفايسبوك في الدول العربية

المصدر : الوكالة الفرنسية للتعاون الاعلامي <http://www.cfi.fr/fr>

يعتبر هذا الاتجاه ثاني أقوى مظاهر التحولات التكنولوجية في المنطقة العربية بعد مؤشر استخدام الهواتف النقالة و الوصول إلى الانترنت و ذلك لحجم شيوعها بين المستخدمين. حسب التقرير العربي لوسائل الاعلام الاجتماعية فإن عدد مستخدمي الفايسبوك في العالم العربي - الذي يعتبر أول موقع للتواصل الاجتماعي في أغلب الدول العربية - يقدر بـ 86.3 مليون مستخدم في شهر ماي 2014 (ربع هذا العدد يوجد في مصر) مقابل 10.3 مليون مستخدم سنة 2010 (أي

¹ GIACOBINO, « Panorama des médias en ligne ». p. 21.

بزيادة تقدر بأكثر من 300 في المائة)¹. لقد غيرت هذه المعطيات من طريقة استهلاك المعلومة لدى الجمهور العربي و أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي ليست فقط الوسيلة الأولى لتقديم و ترويج الأخبار بل الوسيلة التي تسمح بخلق مجتمعات مصغرة حول الماركات الاعلامية سواء التقليدية أو غير التقليدية.

رابعا : صعوبة تحول القطاع الاعلامي التقليدي نحو الوسائط الافتراضية :

مع التحول الرقمي الحاصل في المنطقة العربية فإن التقارير تشير إلى وجود إستعصاء لوسائل الاعلام التقليدية في مصاحبة ثورة الانترنت ما عدا بعض المحاولات الناجحة التي حققتها بعض محطات الراديو الكلاسيكية في الجزائر و تونس و مصر خصوصا². يبدو أن هذه الملاحظة تنطبق على العلامات الصحفية المكتوبة الكبرى التي تعاني من صعوبة في التكيف مع الواقع الرقمي الجديد. كما يؤكد تقرير الوكالة الفرنسية للتعاون الاعلامي فإن قطاعا شاسعا من الماركات التقليدية ظلت تنشط على هامش البيئة الرقمية حيث أن أغلبها لم تفكر في إعادة تنظيم نشاطاتها (لا وجود لما يسمى بالراديو على الشبكة العنكبوتية ، لا وجود للاندماج بين فرعي التحرير المطبوع و الرقمي ...) و حتى إن وجدت فهي تنشط بشيء من التخلف لأنها تعمل بتكنولوجيات الأجيال السابقة³ (لا وجود مثلا لتطبيقات الهواتف الذكية إلى الآن مثلا).

لقد أفرزت هذه التغيرات التكنولوجية فضاء إعلاميا جديدا يتميز بما يصفه الخبراء بالضغوطات المرنة⁴ les pressions douces التي يمارسها الجمهور و لكن أيضا مجموع المهنيين الجدد الذين ينشطون في هذا القطاع. تنتج هذه الضغوطات بدورها فضاء للاحتجاجات و المطالبات الاجتماعية و السياسية من نوع آخر و هو صيغة يمكن الاستثمار فيها من طرف قنوات و وسائط الدبلوماسية العامة الأمريكية.

¹ GIACOBINO. P. 23.

² Fadi Salem, « Social Media and the Internet of Things towards Data-Driven Policymaking in the Arab World: Potential, Limits and Concerns », 2017.

³ GIACOBINO, « Panorama des médias en ligne ». Op. cit. p. 6.

⁴ Suzi Mirgani et al., « Media and Politics in the Wake of the Arab Uprisings Summary Report », 2016. P.6.

2. الشبكات الاجتماعية كوسيلة تعبئة اجتماعية و سياسية

تشير سوسيولوجيا وسائل الاعلام الافتراضية إلى وجود العديد من الاستراتيجيات التي تصاحب العمل التعبوي في هذا الفضاء. هناك على الخصوص مسار عملياتي يصاحب التحولات التقنية المشار إليها آنفا و هو التحول التدريجي للوسائط الاعلامية من كونها أدوات تقنية تتيح التحرر إلى مساح للنقاش السياسي. بمعنى آخر ، انتقلت طرق إدراك هذه الأدوات من كونها وسائل تسلية إلى وسائل تعبير سياسي. بهذا المعنى يعتبر هذا الفضاء استمرار لأشكال النقاش السياسي السائد في اليوميات العادية في الفضاء العام. لكن من جهة أخرى ، هذه الوظيفة سرعان ما تتطور لتتحول من ظروف للنقاش إلى أدوات للتعبئة و حتى للدعاية. إن هذه الحركية الأخيرة تنمو كثيرا خصوصا من خلال تدخل الفاعلين التقليديين مثل الصحفيين و المؤسسات الجمعوية و الأحزاب السياسية لتصبح الأدوار الدعائية و التعبوية أكثر وضوحا. لقد رأينا مثلا بمناسبة ما سمي بثورة يناير في مصر سنة 2011 أن المؤسسة العسكرية المصرية كانت أول المؤسسات التي صاحبت هذه الحقيقة من خلال مبادرتها إلى إنشاء أول صفحة مؤسسية رسمية على الفيسبوك و كانت جيدة الفاعلية لأنها كانت تمتلك سبقا إخباريا مقارنة بجميع النشطاء الاعلاميين رسميين كانوا أم لا¹.

يفرق توم ايشيروود Tom Isherwood بين جملة من الأدوار السياسية تقوم بها مختلف أشكال التعبير الرقمية في الفضاء الافتراضي و منها على سبيل المثال لا الحصر ؛ " تقوية القدرات التعبوية للقوى السياسية الموجودة ؛ القدرة على العمل السياسي المستقل عن القوى ذات الوجود المؤسسي ؛ تغيير و تعديل مستمر في موازين القوى الموجودة ؛ تقوية الروابط بين المشهد الداخلي و الساحة الدولية..."². تشهد هذه الأدوار إذن على تحول ميدان النقاش السياسي من البيئة التقليدية التي تسيطر عليها الأحزاب السياسية و وسائل الاعلام التقليدية إلى مساح افتراضية. لكن ، ما يجب الإشارة إليه بعناية هو أن هذا النقاش السياسي الافتراضي يظل مهيكلا حول نفس الانقسامات السياسية الكلاسيكية التي تمثلها مختلف الاتجاهات الايديولوجية المجسدة في أحزاب سياسية كلاسيكية لكن مع ظهور حركات منشقة ايديولوجيا و تنادي بكسر الخطابات

¹ Salem, « Social Media and the Internet of Things towards Data-Driven Policymaking in the Arab World ». p. 88.

² Tom Isherwood, « A new direction or more of the same? Political blogging in Egypt », *Arab Media & Society* 6, n° 1 (2008) P. 07.

السياسية المهيمنة عن طريق طرح أفكار و ايدولوجيات بديلة. لكن ، و باستثناء الدور التعبوي الكبير الذي قام به الفضاء الافتراضي خلال فترة ما سمي بالربيع العربي هل يمكن سرد أمثلة عن الدور الفعلي للبيئة الافتراضية في العمل السياسي ؟ هناك أمثلة محدودة عن ترجمة للنقاش السياسي إلى أعمال سياسية ذات آثار ملموسة. بالتالي نعتبر أن البيئة الافتراضية هي فضاء تعبير أولا و قبل كل شيء يعمل خارج الأطر التقليدية للتعبير السياسي (خصوصا الأحزاب السياسية) و يستعمل " الخطاب " كوسيلة للتحفيز على الفعل السياسي.

3. أثر البيئة الاتصالية العربية الجديدة على مؤسسة الدبلوماسية العامة

ينظر خبراء الاتصال الاستراتيجي في الو. م. أ إلى هذه التطورات على أنها تحدي منافس للمسؤولين عن الدبلوماسية العامة في المنطقة العربية¹. يفسر هذا التصور عبر مقارنة الوضع السابق بالوضع الحالي. لقد كان المسؤولون الحكوميون المكلفون بالاتصال مع الجماهير العربية نوعا من التحكم في العملية الاتصالية (من خلال الشبكة الواسعة لسفارات ، الفنصليات و المراكز الثقافية الأمريكية و من خلال التحكم التقني و الاعلامي التحكم في المضامين من خلال الشبكة الواسعة لوكالات الأنباء الأمريكية التي تزود بالمعلومات). ظلت القناة الدبلوماسية الميدانية و القنوات الاعلامية مصدر نجاح الاتصال الاستراتيجي الأمريكي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية و لمدة خمس عقود كاملة. لكن هذا النموذج يتعرض حاليا إلى المواجهة ؛ شكلت ظاهرة الجزيرة حسب فيليب سايب أول تحدي إعلامي للهيمنة الأمريكية² حيث أصبحت قرارات الولايات المتحدة تروى بشكل مختلف عن الرواية التي تقترحها وكالات الأنباء الأمريكية و قنواتها الإعلامية الكبرى، كما أن هذه الروايات البديلة أصبحت تنتقل بشكل أسرع نظرا لانكسار السبق الذي كانت تتميز به الرسالة الأمريكية بفعل المنافسة التي تفرضها شبكة المراسلين الميدانيين للجزيرة. على صعيد الممثلات الدبلوماسية تعرض الأداء الدبلوماسي بدوره إلى الكثير من الانتكاسات بفعل تدهور البيئة الأمنية العامة في المنطقة العربية و التي نتجت خصوصا بفعل نمو العداء الأمريكي نتيجة للسياسات التدخلية المعسكرة في العراق و افغانستان.

¹ William Rugh, « American soft power and public diplomacy in the Arab world », *Palgrave Communications* 3 (10 janvier 2017): 16104, <https://doi.org/10.1057/palcomms.2016.104>. p. 2.

² Seib, *New medias and the new Middle East*. P. 17.

نظرا لهذه التحديات ، برزت مقاربات أخرى لكتابة الدولة للدبلوماسية العامة و للسفراء و للمكلفين الميدانيين بالاتصال مع الجماهير العربية تعتمد على الوسائط الالكترونية لكي تظل القدرات التنافسية لهؤلاء قائمة. أصبحت مؤسسة الدبلوماسية العامة تستخدم الوسائط الرقمية و شبكات التواصل الاجتماعي و العديد من قنوات الاتصال المعاصرة لبعث صور ايجابية عن الدور الأمريكي للجماهير الأجنبية. طورت مسؤولية الدبلوماسية العامة تحت ادارة يوش ، كارين هيوغ ،نظرتها لهذه التحولات عن طريق اقتراحها لما يسمى "الاستجابة السريعة" و هو عبارة عن نشرة سريعة تساعد المسؤولين الرسميين الأمريكيين على منافسة القطاع الخاص عن طريق تزويدهم بمصدر سريع للمعلومة. كانت هذه النشرة اليومية التي ترسل إلى السفارات الأمريكية عبارة عن حوصلة عامة بخصوص كيفية تناول الرأي العام الأجنبي لقضية أو قضايا اليوم و هو بالتالي خط يساعد هؤلاء الممارسين على التواصل الايجابي مع الجماهير الأجنبية¹.

إذن ، و مع تغير البيئة الاتصالية العربية برزت مقاربات أخرى للدبلوماسية العامة الأمريكية تقوم على طرق جديدة في التواصل الاستراتيجي مع الجمهور الأجنبي. إن عبارة " جديدة" توحى بوجود انتقال إلى نموذج جديد و هو ما يريد نقله لنا كتاب يان ميليسان Jan Melissan " الدبلوماسية العامة الجديدة". لكن ما هو الأمر الجديد فعلا و بالضبط في هذه المسألة ؟

لا يتفق أهم الكتاب في موضوع الاتصال الاستراتيجي الأمريكي (الدعاية بشكلها الأولي) حول عبارة "الجديدة". هناك الكثير من الدراسات التي اهتمت بالأبعاد الدعائية للاتصال الاستراتيجي على الصعيد الدولي و منها كتابات ديبا كومار Deepa Kumar و موهان دوتا بارغمان Muhan Dutta-Bergman. يشير هؤلاء الكتاب إلى أن ما يسمى بالدبلوماسية العامة **الجديدة** تمثل الجانب المشرق من **أجندات قديمة** تتطوي على أنشطة **سرية** و على **إزدواجية** الاتصال الاستراتيجي. لقد استخدم مثلا دوتا بارغمان نظرية الفعل الاستراتيجي للفيلسوف الألماني يورغن هابرماس كمرجعية للتساؤل عن المسار التاريخي الطويل للدبلوماسية العامة الأمريكية في الشرق الأوسط و استخلص أن استراتيجيات الدبلوماسية العامة الأمريكية لا تعكس سوى طريق واحد للاتصال الذي يهدف إلى إقناع الجماهير العربية في الشرق الأوسط بفضائل الولايات المتحدة الأمريكية من خلال البرامج و المبادرات التي تقترحها. يستنتج دوتا بارغمان أن هناك

¹ Rugh, « American soft power and public diplomacy in the Arab world ». p. 3.

شبه استحالة تحقيق لنموذج قائم على الحوار و التعامل Engagement مع العالم العربي بل أن هناك مسار طويل و مستمر من عدم التفاهم و التعارض¹. من جهتها ترى ديبا كومار أن تطور مسار الحوار و التعامل مع العالم العربي ليس بممكن خصوصا بفعل تواطؤ وسائل الاعلام المهيمنة و تماشيها مع مصالح المركب الصناعي العسكري² و كنتيجة لهذا التصور فإن هذه الباحثة تدعو إلى تشكيل خطاب أكاديمي بديل قائم على انتاج معرفة نقدية للامبريالية الجديدة.

من خلال ما سبق أشرنا بشكل مبسط إلى بعض التغيرات الجوهرية التي مست البيئة الاتصالية العربية و التي أفرزت سياقاً "جديداً" تنشط فيه مؤسسة الدبلوماسية العامة. حاولنا من خلال هذا النقاش البسيط أن نشير إلى جانب مهم و هو أن ما يسميه مختصي دراسات الدبلوماسية العامة "النموذج الجديد" لا يشكل سوى واجهة لنفس أساليب الاتصال الاستراتيجي التقليدية. فيما يأتي سنركز بالتحليل على هذا الجانب باعتبار أن مؤسسة الدبلوماسية العامة الأمريكية قد تمت إعادة تنظيم وظائفها بما يوافق مسميات الدبلوماسية العامة و الاتصال الاستراتيجي كما تبرزه أهم الوثائق الرسمية و كذا أسماء الهيئات المختصة.

¹ Mohan J. Dutta-Bergman, « U.S. Public Diplomacy in the Middle East: A Critical Cultural Approach », *Journal of Communication Inquiry* 30, n° 2 (avril 2006): 102-24, <https://doi.org/10.1177/0196859905285286>. pp. 118-122.

² Deepa Kumar, « Media, War, and Propaganda: Strategies of Information Management During the 2003 Iraq War », *Communication and Critical/Cultural Studies* 3, n° 1 (1 mars 2006): 48-69, <https://doi.org/10.1080/14791420500505650>. p. 65.

المطلب الثاني : الدبلوماسية العامة الرسمية الأمريكية كاتصال استراتيجي أمني

رأينا أن الدبلوماسية العامة تمثل جانبا استراتيجيا من جوانب ممارسة القوة المرنة في السياسة الخارجية الأمريكية. بهذا المنطق فإن الدبلوماسية العامة لا تعتبر سوى شكل من أشكال الاتصال الاستراتيجي (01) الهادف إلى خدمة أهداف أمنة الفضاء العربي كفضاء موجه لخدمة المصالح الأمريكية المادية و الايديولوجية في المنطقة العربية.

1. المقاربة الاستراتيجية للدبلوماسية العامة الرسمية

أ. منطق " الاستراتيجية " كأساس للدبلوماسية العامة الأمريكية

يعتبر مصطلح الاستراتيجية من المصطلحات الواسعة الدلالة ، لكنه على العموم مصطلح يحاول الاجابة عن الكيف ، أي كيفية تحقيق الأهداف. في حقل العلاقات الدولية على وجه التحديد فإن "المصالح " و "القيم " هي المحدد المركزي للأهداف التي تسعى الاستراتيجية لتحقيقها ، فهي تتواجد بالتالي في قلب الاجابة عن السؤال الذي يعنى بـ "كيف". تعكس الاستراتيجية إذن وجود مخطط معين للعمل يتضمن وجود منظومة أولويات بالإضافة على منظومة موارد يجب تعبئتها لبلوغ الأهداف المحمولة في منظومة القيم و المصالح ¹ . تتطلب الاستراتيجية إذن تحديد للأهداف و الوسائل التي يجب اتباعها لبلوغ تلك الأهداف. الدبلوماسية العامة بهذا المنظور هي "وسيلة" من بين أخرى لبلوغ الأهداف التي تحملها منظومة القيم و المصالح ، لكنها ليست بوسيلة اكراهية بل تعاونية قائمة على " الإقناع ". هذه النظرة التقزيمية للدبلوماسية العامة على أنها أداة استراتيجية لا تعني الغياب التام للأهداف الخاصة بها. إن خصوصية أهداف الدبلوماسية العامة هي أنها تحاول التأثير في المواقف و الأفعال لجلب الدعم لمنظومة القيم و المصالح. لذلك ، و حسب هذا المنطق فإنه لا يجب علينا فهم بعض تصريحات المسؤولين الأمريكيين الخاصة بالمنطقة العربية على أنها تشير الى تغيرات جوهرية في السياسة الأمريكية تجاه المنطقة بل إنه من الأسلم اعتبارها كاستراتيجيات اتصالية تهدف إلى ايجاد توافق بين السياسة القائمة و منظومة القيم و المصالح. مثلا ، حينما تصرح كوندوليزا رايس تحت ادارة بوش أن الو. م. أ. تدعم "الطموحات او التطلعات الديمقراطية للشعوب العربية في مصر أو

¹ تعريف خاص بنا لكنه قائم على استرجاع المسلمات المشتركة بين أغلب التعريفات المقدمة لهذا المصطلح في العلوم الاجتماعية و هي أربعة (الخطة ، الأولويات ، الموارد و الأهداف).

المملكة السعودية " (أي في مجموعة الدول المصنفة ضمن الفئة التسلطية) أو حينما يصرح الرئيس اوباما بنفس المقولات الخاصة بالتطلع نحو الحرية و الديمقراطية فإن هذا السلوك لا يجب فهمه على أنه " تغير " في السياسة القائمة بقدر ما انه يجب النظر إليه على أنه خطاب دبلوماسية عامة يعبر عن أهداف الادارة الأمريكية في تقليص حجم التعارض بين منظومة القيم / المصالح الأمريكية و الجماهير العربية بطريقة استراتيجية.

إن منطق الاستراتيجية لا يتضمن فقط التوافق بين الهدف و الوسيلة. في ميدان الدبلوماسية العامة فإن الاستراتيجية تتطلب مواقف و قرارات حول جميع مقتضيات السياسة الخارجية ؛ قرارات محمولة في منظومة القيم و المصالح ، رؤى الجماهير الخارجية ، بيئة وسائل الاتصال ، توجهات الرأي العام ، سياقات السياسة الداخلية و الخارجية ، تهديدات ، علاقات التكاليف بالمخاطر ، علاقات التكاليف و العوائد ، اهداف قصيرة او بعيدة المدى... الخ. و لهذا السبب فهي اداة متميزة عن الأدوات الاستراتيجية الأخرى و ذلك نظرا كونها تتقاطع مع القطاعات السياسية ، الاقتصادية . العسكرية ، الثقافية جميعا. بعبارة أخرى ، هناك دبلوماسية عامة اقتصادية ، و أخرى سياسية و أخرى عسكرية و هلم جرا. يبرز المنطق الاستراتيجي داخل كل صنف و يوفر بالتالي مجالا لتحليل جدواه و جودته بالنسبة للسياسات المتبعة.

أغفلت دراسات الدبلوماسية العامة إلى حد ما هذا الجانب الاستراتيجي لكن و مع ظهور الجيل الجديد من الكتاب على غرار فنسنت فيتو Vincent Vitto ، جوزيف ناي Joseph Nye ، دافيد موري David Morey ، ، زهارنا Zaharna . و جارول مانهايم Jarol Manheim فإن التحليل اصبح يدمج بشكل محوري البعاد الاستراتيجية للدبلوماسية العامة. يتضح هذا الاهتمام بشكل اكبر مع التسميات الجديدة التي أصبحت تعتمد على الهيئات الرسمية الأمريكية و التي تربط بين الدبلوماسية العامة و الابعاد الاستراتيجية للاتصال. اشار إلى هذا المعنى بشكل اوضح مركز الفكر المسمى بالمركز من أجل التقدم الأمريكي Center for American Progress الذي اشار الى " ضرورة أن تدمج الو. م. أ. وسائل الدبلوماسية العامة كإستراتيجية في جميع مكونات سياستها الخاصة بالأمن القومي "¹. تكون الدبلوماسية العامة بهذا المعنى عبارة عن اداة

¹ « Public Diplomacy and Strategic Communication American Security Project », consulté le 3 décembre 2017, <https://www.americansecurityproject.org/issues/public-diplomacy-and-strategic-communication/>.

استراتيجية تقوم بتعبئتها جميع المؤسسات المرتبطة بالسياسة الخارجية عموماً وبالسياسة الأمنية خصوصاً لكنها تخضع في حد ذاتها إلى نفس المنطق الاستراتيجي عبر ما يسمى بالاتصال الاستراتيجي. يقصد بهذا الأخير مجموعة الأفعال والأقوال المتزامنة و كيفية استيعابها من طرف الجماهير المستهدفة بالإضافة إلى البرامج والأنشطة الهادفة إلى التواصل مع هذه الجماهير بما فيها أنشطة العلاقات العامة ، الدبلوماسية العامة و الاعلام¹. في علاقته بموضوع دراستنا فإن هذا التعريف يشير ببساطة إلى قدرة منظمات و هيئات حكومية تابعة للولايات المتحدة أن تبلور بشكل منسق و متزامن و متجانس رسالة للوم أ عن أهدافها ، سياساتها و قيمها لحفائها ، لأصدقائها ، للدول المحايدة و للأعداء في المنطقة العربية. لذلك فإن فهم الدبلوماسية العامة الأمريكية لا يقتضي فقط فهما للرسالة و لكن أيضاً فهما للوظيفة الاستراتيجية لهذه الرسالة ضمن السياق الأمني العام للسياسة الخارجية الأمريكية. يعتبر الخطاب داخل هذه المؤسسة المعقدة حلقة الوصل بين القسمين ؛ قسم الدبلوماسية العامة الذي يقوم على الخطاب و قسم الاتصال الاستراتيجي الذي لا يقوم سوى على الخطاب.

ب. محورية الخطاب الاستراتيجي في الدبلوماسية العامة

تندرج الدبلوماسية العامة ضمن استراتيجيات اتصال مقصودة و هذا ما تؤكد مجموعة النماذج النظرية التي تقترح أطر تفسيرية قائمة على الوظيفة الاستراتيجية للاتصال. يعتبر جارول مانهايم Jarol Manheim من أول و أهم المساهمين في النظرية التي تنطلق من مركزية الحسابات الاستراتيجية في التحليل. حسب مانهايم ، فإن الدعاية هي أول أشكال الدبلوماسية العامة المبنية على السلوك الاستراتيجي المقصود و من هذا المنطلق فهو يميز بين أربع أنواع من الدبلوماسية و هي : دبلوماسية الحكومة تجاه الحكومة ، دبلوماسية الدبلوماسي تجاه الدبلوماسي ، دبلوماسية الشعوب تجاه الشعوب و دبلوماسية الحكومة تجاه الشعوب². تتواجد الدبلوماسية العامة حسب مانهايم على مستوى النوعين الثالث و الرابع لكن العامل المشترك بين هذه الأصناف الأربعة هو وجود فكرة الاتصال الاستراتيجي بشكل خاص. يتكلم براين هوكين في نفس هذا الإطار بالتحديد عن ما يسمى " بالدبلوماسية العامة الجديدة " للحديث عن الانتقال من الدبلوماسية

¹ Kirk Hallahan et al., « Defining Strategic Communication », *International Journal of Strategic Communication* 1, n° 1 (22 mars 2007), <https://doi.org/10.1080/15531180701285244>. p. 7.

² Jarol B. Manheim, *Strategic public diplomacy and American foreign policy: the evolution of influence* (New York: Oxford University Press, 1994). P. 13.

الموجهة نحو الحكومات إلى الدبلوماسية الموجهة نحو الشعوب و لكن مع استمرار حضور الوسائط الاستراتيجية في التحليل¹.

يمكن تجميع الأعمال النظرية التي تهتم بالاتصال و الرأي العام كمكونات للقوة (القوة هنا كمورد resource و ليس كتأثير Influence) في السياسة الدولية ضمن فئة نظريات الخطاب و الاتصال الاستراتيجي. لقد أثرت أعمال يورغن هابرماس Jurgen Habermas كثيرا في هذه الفئة من البحوث و قد دافع هذا الأخير كثيرا عن الشكل التداولي deliberative للفعل الاتصالي Agir communicationnel و الذي يفترض أن يؤدي إلى الحصول على الشرعية السياسية و على القيم الملزمة من خلال الخطاب و النقاش المفتوح. يفرق هابرماس هنا بين استعمال الخطاب لتحقيق الاجماع العقلاني و الفهم المشترك (الشكل التداولي للاتصال) و الاستعمال الاستراتيجي للخطاب لتحقيق أهداف متصلة بمصالح معينة (الشكل الاستراتيجي)². كلا الشكلين يفترض وجود قدرة للجماهير (الرأي العام) في الخوض في العملية الاتصالية من دون تلاعب manipulation و هو ما يسمح بظهور مدركات مشتركة و انسجام للأفعال مع هذه المدركات.

إن هذه العناصر المشكلة لنظرية هابرماس هي نفسها التي تتضمنها استراتيجية الدبلوماسية العامة التي تركز على الاندماج في الاتصال مع الجماهير الأجنبية و التبادل معها. يجب أن نشير فقط ان الدبلوماسية العامة بالشكل الذي أصبحت تمارس به منذ الحادي عشر من سبتمبر تقترب أكثر من الشكل الاستراتيجي للاتصال منه إلى الشكل التداولي كما يفهمه هابرماس. هذا الأخير (التداولي) لا يزال قائما عبر أشكال الدبلوماسية الثقافية خصوصا و لكن الممارسة الأمريكية ظلت تولي الاهتمام الأكبر للشكل الاستراتيجي للاتصال كما اقترحته منذ بداية القرن العشرين الدراسات الأولى للاتصال الاستراتيجي مثل نموذج والتر ليبمان 1922. على الصعيد العملي ، يترجم ظهور الوكالة الأمريكية للإعلام خلال فترة حكم الرئيس كينيدي تكريس النظرة الاستراتيجية للاتصال في الدبلوماسية العامة الى درجة أن جارول مانهايم أصبح يعبر عنها بأنها

¹ Brian Hocking, « Rethinking the 'New' Public Diplomacy », in *The New Public Diplomacy, Studies in Diplomacy and International Relations* (Palgrave Macmillan, London, 2005), https://doi.org/10.1057/9780230554931_2. p. 28.

² James Johnson, « Habermas on Strategic and Communicative Action », *Political Theory* 19, n° 2 (1991), <http://www.jstor.org/stable/191661>. p. 183.

"تسيير و تعديل للمدركات " بالكيفية التي تسمح بتحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية¹. إذن ، للخطاب مركزية واضحة في سياق الدبلوماسية العامة كاتصال استراتيجي سواء على الصعيد النظري أو على الصعيد العملي. إن وظيفة هذا الخطاب في ميدان الدبلوماسية العامة ليست تداولية كما يعتقد هابرماس لأننا بصدد الحديث عن بيئة دولية بل هي على الأرجح وظيفة استراتيجية تتأكد خصوصا من خلال التوجه الكبير نحو استعمال الرموز القيمية ، بل و توجيهها المعلن explicite نحو حماية المصالح و القيم.

يسمح الاطلاع المباشر على الأهداف البراغماتية المعلنة من طرف مختلف المبادرات المطروحة على صعيد الدبلوماسية العامة الرسمية بالوقوف على هذه الوظيفة الاستراتيجية. مثلا ، تتضمن برامج التبادل التعليمي الشهيرة (مثل برنامج فولبرايت) أهدافا من طبيعة استراتيجية :

- التقليل من حجم التوتر و المواقف السلبية ضد الو م ا، خصوصا في البلدان الاسلامية
- ...
- ازالة الارضيات الخصبة التي يتغذى منها الارهاب ...
- التأثير في الأجيال المقبلة من القادة السياسيين ...
- ايصال الحرية و الديمقراطية ، العدالة و الفرص ،الاختلاف و التسامح ...
- محاربة العداء الأمريكي و الأفكار الخاطئة التي تهدد أمن الو م أ ...
- فتح الابواب للدبلوماسيين الأمريكيين و للأجانب الزائرين من أجل فهم افضل لسياسات ال.م.ا².

ان الملاحظ و بكل وضوح في هذه الأهداف هو أن العنصر الاستراتيجي ليس بغائب بل هو جوهر القضية بأكملها. الأكثر من هذا كله هو أنه لا يمكننا أن نحصي اي هدف غير براغماتي في سلوك الدبلوماسية العامة الذي يعكسها مثل هذا البرنامج. تتفق إذن هذه الرؤية الاستراتيجية من ناحية مضامينها مع مسلمات الاجماع القومي الذي تعرفه المؤسسة الخطابية الأمريكية بخصوص سياستها الخارجية ؛ سيادة منطلق امنة القيم و المصالح و سيادة منطلق عالمية الرسالة الأمريكية للعالم.

¹ Manheim, *Strategic public diplomacy and American foreign policy*. P. 75.

² Hwajung Kim, « Cultural diplomacy as the means of soft power in an information age », *Institute for Cultural Diplomacy*, 2011. P. 5.

2. نحو استراتيجية اتصالية للدبلوماسية العامة

عرف الاطار العام للدبلوماسية العامة الأمريكية تحولات مستمرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بشكل يعيد الاعتبار لفكرة الاتصال الاستراتيجي (1) التي أصبحت محورا لسياسة الأمن القومي (2).

أ. تطور مؤسسات الدبلوماسية العامة : التوجه التدريجي نحو الاتصال الاستراتيجي

ابتدأت نشاطات الدبلوماسية العامة مع مجموعة من الوظائف التابعة لهيئات السياسية الخارجية و الدفاع. يمكن التمييز بين الدعاية خصوصا في زمن الحرب و الدبلوماسية العامة التي تأخذ طابعا أكثر ودية و مرونة و معنى خال من الأحكام المسبقة و التي بدأت في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي مع انشاء الوكالة الأمريكية للإعلام سنة 1953. أعقب انشاء هذه الوكالة مباشرة ظهور أول نص تشريعي مؤطر لعمل الدبلوماسية العامة و خصوصا في جوانبها الثقافية مع ما يسمى بـ "قانون كتابة الدولة للاختصاصات الأساسية 1956" (State Department Basic Authorities Act). تمحور دور الوكالة الأمريكية للإعلام على الدبلوماسية الثقافية اساسا و استمر دوره بشكل بارز خلال فترة الحرب الباردة من خلال استراتيجية انتشار ميدانية عبر انشاء مكاتب في حوالي 190 دولة و بالتركيز على برامج تواصل ثقافية و برامج تعاونية ترويجية.

تم حل الوكالة الأمريكية للإعلام سنة 1998 بموجب قانون دمج الوكالات (Consolidation act 1998) و الذي حول مهامها مباشرة إلى مكتب نائب كاتب الدولة المكلف بالدبلوماسية العامة² Under Secretary of Public Diplomacy. يعود سبب تحويل المسؤوليات إلى مجموعة من العوامل التي تصب في مجملها في ضرورة تقوية مقدرات مؤسسة الدبلوماسية العامة. السبب الأول هنا هو نهاية الحرب الباردة التي افرزت وضع يزيل المبرر الايديولوجي الذي كان مصدر قوة الدبلوماسية العامة في هذه الفترة. أصبحت الو. م. أ. القوة العظمى الوحيدة و هو الوضع الذي صاحبه بروز ديناميكية موازية قوية و هي الانتشار

¹ Kennon H. Nakamura et Matthew C. Weed, « U.S. Public Diplomacy: Background and Current Issues », Report, Digital Library, 18 décembre 2009, <https://digital.library.unt.edu/ark:/67531/metadc627029/>. P.3.

² Nakamura et Weed. P. 9.

الديموقراطي. السبب الثاني كما يشير اليه الملاحظون هو الهشاشة التي أصابت جهاز الدبلوماسية العامة المتمثل في الوكالة الأمريكية للإعلام و ذلك نتيجة لتراجع ميزانية العمل و لكن ايضا نظرا للاستقلالية التي تتمتع بها و عدم خضوعها لسلطة وزارة الخارجية. أصبحت هذه الأخيرة تمتلك تصورات جديدة بخصوص الوضع الاستراتيجي الجديد في العالم و الذي يقتضي تقريب مؤسسات الدبلوماسية العامة من المراكز الرسمية للقرار ما افرز اعادة ربطها بمصالح كتابة مستقلة للدولة. تم تبرير هذا الخيار فضلا عن فوائده المتعلقة بالعمل على المدى البعيد و المتوسط بعوامل مالية أيضا حيث يسمح دمج مؤسسة الدبلوماسية العامة بكتابة الدولة بتوفير قيم معتبرة من الموارد خصوصا مع بداية الحديث عن مشكلة الدين العام في الوم أ. بالرغم من هذا فان الدمج لا يعني التخلي عن الهياكل الاعلامية الرسمية في السياسة الخارجية بل تم استبدالها بهيئة جديدة هي البي البي جي أو مجلس البث السمعي البصري¹ Broadcasting Board of Governors. لقد تم أيضا تحويل الوظائف الثقافية و التربوية للوكالة الأمريكية للإعلام إلى مصالح فرعية بداخل كتابة الدولة المكلفة بالدبلوماسية العامة. أصبحت بالتالي جميع وظائف الدبلوماسية العامة خاضعة لكتابة دولة واحدة تعمل بشكل مستقل و منسق مع باقي المؤسسات الرسمية للسياسة الخارجية الأمريكية.

ب. التوجه الاستراتيجي العام من خلال استراتيجية الأمن القومي لسنة 2015

لقد حددت استراتيجية الأمن القومي لسنة 2015 الأهداف الاستراتيجية للوم.أ لإدارة الدبلوماسية العامة و الاتصال الاستراتيجي مع الجماهير الأجنبية و عدتها في ثلاث فئات :

1. على الولايات المتحدة أن تقدم صورة ايجابية عن الآمال و الفرص المحمولة في القيم القاعدية البسيطة لأمريكا ،
2. بمساعدة الشركاء فإن الوم أ سوف تعمل على تحييد و عزل المتطرفين الذين يهددون الحرية و السلام الموجودتين لدى كل الشعوب المتحضرة ، في ثقافتهم و في معتقداتهم.

يمكن بلوغ هذا الهدف حسب استراتيجية الأمن القومي ب :

¹ Nakamura et Weed. P. 24.

- ترقية الديمقراطية و الحوكمة الرشيدة كطريق إلى مستقبل ايجابي في مجتمع متعدد و آمن،
 - إشراك المجتمعات الاسلامية و اعطاء الكلمة للأصوات الاسلامية ،
 - عزل و ضرب مصداقية المتطرفين و مساعدتهم و منظماتهم ،
 - عدم شرعنة الارهاب كأداة تكتيكية لتحقيق أهداف سياسية و ،
 - تبيان أن الغرب منفتح على جميع الأديان و أنه ليس في صراع مع أي منها¹.
3. يجب على أمريكا العمل على رعاية المصالح والقيم المشتركة بين الأميركيين والشعوب من مختلف البلدان والثقافات والأديان في جميع أنحاء العالم.

بعد الوقوف على الأهداف الأمنية للدبلوماسية العامة كتكتيك اتصال استراتيجي سوف نقوم فيما يأتي بتحليله خطوة بخطوة لتحديد الأسس التي يبنى عليها هذا التكتيك. تتلخص هذه الخطوات في ثلاث نقاط و هي : إعداد الرسالة من زاوية نظر شاملة ، التخطيط الاستراتيجي و تحديد الجمهور المستهدف استراتيجيا.

أ. إعداد الرسالة من زاوية نظر شاملة عن طبيعة التهديد

يتلخص مضمون الرسالة التي يجب السعي في تحقيق أهدافها في ما لفظه " مواصلة محاربة تنظيم الدولة الاسلامية في سوريا و العراق" و هو أهم مصادر التهديد على الاطلاق². يشير هذا الهدف إلى جميع القوى المتطرفة التي تعارض و تواجه الوجود الأمريكي في المنطقة العربية و الذي تعتبره الادارة الرسمية وجودا من يحفظ السلام و الاستقرار فيها. لقد أصبحت هذه الرسالة عنوان الخطاب الرسمي الأمريكي منذ حوادث الحادي عشر من سبتمبر عن الأمن القومي الأمريكي و الذي يجب الاستمرار في مواجهته و مكافحته بالوسائل الدبلوماسية العامة أيضا. هذه الحالة الطارئة تتغذى خصوصا حسب الرؤية الأمريكية بفعل الرسائل الخاطئة التي يستعملها المتطرفون لحشد التأييد ضد اللوم أ و هو الأمر الذي يهدد الأمن الأمريكي بصورة مستمرة. بالنسبة لإدارة اوباما فان مسألة التهديد الذي تفرضه قوى التطرف الديني هي أولوية أمنية للوم أ

¹ « National Security Strategy ». op. cit. pp. 7-13.

² Thomas Wright, « Interpreting the National Security Strategy », *Brookings* (blog), 30 novembre 2001, <https://www.brookings.edu/blog/up-front/2015/02/06/interpreting-the-national-security-strategy/>.

و يظهر هذا من خلال إعادة انتاج ما تم طرحه في الاستراتيجية الأمنية لسنة 2010. تميزت استراتيجية 2015 بتبنيها و بشكل صريح لما يسمى بالفضاء الافتراضي كميدان للعمل ضد هذه القوى ما جعل البعض يسميها بإستراتيجية الأمن القومي 2.0 في إشارة إلى تركيزها على الفضاء الرقمي و الافتراضي¹.

ب. التخطيط الاستراتيجي

منذ حوادث الحادي عشر من سبتمبر تشهد العلاقات الأمريكية العربية توترا مستمرا بسبب تزايد الاستعمال المستمر للقوة الصلبة في المنطقة العربية ما ولد شعورا بالعداء لدى كافة شعوب المنطقة. حول مسألة التطرف بالتحديد لا يبدو أن العلاقات تتجه نحو التهدئة بل إلى التصعيد المستمر. ابتداء بما سمي بالقاعدة ، ثم داعش ثم تنظيم الدولة تستمر الحروب في الدول العربية ذات الأهمية الاستراتيجية : العراق ، سوريا و ليبيا. تم سنة 2003 انشاء كتابة دولة خاصة بالدبلوماسية العامة و التي من أولوياتها اعداد خطط لمواجهة مشاعر العداء التي يحملها المسلمون ضد السياسات الأمريكية. أصبح كتابة الدولة أهم مركز يوجه الاستراتيجيات الخاصة بالتطرف و بتحسين صورة الو م أ في المنطقة العربية. عملت كتابة الدولة على تقديم العمل بواسطة وسائل الاعلام كأهم وسيلة لتسيير الوضع المتأزم لدى الرأي العام العربي عن أمريكا. إن الهدف في هذا المجال يركز على محاولة تقليص درجة العداء لدى الفئات المتطرفة و المؤهلة للقيام بأعمال عنف عدائية ضد المصالح الأمريكية في الداخل و الخارج².

تؤكد استراتيجية الأمن القومية لسنة 2015 على ضرورة تدعيم الفضاء الافتراضي بالمواد المضادة التي يستخدمها المتطرفون أنفسهم للتحريض ضد الو م أ و قيمها. هذه العلاقة الافتراضية مع الجمهور العربي هي التي تسمح بخلق قنوات حوار مباشرة هدفها مقاومة التضليل الاعلامي و تسمح أيضا ببناء ما يسمى بدول افتراضية حسب فيليب سايب³. هذا المفهوم الذي طرحه سايب منذ 2011 يؤكد على الحرية و القدرة في الوصول إلى جميع مواطني العالم الذين لم يعودوا

¹ Wright.. ibid.

² Philip Seib, « Public diplomacy, new media, and counterterrorism », *CPD Perspective on Public Diplomacy*, 2011. P. 24.

³ Seib. P.31.

مرتبطين بدولهم الأصلية بل يرتبطون بما يشاهدونه و يؤمنون به على الشبكة العنكبوتية. حسب سايب، فإن هذا الفضاء يشكل بالنسبة لهؤلاء دولة يجب التعامل معها بأشكال دبلوماسية ايضا لا تمر سوى بالاستثمار في وسائط الاعلام الذكية. يكمن جوهر هذه الفكرة إذن في أن الو م أ بإمكانها أن تؤثر في المعلومة التي يتداولها الشباب العربي الذي يتمتع بحرية واسعة في الوصول إليها¹.

ت. تحديد الجمهور المستهدف

منذ حوادث الحادي عشر من سبتمبر تعتقد الادارة الأمريكية ان هناك فئة واسعة من المجتمع العربي توافق على ما يقوم به من تسميهم بالمتطرفين ابتداء من تنظيم القاعدة و انتهاء بتنظيم الدولة الاسلامية. لذلك فالجمهور المستهدف من طرف هذه الاستراتيجيات الاتصالية بشكل رئيسي هو هذا القطاع من حاملي العداء لأمريكا. يقوم العمل في المستوى على ضرورة توضيح أن الإرهاب هو الذي بادر أولاً بضرب الو م أ و أن سياستها شرعية من أجل تحقيق الاستقرار من خلال مواصلة تتبع المنفذين و جذورهم. تقوم الاستراتيجية تجاه هؤلاء على محاولة الفصل بين الاسلام الصحيح ذو التعاليم السمحة و القوى التي تستغل أعدار الدين لتحقيق اهداف سياسية و استراتيجية. إذن ، نرى أن خبراء التأثير الاستراتيجي يراهنون على الاستثمار في علاقة حوار مع مواطني المنطقة العربية عبر الفضاء الافتراضي. ترسل الرسالة إلى هؤلاء بأن هدف الو م أ في المنطقة العربية هو القضاء على الارهاب و قوى التطرف التي تتحرك لأسباب سياسية و غير شرعية البتة.

¹ Seib. P. 33.

المطلب الثالث : الاتصال الاستراتيجي من خلال خطاب الوعود بالقاهرة 2009 : دراسة حالة

كان أول خطاب للرئيس الأمريكي المنتخب حديثا في الخارج يوم 04 جوان 2009 بجامعة القاهرة و هو استراتيجية اتصال في حد ذاتها نظرا لأنه بعكس الرغبة الرسمية للمسؤول الأول عن الادارة الأمريكية في احداث ما سمي لاحقا " بالبداية الجديدة " مع العالم الاسلامي. إن الهدف من استعراض دراسة حالة خطاب القاهرة هو متابعة الكيفية التي تتم بها الدبلوماسية العامة على الصعيد العملي و أيضا فهم جوانب الاستراتيجية الاتصالية التي وظفها خبراء و مستشارو الاتصال الاستراتيجي لأعلى ممثل لمؤسسة الدبلوماسية العامة و هو شخص الرئيس. لقد تمت صياغة هذا الخطاب بالتركيز على ما يسمى "بالأفكار الجيدة"¹ و هذه الأخيرة تبدو رنانة بشكل يسمح باستيعابها كأنها تعبر عن مقارنة مختلفة عن ما سبقت معاشته إلى حد الآن. من خلال دراسة هذه الحالة سوف نتوقف على أهم الممارسات الاتصالية التي استخدمت بشكل استراتيجي للتأثير في الجمهور العربي.

1. أهمية السياق : ضرورة البحث عن "بداية جديدة"

بعد فترة طلب شديد على القوة الصلبة في الفترة التي أعقبت مباشرة حوادث الحادي عشر من سبتمبر تجسدت من خلال حربين باستثمارات بشرية و عسكرية و مالية ضخمة بدأت عهدة الرئيس اوباما بخطاب جديد (سمي بالبداية الجديدة) مبني على تفعيل القوة المرنة و يعلن بالتالي عن القطيعة مع سياسات المحافظين الجدد. نحن نضع سطرًا مهما على مفردة **الخطاب** لنشير إلى أهميته في مصاحبة الممارسات الجارية² ، لأنه و كما أسلفنا فإن القوة المرنة هي أداة استراتيجية مكتملة لأهداف القوة الصلبة في إطار استراتيجيات الهيمنة. إن تحليلنا لهذا الخطاب يهدف اساسا إلى تعريف الاستراتيجية التي يتبناها الرئيس اوباما و أدواتها مع القبول ضمنا بأن هدفها ليس فعلا ربط الحوار مع العالم الاسلامي بل هو تسيير للرأي العام في العالم الاسلامي عموما و العربي

¹ Mohammed El Oifi, « Que reste-t-il de « l'esprit du Caire » ?, What's Left of the "Spirit of Cairo"? », *Politique américaine*, n° 18 (2010), <https://doi.org/10.3917/polam.018.0037>. p. 38.

² Oifi. P. 39.

خصوصا من أجل تقليص حجم التضارب الحاصل بينه و بين السياسة الأمريكية في المنطقة و جعل الأخيرة أكثر قبولا لديه.

لقد اعتمد الخطاب على مضمون مليء بالاعتبارات الثقافية و السياسية ذات الحساسية المفرطة. يسمح لنا هذا المتغير في البداية بتحديد ماهية الجمهور المستهدف. لقد كان الخطاب في هذا المستوى و من ناحية المفردات المنتقاة بعناية عالية جيد البناء لغويا خصوصا و أن الحضور في غالبيته رسمي و ذو مستوى تعليمي عالي و مذاع ليستهدف نقطة حساسة لدى الرأي العام العربي و الاسلامي وهي التعارض الأمريكي الاسلامي. لاحظ الجميع الأهمية المثيرة التي بدأ بها الرئيس لربط الصلة مع العالم الاسلامي مفتتحا الكلمة بـ "السلام عليكم " ثم أعقبها بالكثير من الاقتباسات من القرآن. يحاول الرئيس من خلال هذه الاستراتيجية أن يرسل صورة بأن "هناك مقارنة جديدة نابعة عن معرفة للإسلام"¹.

لقد جاء في نص الخطاب ما يلي :

" نلأقي من حين لآخر بعض التوتر في العلاقة بين الو م أ و المسلمين عبر أنحاء العالم قاطبة.. توتر نحفزه عوامل تاريخية أكثر و التي لا ترتبط بظروف اي نقاش سياسي حالي ... توترات تغذت من الحركة الاستعمارية التي ولدت الكثير من الظلم للكثير من المسلمين و خلال الحرب الباردة التي كان فيها الكثير من الدول الاسلامية مهددة كأدوات لهذا الصراع من دون مراعاة لتطلعاتهم الشخصية"².

يسمح التمعن في هذا المقتبس بتسجيل ملاحظات ترتبط بمنهجية بناء الحجج في هذا الخطاب. حيث أن الهدف هو إحداث إقناع الجمهور العربي بوجهة نظر معينة فإن استراتيجية بناء الحجج قامت على خطوات أربع هي :

- الأولى ؛ تحديد المشكلة بين العالم الاسلامي و الولايات المتحدة ،
- الثانية ؛ إبراز الطابع الأزموبي في هذه العلاقة من خلال الاسترسال في الجذور التاريخية ،

¹ Safitri Bonea Palakkarisma, « A Friend of Islam: US Public Diplomacy in the Muslim World as Constructed through President Obama's Speech in Cairo and Jakarta », Master thesis, 4 septembre 2015, <http://dspace.library.uu.nl/handle/1874/319310>. p. 13.

² Eugenio Lilli, *New Beginning in US-Muslim Relations: President Obama and the Arab Awakening* (Springer, 2016). P. 218.

- الثالثة ؛ **انتقاد الخلل في السياسات السابقة و القائمة** لكن بشكل لا يدعو إلى إزالتها نهائياً،
- الرابعة ؛ **الرغبة في تجاوز هذا الخلل** من خلال الدعوة إلى الانسجام مع التطلعات العربية.

يعتبر هذا المنهج مألوفاً لدى خبراء الاتصال و هو يصب في الحقيقة في إطار بناء سياسة مبنية على **انتقاد الوضع القائم لكن من دون المطالبة بالتغيير الجذري لها**. تشير إذن هذه الاستراتيجية إلى انخراط الرئيس اوباما في عمل تسويقي يرفع لصالح شعار تصحيح العلاقة مع العالم العربي و هو ما يتأكد من خلال النظر في حجم الوعود المعبر عنها إلى درجة تسميته بـ **خطاب الوعود**.

2. محورية الوعود في خطاب القاهرة :

- تضمن خطاب " البداية الجديدة " الكثير من الوعود نلخصها فيما يلي :
- تفعيل الاتفاقية الخاصة بالقوات المسلحة التي أمضاها الرئيس بوش و التي تحدد توقيتنا للانسحاب من العراق ،
 - تحريم استخدام التعذيب في الولايات المتحدة ،
 - غلق محتشد غوانتانامو سنة 2010 ،
 - الموافقة على المسير في الحل المقترح من طرف التسوية الأممية القاضية بالدولتين الفلسطينية و الاسرائيلية ،
 - دعم الديمقراطية و حقوق الانسان في جميع انحاء العالم ،
 - قبول الشراكة و التعامل مع " اية " دولة بها اغلبية اسلامية للقضاء على الأمية عند البنات و تقديم مساعدات مالية للمساعدة على خلق فرص الشغل
 - رفع حجم البرامج الدراسية و التبادل الدراسي ،
 - مساعدة الطلبة المسلمين على الاندماج في المجتمع الامريكي ،
 - الاستثمار في بنى التعلم عن بعد بالنسبة للأساتذة و الطلبة،

- الشروع في التحضير لبداية جديدة في العلاقات مع منظمة المؤتمر الاسلامي¹.

هل الهدف هو تجسيد هذه الوعود أم بناء صورة خطابية *rhétorique* لمقاربة ذكية تجمع بين القوة المرنة و القوة الصلبة ؟ إن كل ما تحقق من وعود القاهرة هو انسحاب القوات الأمريكية من العراق و افغانستان كمبادرة فعلية تصب في صالح خطاب المصالحة و الاستجابة للوعود الانتخابية. لكن ، رغم دعوات المصالحة إلا أن الموقف الأمريكي المعلن من طرف ادارة اوباما ظل يجعل من أمن اسرائيل اولوية استراتيجية. على صعيد سياسة مكافحة الارهاب ، فان الرئيس و مخافة تقطع وعوده الانتخابية بخصوص غلق محتشد غوانتانامو - و قد فشل في غلقه فعلا - فان محاولاته لم تعطي سوى افراجا عن بعض المحبوسين. تأتي بعدها توقيعه على تراخيص تقضي بالسماح باستعمال أجهزة الدرون Drones في عمليات محددة و ذات دقة عالية في اليمن و باكستان بالخصوص لتحديد حقيقة الفجوة الموجودة بين القوة المرنة كخطاب و القوة الصلبة كواقع.

لما كان حجم الوعود المرفوعة عاليا نسبيا فقد فشل الرئيس في تحقيقها عمليا و هو ما خلق جوا من الشك لدى الرأي العام العربي. من بين هذه النقاط التي فشل فيها فشلا ذريعا الوعود بغلق معتقل غوانتانامو بسبب المعارضة الداخلية العنيفة و الوعود بالسير في تطبيق التسوية القاضية بإنشاء الدولتين الفلسطينية و الاسرائيلية في اطار تسوية النزاع البيني. يتعلق الفشل هنا بعوامل داخلية و مؤثرات لا يتدخل في نتائجها الرئيس بشكل مطلق بل يخضع لعلاقات التفاعل مع أجهزة و قوى متعددة. لكن من ناحية الاتصال الاستراتيجي كان و لا بد أن يتم أخذ هذه الاعتبارات بشكل جدي قبل اعداد لائحة الوعود لأن عدم تحقيقها يؤدي إلى فشل استراتيجية الاتصال كليا من خلال مشاعر الشك التي قد تتولد لدى المتلقين.

¹ Safitri Bonea Palakkarisma, « A Friend of Islam », p. 21.

المبحث الثالث : الدبلوماسية العامة الرسمية لإدارة الرئيس أوباما : نموذج القوة الذكية لإعادة تعريف مضامين الزعامة الأمريكية في العالم العربي

رأينا من خلال ما سبق كيف أن المنطقة العربية تعرف سياقاً جيو - استراتيجياً و اتصالياً يتميز بالكثير من الحركية التي تؤثر على استراتيجيات الدبلوماسية العامة على وجه التحديد. بعبارة أخرى ، تتكيف مؤسسة الدبلوماسية العامة الأمريكية مع تطورات و مضامين السياق الجيواستراتيجي العام و بهذا الشكل فهي امتداد له. لكن ، و بحكم أن الدبلوماسية العامة تشير إلى كيفية التعامل الاستراتيجي مع الجماهير الأجنبية فهي بهذا المدلول أداة استراتيجية "لقوة المرنة" بمفهومها الشامل. بهذا الشكل ، فهي تخضع بشكل مطلق لهدف استراتيجي أسمى للسياسة الخارجية الأمريكية ألا و هو هدف الهيمنة العالمية *hégémonie* ، أي الحفاظ على الدور الريادي للوم أ في المنطقة العربية عبر أمنة هذا الفضاء خصوصاً في ظل صعود قوى غير اوروبية - غربية و تزايد نشاطها السياسي و الاقتصادي بشكل ينافس و يهدد الهيمنة الاقليمية للوم أ. يقتضي تحقيق هذا الهدف تفعيل أدوات اتصالية استراتيجية للحد من نشاط القوى المناهضة للهيمنة الأمريكية (مشاعر العدا للوم أ ، التيارات السياسية المناهضة مثل الاسلاموية ، الأنظمة السياسية المناهضة... الخ). و هو المدلول المحمول في مفهوم جوزيف ناي عن القوة المرنة.

ينبغي هنا فهم العلاقة الموجودة بين مفهوم الدبلوماسية العامة و مفهوم القوة المرنة. بينما تشير الأولى إلى " جهود فاعل دولي في التعامل مع الجماهير الأجنبية خدمة لهدف استراتيجي واضح" فإن الثانية تشير إلى جهوده المختلفة للتأثير في سلوك و مواقف الآخرين. يوجد قاسم مشترك بين المصطلحين من ناحية أن كلا منهما يبحث عن " النفوذ " و هو الأمر الذي يجعل كثيرا من الأدبيات لا تفرق بينهما كما تؤكد نانسي سنو¹. يختلف الاثنان في مسألة متعلقة بالمغزى من هذا النفوذ إن كان الغرض هو تغيير سلوك الآخر أم لا. إن كان مصطلح القوة المرنة يشير ايجابياً الى هذا الأمر فإن الدبلوماسية العامة حسب ماتيو ارمسترونغ² لا تعني بتغيير الرأي

¹ Nancy Snow, Philip M. Taylor, et Annenberg School of Communications (University of Southern California), éd., *Routledge handbook of public diplomacy* (New York: Routledge, 2009). P. 19.

² Snow, Taylor, et Annenberg School of Communications. p. 64.

لدى الجماهير الأجنبية بل تشير إلى التعامل مع هذه الأخيرة من أجل جلب الدعم للسياسة الخارجية للدولة في حيز معين و ذلك من خلال التأثير على الجماهير بشكل ايجابي. إذن ، فالدبلوماسية العامة هي استراتيجية قوة مرنة قبل كل شيء و هذا المعنى ينبغي النظر إليه كمرجعية - بمفهوم بيار مولر (Référéntiel) - Pierre Muller - بموجبها تتكيف الأدوات و المؤسسات المختصة مع مضامين هذا الاطار المرجعي Référéntiel.

كيف يتم فهم السلوك الأمريكي بهذا الخصوص (سلوك القوة المرنة) في المنطقة العربية ؟ بالنظر إلى المصالح الأمريكية التي أشرنا إليها سابقا (المبحث الأول) و الى السياق الاستراتيجي العام لعمل الوم أ في العالم يمكن فهم السلوك الجديد - اي ما بعد 11 سبتمبر بإدارتيه ؛ ادارة بوش و ادارة اوباما - المبني على ترجيح لأدوات القوة المرنة على أنه خطوة استراتيجية - من بين أخرى - لخدمة هدف عام طويل المدى. تظل السياسة الخارجية منذ نهاية الحرب الباردة موجهة نحو خدمة هدف مركزي هو ما يسميه المختصون ¹ إعادة الاعتبار للزعامة الأمريكية في عالم ما بعد أمريكا **Post American Moment** ² و الذي يتم استراتيجيا وفقا لمنطق اعادة التوازن بين فضاءات النفوذ المختلفة (آسيا ، الشرق الأوسط و شمال افريقيا و أوروبا) ³ (مطلب 1). توجه مؤسسة الدبلوماسية العامة نحو خدمة هذا الهدف أيضا و هذا ما يتضح من خلال دراسة **النشاط المرين** لقطبين من أقطاب القوة الصلبة و هما مؤسستي البنتاغون (مطلب 02) و وكالة الاستخبارات المركزية (مطلب 03).

¹ نقلا عن فواز جرجس « The Obama Approach to the Middle East: The End of America's Moment? », *op. cit.* p 303.

² المصطلح الشهير لدى فريد زكريا و الذي يعبر عن نهاية ما سماه شارل كروثامر سنة 1992 باللحظة الأحادية Unipolar Moment

³ Gerges, « The Obama Approach to the Middle East », p. 305.

المطلب الأول : اعادة تكييف القوة المرنة للحفاظ على الهيمنة الأمريكية

منذ ظهور مفهوم القوة المرنة سنة 2004 ثم اعادة تأكيده في النقاش الاكاديمي و السياسي سنة 2007 ، ثم تبنيه بشكل رسمي من طرف ادارة اوباما سنة 2009 ، أخذ المفهوم حجما مهما في اهتمام الادارة الرسمية الأمريكية. هذا المسار له مجموعة من التفسيرات نلخصها فيما يلي :

- (1) هي ردة فعل على الانطباع السلبي الذي تركته ادارة بوش السابقة من خلال استخدامها المفرط للقوة الصلبة (العسكرية) ،
- (2) اصبح التوجه نحو القوة المرنة ميزة مرتبطة بشكل كبير جدا بشخص اوباما ،
- (3) إن مقارنة هذا الأخير تستجيب **لحتمية المرونة** التي يجب تبنيها في عالم ما بعد 11 سبتمبر و الذي هو عالم غير متعدد الأقطاب بل عالم متعدد الشركاء¹ ،
- (4) تسمح القوة المرنة للوم أبعقلنة مواردها للاستمرار في خدمة هدف الزعامة في وقت تواجهها واحدة من أعتى الأزمات المالية و بتآكل في الإرادة السياسية. يعود اللجوء إلى القوة المرنة إلى ضرورات استراتيجية ؛ فهو أساسا يرتبط بالبعد الأمني للوم أ لكن ما هو أهم - حسب جوستان فايس Justin Vaisse - من هذا هو أنه شعار تحمله الادارة الرسمية لحل بعض الاشكالات المتعلقة بالتناقض الموجود بين القيم و المصالح و الذي ميز دوما السياسة الخارجية الأمريكية².

إن فرضيتنا في هذا الاطار هي أن هذا التداخل بين القوتين المرنة و الصلبة يجب أن يفهم في بعده الاستراتيجي و هو أنه من الناحية الواقعية يعبر عن تعاون بين البنى العسكرية و البنى المدنية للقوة من أجل حماية موقع الزعامة في عالم تتنامى فيه قوة الدول المنافسة كالصين و روسيا. سنناقش فيما يلي طبيعة الترابط بين الجانبين الذي يسمح لنا باستنتاج مثل هذا الطرح.

¹ Élodie Gallet, « Colloque international « Les stratégies du smart power américain » », *Transatlantica. Revue d'études américaines. American Studies Journal*, n° 2 (31 décembre 2013), <https://transatlantica.revues.org/6544>.

² *Idem*.

1. التوجه الجديد لثنائية القوة الصلبة و المرنة في السياسة الخارجية الأمريكية.

يتميز السلوك الرسمي الأمريكي في الفترة التي أعقبت سياسات ما بعد الحادي عشر من سبتمبر لمنطق جديد هو ما تسميه الأدبيات بالقوة الذكية Smart Power. عرفت هذه التوليفة التي تجمع بين شكلي القوة الصلبة و المرنة ثلاث توجهات تأكدت بشكل أوضح مع مجيء الرئيس أوباما بداية 2009:

- أولاً : على صعيد العلاقة بين بين القوة الصلبة و القوة المرنة هناك توجه جديد نحو تبني استراتيجية توصف بالـ **الخفيفة** ، فهي تعتمد عسكرياً في الأساس على ضربات أقل كلفة من ناحية الاستثمار في القوة العسكرية و الجنود و الآليات ، و في شمال افريقيا تعتمد على الحضور العسكري الخفيف و في الشرق الأوسط تعتمد على العودة إلى الحلفاء في تسيير المنظومة الأمنية العامة ليس بمنطق التخلي أو اقتسام الفوائد بل بمنطق **اقتسام الأعباء** في حل المشاكل الأمنية الاقليمية (حرب السعودية على اليمن ، حرب حلفاء النيتو في ليبيا و سوريا ...الخ) ،
- ثانياً : هناك تحضير لمبادرات جديدة **للتعاون الذكي** بين الوم أ و شركائها - دول أو خواص- و ب بروز استراتيجية كبرى في نسختين هما " الخطة الرباعية للدبلوماسية و النمو " لسنة 2011 و لسنة 2015 و التي تشبه كثيراً في منطقتها الاستراتيجية الرباعية التي يعدها البنتاباغون كل اربع السنوات. تؤكد هذه الاستراتيجية الكبرى على ما يسمى " **التحول الرقمي** " و الذي دشنه بوش في آخر عهده الثانية فيما يخص تحديث وسائل الدبلوماسية العامة الأمريكية. تترجم هذه الاستراتيجية على الصعيد الميداني بالتعاون مع مختلف فاعلي القطاع الخاص (مؤسسات و شركات كبرى ، منظمات حكومية ، مواطنون مثل الصحفيون...الخ) و هي الخطوة التي وضعت الوم أ في بادئة عهد جديد يسمى بالدبلوماسية 2.0 ،
- ثالثاً : توافق هذا التوجه في آليات عمل الدبلوماسية العامة مع خطاب استراتيجي جديد يعبر عن ارادة واشنطن في احداث توازن استراتيجي بين مناطق النفوذ الرئيسية في العالم و هي (آسيا، المنطقة العربية و أوروبا).

- آسيا من أجل مواجهة التحدي الصيني و ترافقه استراتيجية إعادة انتشار عسكرية كبيرة في المحيط الهادي ،
 - المنطقة العربية من أجل مواصلة مراقبة مصادر الطاقة و لكن بإستراتيجية ما يسمى بالانسحاب و الزعامة من الخلف ،
 - أوروبا لضمان الحليف التقليدي و السيطرة على اوراسيا.
- هذا التحول الاستراتيجي نحو آسيا و ما ينتج عنه من " تخلي " عسكري غير مطلق عن المنطقة العربية يعوض بالاستثمار في القوة المرنة من أجل التأثير في المنطقة بأساليب أخرى. تجسدت هذه الاستراتيجية بشكل أوضح مع مجيء الرئيس اوباما و التي تأكدت من خلال خطاب القاهرة في شهر جوان 2009.

بهذا الشكل ، تكون الدبلوماسية العامة شكلا مختلفا لكيفية ممارسة القوة من طرف الو. م. أ. أو بالأحرى هي إعادة استكشاف لاستخدام القوة العسكرية بدمجها في وسائط مرنة لا تضر بالدبلوماسية العامة و لا تمنعها من تحقيق أهدافها. تعتبر هذه المقاربة مرحلة متقدمة لسياسة الحرب في العراق و افغانستان و تعكس بالتالي وجود سلوك بديل كاستجابة للآثار الكارثية المترتبة عنهما. هذه الآثار يمكن تلخيصها في ثلاث فئات :

- آثار على قوة الو. م. أ. في حد ذاتها من ناحية التكاليف البشرية و المالية (الميزانية) الضخمة ، أي آثار سلبية مباشرة على العناصر التركيبية للقوة بالمفهوم البسيط المعبر عن المقدرات العامة للدولة ،
- آثار على الرأي العام و خصوصا الخارجي و هو ما يعني نتائج سلبية على القوة المرنة الأمريكية دوليا ،
- آثار على الرأي العام الداخلي او ما سمي في الأدبيات " بالتعب الحربي¹ War fatigue " و هو التوجه العام المصحوب بمشاعر الملل بفعل السياسات التدخلية الواسعة للمسؤولين و الذي أفرز نزعة لا نظير لها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في التوجه نحو العزلة Isolationnisme.

¹ Ralph G. Carter, *Contemporary Cases in U.S. Foreign Policy: From Terrorism to Trade* (CQ Press, 2013). P. 123.

تعتبر مقارنة القوة الذكية مقارنة شخصية مرتبطة بشخص الرئيس اوباما بامتياز و بهذا المعنى هي تجسيد لانتصار رؤيته الاستراتيجية التي اعقبت انتصاره الانتخابي بداية من 2008. فضلا عن الكاريزما التي يتمتع بها هذا الرئيس و مهاراته الخطابية العالية فان رؤيته الاستراتيجية هي امتداد لموقفه السياسي الرفض لحرب العراق منذ 2002 و هو الموقف الذي شكل فيما بعد اساسا لهويته السياسية التي كرست بالنجاح الانتخابي سنة 2008 سواء ضد الجمهوريين أو حتى ضد خصمه الديمقراطي آنذاك ، هيلاري كلينتون. تمحور الهدف الاستراتيجي لهذه النظرة على الصعيد الدولي في " تجديد الزعامة الأمريكية للعالم " ¹ كإشارة لنهاية عهد بوش في قالب جديد.

يكرس مفهوم القوة الذكية هذه القطيعة و لكنه لا يشير إلى قبوله للمفاهيم بقدر ما هي إعادة استكشاف للكيفية التي يجب استخدام القوة الصلبة من خلال احداث قطيعة مع مناهج ادارة جورج بوش. لذلك صرح جوزيف ناي و ريتشارد ارميتاغ Richard Armitage خلال استجوابه من طرف لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ سنة 2008 " لقد وضعنا فهما و تعريفا لمصطلح القوة الذكية كرد فعل لسياسة الحرب ضد الارهاب و هو مفهوم نراه غير مناسب تماما للمبادئ الموجهة للسياسة الخارجية الأمريكية " ² . يؤكد ناي و ارميتاغ في تقرير معهد الدراسات الاستراتيجية و الدولية على أن القوة الذكية تتضمن القوة العسكرية كعنصر محوري و لكنها لا تغفل عن الاستثمار القوي في التحالفات ، علاقات الشراكة و التعاون عبر المؤسسات الدولية و الدبلوماسية العامة من أجل تدعيم النفوذ الأمريكي و شرعنة العمل السياسي الخارجي للو. م. أ. ³ يمكن بالتالي الاستخلاص أن الاشارات المتكررة إلى مصطلح القوة الذكية تتضمن في بعدها العسكري اعادة صياغة للقوة الصلبة الأمريكية بما تشتمله من مراجعات و تصحيحات. أصبح يقصد بالقوة الصلبة مع مقارنة اوباما تلك القوة التي لا تشتمل على آثار كارثية بالنسبة للقوة المرنة الأمريكية ⁴ .

لقد أخذت هذه المقاربة شكلين رئيسيين ؛ الأول و هو الانسحاب العسكري من العراق (سنة 2011) و افغانستان (2014) و بصورة عامة هو التقليل من حدة ظهور الأداة العسكرية في

¹ Barack Obama, *Renewing American Leadership*, Foreign Affairs, juillet - aout 2007.

² Richard Armitage, Joseph S. Nye Jr., *CSIS Commission on Smart Power: A smarter, more secure America*, CSIS, 2007, p. 4.

³ Ibid, p. 5.

⁴ David E. Sanger, *Confront and Conceal: Obama's Secret Wars and Surprising Use of American Power*, New York, Crown Publishers, 2012. P. 33.

السياسة الخارجية الأمريكية. الثاني ، التعويض عن الوسائل العسكرية الكلاسيكية بتكتيكات و مفاهيم عسكرية بديلة (أجهزة الدرون ، الاغتيالات ، الحروب السرية ، برامج اللمسة الخفيفة ...) و بأساليب أخرى في المشاركة في التدخلات العسكرية و خصوصا عبر ما سمي "بالزعامة من الخلف – leadership from behind" الذي يتضح مع حالة التدخل في ليبيا. في الحقيقة ، فإن هذه المقاربة ليست وليدة فترة اوباما فحسب. تقدم سوزان نوسل Suzanne Nossel إشارة إلى الفكر التدخلّي الأمريكي لدى الحزب الديمقراطي منذ عهد الرئيس ويلسون و إلى غاية فترة الرئيس كلينتون لتؤكد أن مفهوم القوة الذكية له جذوره في الممارسة السياسية الأمريكية لكنه يحمل مسميات أخرى¹. هذه المقاربة التي تعود عليها الديمقراطيون تقوم على المبدأ الذي مفاده أن استعمال القوة العسكرية يجب أن يتم للدفاع عن القيم الأمريكية و عن فكرة أن الو. م. أ. هي أمة ضرورية للعالم و أنها قائد العالم الحر و الحافظ للنظام الدولي الحالي.

ليست ممارسة القوة الأمريكية بالشكل الذكي الذي يشير إليه فهم أرميتاغ و ناي بالشيء الجديد كلياً بل هو مسمى جديد لممارسات مألوفة قائمة على فكرة أن استخدام القوة الصلبة يجب أن يخضع لشيء من التبرير الذي يجعل منها مقبولة لدى الآخرين (أي شرعية). إذن ، تقوم جهود الدبلوماسية العامة في إطار ممارسة القوة المرنة بمسايرة الكيفية التي يتم بها استخدام القوة الصلبة فهي مؤسسة خاضعة كثيراً للظروف و السياقات الاستراتيجية السائدة. كيف تم تكيف ادوار الدبلوماسية العامة تبعا لهذه السياقات ؟ هذا موضوع النقطة الموالية.

2. الاستراتيجيات المرنة في سياسة القوة الأمريكية في العالم العربي

أدى اللجوء المفرط للقوة الصلبة من طرف المحافظين الجدد خلال فترتي حكم جورج بوش إلى تفاقم طابع الغطرسة الذي جلب الكثير من الآثار السلبية للوم أ. إن مواجهة هذه الآثار كانت محور البرنامج الذي بموجبه تم انتخاب الرئيس اوباما (الانسحاب العسكري من العراق و افغانستان ، تعديل السياسة الحقوقية من خلال مقترح غلق محتشد غوانتانامو ...الخ). فعلا ، فإن العهدة الأولى للرئيس اوباما (2008-2012) شهدت أهم القرارات التي أحدثت القطيعة مع

¹ Suzanne Nossel, « Smart Power », *Foreign Affairs*, 1 mars 2004, <https://www.foreignaffairs.com/articles/united-states/2004-03-01/smart-power>.

استراتيجيات ادارة بوش و هي قرارات الانسحاب العسكري من افغانستان و العراق و قرارات الاستخدام الصامت أو الخفي للقوة الصلبة (الضربات الذكية في الحرب على الارهاب) بالإضافة إلى قرارات اعادة التركيز الاستراتيجي الآسيوي التي أشرنا إليها أعلاه . فرضيتنا في هذا الاطار و هي هناك تكييف للأهداف الاستراتيجية للدبلوماسية العامة وفقا لذلك السياق الاستراتيجي المتغير و للأهداف المترتبة عنه. لتحليل هذه النقطة سوف نستند على مساهمات Daniel Serwer التي تقترح ملاحظات مفيدة يمكن استرجاعها لقراءة مثل هذه التغيرات.

في كتابه " **تصحيح التوازن : كيف يمكننا أن نحمي أمريكا** " لمؤلفه دانييل سارفير Daniel Serwer أكد الأخير على أن فترة الانسحاب بعد الحرب في العراق و افغانستان - و التي تمثل بداية عهد استراتيجي جديد قائم على الانسحاب في مناطق معينة و التركيز في مناطق أخرى - تمثل فترة تغير تتوافق و فترات ما بعد الحرب و التي تتميز بسلوك خصوصي قائم على اربع استراتيجيات ميدانية و هي :

- أ. الوقاية من النزاعات الشاملة بفضل التوقع ،
- ب. اعادة الانتشار من خلال استراتيجية قائمة على الانقاص من السفارات و الممثلات الدبلوماسية و استبدالها بتكنولوجيات جديدة ،
- ت. اقتسام الأعباء من خلال مشاركة فاعلين من المجتمع المدني و من الحكومات الأخرى ،
- ث. دور مركزي للمنظمات الحكومية من خلال توفير مصادر تمويل أكبر¹.

من خلال هذه الآليات الجديدة التي تتوافق مع فترات اعادة البناء التي تعقب الحروب برزت استخدامات جديدة سواء على صعيد القوة الصلبة أو على صعيد القوة المرنة. يجب الإشارة هنا إلى نقطة مهمة و هي أن التراجع في استخدام نوع ما يوافق تزايد أو الحاح استراتيجي في الطلب على النوع الثاني. بمعنى ؛ مع تراجع استعمال القوة الصلبة يبرز لدينا تكثيف في اللجوء إلى الآليات المرنة و العكس. فالعنصران يتكاملان بهدف خدمة الأهداف الاستراتيجية الكبرى و منه ينتج وجود تكامل بين البنى المدنية للقوة و البنى العسكرية لها. يسمح لنا هذا التصور بفهم العلاقة الموجودة بين الاثنين و هي أنهما لا تعملان بانفصال بل يتفاعلان. يدل على هذا التفاعل من الواقع سياسة اوباما العسكرية المعتمدة على أجهزة الدرون و استهداف أهداف دقيقة (فهي لا تنفي

¹ Daniel Serwer, « Why Smart Power Needs to Get Smarter », *Smarter Power*, 2014, 119.

العنصر العسكري الذي يستعمل بشكل خفيف (light) و التي تدل على استمرار الحرب بأشكال أخرى و من جهة أخرى هناك صورة بنشاط خطاباتي مرن و مستمر. بعبارة أخرى ، أن هذا التفاعل لا يعني مثلاً نهاية سياسة ما سمي "بالحرب الشاملة على الارهاب" بل هو إعادة اكتشاف لها بآليات أقل قساوة من تلك التي قام بها المحافظون الجدد خلال عهدي بوش. القوة المرنة هي بالتالي "طريقة جديدة للحرب" و التي لا تعني التخلي عن الحرب بل تقديمها في قالب آخر.

ما هي الحجج التي تؤسس لمثل هذه الرؤية ؟ يمكننا أن نقرأ في الكثير من القرارات و الأدوات الاستراتيجية ما يجعلنا نتأكد من أن للقوة المرنة استخدامات استراتيجية محضة و نذكر منها :

- التعاون المتزايد بين الو م أ و الأعضاء في حلف شمال الأطلسي خصوصاً فرنسا و بريطانيا في الكثير من الأمثلة ابتداء بحرب العراق 2003 ، مروراً بالحرب على ليبيا 2011 و انتهاء بالحرب في سوريا منذ 2012. مذهب التحالف يعكس وجود تعاون يخلو من الاكراه (فهو شكل من أشكال القوة المرنة) و في آن واحد يعكس التوجه الجديد للو م أ فيما يسمى باقتسام الأعباء في ضمان الأمن.
- للو م أ ارتباط عقائدي و تاريخي وثيق مع القوة الصلبة. هي أداة أي تدخل لمواجهة التهديدات المحتملة. خلال التاريخ الحديث للو م أ تتدخل الو م أ عسكرياً في جميع الحروب (ابتداء من الحربين العالميتين مروراً بفترة الحرب الباردة و انتهاء بحروب ما بعد الحادي عشر من سبتمبر) و هذا ما يؤكد على الطابع المتميز للفلسفة الأمريكية في عدم التردد في استخدام القوة العسكرية.
- دور مؤسسة الاستخبارات الأمريكية دور مهم خصوصاً خلال فترة الحرب الباردة و تم استخدامها بشكل بديل للتدخل العسكري المباشر و هو أيضاً شكل مرن للقوة مادام يهدف إلى التأثير في الآخرين بأساليب غير عسكرية. لوحظ هذا الدور بشكل جدي في حوادث ما سمي بالربيع العربي حيث كان للمنظمات غير الحكومية و أعوان الاستخبارات دور كبير في توجيه الجماهير العربية بأشكال تسمح بالتأثير في تطور الأحداث.

تسمح مثل هذه القراءة بإعادة صياغة فهمنا عن الدبلوماسية العامة و عن القوة المرنة كاستراتيجيات تأثير في الجماهير الأجنبية : لا تنفي الدبلوماسية العامة وجود بعض المناهج التي قد تصنف في خانة العنف أو القوة الصلبة (مثل تدخل الاستخبارات) لكن ما نستخلصه من هذا

التحليل هو أنها تستعمل بأشكال خفية *invisible* و من طرف فئة مدنية غير عسكرية. إذن ، و من خلال ما اقترحه دانييل سارفر فإن فترات إعادة البناء¹ تتميز بتزايد الطلب على البنى المدنية للقوة أو على القوة المرنة دون أن يعني هذا استغناء صريحاً عن اللجوء إلى القوة الصلبة². هذا يعني أن جوهر التكيف قد حصل على صعيد علاقة التنسيق بين البنى الحكومية و غير الحكومية للقوة و هو الأمر الذي تترجمه بوضوح الخطة الرباعية للدبلوماسية و النمو في نسختها الأخيرتين 2010 و 2015 على السواء.

3. خطة الدبلوماسية و التنمية الرباعية لسنة 2015

عرفت سنة 2010 و هي فترة هيلاري كلينتون على رأس كتابة الدولة للخارجية و بالتعاون مع الوكالة الأمريكية للتنمية وضع أول خطة رباعية للدبلوماسية و التنمية. هي مشروع مشابه للخطة الرباعية التي يعدها البنناغون في الجانب العسكري و المسماة بخطة الدفاع الرباعية. تعمل الخطة الرباعية على توفير مرجعية استراتيجية للوكالة و لكتابة الدولة للتنسيق المتبادل من أجل تحسين الأداء الدبلوماسي. كانت آخر نسخة من هذه الخطة سنة 2015 برعاية وزير الخارجية جون كيري لتبحث عن كفاءات بلوغ أربع أهداف كبرى. لقد وصف كاتب الدولة هذه الخطة بأنها مركزية بالنسبة للجيل المقبل خلال العشر سنوات المقبلة. تحدد هذه الخطة المجالات المعنية بالإصلاح بشكل أولوي. هذه الأولويات الأربعة هي :

- " الوقاية من النزاعات و التطرف الذي يتبنى العنف ،
- ترقية النمو الاقتصادي ،
- ترقية المجتمعات الديمقراطية و المتفتحة ،
- التكيف مع التغيرات المناخية"³.

تتركز القضية المركزية للخطة الرباعية الأخيرة على الأبعاد الاقتصادية كما هو واضح. لا غرابة في هذا الأمر لأن الاستراتيجية الأمريكية في الفترة الحالية لها تحديات اقتصادية يفرضها

¹ لا يقصد بإعادة البناء إعادة بناء ما دمر من بني تحتية للحياة الاجتماعية بل يقصد بها إعادة صياغة و بناء استراتيجيات جديدة.

² Serwer, « Why Smart Power Needs to Get Smarter ». p. 125.

³ « The 2015 Quadrennial Diplomacy and Development Review », consulté le 25 septembre 2017, <https://www.csis.org/analysis/2015-quadrennial-diplomacy-and-development-review>.

الصعود الصيني أكثر من أشكال القوة الأخرى. هذا الرهان على الفواعل الاقتصادية لقيادة الدبلوماسية العامة يفسر بكونها حلقة الوصل بين القوتين الصلبة و المرنة و بإمكانها أن تكون الترجمة الحقيقية للقوة الذكية و للدبلوماسية العامة في آن واحد¹. الدبلوماسية الثقافية و دور وسائل الاعلام لم تستطع في الكثير من الأحيان أن تنقص من حجم التعارض بين السياسات الواقعية للولايات المتحدة و الجماهير الأجنبية. إن جوهر الاصلاح يقوم إذن على فكرة ضرورة الاعتماد على القطاع الاقتصادي و المدني للقوة لقيادة مشروع القوة الأمريكية.

¹ « The 2015 Quadrennial Diplomacy and Development Review ».

المطلب الثاني : دور البنى العسكرية للقوة في الدبلوماسية العامة

تتشكل مؤسسة الدبلوماسية العامة من أربع فاعلين رسميين رئيسيين ؛ هيئة الاعلام الخارجي ، كتابة الدولة للدبلوماسية العامة ، البيت الأبيض (من خلال مجلس الأمن القومي) و كتابة الدولة للدفاع. لكن ما يبدو غريبا و أحيانا مجهولا لدى الكثيرين ، هو أن كتابة الدولة للدفاع - و هي هيئة عسكرية يتعلق نشاطها بالجانب الصلب للقوة - لها أدوار مهمة في التأثير على الجماهير الأجنبية ، و هي الأدوار التي يحملها مصطلح العمليات النفسية Psychological Operations او PSYOP اختصارا¹. يقوم نشاط وحدات العمليات النفسية على تقديم رسائل معينة للجماهير الأجنبية و للجنود الأمريكيين العاملين بمقربة من هؤلاء بهدف التأثير في مواقفهم و مشاعرهم و من ثمة في سلوكهم. يقدم الجيش الأمريكي تعريفا صريحا لهذه العمليات " هي عمليات مخططة و مدروسة تقوم على إرسال معلومات و مؤشرات منتقاة إلى الجماهير الأجنبية بهدف التأثير في ؛ المشاعر ، الحوافز و القناعات و بالتالي في سلوك ؛ الحكومات ، التنظيمات ، الجماعات و الأفراد"².

إن العنصر المشترك بين الدبلوماسية العامة و العمليات النفسية هو أن كليهما يشترك في استخدام المعلومة للتأثير في الجمهور الأجنبي. إن بعض الأمور الدقيقة يمكن أن تشكلا عاملا للتباين بين الاثنين خصوصا على مستوى الطرق التي يتم توظيفها لبلوغ الأهداف المرسومة. لكن ، كما يعتقد خبراء الاتصال العسكريين فإن الدبلوماسية العامة الأمريكية تلعب دورا محوريا في تشكيل و دعم القوة الأمريكية. بنفس هذا الشكل يعتقد هؤلاء أنه يمكن استعمال العمليات النفسية العسكرية كأداة لممارسة الدبلوماسية العامة داخل حقل العمليات العسكرية³. قد يشير هذا المفهوم إلى مجال العمليات النفسية على أنه مسرح الحرب لكنه في الحقيقة يتضمن أنشطة تتجاوز حالات

¹ سنة 2010 تخلت وزارة الدفاع الأمريكية عن هذه التسمية رسميا و غيرته بمصطلح عمليات الدعم المعلوماتية العسكرية Opérations de soutien à l'information militaire ، لكن على تزال استخدامات هذا المصطلح على الصعيد الأكاديمي جارية إلى الآن خصوصا للإشارة إلى أدوار القطاع العسكري في حقل العلاقات العامة و الدبلوماسية العامة.

² James A. Hawkins, « Doctrine for joint psychological operations » (The Joint Chiefs of Staff, 5 septembre 2003), https://nsarchive2.gwu.edu/NSAEBB/NSAEBB177/02_psyop-jp-3-53.pdf. p. 9.

³ Angela Maria Lungu, « War.com : Internet and psychological operations » (Naval War College, 2001), <http://www.au.af.mil/au/awc/awcgate/psyops/e-psyops.pdf>. p. 03.

الحرب¹. إذن دور العمليات النفسية هو التعامل مع الجماهير الأجنبية سواء في حالات الحرب أو ما بعدها و يقوم بها عسكريون لخدمة الأهداف العسكرية و السياسية للدولة في آن واحد.

1. العناصر المؤسسة لمفهوم العمليات النفسية :

كما أشار إليه التعريف الرسمي لوثائق وزارة الدفاع فإن مفهوم العمليات النفسية يعبر حقيقة عن أنشطة دبلوماسية عامة ، بمعنى أن هناك أعمال إتصال إستراتيجي في التعامل مع الجماهير المستهدفة. على هذا الأساس أشار التعريف السابق إلى مستويين رئيسيين يشكلان جوهر الاتصال الاستراتيجي العسكري و هما؛ (1) العمليات النفسية (باعتبارها أدوات الاتصال) و (2) المواقف أو السلوكيات (باعتبارها الهدف من العملية الاتصالية).

أ. العمليات النفسية :

يقوم الفاعلون العسكريون سواء في فترة الحرب أو ما بعدها بمجموعة أنشطة اتصالية موجهة لصالح الجماهير المحلية التي تخضع لإقليم العمليات العسكرية. من هذه الأدوات الملصقات الجدارية ، النشرات القصيرة الموزعة على السكان ، و المختصرات الصوتية المرسلة عبر محطات الراديو و هي أدوات أعطت قدرا من النجاح لمجموعة من التدخلات العسكرية الكبرى (حرب العراق 1991 ، و 2003 و أيضا ما سمي بالحرب الشاملة على الارهاب - القاعدة ثم تنظيم الدولة الإسلامية لاحقا). أصبح ميدان هذه العمليات أوسع بعد أن تعمم استخدام وسائل و تكنولوجيايات الاتصال الحديثة و خصوصا انترنت. تشير الوثيقة السابقة إلى هذا التغير بصراحة : " لكي نفهم كيف استطاع الارهاب أن يستمر و يتكيف مع جميع أشكال الضغوط الممارسة عليه .. فإنه يجب قبل كل شيء أن نفهم كيف استخدم شبكة الانترنت لصالحه ". إذن يشير مفهوم العمليات العسكرية إلى وجود قراءات متجددة و متطورة و خاضعة إلى اعتبارات الابداع الذي يستكشف باستمرار أدوات جديدة للتعامل مع الجماهير الأجنبية.

¹ Philip M Taylor, « 'Munitions of the Mind': A Brief History of Military Psychological Operations », *Place Branding and Public Diplomacy* 3, n° 3 (juillet 2007): 196-204, <https://doi.org/10.1057/palgrave.pb.6000064>. p. 202.

ب. المواقف و السلوكيات :

ينحصر بكل بساطة هدف العمليات النفسية في التأثير و تعديل مواقف الجمهور المتلقي أساسا. في هذا الإطار فان كل العمليات النفسية تستهدف تحقيق ثلاث أهداف :

- التأثير في عزيمة الجمهور المتلقي و بالتالي تقوية عزيمة القوى الوطنية من خلال ،
- تقوية مشاعر الدعم الموجودة لدى دائرة المتعاطفين من الجمهور المستهدف ،
- كسب عقول و مشاعر الفئات المترددة و غير المعبرة عن مواقف ثابتة.

في أغلب الأحيان فإن آثار هذه العمليات لا تكون فورية بل إن ملاحظتها لا يتم سوى عبر فترات متوسطة أو طويلة المدى. نلاحظ بعد قراءة هذا المفهوم ، أن الدبلوماسية العامة تستخدم أساسا كأداة لتحقيق أهداف السياسة الخارجية في أوقات الحرب و ما بعد الحرب. يؤكد المسار التاريخي لأدوار الدبلوماسية العامة هذا الارتباط العضوي بين الوسائل المرنة للتأثير و سلوك الحرب. إن تجربة الحربين العالميتين و الحرب الباردة و الآن مع تجربة الحرب الشاملة على الارهاب تؤكد الاعتراف بمحورية الرأي العام و أهميته في تسيير الحروب المختلفة و هو ما يحفز الحكومات لتسهيل الاتصال مع الجماهير الأجنبية عن طريق انشاء الأجهزة المسؤولة عن الاتصال كعنصر مهيكّل لاستراتيجيات الحرب. يمكن الاستشهاد هنا بدور الوكالة الأمريكية للتنمية خلال الحرب الباردة حيث يمكن ملاحظة أنها كانت و بشكل صريح تعمل وفقا لأهداف المؤسسة العسكرية و بنظرة جيوبوليتيكية طوال فترة الحرب الباردة و دو تغير يذكر في طرق و استراتيجيات عملها رغم تعاقب العديد من الإدارات السياسية على البيت الأبيض.

2. خصائص العمليات النفسية للفاعلين العسكريين في المنطقة العربية :

يعرف العالم العربي منذ نهاية الحرب الباردة وضعا من الفوضى خطط له منظروا الجيوبوليتيك الأمريكيين و على رأسهم بريجنسكي و هو ما عبر عنه في أدبيات العلاقات الدولية بالفوضى الخلاقة. يتم وضع خطط العمليات النفسية ضمن هذا الإطار العام بشكل يسمح بخدمة الأهداف العسكرية المباشرة و الأهداف السياسية غير المباشرة. تخضع العمليات النفسية بدورها إلى البيئة التكنولوجية المتغيرة باستمرار و هو الدينامكية التي يعبر عنها المعنى المحمول في عبارة " الثورة في الشؤون العسكرية ". تشير هذه الأخيرة إلى تغير في كفاءات و أدوات ممارسة

العمليات النفسية خصوصا بفعل الثورة التكنولوجية التي مست قطاع الاتصالات الجماهيرية. لم يعد مسرح العمليات هو مسرح الحرب فحسب بل الفضاء الالكتروني الذي يصاحب العمليات العسكرية منذ فترة الاعداد إلى غاية فترات إعادة البناء التي تأتي عادة بعد نهاية الجهد الحربي الميداني. إن أهم خصائص السياق العربي الذي تتدرج ضمنه اساليب العمليات النفسية الحالية مقارنة بالأشكال التقليدية لها تتحصر في النقاط التالية :

- دخول النزاعات الدولية التي تقودها الو.م. أ في مرحلة ما بعد الحرب أو مرحلة إعادة البناء (العراق، ليبيا).
- وجود الكثير من النزاعات الداخلية في الدول العربية (السودان ، العراق ، سوريا ، ليبيا ، اليمن) ،
- انهيار الدولة في الكثير من هذه التجارب (ليبيا ، السودان الجنوبي ، اليمن) يولد الكثير من التغطية الاعلامية بشأن الأوضاع الميدانية و هو أمر غالبا ما ينتهي بما يسمى بالتدخل الانساني حيث تلعب العمليات النفسية دورا مهما في متابعته.
- هناك حجم معتبر للقوات العسكرية الأمريكية النشطة في البلدان العربية و هي في تماس مباشر مع السكان المدنيين و هو مناخ يتطلب الكثير من الاتصال الاستراتيجي و النفسي لمصاحبة العمل العسكري.

بالنسبة لمخططي العمليات النفسية في العالم العربي فإن هذه الأخيرة تبنى حول ثلاث عوامل أساسية :

- "نزاع محوري في المنطقة العربية و هو النزاع الفلسطيني الإسرائيلي ،
- الحضور المعتبر للجنود الأمريكيين العاملين في مختلف البلدان العربية سواء في قواعد عسكرية أو لإدارة عمليات حربية أو عملية إعادة بناء،
- التضارب العقدي و الايديولوجي بين الغرب و الإسلام"¹.

¹ Curtis B. Boyd, « Army Information Operations is a PSYOP influencing more with less », *Military Review*, juin 2007, <http://cgsc.contentdm.oclc.org/cdm/ref/collection/p124201coll1/id/162>. p. 65.

بناء على هذه المعطيات الخاصة بالمنطقة العربية فإن أهداف العمليات النفسية تحدد في الوثائق الرسمية للبتاغون بهذا الشأن بشكل يتوافق كثيرا و أهداف الدبلوماسية العامة. تذكر الوثيقة المسماة " النسخة الرابعة لمجموعة العمليات النفسية على شبكة الانترنت" أن الهدف النهائي للعمليات النفسية العسكرية هو إقناع الدول سواء كانت عدو ، أو حيادية أو صديقة بأن تسلك سلوكا بتماشى مع الو. م. أ. و حلفائها¹. في الحقيقة يعتبر هذا الاقتباس إشارة واضحة إلى تطابق في مدلول الدبلوماسية العامة و العمليات النفسية، فهذا الهدف المكرس هنا هو في صلب الدبلوماسية العامة.

¹ Boyd. P. 69.

المطلب الثالث : الدبلوماسية العامة لجهاز الاستخبارات المركزية CIA في المنطقة العربية

يعتبر جهاز الاستخبارات الأمريكية فاعلا أيضا للدبلوماسية العامة حيث أن أنشطته السرية لا تصنف فقط ضمن خانة الأعمال العسكرية بل إنها تتقاطع و محاور النشاط الثلاثة المعروفة لديها و هي الدعاية ، الأنشطة السرية السياسية و الأنشطة شبه العسكرية. تبرز قوة هذا الفاعل في ميدان الدبلوماسية العامة نظرا لعناصر التمكين التي تستطيع أن تزود بها باقي الفاعلين السياسيين فهي المؤسسة القادرة على استخدام الأدلة الموضوعية التي تحوزها بغرض مساعدة الحكومات في خدمة إشكاليات الأمن القومي. يأتي إلى أذهاننا تلك الصورة القوية المحمولة في مداخله وزير الخارجية الأمريكي كولين باول أمام مجلس الأمن لإقناع أعضائه بمساندة الو. م. أ في حربه على العراق سنة 2003 و هي صورة الأدلة المزعومة التي جاءت بها الاستخبارات عن وجود أسلحة دمار شامل في محاولة منها لإقناع الرأي العام العالمي بصواب خيار الحرب على العراق. تلعب الاستخبارات إذن دورا في شرعنة الخطاب المحمول لدى الرسميين عن طريق جلب الأدلة التي تسمح بتأكيد طروحاتهم.

لقد تعرض جوهر أنشطة الاستخبارات بدوره إلى التغيير بفعل تغير البيئة الاتصالية في العالم و أصبح على وجه التحديد يشتمل على ما يسمى بالحروب الافتراضية و الحروب الالكترونية و هو العامل الذي غير أيضا من مضمون العمليات السرية و وسائلها. إن افتراضنا هنا يقوم على فكرة مفادها أن هذه التغيرات الحاصلة في حقل الاتصالات فإن مجموع المؤسسات التنفيذية الأمريكية (البيت الأبيض و وزارة الدفاع على وجه التحديد) قد غيرت من طرق استخدامها لمؤسسة الاستخبارات سواء في ظروف الحرب أو ما بعد الحرب و هذا ما سوف نتأكد منه من خلال تناولنا للأدوار التقليدية و الجديدة للاستخبارات.

1. الاستخبارات كفاعل من فواعل القوة الذكية

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تمثل دور الاستخبارات الأمريكية أساسا في أعمال سرية و هو ما يمكن اعتباره طريقا ثالثا بين الحرب كأداة للسياسة الخارجية و الدبلوماسية. بهذا المنظور تعتبر الاستخبارات أداة للسياسة الخارجية أقل كلفة من الحرب و مقارنة بالدبلوماسية تعتبر طريقا

مباشراً و مختصراً لتحقيق الأهداف المسطرة. يوضح هاري روزيتش Harry Rositzke هذه الاعتبارات قائلاً " تعتبر جميع العمليات الخاصة سياسية بالضرورة.. و تهدف إلى تغيير بنى السلطة في دولة أخرى من دون اللجوء إلى الحرب .. العمليات الخاصة هي استمرار للدبلوماسية بأشكال أخرى"¹. نظراً لأن هذه المؤسسة تنشط وفقاً لطرق يمكن تصنيفها ضمن خانة تقاطع القوة الصلبة مع القوة المرنة فإنه يمكن اعتبارها شكلاً من أشكال ما يسمى حالياً القوة الذكية ، أي التوليف الذكي بين شكلي القوة عند جوزيف ناي و هو ما يمكن اعتباره أيضاً نشاط محوري من أنشطة الدبلوماسية العامة كما سنراه لاحقاً من خلال أمثلة الحرب العراق و مثال العمليات الدعائية بخصوص استخدامات أسلحة الدمار الشامل في الحرب السورية.

إن المهمة المحورية لوكالة الاستخبارات الأمريكية حسب قانون 1947 - National Security Act - الذي بموجبه تم تحديد دور الوكالة هو جمع المعلومات الضرورية بخصوص الدولة الأخرى، لكن هذه الوظيفة سرعان ما تطورت تحت تأثير رؤى جورج كينان (منظر الاحتواء) الذي يرى " أن تحولات الأحداث الدولية تبين أهمية الدور الذي يجب أن تلعبه العمليات السرية لحماية المصالح الأمريكية"² و هي الرؤى التي أتت بدور جديد للاستخبارات و هو القيام بعمليات سرية لتغيير بنى السلطة في الدولة المستهدفة. اعتباراً من هذا التحول العقدي قامت الوكالة منذ 1947 بمجموعة من الأعمال التي تصنف تارة ضمن الأدوات السياسية و أحياناً ضمن الأدوات الدعائية و تارة أخرى ضمن الأدوات العسكرية و لكن على العموم يمكن حصرها في ثلاث فئات رئيسية : الدعاية ، الأعمال السياسية و الأعمال الشبه عسكرية.

إن الشكل الأول لأعمال الوكالة و هو الدعاية يصنف ضمن ما يسمى حالياً بالقوة المرنة. تمحور هذا النشاط أساساً حول شبكة الراديو كأداة مفضلة للتأثير في الجماهير الأجنبية و قد احتل راديو صوت العرب من أمريكا الدور الريادي في مجال التعامل مع العالم العربي. انحصر الدور السياسي مع نشأة الاستخبارات الأمريكية على مقاومة المد الشيوعي و مواجهة مخاطره لكن بعد الحرب الباردة فإن هذا الدور عاد ليتكيف مع نموذج الخطر الذي يمثله ما يسمى بالإرهاب و

¹ Cité dans le livre de Le Voguer sur le renseignement américain: Gildas Le Voguer, « Chapitre II. Protéger : Renseignement technique et contre-espionnage », in *Le renseignement américain : Entre secret et transparence, 1947-2013*, Des Amériques (Rennes: Presses universitaires de Rennes, 2017), 41 - 70, <http://books.openedition.org/pur/42731>. p. 48.

² Le Voguer. P. 53.

التطرف الممثل في "الإسلام". يتضح الشكل الثالث من خلال دخول الوكالة في نمط أنشطة عسكرية في الكثير من الدول و أول حادثة هي تكوين الكوموندو الألباني لتغيير نظام السياسي في ألبانيا سنة 1949. من الأنشطة التي نوردها هنا و تتضح كثيرا مع مثال الحرب السورية الحالية (منذ 2012) طريقة الدعم بالأسلحة.

اشتهرت الوكالة خصوصا بدورها الريادي في الحرب الأفغانية ضد الاتحاد السوفييتي من خلال الدعم المقدم لحركة الجهاد. لقد قدرت التكاليف المقدمة من طرف الوكالة لصالح المجاهدين بأكثر من 03 مليار دولار. بعد حوادث الحادي عشر من سبتمبر 2011 فإن الاستخبارات لعبت دورا مركزيا في تنفيذ الخطط السياسية لمسؤولي السياسة الخارجية الأمريكية بحكم خبرتها و تواصلها منذ حرب أفغانستان مع تنظيم القاعدة إلى درجة أن الرئيس بوش صرح ان " وكالة الاستخبارات تمثل آذان و أعين الأمريكيين"¹. لقد بني قرار الحرب على العراق على خبرة و تقارير قدمتها الاستخبارات و كان مديرها جورج تينيت دوما في مقدمة المرافقين لوزير الخارجية في محاولته لإقناع الرأي العام العالمي بوجود أسلحة دمار شامل². إذن لقد تم توظيف جهاز الاستخبارات بشكل ذكي في دعم مسار تأكيد القوة الأمريكية في العالم ، و هذا الدور يتغير باستمرار ليصبح شيئا فشيئا من أوجه الدبلوماسية العامة الأمريكية خصوصا بفعل تأثير الفضاء الافتراضي و الاتصالي الجديد.

2. أدوار الاستخبارات الأمريكية كفاعل للدبلوماسية العامة في المنطقة العربية

من الأمثلة القوية التي تشهد على دور محوري للدبلوماسية العامة الاستخباراتية في تحقيق أهداف الأمن الأمريكي و خيارات السياسة الخارجية الأمريكية نجد مثال غزو العراق سنة 2003 و مثال الأسلحة الكيماوية التي استخدمها نظام بشار الأسد في تسيير الحرب السورية. فيما يلي سنتطرق لهاتين الحالتين حتى يتسنى لنا تعريف هذه الأدوار بشكل دقيق.

أ. الدبلوماسية العامة الأمريكية و غزو العراق من خلال دور وكالة الاستخبارات

¹ Cité dans : Le Voguer. Op. cit. p. 61.

² أثر غياب الدليل المادي عن وجود اسلحة دمار شامل بعد غزو العراق و بشكل كبير جدا على مصداقية الوكالة.

يجب قبل كل شيء التأكيد على أن هذا الدور يتعلق بالتأثير على ظروف النقاش العام حول هذه المسألة. إن معطيات هذا النقاش تتحدد أساسا بالسياق العام الذي تعيشه الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك و هو وضع الطلب المرتفع على القوة الصلبة و الاستخبارات لمواجهة المخاوف و التهديدات التي خلفها مناخ ما بعد حوادث الحادي عشر من سبتمبر. بحكم هذه المخاوف المتنامية ازدادت درجة الثقة في أدوار وكالة الاستخبارات الأمريكية كفاعل مباشر يقوم بالكشف و بمواجهة هذه التهديدات و لعبت دورا متقدما في تنفيذ السياسات الحكومية بما فيها تلك القرارات المثيرة للجدل. استخدمت إدارة بوش هذا المعطى إذن لتوظيف وكالة الاستخبارات للقيام بإدوار إقناع الرأي العام الأمريكي و العربي و العالمي بشرعية التحرك لحماية "الحرية" و "الديموقراطية" من قوى "الظلام" و "الارهاب".

قامت استراتيجية توظيف الاستخبارات لأغراض الدبلوماسية العامة على مجموعة من المناورات التي قام بها وزير الخارجية آنذاك كولين باول و هي ؛

- أولا ، قام الوزير كولين باول ببناء مذكرته المرسله إلى مجلس الأمن القومي يوم 03 فيفري 2003 على تقارير و خبرات مسندة لوكالة الاستخبارات المركزية.
- نظم الوزير كولين باول مداخلته المتلفزة و الموجهة إلى الشعب الأمريكي أولا في لقاء مغلق مع ممثلي الصحافة المحلية ، و التي تبين فيما بعد أنها مجرد دعوة للمجتمع الدولي لتحمل مسؤولياته،
- في هذا الخطاب أكد كولين باول أن حججه هي " وجود أدلة استخباراتية بخصوص وجود أسلحة الدمار الشامل .. و أن هناك وسائط متحركة بإمكانها تحريك هذه الأسلحة داخل التراب الأمريكي"¹.

فضلا عن هذا التوظيف الاستراتيجي لوكالة الاستخبارات ضمن خطة الاتصال السياسي فإن كولين باول استخدم وكالة الاستخبارات كأداة لشرعنة الخيارات المتخذة. لقد جلس مدير الوكالة جورج تينيت إلى جانب كولين باول أثناء إذاعة الخطاب. نجحت هذه الاستراتيجية الاتصالية بشكل

¹ Stephen J. Hartnett et Laura A. Stengrim, « "The Whole Operation of Deception": Reconstructing President Bush's Rhetoric of Weapons of Mass Destruction », *Cultural Studies* ↔ *Critical Methodologies* 4, n° 2 (1 mai 2004): 152-97, <https://doi.org/10.1177/1532708603262787>. p.175.

باهر لأن 79 في المائة من الأمريكيين قبلوا هذه المبررات لغزو العراق¹. انضم الحقل الاعلامي و حقل مراكز الفكر إلى هذه الحجج أيضا و أصبحت محور الخطاب العام عن ضرورة غزو العراق. إذن هناك توظيف لمؤسسة الاستخبارات لشرعنة قرارات متخذة لتصحيح خبراتها المقدمة بخصوص قضية معينة أساسا لاستخدامات اتصالية و لاستخدامات الدبلوماسية العامة. لقد توضح فيما بعد بطلان هذه الحجج و هو ما عرض المؤسسة الاستخباراتية للمساءلة من طرف الكونغرس و مجلس الشيوخ مما قوض من مصداقيتها. يفسر استخدام مؤسسة الاستخبارات من طرف المؤسسات السياسية الأخرى (البيت الأبيض ، وزارة الخارجية) بأنه يندرج ضمن خطة تقضي بتحميل المسؤولية السياسية و الأخلاقية للوكالة في حالة تفنيد الأدلة (و هو ما حصل فعلا بعد هذه الحادثة) دون أن تقع نتائج ذلك على الفاعلين السياسيين مباشرة².

ب. الدبلوماسية العامة الأمريكية من خلال دور وكالة الاستخبارات في قضية الهجمات

الكيميائية في سوريا

تم توظيف الاستخبارات أيضا في حادثة الهجمات الكيميائية في سوريا سنة 2013 بشكل حاول فيه الفاعلون السياسيون إقناع الرأي العام العالمي بضرورة توجيه ضربات ضد نظام بشار الأسد. وقعت هذه الحادثة في شهر أوت سنة 2013 بريف الغوطة بالقرب من دمشق باستخدام غاز السارين *Sarin gaz* المصنف ضمن أسلحة الدمار الشامل. تم توظيف وسائل الإعلام بقوة لخدمة هذه الأهداف أيضا و التي انضمت إلى حملة تجريم النظام السوري بشكل قوي جدا من خلال اعتماد تأطيرها الإعلامي على صور المدنيين خصوصا من الأطفال و حجم الضحايا (1400 قتيل) و ذلك في دعوة للجماعة الدولية بضرورة التحرك.

اعتبر الرئيس اوباما هذه الحادثة " خطأ أحمر " ³ و لكن من دون تحرك ميداني يذكر بل تم النظر إلى المسألة على أنها واجب أخلاقي يجب أن تتحرك من أجله الجماعة الدولية. في بداية

¹ Hartnett et Stengrim. P. 176.

² Robert S. Litwak, « Robert Jervis, Why Intelligence Fails: Lessons from the Iranian Revolution and the Iraq War. Ithaca, NY: Cornell University Press, 2010. 248 pp. », *Journal of Cold War Studies* 13, n° 1 (1 janvier 2011), https://doi.org/10.1162/JCWS_r_00076. p. 223.

³ « Government Assessment of the Syrian Government's Use of Chemical Weapons on August 21, 2013 », whitehouse.gov, 30 août 2013, <https://obamawhitehouse.archives.gov/the-press-office/2013/08/30/government-assessment-syrian-government-s-use-chemical-weapons-august-21>.

الحادثة أعلنت الاستخبارات بشكل صريح أنه لا يوجد أدلة مباشرة عن طبيعة المواد المستعملة. بعد أسبوع عن وقوع الحادثة برزت الرواية الرسمية لإدارة أوباما و التي مفادها أن " وكالة الاستخبارات الأمريكية و عبر تقارير مصنفة في خانة "سري للغاية" أن النظام السوري هو المسؤول عن الهجمات و عن استعمال مواد محظورة..."¹. عند بناء استراتيجية التواصل من طرف الوكالة تمت صياغة الحجج بالاعتماد على عنصرية ؛ طبيعة جراح المصابين و صور الأقمار الصناعية. لقد تمت استعادة هذه الحجج من طرف الفاعلين السياسيين الرسميين بنفس الطريقة التي تم التعامل بها مع حرب العراق 2003. تم استعمال تقرير الوكالة من طرف وزير الخارجية جون كيري ضمن تدخل تلفزيوني قصير موجه للرأي العام و انتهى هذا التدخل بالقول بأن التدخل العسكري الأمريكي في سوريا أصبح له ما يبرره لحماية الأمن القومي الأمريكي. يبدو أن استعمال مركز وكالة الاستخبارات في النقاش السياسي العام للتأثير على الرأي العام يخضع لنفس الصيغة التي تمت بها عملية تبرير غزو العراق².

حوصلة : خصائص مقارنة إدارة أوباما للدبلوماسية العامة كقوة ذكية :

في ضوء ما نوقش في الفقرات السابقة يمكننا أن نسجل مجموعة من الملاحظات عن التوجه الرسمي الأمريكي بخصوص الدبلوماسية العامة كقوة مرنة و هذا منذ التبنى الرسمي لهذا المفهوم سنة 2009 من طرف إدارة الرئيس أوباما و هي :

- تعكس الدبلوماسية العامة كإستراتيجية العودة إلى نوع من الواقعية في السياسة الخارجية الأمريكية و ذلك بإحداث قطيعة مع نظريات المحافظين الجدد التي ألهمت لوقت طويل إدارة بوش الأولى و الثانية على السواء،
- بينت المقاربة الرسمية لفترة ما بعد بوش عن "التحديات الكونية" أنها أكثر "وضوحا" من سابقتها لدى الرئيس بوش و لكنها تبدو و كأنها تعاني من قلة النجاعة ،
- في المنطقة العربية ، و هي ذات أولوية إستراتيجية في العقيدة الإستراتيجية الأمريكية و من أولويات تجسيد القوة المرنة و الدبلوماسية العامة ، نلاحظ قبل كل شيء ارتفاع في

¹ « Government Assessment of the Syrian Government's Use of Chemical Weapons on August 21, 2013 ».

² Jonathan Pinkus, « Intelligence and Public Diplomacy: The Changing Tide », *Journal of Strategic Security* 7, n° 1 (mars 2014), <https://doi.org/10.5038/1944-0472.7.1.3>. p. 44.

- حدة الطلب على القوة الصلبة (الحرب في سوريا ، اليمن ، في ليبيا) ، لا تستجيب له الو
م أ بشكل مباشر بل عبر ما سمي باستراتيجية "الزعامة من الخلف"،
- الدبلوماسية العامة تبدو أحيانا و قبل كل شيء كأنها مقاربة مرتبطة بالرئيس أوباما و التي تفضل قبل كل شيء عدم التحرك على التحرك (مثل عدم التدخل العسكري المباشر في سوريا ، في ليبيا ، ردود الأفعال المقتضبة تجاه أحداث الربيع العربي ، عدم رفض الاسلاميين ، عدم التنديد بانقلاب السيسي على الشرعية الانتخابية ...) مع كل ما يتضمنه هذا من نتائج كارثية أحيانا (الوضع الأمني في سوريا و العراق على الخصوص).
 - هناك استمرارية في التأكيد على محورية " الاتصال " في ممارسة الدبلوماسية العامة و ذلك من خلال دور القنوات التقليدية المكلفة بهذه المهام لكن يصاحبها تصاعد في دور القنوات غير الحكومية التي تتخذ من الفضاء الافتراضي و الشبكات الاجتماعية مسرحا لها. هناك إذن شكل من التعاون بين مؤسسات الدبلوماسية العامة الرسمية و القطاع الخاص.
 - هناك استمرارية في الطلب على البنى العسكرية للقوة لتلعب دورا في الاتصال الاستراتيجي الهادف لخدمة الأمن القومي الأمريكي.

الفصل الثالث

الفصل الثالث : تحليل البعد الأمني للدبلوماسية العامة الأمريكية في

المنطقة العربية : الفاعلون غير الرسميون و القضايا

لا تنحصر الأنشطة المتعلقة بالدبلوماسية العامة في الهيئات الرسمية المكلفة بالاتصال الاستراتيجي مع الجماهير العربية بل توجد سلة معتبرة من الفاعلين غير الرسميين الذين يقومون بمهام ترتبط بشكل كبير بالخطط الاستراتيجية الرسمية للحكومة الأمريكية. في هذا الفصل و من من خلال دراسة ثلاث قضايا ذات ارتباط وثيق بالأمن الأمريكي (قضية نشر الديمقراطية من خلال دور الوكالة الأمريكية للتنمية -مبحث 01- ، قضية الارهاب من خلال دور مراكز الفكر - مبحث 02- و قضية الربيع العربي من خلال تحليل الدبلوماسية الرقمية -مبحث 03-) سنتمكن فهم طبيعة العلاقة بين هؤلاء الفاعلين الخواص و الحكومة الأمريكية في مجال الدبلوماسية العامة. إنها تمثل تجسيدا حقيقيا لما يسميه مارتين هاجر Martin Hajer بالتحالف الخطابى **discursive coalition** الذي يتأسس بين مجموعة من الفاعلين السياسيين الذين يقتسمون نفس الرؤى حول المصالح الأمنية الأمريكية في العالم العربي.

المبحث الأول : الخطاب الأمريكي بشأن الديمقراطية وحقوق الإنسان: دور الوكالة

الأمريكية للتنمية "USAID"

تسعى الو.م.أ من خلال الجهود المبذولة التي تقوم بها إلى محاولة فهم طبيعة وعي الرأي العام العربي من خلال جعله يتفاعل مع دعوات السياسة الأمريكية في إصلاح العالم وترسيخ الديمقراطية وقيمها وإحداث التنمية على كل المستويات، وذلك بهدف تحسين صورة أمريكا تجاه العالم العربي، الأمر الذي جعل صناع القرار السياسي في الإدارة الأمريكية يحاولون التفكير الجدي في مستقبل مشاريع الإصلاح والتغيير والتنمية في مناطق مختلفة من العالم العربي، وهذا تماشيا مع إعادة التفكير في طبيعة العلاقات مع هذه الشعوب. وتتجسد هذه السياسة من خلال جملة من المساعدات التي تقدمها الو.م.أ لدول العالم العربي لاسيما منها الدول الفقيرة والمتضررة من الحروب، وذلك من

خلال الطلبات التي تقدم بصورة مبتكرة نشاطات تتوافق مع إستراتيجية الو.م.أ في الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان، والتي من شأنها دعم المبادرات الهادفة لتعزيز مشاركة المواطنين في الحياة العامة وإيجاد مناخ يسهل التعاون بين حكومة متجاوبة ومواطنين واعيين و يساعد على تحسين الخدمات القانونية وحماية حقوق الإنسان.

تعتبر الوكالة الأمريكية للتنمية " USAID " إحدى الأطراف المعنية بمجال التنمية وترسيخ مبادئ الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان، وذلك من خلال جملة النشاطات التي تسعى لتحقيقها بما يتماشى والسياسة الخارجية الأمريكية في علاقاتها بالعالم العربي وتحسين صورتها وذلك لدورها الهام في مجال التنمية والديموقراطية وحماية حقوق الإنسان من خلال المساعدات الخارجية، والتي أصبحت تكتسي أهمية كبرى في تعزيز إستراتيجية الو.م.أ، الأمر الذي جعل من عملها عمل لا بد من الاعتماد عليه في العمل الدبلوماسي ومن ثم تعزيز الأمن القومي الأمريكي¹. وفي إطار الدبلوماسية العامة الأمريكية تلعب هذه الأخيرة دور كبيرا داخل الو.م.أ بطريقة تسمح لها بعكس مصالحها، فهي تسعى دائما إلى دعم وسائل وأدوات تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان ، وبالتالي تعزيز أهدافها على مستوى علاقاتها بالعالم العربي.

المطلب الأول : الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان في الإستراتيجية الأمنية الأمريكية

سبق الذكر أن الو.م.أ تسعى من خلال سياستها الخارجية الترويج لصورة إيجابية عن هذه السياسة، وذلك باعتبارها الدولة المدافعة عن حقوق الإنسان والديموقراطية في العالم وخاصة العالم العربي، من خلال حثها على الإلتزام بمبادئ الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان والتي تعكس معالم ومضمون الديمقراطية الأمريكية تجاه العالم العربي، وهذا الأمر يتطلب جهودا أكبر من طرف

¹ رويترز، « أمريكا تتعهد بزيادة برامج المساعدات الخارجية »، جريدة الدستور الاردنية، 25، 2009، janvier
<https://www.addustour.com/articles/300843?s=12e3a6741bc6f081e8b1736a7785796f>.

الو.م.أ لدعم وتعزيز الديمقراطية والسلام والأمن وخلق العديد من الوسائل الإتصالية التي تسمح للسياسة الأمريكية بتحقيق أهدافها على المدى الطويل من خلال الإعتماد على وسائل وأدوات مجسدة أساسا في منظمات المجتمع المدني والأقليات الدينية والمنظمات غير الحكومية، والتي أضحت الفاعل الأساسي والداعم الأكبر للمصادقية الأمريكية في قدرتها على صناعة عالم قابل للنمو والتطور¹.

وفي إطار الدبلوماسية العامة فقد ظهرت معالم الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان، من خلال الإستراتيجية الأمنية الأمريكية، وذلك بإعتمادها على بعض الأساليب والوسائل والأدوات.

1- في مضمون الديمقراطية الأمريكية وحماية حقوق الإنسان تجاه العالم العربي:

يعد دعم الديمقراطية وحقوق الإنسان واحد من أهم أهداف السياسة الخارجية الأمريكية، على اعتبار أن تشجيع الديمقراطية يوسع نفوذ ومصادقية الو.م.أ عالميا، ذلك أن مصالحها تكون أكثر في العالم الذي يحترم حقوق الإنسان، حيث تعتبر الديمقراطية عنصرا مهما من عناصر حماية المصلحة الوطنية الأمريكية ومصدر من مصادر القوة الناعمة التي هي الأخرى مظهر من مظاهر الدبلوماسية العامة الأمريكية وعلاقتها مع العالم والعالم العربي على وجه الخصوص. ولأجل هذه المعايير عمدت الو.م.أ على حمل لواء وخريطة العالم خاصة بعد الحرب الباردة، ورغم أن الو.م.أ عند بداية القرن العشرين كانت واحدة من بين حفنة من الديمقراطيات، إلا أنها عمدت إلى تقديم المساعدة لنشر الديمقراطية بل و اعتبار من هذا العمل أداة معتمدة للسياسة الأمريكية. بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 تضاعفت الميزانية الأمريكية الديمقراطية بهدف دعم إستراتيجية ليبرالية وإنفتاح سياسي، فقد أطلقت الإدارة الأمريكية بهذا الصدد مشروعا سمي ب: ديمقطة العالم العربي " وهو مشروع يرمي حسب أهدافه المعلنة إلى تحديث وديمقطة المنطقة العربية على اعتبار ربط الو.م.أ بين الإرهاب والصراع القائم بين الشعوب العربية وحكامها، حيث اعتبرت دائرة صناعة القرار الأمريكية أن

¹ معتز عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 18.

الشباب العربي المحبط لجأ إلى العمليات الإرهابية كمحاولة عاجزة لتغيير الوضع وبالتالي فلا حل في نظرها الا من خلال عملية ديمقراطية وتحديث كبرى في المنطقة من شأنها إعادة الثقة للفرد العربي في حكامه¹.

إن السلوك الدبلوماسي للوم.أ في إطار الدبلوماسية العامة الذي أصبح يعتبر إحدى أهم المؤشرات الهامة لسلوك سياستها الخارجية يختلف حسب طبيعة الفواعل المشاركة في تعزيز علاقاتها مع العالم العربي، من خلال محاولة تحقيق الأمن والتعاون ونشر معالم الديمقراطية داخل الشعوب العربية والإعتراف بالمصالح الأمنية المشتركة في مجال التنمية والديموقراطية وحقوق الإنسان، و هذا السلوك الدبلوماسي قد أصبح يتماشى وفق التغيرات الراهنة التي ميزت السياسة الدولية والنظام الدولي من جهة ووفق الواقع الأمريكي من جهة أخرى. لذلك فإن جهود دعم الديمقراطية في البلدان العربية هي فكرة مركزية في السياسة الخارجية الأمريكية منذ عقود ، حيث أصبحت الإدارة الأمريكية تمارس سياستها تحت شعارات الحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان والأمن والسلام العالمي وغيرها من الشعارات التي تستغلها الإدارة الأمريكية كذريعة للتدخل في شؤون دول العالم العربي لتحقيق مصالحها وتنفيذ سياستها، لذلك أصبحت قضية التحول الديمقراطي واحدة من أهم إنشغالات العمل السياسي للوم.أ للانغماس في مشاكل المنطقة العربية بما يتوافق مع رسم سياستها وصولاً إلى تحقيق أهدافها فيها.

وفي هذا السياق فقد أعطى صانعو السياسة الأمريكية للمنطقة العربية أهمية بالغة لما تتمتع به من مصادر الطاقة وموقع استراتيجي فهي منطقة نفوذ أمريكي لا يمكن الإستغناء عنها ولا يكمن السماح لأي منطقة أخرى بالسيطرة عليها، وكانت من أهم الذرائع للتدخل في هذه المنطقة هي نشر الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان باعتبارها من أكثر مناطق العالم تدنيا في تطبيقها لمتطلبات الديمقراطية كما وصفها تقرير فريدريك هاوس *report"frederic house* عام 2003²، وهذا ما

¹ حسن نافعة، « المنفق العربي والأمير الأمريكي »، مجلة المستقبل العربي، 2003. ص. 78.

² رمزي المباوي، « السيناريو الأمريكي لتفتيت الشرق الأوسط والنظرية الصهيونية التي تبنتها أمريكا لشر ذمته in »، *الفوضى الخلاقة بين الربيع العربي بين الثورة والفوضى* (القاهرة: دار الكتاب العربي، 2011). ص. 27.

أعطى للديموقراطية الأمريكية شكلا دعائيا يهدف إلى إلغاء الحواجز بوجه حرية رأس المال ،لذلك تحول المفهوم الأمريكي للديموقراطية من ديموقراطية الطبقة الرأسمالية إلى ديموقراطية الشركاء العملاقة التي سيطرت على السياسة الأمريكية¹.

إن نشر الديموقراطية لم يكن مسألة ذات أهمية تذكر في البرامج الإستراتيجية الأمنية الأمريكية تجاه المنطقة العربية في مرحلة الحرب الباردة أو بعدها ،ذلك لأن التيار الليبرالي والمتمثل بالحزب الديموقراطي والتيار المحافظ المتمثل بالحزب الجمهوري كانا يدركان أن الترويج لمسألة الديموقراطية لا يخدم المصالح الأمريكية في المنطقة و ذلك للأسباب التالية:

أولاً: يرى الحزب الديموقراطي أن الديموقراطية قد تأتي إلى سدة الحكم في البلدان العربية بقوى أكثر تشددا ،وهنا المقصود المعادية لإسرائيل وبالتالي سيؤثر على عملية السلام العربي الإسرائيلي .

ثانياً: يؤمن الحزب الجمهوري المحافظ بأهمية الإستقرار بالمنطقة ، وأن عمليات التحول السياسي قد تؤدي إلى عدم الإستقرار ومن ثم قد يؤثر على مصالح الو.م.أ بالمنطقة خاصة فيما يتعلق بالأمن واستمرار تدفق النفط العربي وبأسعار معتدلة².

فبعد وقوع أحداث 11 سبتمبر أكد الرئيس بوش أن العالم لن يكون آمنا حتى يصبح العالم العربي مكانا آمنا للديموقراطية، حيث قامت الإدارة الأمريكية على تمهيد الطريق إلى الديموقراطية في العالم العربي، وأكد أن الأنظمة السياسية في هذا الجزء من العالم تتميز بثلاث خصائص :

أ- أنظمة استبدادية ؛ فالتحرر من الاستعمار ترك المنطقة لنوع جديد من الإستبداد والعبودية أو على الأقل لإدارة تفنقر للتمثيل.

ب- إستقادت أكثرية هذه الأنظمة من المعطيات الجغرافية ،إذ وجد النقط في باطن الأرض ولذا فإن الحاجة للبقاء منافس في الإقتصاد العالمي.

¹ مراد محمد، السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي بين الثابت الإستراتيجي والمتغير الظرفي (بيروت: دار المنهى اللبنانية، 2009). (ص. 375).

² سعد شاكر شلبي، الإستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط (القاهرة: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2003). (ص.

ج- بعض هذه الأنظمة لها تقاطع مصالح مع مؤسسات دينية إسلامية لها أسبابها الخاصة لمقاومة التغيير.

لذلك فعلى الو.م.أ أن تعلم أن الدول العربية تختلف عن دول شرق أوروبا وأمريكا اللاتينية التي رحبت بالديموقراطية الأمريكية، لأنها كانت البديل لأنظمة الحكم الشمولي، فقد كانت أهم ملامح سياسات الأمن القومي في فترة مابعد أحداث 11 سبتمبر الداعمة للإصلاح السياسي والديموقراطية في المنطقة العربية هو ما عرضه الرئيس بوش من خلال سياسته التي عقت أحداث 11 سبتمبر، حيث جدد التزامه بدعم الحرية والديموقراطية. وفي هذا السياق فقد رأت الو.م.أ أن هناك معوقات أساسية تحول دون تطور البلدان العربية، وتنعكس بالتالي سلبا على المصالح الأمريكية والغربية وهذه المعوقات هي:

1- غياب الحرية (أزمة الديمقراطية).

2- بطء المعرفة ومحدودية الارتكاز إلى العلوم الحديثة في التنمية العامة .

3- احتلال الهياكل الاقتصادية وتدني الإنتاجية.

فهذه المعوقات من شأنها أن تقضي إلى مزيد من التوترات الإجتماعية والسياسية الداخلية في الوطن العربي، حيث كانت هذه هي الذريعة الأمريكية للتدخل على المستويات كافة عسكرية وسياسية وأمنية واقتصادية وحتى ثقافية، والتي كانت قائمة على تشجيع الديمقراطية وبناء مجتمع معرفي وإصلاحات هيكلية إقتصادية¹. وكل هذا يتطلب إعادة رسم خارطة الدول العربية وتغيير أنظمتها السياسية وعمليات إصلاح على المستوى السياسي والاقتصادي والثقافي ونشر الديمقراطية و الحرية وحقوق الإنسان وإحداث تغييرات داخل الدولة العربية والإسلامية، وذلك بهدف إتمام المحافظة على المصالح الأمريكية من خلال السيطرة على مصادر النفط وبالتالي توفير الأمن وأيضاً إستغلال

¹ شلبي. ص. 371.

الوضع المتخلف في بعض دول المنطقة من غياب الديمقراطية ووجود أنظمة مستبدة وعدم احترام لحقوق الإنسان وغيرها من أوجه الدكتاتورية والاستبداد¹.

إن قضية الديمقراطية قد ارتبطت في فترة بوش بالعلاقة مع الدول العربية بشكل كبير ،وذلك لأن بوش أطلق في أوائل حكمه مبادرة إعادة بناء الشرق الأوسط القائمة على الضغط لتغيير النظم العربية بقوة ،إذا تطلب الأمر ،والذي حاول بعده الرئيس أوباما إعادة صياغة هذه العلاقة وذلك من خلال خمسة قضايا وهي رفضه لبناء النظم ورفضه الديمقراطية من الخارج وتفضيله ربط الإصلاح السياسي بالمساعدات الأمريكية كأسلوب أفضل لنشر الديمقراطية، ورغبته في الحوار مع الدول العربية الكبرى بخصوص العراق والتطبيع مع إسرائيل وموقفه السلبي من المملكة العربية السعودية بسبب قضايا حقوق الإنسان وموقفه الداعم للحوار مع سوريا ،كل هذه المواقف أعطت مفهوما مغايرا للديموقراطية الأمريكية تجاه العالم العربي². لذلك يمكن القول أن الديمقراطية التي تريد نشرها الإدارة الأمريكية ما هي سوى ديموقراطية تحقيق أهدافها ومصالحها السياسية وأطماعها الإقتصادية ،والتي تجعلها تتحكم بالعالم في ظل بناء النظام العالمي الجديد الذي في ظله تتمكن من قيادة العالم وإخضاعه لرغباتها وإرادتها ومصالحها. فالإدارة الأمريكية لم تشأ أن تمضي في عملية حث الأنظمة العربية الموالية لها على إدخال تحول ديموقراطي حقيقي، لأن ذلك سيؤدي إلى التضحية بهذه النظم ،فالبديل الديموقراطي الحقيقي سوف يأتي بتيارات سياسية معارضة للسياسة الأمريكية ،والتغيير الذي تريده الإدارة الأمريكية ليس في الواقع لصالح الشعوب العربية بل من أجل إنهاء العداوة والكراهية للسياسة الأمريكية وبالتالي تحسين الصورة، وذلك من خلال اعتمادها على وسائل وأدوات إعتبرتها الطريق السهل إلى كسب الشعوب العربية في إطار الدبلوماسية العامة.

¹ هشام يعقوب حسن، ، الحرب التي قسمت العالم، كشف مخططات ومشاريع اللعبة الصهيونية أمريكية (القاهرة: مركز الرؤيا للبحوث والدراسات، 2012). ص. 27.

² علاء بيومي، صعود براك اوباما و مستقبل السياسة الخارجية الأمريكية (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2008). ص. 23.

2- أدوات ووسائل الديمقراطية في العالم العربي:

إن السلوك الدبلوماسي للو.م.أ من خلال الدبلوماسية العامة أصبح يعتبر إحدى أهم المؤشرات الهامة لسلوك سياستها الخارجية تجاه العالم العربي، والذي يختلف حسب طبيعة الفواعل المشاركة في تعزيز علاقاتها مع العالم العربي من خلال محاولة تحقيق الأمن والتعاون ونشر معالم الديمقراطية داخل الشعوب العربية والإعتراف بالمصالح الأمنية المشتركة في مجال التنمية وحقوق الإنسان. فالدبلوماسية العامة الأمريكية قد أصبحت تتماشى وفق التغيرات الراهنة التي ميزت السياسة الدولية والنظام الدولي من جهة، ووفق الواقع الأمريكي من جهة أخرى، والذي أصبحت تلعب فيه منظمات المجتمع المدني والمنظمات الدينية ... دور هاماً في تعزيز الحوار مع الدول العربية والتي أعطت بعداً إستراتيجياً جديداً في مجال التعاون الأمني وحماية حقوق الإنسان ونشر الديمقراطية في الوطن العربي، والذي ترجم من خلال ممارساتها الدبلوماسية من خلال التركيز على المصلحة الوطنية بما يتماشى ومراكز وأهداف السياسة الخارجية، ووضع إستراتيجية دبلوماسية طويلة المدى قائمة على التطلعات الديمقراطية لجميع الدول العربية، بحيث تندمج مع التحدي الذي يواجهه النظام الدولي. وقد سعت الو.م.أ إلى الحفاظ على مكانتها عالمياً من خلال البقاء مسيطرة على المنطقة العربية مما تحتويه من ثروات طبيعية ومواد أولية، بالإضافة إلى الموقع الإستراتيجي فقد عملت السياسة الأمريكية على تحقيق أهدافها عن طريق أدوات ووسائل عدة أهمها :

-الوسائل الاقتصادية: وذلك بفعل الربط بين التحول الديمقراطي والمعونات أو الحظر على التجارة والاستثمارات أو التجميد الإداري للمعونة أو التصويت في البنك الدولي أو صندوق النقد الدولي ضد الدول العربية غير المنسجمة مع الدعوة للتحول الديمقراطي، وهناك الشكل المباشر للعلاقات الاقتصادية المترافقة مع طابع المنح بدل المنع، ويتمثل في تقديم المساعدات لهيئات المجتمع المدني التي بلغت 580 مليون دولار في عام 1998 و 623 مليون دولار عام 1999 و 709 مليون دولار عام 2000 و 870 مليون دولار عام 2010 حيث كان يتمثل نصيب الدول

العربية بحوالي 18 مليون دولار¹. حيث إعتبرت هذه الوسيلة من أنجح الوسائل التي إستخدمتها الو.م.أ في إرضاخ الشعوب العربية وحكوماتها للإدارة الأمريكية وخصوصا وسائل الضغط الإقتصادي المتمثلة بالحصار الإقتصادي كالحصار الذي فرضته على العراق عام 1990 وحتى غزوه واحتلاله في 2003².

-الوسائل العسكرية والأمنية: وتعد من الأدوات الفعالة للإدارة الأمريكية في تنفيذ سياستها الخارجية والقضاء على الخصوم التي تقف بوجه الو.م.أ، فقد شنت حروبا عسكرية في محاولة للرد على أحداث 11 سبتمبر 2001 في محاولة منها لفرض سيطرتها على المنطقة العربية تحت غطاء نشر الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان ،وقد ظهر ذلك من خلال الغزو المباشر وتقديم المساعدات العسكرية لدول التحول الديمقراطي والدعم المالي للمعارضين للحكومات التي تراها الو.م.أ غير ديمقراطية العربية منها .

- الوسائل السياسية والدبلوماسية: وتتمثل في الجهود التي يبذلها الدبلوماسيون في السفارات الأمريكية التي تجوب العالم العربي، حيث تشمل أيضا تصريحات المسؤولين الأمريكيين لدعم التحول الديمقراطي والكشوف التي تقدمها وزارة الخارجية عن حالة الديمقراطية في الوطن العربي وتزويد البعثات الدبلوماسية الأمريكية بعناصر جديدة لها دراية في ميدان الدعاية للتحول الديمقراطي واستخدام المؤتمرات الدولية لممارسة الضغوط على الدول العربية أو من المنظمات الدولية كالامم المتحدة ،وتعد وكالة المعلومات الأمريكية التي اندمجت مؤخرا بوزارة الخارجية من ابرز هذه الهيئات³. و بالإضافة إلى هذه الوسائل فقد طرحت الو.م.أ وسائل أخرى مثل وسائل الدبلوماسية العامة لتنفيذ أهدافها وخاصة بالنسبة للمشاريع الأمريكية التي تستهدف البلدان العربية، والتي يمكن أن تحقق بأدوات ووسائل مؤثرة وذات نتائج إيجابية، ومن أهم تلك الأدوات منظمات المجتمع المدني والأقليات

¹ شاهر اسماعيل الشاهر, *أ أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد 11 أيلول*, الهيئة العامة للكتاب (دمشق, 2009). ص. 263.

² آل مهنا أحمد بن سعود القوة الناعمة، صحيفة الجزيرة، 26 سبتمبر 2011 العدد 1424.

<http://www.aljazirah.com/12/03/2012>.

³ CCFR, « Americans on promotion Democracy » (Chicago: CCFR, 2005). P. 13.

الدينية كوسائل مؤثرة في التدخل الأمريكي بالمنطقة العربية بداعي نشر الديمقراطية، وأهم هذه الأدوات :

-**الأقليات الدينية:** فعلى الرغم من تبني النظام السياسي لمبدأ الفصل بين الدين والدولة إلا أن الملاحظ أن الدين لعب ومازال يلعب دورا هاما في السياسة الأمريكية، ويظهر ذلك من خلال النزعة القومية لأفراد المجتمع الأمريكي إلى الإنتماء إلى عضوية الكنائس والأقليات الدينية، لما لهذه الجهات من دور في مجال السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العالم لاسيما العالم العربي. فلقد كان الدين عاملا فاعلا في تأسيس القيم وترسيخ القواعد الأساسية التي قام عليها النظام السياسي الأمريكي، فالدور الذي يلعبه الدين اليوم في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العالم العربي يحكمه عدة اعتبارات تتمثل في تزايد قوة المؤسسات الدينية، والتي أصبحت تتمتع بدرجة عالية من التنظيم وأصبحت بإمكانها توفير التسهيلات المادية وتسخير الوسائل المناسبة والملائمة لتحقيق أهداف الو.م.أ داخل دول العالم العربي¹.

ويتضح تأثير الدين ودوره في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العالم العربي في العديد من المواقف لاسيما في قضية الصراع العربي الإسرائيلي، والتي أصبحت تتخذها الو.م.أ كذريعة لتحسين صورتها ونشر الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان، وفي هذا الصدد يقول يوسف الحسن " أن الموقف الأمريكي من إسرائيل هو نموذج واضح ومتميز لاختلاط الدين بالسياسة"²، وقد أدى هذا الخلط إلى وجود نوع من الانفعالية الدينية الباطنية التي تدخل في صلب البيانات والتصريحات التي يلقبها القادة السياسيون والزعماء، وذلك من خلال استخدام رموز خطابية * تستقى من العهد القديم خاصة من التوراة. إن الو.م.أ تستخدم الأقليات الدينية في المنطقة العربية كوسيلة للوصول إلى أهداف إستراتيجية، ذلك أن أهمية الدين في المجتمعات العربية دفعت الو.م.أ إلى استخدام هذا الجانب المهم

¹ عصام عبد الشافي، « دور الدين في السياسة الخارجية الأمريكية »، مجلة السياسة الدولية 38 153 n° ، (2014). ص. 133.

² عبد الله بن جمعان الغامدي، « اليمين المسيحي وتأثيره على السياسة الأمريكية »، مجلة العلوم الاجتماعية 8 n° ، (2002): 56-78. ص 57.

للوصول إلى النسيج الاجتماعي العربي. فبعد صعود اليمين المسيحي المتطرف في انتخابات عام 2000 في الـ.م. والتي نتج عنها فوز بوش الابن (المتطرف دينيا) وتفجيرات 11 سبتمبر 2001 فقد استغلت الـ.م. وضع المنطقة العربية الذي يتنوع بالأقليات الدينية والتي تعاني بعضها من الإضطهاد، ولذلك سعت الإدارة الأمريكية إلى تفتيت المجتمع العربي عن طريق استغلال هذه الأقليات للتدخل في شؤون المنطقة وإستثمارها لزعزعة إستقرار المجتمعات العربية بعذر شعاراتهم المتمثلة في نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان والحرية وإحترام الأديان¹.

وقد إهتم بإستغلال الأقليات الدينية في المنطقة العربية الكثير من القادة على رأسهم بريجنسكي "Zbigniew Brzezinski" الذي نادى بتقسيم الدول العربية والسيطرة عليهم بدون إستخدام قوات عسكرية ،وذلك بدعم كل الأقليات والمذاهب الدينية داخل المنطقة هناك أيضا برنارد لويس "Bernard Lewis" الذي إستكمل أفكار بريجنسكي والتي تدعو إلى تجزئة الدول العربية لما تحويه من أقليات . إن أهمية الأقليات الدينية في الخطابات السياسية الأمريكية قد بزرت بشكل كبير حتى وصلت إلى الحملات الإنتخابية للرئاسة الأمريكية، وإستمرت الـ.م. بالعزف على وتر حماية الأقليات الدينية عن طريق ربطها بحقوق الإنسان ،ولا يتم إحترام حقوق الإنسان إلا عن طريق وجود حكومات ديمقراطية، لذلك ربطت الـ.م. المعونات الإقتصادية التي يقدمها للدول بشرط تطبيق الديمقراطية وإحترام الأقليات الدينية² .

لقد حذت السياسة الأمريكية مع الأقليات الدينية في المنطقة العربية نفس المستوى في دول العالم الأخرى ،وفي هذا السياق فقد قامت مديرة شؤون حقوق الإنسان والمسيحيين في السفارة الأمريكية في القاهرة بإتصالات مع عدد من زعماء الأقباط في مصر من أجل إثارتهم ضد نظام حسني مبارك، وهذا يتنافى مع العمل الدبلوماسي الذي فرضته إتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية، ضف إلى ذلك فقد عملت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية على دعم مراكز للدراسات والبحوث في

¹ أحمد سليم عبد الله، « دور السياسة الأمريكية في التحولات الديمقراطية في المنطقة العربية » (جامعة الشرق الأوسط، 2014). ص. 79.

² المرجع نفسه، ص126.

داخل الدول العربية التي تعنى بشؤون الأقليات الدينية مثل مركز ابن خلدون في مصر الذي يرأسه سعد الدين إبراهيم ،و الذي يهتم بالشؤون السياسية والثقافية للأقليات الدينية في المنطقة العربية ويتلقى تمويله من المخابرات الأمريكية مباشرة¹. ويمكن القول أن الاهتمام الأمريكي بهذه الأقليات الدينية في العالم العربي يأتي من أهمية هذه الفئة الخطيرة من المجتمع ،لكونها فئة مهمشة في العالم ولا تحظى باحترام الأنظمة السياسية العربية مما يجعل عملية كسبهم وتجنيدهم سهلة ،لذلك فإن الو.م.أ استخدمت هذه الأقليات كوسيلة لتنفيذ مشاريع وأهداف ترمي إلى تمزيق النسيج الاجتماعي للمنطقة العربية.

وفي هذا الصدد فقد أشار القس بريان هيهر "Brian higher" مدير قسم العدل والسلام والأمن في ندوة حول الكنائس الأمريكية في المنطقة العربية حيث قال " ليست الكنائس مجرد مؤسسات رئيسية في الو.م.أ بل هي مؤسسات إعلامية أيضا ،وهي ليست أحزابا سياسية ولكن دورها يأتي في تشكيل وتعبئة الجمهور من الأنصار والملتزمين والمهتمين لمسائل السياسة الخارجية وعلاقات الو.م.أ مع العالم العربي". فهذه الكنائس أصبحت الطرف الرئيسي في عملية الأمن والسلام في العالم العربي وأيضا صناعة السياسة الخارجية والأمريكية ،ومنها الكنيسة البروتستانتية والتي تمثل أولى صلات الو.م.أ بدول الشرق العربي خاصة سوريا وفلسطين ،والتي تركز على وسائل الأمن والسلام من وجهة نظر دينية ،ولعل أهم مواقفها مشاركتها في إصدار بيان يؤيد منظمة التحرير الفلسطينية كمثل وحيد للشعب الفلسطيني ،وأن لها دور في المفاوضات و المحادثات الدبلوماسية في مجال الدبلوماسية العامة².

إن العامل الديني قد برز بقوة في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العالم العربي بعد أحداث 11 سبتمبر ،والتي أثارت جدلا حول علاقة الإسلام الممثلة في العالم العربي والغرب الممثل في الو.م.أ والتي أدت إلى تغيير السياسة الأمريكية تجاه العالم العربي والإسلامي ،حيث إشتد الحديث حول

¹ عبد الله، « دور السياسة الأمريكية في التحولات الديموقراطية في المنطقة العربية.» ، ص. 63.

² سمير مرقس، « اليمين الأمريكي المسيرة من التأثير القاعدي إلى المشاركة في السلطة » (سلسلة محاضرات حوار الحضارات، كلية الاقتصاد والعلوم الاقتصادية - القاهرة، 2002). ص. 13.

صراع الحضارات والصراع الفكري والديني بين الغرب والإسلام الأمر الذي أدى إلى تزايد دور الدين في السياسة الخارجية الأمريكية و بروز دور العديد من الأطراف الدينية التابعة للو.م.أ في تعزيز أهداف السياسة الخارجية الأمريكية من خلال نشر الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان في مناطق عديد من العالم العربي وعلى رأسها العراق.

ان التفسير الديني للإستراتيجية الأمنية الأمريكية تجاه العالم العربي له أبعاد دينية وحضارية في المقام الأول بفعل الجهات الدينية في هذه السياسة، وذلك تزامنا مع الأحداث الجارية في العالم العربي سوريا والعراق... والضغطات الأمريكية على جميع دول العالم العربي وانتهاج سياسات عدائية تجاه ما يسمى بحركات الإسلام السياسي ومحاولة فرض رؤى ثقافية جديدة على المسلمين من خلال برامجها الدينية وكثرة الحديث على ضرورة تدعيم ما يسمى بالإسلام المدني أو الليبرالي¹، وذلك كسياسة تنتهجها أمريكا في إطار عولمة الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان في العالم العربي واحتواء العالم على أساس إنتهاج سياسة ذات بعد ديني يكون له دور في تفسير طبيعة علاقاتها مع دول العالم العربي وإستراتيجيتها داخل هذه الدول.

3- منظمات المجتمع المدني:

في ظل التحولات الدولية الراهنة التي يشهدها العالم من خلال ظهور المبادرة الإمبريالية الغربية التي تنشأ الديمقراطية كمطلب إمبريالي في صيغته الأمريكية المركزة على قيم الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان فهذه الديمقراطية التي ظهرت في مظهر المنقذ للإدارة الدولية توظف الآن في إتجاه الذي يخدم المصالح الإمبريالية الأمريكية، من خلال بروز فكرة أن النضال من أجل الديمقراطية وحقوق الإنسان وأولوية الحريات الفردية على حساب العدالة الإجتماعية يجب أن يحتل محورا مركزيا في إطار التلاؤم بين المجتمع المدني الحديث والديموقراطية باعتبارها تشكل مصداقية المشروعية

¹ بهجت قوراني، « حول الأزمة العراقية وتداعياتها الدولية والإقليمية »، مجلة السياسة الدولية، (2003) n° 152 ، ص. 66.

السياسية لهذا المجتمع المدني. وبذلك فقد أصبح المجتمع المدني في الو.م.أ يكتسي أهمية كبيرة حيث قامت الو.م.أ بإدماج متطلبات المجتمع المدني في كثير من برامج المعونة الخارجية، وأيضاً في سياستها الخارجية بوجه عام تجاه العالم العربي بإعتباره آخر إكتشاف لها لحل مشاكل العالم العربي الذي قام هو الآخر بالترويج له على أنه يحمل معه آمالا عظيمة في مساعدة الديمقراطية وجهود التنمية القومية. لذلك فإن منظمات المجتمع المدني هي من أهم أدوات السياسة الأمريكية التي ساهمت وبشكل فعال في التحولات الديمقراطية التي شهدتها معظم البلدان العربية فالسياسة الأمريكية، من خلال إستخدامها لمنظمات المجتمع المدني كأداة لتنفيذ أهدافها لا ترمي فقط إلى تعزيز عملية التحول الديمقراطي في العالم العربي، وإنما تهدف أيضا إلى بلورة إستراتيجيتها الجديدة لاسيما بعد التحولات الأمنية في المنطقة العربية والتي لم يتم فيها الاعتماد على الدبلوماسية العامة كقوة ناعمة، و هذا ما أكدته وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة لهيلاري كلينتون أن نجاح هذه الإستراتيجية يعتمد على تعزيز قوة منظمات المجتمع المدني الأمريكية¹.

من المهم جدا الملاحظة أنه بعد أحداث 11 سبتمبر تغيرت توجهات السياسة الخارجية الأمريكية وكانت بداية هذه التغيرات هي إعادة النظر في العلاقات مع حلفائها في المنطقة العربية، وذلك بحجة عدم توفر مناخ ديمقراطي في العالم العربي، وهذا ما أدى إلى زج منظمات المجتمع المدني في المجتمع العربي للتغلغل في النسيج الإجتماعي العربي، حيث إتجهت نحو تغيير النهج الذي سبق وأن تبنته الإدارات السابقة وذلك بهدف تحقيق الإستقرار على حساب الديمقراطية في العالم العربي، حيث أخذت الو.م.أ بتمويل ودعم العديد من المنظمات الأمريكية غير الحكومية مثل منظمة الصندوق الوطني للديموقراطية NED ومنظمة فريدم هاوس "Freedim.Housse" وغيرها، حيث عملت الإدارة الأمريكية على ترويج الديمقراطية عبر مؤسسات و منظمات المجتمع المدني خاصة المعهد الدولي الجمهوري IRI الذي يتبع الحزب الجمهوري في الكونغرس الأمريكي، والمعهد الوطني الديمقراطي للشؤون NDI الذي يتبع الحزب الديمقراطي في الكونغرس الأمريكي وغيرها من

¹ إسرائ أحمد إسماعيل، « القوة المدنية:الاتجاه الأمريكي نحو المنظمات غير الحكومية »، مجلة السياسة الدولية ،

consulté le 9 décembre 2017, <http://www.siyassa.org.eg/News/1780.aspx>

المنظمات والمؤسسات الأمريكية التي عملت وفق برنامج دقيق لترويج مفاهيم الديمقراطية من جهة وتهيئة وإعداد الناشطين والمعارضين في البلدان العربية من جهة أخرى¹. والواقع أن تمويل الو.م.أ للعديد من منظمات المجتمع المدني والعديد من الحركات المعارضة في الدول العربية والعمل على تدريبهم وتكوينهم ليس غريب منذ إنطلاق مشروع الشرق الأوسط الكبير، حيث تلتها في السابق عدة تصريحات عن ضرورة الترويج للديموقراطية في المنطقة عبر المؤسسات الأمريكية². وتجدر الإشارة إلى علاقة منظمات المجتمع المدني الأمريكية ومنظمات المجتمع المدني في العالم العربي، حيث أصبحت هذه الأخيرة وسيلة بواسطتها تتغلغل الو.م.أ داخل المجتمع لإستهدافه من الخارج وإستخدام هذه المنظمات كرأس حربة في برامج تسويق المثال الأمريكي، ولتحقيق ذلك فهي تقوم بضخ أموال إليها بطريقة مباشرة أو عن طريق جماعات تنوب عنها وتتستر هذه الأموال تحت دعاوي إنسانية و ديموقراطية في غالب الأحيان³.

لقد شهدت السنوات الأخيرة تناميا كبيرا في حجم التمويل الخارجي الممنوحة من منظمات المجتمع المدني الأمريكية إلى مؤسسات المجتمع المدني في العالم العربي لتحقيق أهداف ذات طبيعة سياسية أو إجتماعية أو ثقافية ولعل هذا الوضع جاء بعد الحالة الإنهزامية التي ميزت الوطن العربي وعلى رأسها فرض الحصار على العراق، فما كان على الو.م.أ إلا تجديد الأجهزة الأمنية للإبقاء على قدر من التأثير في أغلب بلدان العالم العربي وذلك من خلال تنشيط الحركة في مجال العمل الإجتماعي، وهو مجال واسع تتملك فيه الأجهزة الأمنية خبرات هائلة من خلال أنشطة مكاتب ومؤسسات الخدمات الإجتماعية والثقافية والسياسية الأمريكية في المنطقة العربية.

¹ Régis Genté & Laurent Rouy, « Dans l'ombre des « révolutions spontanées » », Le Monde diplomatique, 1 janvier 2005, <https://www.monde-diplomatique.fr/2005/01/GENTE/11838>. p. 26.

² Rouy. P. 27.

³ أحمد النظيف, « أسرار الاختراق الأمريكي لمنظمات المجتمع المدني في تونس », الحوار المتمدن 13 (blog), avril 2012, <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=303282>.

وفي هذا السياق فكان على الإعلام أن يبدأ بحملاته للمطالبة بحرية العمل الاجتماعي وحرية تأسيس الجمعيات والاتحادات النشطة في مجال الديمقراطية وحقوق الإنسان داخل البلدان العربية باعتبار ذلك أحد معايير الديمقراطية، وقد اعتمدت الو.م.أ على تلك الجمعيات لعدة اعتبارات أهمها أنها الأقدر على رصد التغيرات داخل المجتمع العربي بطرق شرعية وعلنية مايسمح للأجهزة الإستخباراتية من الحصول على المعلومات الضرورية عن تلك البلدان بقليل من الجهد والمال عبر تمويل مشاريع داخل البلدان العربية. لقد قامت المخابرات المركزية الأمريكية بتمويل منظمات المجتمع المدني وقدمت تحويلا ماليا مباشرا لقوى المعارضة في عدة دول أطاحت بأنظمة غير موالية لها، وهذا كله بالأساس عمل مخابراتي أمني واضح وناجح لم نطلق فيه رصاصة أمريكية واحدة ولم نخسر فيها حيزا واحدا يعكس ما يحصل في البلدان العربية وعلى رأسها العراق¹. من هنا تتضح الأهمية الكبيرة التي توليها الو.م.أ لتطوير منظمات المجتمع المدني والتعاون معها باعتبارها مصدر قوتها ، والتي من شأنها بلورة الأهداف السياسية والأمنية للو.م.أ على أرض الواقع. و يمكن القول أن الديمقراطية عنصرا مهما من عناصر حماية المصلحة الوطنية الأمريكية ومصدر من مصادر القوة الناعمة، ذلك أن الو.م.أ لها مصلحة عقائدية أيديولوجية ونفعية عملية في تعزيز الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان ، ولتحقيق هذه المصلحة لابد من مجموعة الوسائل والأدوات التي تعتبر الطريق لفهم النسيج المجتمعي العربي.

المطلب الثاني : الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية "USAID" إحدى الأطراف المعنية بمجال التنمية الدولية :

الأدوار و المشروعات و الأهداف

تعتبر الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية "USAID" إحدى الأطراف المعنية بمجال التنمية الدولية في الو.م.أ من خلال جملة النشاطات والأهداف التي تسعى لتحقيقها بما يتماشى والسياسة الخارجية الأمريكية من أجل تحسين صورتها بالنسبة لباقي دول العالم في إطار الدبلوماسية العامة، وذلك

¹ النظيف. المرجع نفسه.

لدورها في مجال التنمية والمساعدات الخارجية .وفي هذا السياق فقد أكدت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون « Hillary Clinton » على أهمية هذه الوكالة في تعزيز إستراتيجية الوم.أ، وهذا ما جعل عملها إحدى الأولويات في السياسة الخارجية الامريكية ، حيث أكدت أن التنمية إلى جانب الدفاع والدبلوماسية تساهم أيضا في تعزيز الأمن القومي الأمريكي ومن ثم حماية حقوق الإنسان ونشر الديمقراطية.

1- الأدوار و المشاريع :

الوكالة الأمريكية للتنمية "USAID" هي وكالة غير حكومية مستقلة والتي تستلم التوجيه والإرشاد من وزارة الخارجية الأمريكية، حيث تقوم هذه الوكالة بدعم التنمية الاقتصادية الناجحة على المدى الطويل وتطوير مشاريع السياسة الخارجية الأمريكية، وذلك عن طريق دعم النمو الاقتصادي في مجال الزراعة والتجارة والديموقراطية والمساعدات الإنسانية ومنع النزاعات، حيث تعمل في تعاون وثيق مع الجمعيات الخاصة التي تقوم بالعمل الطوعي والمنظمات المحلية والشركات الأمريكية والوكالات الدولية والحكومات الأخرى والوكالات الحكومية الأمريكية الأخرى¹.

ويعود تاريخ الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية " USAID " إلى خطة نظام إعادة الاعمار في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية والمرحلة الرابعة لبرنامج إدارة الرئيس الأمريكي ترومان "TRUMAN"، وقد وقع الرئيس الأمريكي جون كيندي " John keinnedy " في عام 1961 على نشاطات المساعدات الخارجية من خلال القانون وإنشاء الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية وكالة أمريكية رئيسية لتوزيع المساعدات إلى البلدان والانتعاش بعد الكوارث في محاولة للحد من المجاعة وإشراك الإصلاحات الديمقراطية². حيث كان تركيزها الأساسي على جهود مساعدات التنمية الاجتماعية

¹ لسان التجمع الدستوري الديمقراطي، مرجع سابق .

² Center for International Private Enterprise, « Combating Corruption », Center for International Private Enterprise, 1 novembre 2011, <http://www.cipe.org/topic/combating-corruption>.

والاقتصادية والتحرر من الأعمال السياسية والاقتصادية التي مست المنظمات السابقة، فقد قامت هذه الوكالة بتوحيد جهود المساعدات الأمريكية الموجودة وعمليات المساعدات النقدية والاقتصادية لوكالة التعاون الدولية ونشاطات القروض لتمويل قروض التنمية ووظائف العملة المحلية لمصرف الاستيراد والتصدير ونشاطات توزيع الفائض الزراعي لبرنامج النفط مقابل الغذاء لقسم الزراعة ،وذلك من خلال مكانتها المتواجدة في جميع أنحاء العالم في آسيا والشرق الأدنى وأمريكا اللاتينية والمنطقة الكاربية وأوروبا وأسيا¹.

إن الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية ومن خلال برامج المساعدات الاقتصادية تلعب دورا فعالا في رفع مستوى اهتمامات السياسة الخارجية للو.م.أ ،حيث أن استثمار الوكالة في البلدان النامية يجعلها تقدم الفوائد على المدى الطويل لأمريكا والشعب الأمريكي، فقد أصبح يأخذ التطوير مكانه الآن في الدفاع والدبلوماسية كأحد المكونات الأساسية للسياسة الخارجية الأمريكية، وهذا ما يعزز برامج التعاون الدولي في مجال العلاقات الدولية وإحداث الحوار بين الشعوب في إطار التنمية ونشر معالم الديمقراطية، وذلك في إطار وسائل الدبلوماسية العامة. فهذه المساعدات الخارجية التي تقدمها الوكالة الأمريكية للتنمية هي أداة قيمة لأدوات الدبلوماسية العامة من اجل تحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية من حيث تعزيز المصالح الأمنية الأمريكية ومصالحها الاقتصادية²، ذلك أن الترابط والاعتماد المتبادل بين الأمم يعني أن الو.م.أ ستواصل تأثيراتها الاقتصادية والسياسية في مناطق أخرى من العالم وبصورة متزايدة في مجال القضايا الاقتصادية التي تهمين على جدول الأعمال الدولي. وهي بذلك تسعى لتغيير العالم لكي يصبح أكثر تحضرا من خلال المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تعاني منها الشعوب في العالم من وضع حد للقفز وتعزيز برامج التنمية المستدامة من اجل التشجيع على تحسين و تنسيق المساعدات الخارجية بين العديد من أنشطة

¹ Center for International Private Enterprise, « Advancing Corporate Governance in the Middle East and North Africa: Stories and Solutions », Center for International Private Enterprise, 1 février 2011, <http://www.cipe.org/publications/detail/advancing-corporate-governance-middle-east-and-north-africa-stories-and>. p. 17.

² Ibid ,p18.

وكالات حكومة الو.م.أ وممارسة الاعمال التجارية ، وبالتالي تعزيز العلاقات الدولية والحوار بين الامم في مجال التنمية ونشر الديمقراطية.

لقد أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش « George W Bush » من خلال ميثاق التنمية "Compact for development" في إطار برامج التنمية، أن مكافحة الفقر هو كواجب اخلاقي ولا بد من جعله من أولويات السياسة الخارجية للو.م.أ في مجال العلاقات الدولية ، ولمواجهة هذا التحدي فقد اقترح الرئيس زيادة المساءلة على الدول الغنية والدول الفقيرة على حد سواء، حيث ربط الاسهام الاكبر من الدول المتقدمة بمسؤوليات أكبر من الدول الفقيرة، و أعلن الرئيس أن الو.م.أ ستزيد المساعدة الانمائية الأساسية بنسبة 50% خلال السنوات القادمة مما أسفر عن وجود 5 مليارات دولار زيادة سنوية اكثر من المستويات الحالية ، وستودع هذه الأموال الاضافية لحساب تحدي الألفية الجديدة الذي سيمول المبادرات الخاصة بمساعدة الدول النامية وتحسين اقتصادياتها ومستوياتها¹.

و اضافة إلى دور الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية في مجال مكافحة الفقر فإنها تلعب دور حيويًا في مجال تعزيز الأمن القومي الأمريكي وتعزيز السلام والاستقرار .ويظهر ذلك من خلال تفعيل النمو الاقتصادي وحماية صحة الإنسان وتوفير المساعدات الانسانية في حالات الطوارئ وتعزيز الديمقراطية في الدول النامية من أجل تحسين حياة الملايين من البشر في جميع أنحاء العالم وبناء عالم أكثر أمانًا وازدهارًا. وفي هذا السياق فإنه تجدر الإشارة إلى أن الوكالة الأمريكية للتنمية قد لعبت دورًا قياديًا في تخطيط وتنفيذ العديد من البرامج والمشاريع في العديد من الدول لاسيما برنامج مشروع المياه في مالي والتي اعتبرت واحدة من 16 دولة مؤهلة للحصول على قانون اللجان العسكرية للمساعدة في السنة المالية 2005 ، وهذا ما جعل كل من الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية ووزارة الخارجية الأمريكية تضعان بيانًا مشتركًا حول الخطة الإستراتيجية للسنة المالية 2004 إلى غاية 2009، والتي ركزت فيها على المضي قدما في إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي ، واتضح

¹ Michael A. Glosny, « Meeting the Development Challenge in the 21st Century », août 2006, <https://www.belfercenter.org/publication/meeting-development-challenge-21st-century-american-and-chinese-perpectives-foreign-aid>. p. 14.

ذلك من خلال إعلان الرئيس السابق جورج بوش لإنشاء حساب التحدي الألفي في مارس 2002. *'Millenium chalenge account 2002' " MCA "* " لدعم وزارة جديدة للتنمية العالمية¹.

كما نظمت هذه الخطة إستراتيجية الإغاثة من مرض الايدز لمدة خمس سنوات ، وذلك بتخصيص حوالي 15 مليار دولار لهذه المبادرة في تحويل كل الجهود العالمية لمكافحة فيروس نقص المناعة البشرية ، وذلك من خلال توفير الأدوية المضادة للفيروسات لحوالي 2 مليون شخص مصاب بفيروس نقص المناعة وجمع 7 ملايين حالة عدوى جديدة ورعاية عشر مليون شخص من المصابين والمتأثرين بهذا المرض ودعم القدرات في النظام الصحي في إفريقيا ومنطقة البحر الكاريبي وآسيا ، وذلك بتخصيص جزء من الميزانية لتحقيق أهدافها في تقديم مساعدات اقتصادية وإنسانية، حيث خصصت حوالي 13.3 مليار دولار من المساعدات في عام 2008 تستهدف مشاريع الإغاثة وإعادة الاعمار في الكثير من دول العالم².

فالوكالة الأمريكية للتنمية ومن خلال سياسة إعادة الاعمار داخل الدول هي سياسة تعكس مبادئ هي أساسية لنجاح المعونات الخارجية التي تقدمها كأداة من أدوات السياسة الخارجية والأمن القومي الأمريكي والدبلوماسية العامة كمكون أساسي للسياسة الخارجية، والتي تهدف إلى تحقيق أهداف التنمية بما فيها النمو الاقتصادي ونشر الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان والنجاح في التحول الاجتماعي ، وذلك للوصول إلى تحقيق الشراكة والتعاون بشكل وثيق مع الحكومات والمجتمعات ، كما تعمل على الربط بين جهات أخرى غير رسمية كالمنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني والجامعات وتكيفها مع الظروف المتغيرة وتحقيق أقصى قدر من الكفاءة للوصول إلى أهداف وأولويات السياسة الخارجية.

¹ Glosny.

² USAID, « USAID Primer: What We Do and How We Do It », 2006, https://www.usaid.gov/about_usaid/primer.html. p. 10.

و يمكن تحديد مجموعة واسعة من السياسات والمشروعات والأدوار للوكالة الأمريكية للتنمية في إطار سياسات التنمية ونشر الديمقراطية وتقديم المساعدات الخارجية لتعزيز مفهوم الدبلوماسية العامة:

-تحقيق حدة الصراع وإدارتها Conflict mitigation and management وبحث مشكلة تنامي الصراع بحيث تعمل كإطار للسياسة العامة والمبادئ والتوجهات للتخفيف من الصراعات العنيفة.

-تقديم المساعدة للمتشردين Assistance to international displaced في مناطق مختلفة من العالم واستخدام نهج متكامل للحد من التكاليف البشرية وتشريد السكان وتحقيق التنمية طويلة الأجل .

- تقديم توجيهات لتحديد برامج الصحة Guidance on the definition and USE of the health programs من خلال الموظفين والشركاء من الأطراف الأخرى المعنية ببرامج الصحة و تقديم توجيهات شاملة حول طبيعة استخدام الأموال المخصصة لهذا القطاع ووضع إجراءات لتقديم برامج أخرى جديدة واستخدام المؤشرات المناسبة لتقييم النتائج على مستوى العلاقات بين الشعوب.

-مناقشة إستراتيجيات أساسية لتحديات التنمية Strategies discuss development مع تحديد التحديات والتوجهات والأولويات التي توجه برامج الوكالة الأمريكية للتنمية، ووضع إستراتيجيات تتعاف بالتنمية على المستوى الخارجي مثل إستراتيجية زيادة قدرة المزارعين والصناعات الريفية من أجل التجارة وتحسين التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وتعزيز العلوم التكنولوجية والابتكار وتفعيل التدريب والتوعية الإنسانية والبحوث التكميلية.

-بناء القدرات التجارية ،لاسيما في العالم النامي والدول المتخلفة Building trade capacity in the development word من خلال التأكيد على المشاركة في المفاوضات التجارية وتنفيذ الاتفاقيات التجارية والاستجابة للفرص الاقتصادية والتجارية¹.

- إستراتيجية منع التجارة بالبشر وحماية الضحايا the trafficking in persons strategy وإصلاح وتنفيذ قوانين منع التجارة بالبشر " antitrafficking law " مع العمل على تعزيز جهود تنمية مثل تعليم البنات وإقامة العدل وتقديم المساعدات للاجئين بصورة مباشرة.

- مكافحة الفساد " the anticorruption " ومحاولة إدماج أهداف وأنشطة مكافحة الفساد في برامج الوكالة من خلال زيادة الاستقرار وتحسين الأمن وتشجيع الإصلاح وتطوير القدرة المؤسسين.

- إستراتيجية التعليم " the education strategy "، وذلك من خلال إلزام الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية لتعزيز تكافؤ فرص الحصول على التعليم الجيد وتنمية القوة العاملة والتعليم العالي في مناطق مختلفة من العالم².

ومن خلال هذه الإستراتيجية فإن الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية في إطار سياستها في تعزيز تبادل الأفكار بين الخبراء ،فهي تسعى لتوفير أسس لصياغة سياسات تركيز على التنمية البشرية والتنمية الشاملة في مواجهة تحديات التغيرات الدولية من خلال تعزيز الحرية والأمن الدولي واقتراح إصلاحات ومبادئ لتقديم مساعدات أكثر فعالية لشعوب العالم، لاسيما في البلدان النامية والدول ذات الأغلبية الإسلامية ،وهذا من خلال تعزيز التعليم في العالم الإسلامي وتقديم المساعدات لقطاع الإعلام في أفغانستان واندونيسيا وإشراف المجتمع المدني الإسلامي لتنمية الديمقراطية والتعددية وبرامج المساعدات المقدمة للقوات المسلحة الأنغولية وتوفير التمويل لها وتقديم القروض الدولية في حالة الكوارث وغيرها من برامج المساعدات، وهذا من أجل تحقيقها أهدافها المسطرة تجاه العالم في إطار الدبلوماسية العامة.

¹ USAID. Op. cit. pp. 10-12.

² USAID. Op .cit. p. 14.

2- الأهداف:

في إطار التحديات التي أصبحت تواجه الـ.م.أ والعالم ,جعل من الـ.م.أ تعيد تقييم شامل للتنمية، وقد احتضنت في هذا السياق خمسة أهداف أساسية تسعى الوكالة الأمريكية للتنمية إلى تحقيقها:

- دعم التنمية التحويلية " Supporting transformtional devlopement " والتي يكون لها الصلة بتعزيز الأمن الأمريكي في الداخل و الخارج ,حيث تقوم الوكالة بتدعيم تغييرات أساسية في مؤسسات الحكم وتقديم الخدمات في الصحة والتعليم والنمو الإقتصادي من أجل بناء قدرات خاصة بهم يسمح ببناء علاقات تعاون بين الـ.م.أ وباقي الدول في مجال حقوق الإنسان والتنمية البشرية ونشر الديمقراطية¹.

- مساعدة الدول الهشة والفقيرة من خلال محاولتها لتحقيق تقدم وتنمية شاملة لهذه الدول ،حيث صرح رئيس الأمن القومي أن أحداث 11 سبتمبر كشفت على العديد من المخاطر، فالدول الضعيفة يمكن أن تشكل خطرا كبيرا على مصالحها الوطنية ,فهذه الدول والتي تعاني من الفقر وضعف المؤسسات والفساد يمكن أن تكون سببا في جعل هذه الدول عرضة لشبكات الإرهاب وعصابات المخدرات داخل حدودها وخارجها ، فعدم قيام الدول مثل أفغانستان ولبنان والبوسنة والصومال وليبيريا لم تقتصر آثارها على المستوى الداخلي بل كانت لها آثار أبعد من ذلك خارج حدودها ،لذلك فإن الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية تتعامل مع هذه الدول الهشة حسب النتائج المترتبة على أحداث 11 سبتمبر 2001.

- دعم المصالح الإستراتيجية الجغرافية الأمريكية " Supporting US.Geostralagic interests " , وذلك من خلال اعتبارات أن المساعدات الخارجية التي تقدمها الوكالة هي أداة قوية للحفاظ على مستوى الدول الحليفة لسياسة الـ.م.أ في الوقت الذي تحاول فيه كسب معاركها الخاصة بمحاربة الإرهاب، فمهام الـ.م.أ أصبح واسع النطاق وأكثر تطلبا من مجرد كسب ولاء بعض القادة

¹ US foreign aid, opcit .p11.

الرئيسيين، فمثلا من المهم جدا إبقاء باكستان متحالفة مع الو.م.أ، وفي المقابل يحب عليها مساعدتها على التحرك نحو أن تصبح أكثر إستقرارا وإزدهارا والوصول إلى المجتمع الديمقراطي.

- معالجة المشاكل العابرة للحدود " Addressing trasnational problems " والمتمثلة في القضايا العالمية والتي تعتمد على الجهد الجماعي والتعاون فيما بين البلدان كالمشاكل الصحية العالمية في مكافحة الإيدز والأمراض المعدية، وإقامة إتفاقيات التجارة الدولية ومكافحة الأنشطة الإجرامية مثل غسيل الأموال والإتجار بالميسر والمخدرات، حيث تقوم الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية بدور قيادي في هذه المسائل من خلال التصدي للمشاكل الكبيرة التي تهيء للخطر وعدم الإستقرار¹.

- تقديم الإغاثة الإنسانية " Providing humanitarian Relief " فالو.م.أ كانت دائما الرائدة في مجال المساعدات الإنسانية والإغاثة من الكوارث ومن أكبر المساهمين في المساعدات الغذائية التي ساعدت على مكافحة الجوع والمجاعة في مختلف أنحاء العالم .والذي إعتبرته واجب أخلاقي لا يمكن تغييره، فالوكالة الأمريكية للتنمية الدولية قد عملت على جعل المستفيدين من هذه المساعدات على الإدراك بأن هذه المساعدات هي من طرف الو.م.أ ولهذا الأمر أهمية في مناطق من العالم خاصة الدول التي تعرضت لمعاداة الو.م.أ².

وفي إطار التحديات الجديدة التي تواجه العالم تعتبر سياسة التنمية المستدامة من الأولويات الرئيسية لأهداف الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية ،وذلك من خلال مساعدة الدول على رفع قدراتها على تحسين نوعية الحياة فيها ،حيث حددت أربع عناصر أساسية للتنمية المستدامة وهي الصحة والسكان " Health and Population " النمو الإقتصادي العريض القاعدة " Broad-based economic growth " حماية البيئة " environment protection " والبناء الديمقراطي " Building Democracy ". وهذا في إطار برامج المساعدات الإنمائية وتعبئتها وفق لظروف البلد

¹ Ibid.p13.

² Ibid.p14.

الإقتصادية سواء كانت البلدان النامية أو التي تمر بمرحلة إنتقالية خاصة في أوقات الأزمات مثل ماحدث في بلدان أوروبا الشرقية الديمقراطية الناشئة في أوروبا وآسيا في سنة 1991¹.

لذلك فقد كانت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية أداة لتوجيه برامج السياسة الخارجية في مجال العلاقات الدولية في سياق التنمية ،من خلال وصفها للتحديات الأساسية التي ميزت المتغيرات الدولية ، وتقديم مبادئ توجيهية محددة للتصدي لهذه التحديات ،والهدف الأساسي هو التواصل بين الشعوب الذي يعتبر من أولويات الوكالة من جهة ومن أولويات السياسة الأمريكية من جهة أخرى، وضم إلى ذلك تقديم المساعدات والمعونات الذي هو الهدف الأسمى لهذه الوكالة. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المساعدات قد تقدم في مناطق دون أخرى وذلك حسب طبيعة الاحتياجات داخل هذه المناطق، فقد تمتع الوكالة عن تقديم المساعدات لبعض البلدان ،لاسيما تلك التي لا تشجع الديمقراطية أو تلك التي عرفت بانتهاكاتهما الجسيمة لحقوق الإنسان المعترف بها دوليا أو تلك التي عليها متأخرات في تسديد الديون والقروض إلى الو.م.أ أو تلك التي انتخب رئيسا للحكومة ثم اطيح في إنقلاب عسكري وغيرها من الاعتبارات التي يمكن أن تمس صورة الو.م.أ وسياستها تجاه شعوب العالم، وهذا أكيد تحت غطاء مجموعة من الأحكام التي تمنع وتحد الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية من تقديم مساعدات خارجية².

لذلك يمكن القول أن الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية رغم تعدد إهتماماتها وأنشطتها فهي تهدف بالدرجة الأولى وبالتنسيق مع وزارة الخارجية الأمريكية إلى تعزيز إستراتيجيتها التي أساسها خلق عالم أكثر أمنا وديموقراطية وإزدهار والقدرة على المساهمة الفعالة في تحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية من خلال برامج الدبلوماسية العامة المتمثلة في الإزدهار الإقتصادي والبيئة والتعليم والأسرة والعمل والصحة والديموقراطية والحكم الراشد وإدارة الصراع والنزاع الدولي وحماية حقوق الإنسان، وذلك لخلق التعاون بين الشعوب وتوحيد الأهداف الدولية في تحقيق السلام والأمن الدولي بالتنسيق

¹ Ibid.p15.

² USAID pruner, what we do and how we do it. Op. cit.p15.

مع العديد من الجهات التي تعمل على تحقيق أولويات السياسة الخارجية الأمريكية. فالوكالة الأمريكية باعتبارها مظهر من مظاهر الدبلوماسية العامة الأمريكية فهي تسعى للتنمية الدولية لتقديم الدعم لها وتنمية قدراتها وتمكنها من إنجاز مشاريع تنهي مشاركة الشعوب في تحقيق الأهداف الدولية، والتي تتجسد أساسا في تلك الجهات الفاعلة غير الرسمية كالمؤسسات غير الحكومية، وذلك بهدف رفع مستوى الوعي بالممارسات الديمقراطية ودعم الحوار بين الشعوب وبين الأديان وتعزيز التسامح و إحترام الحريات، والتي تعكس طبيعة العلاقات بين الشعوب والواجب إقامتها خاصة مع العالم العربي.

المطلب الثالث : الوكالة الأمريكية للتنمية و الإختراق الناعم للوطن العربي

تعتبر الوكالة الأمريكية للتنمية "USAID" من بين المنظمات التي تعتمد عليها الو.م.أ في الإختراق الناعم للمجتمعات العربية والتغلغل فيها، ويظهر ذلك من خلال تخصيص الحكومة الأمريكية لمبالغ ضخمة من ميزانيتها لهذه المنظمة، وتدرج طريقة عمل الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية "USAID" في ممارسة نشاطاتها الخفية ضمن ما يمكن أن يطلق عليه مسمى " الإختراق عبر الواجهات " ،أي أن عملية الإختراق تتم تحت مسميات وواجهات تنموية ونحوها للتمكن من الوصول إلى معلومات وأرقام مهمة داخل الوطن العربي، وذلك من خلال أهدافها التي تعنى بتقديم المساعدات الإنسانية للشعوب العربية ودعم سياسة الو.م.أ الخارجية من خلال الترويج للديموقراطية والرأسمالية والتجارة الحرة، حيث تعمل هذه الوكالة بتنسيق أعمالها مع الخارجية الأمريكية بهدف دعم المصالح الأمريكية في العالم العربي، وذلك تحت غطاء الدبلوماسية العامة التي تنتشط من خلالها هذه الوكالة في العديد من دول العالم العربي بعذر الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان، ففي مصر من خلال تقديم المساعدات وفي العراق من خلال نشر الديمقراطية وإعادة الاعمار وفي السعودية من خلال تكريس التحالف وإختيار هذه الدول هو نتيجة لتكثيف النشاط الممارس من طرف هذه الوكالة.

1- مصر و معايير تقديم المساعدات :

ارتبط الانفتاح الاقتصادي في مصر بتدفق المعونة الأمريكية وبمقتضى إرشادات الكونغرس بتشجيع القطاع الخاص ، وكان للوكالة الأمريكية للتنمية دورا مباشرا في تجسيد سياسة الانفتاح الاقتصادي ، وقد لعبت جهود وكالة التنمية الدولية دورا هام لدعم إستقرار مساهمة الشركات الأمريكية في تقوية الإقتصاد المصري وتمكين هذا البلد من شراء مئات من السلع من موردين أمريكيين¹ ، كما يعد نشاط الوكالة الأمريكية للتنمية لمصر مصدر كريما لمساندة الشركات الأمريكية ، حيث قالت الوكالة نفسها " لقد كان برنامج إستيراد السلع من بين الطرق الأساسية للتجارة الأمريكية الواردة على السوق المصري .حيث أن أكثر من 400 شركة من أنحاء الو.م.أ إستفادوا من هذا البرنامج". بالإضافة إلى ذلك فقد زاد حجم تجارة الو.م.أ مع مصر ووصل إلى بليون دولار وأصبحت الو.م.أ الشريك التجاري الأكبر لمصر ،وإن هذه الفرص المقدمة من السوق المصرية إلى التجارة الأمريكية مجرد بداية².

وانطلاقا من كل هذا فقد عملت الو.م.أ على تبني مشاريع في مصر لنشر الديمقراطية والحرية وحماية حقوق الإنسان وعملت جاهدة على ترسيخ هذه المفاهيم لدى الشعب المصري عن طريق الوكالة الأمريكية للتنمية، إلا أن المعونة التي تقدمها تثير القدر الأكبر من الجدل والتساؤلات، فالظرف السياسي الذي ارتبط ببداية هذا البرنامج وطبيعة الدور الأمريكي ومصالح امريكا في المنطقة ودور مصر الإقليمي، هذه الأسباب وغيرها تؤدي إلى التساؤل عن أهداف تقديم المعونة لمصر من طرف الو.م.أ ومدى الإستفادة الحقيقية منها ومدى إستخدامها كورقة ضغط على النظام المصري خاصة في مرحلة إعادة بناء النظام السياسي وتوزيع القوى فيه، ومن المهم الإدراك أن ثمة إتجاها واضحا منذ أوائل التسعينات لتقليص المعونات الحكومية المقدمة من الوكالة الأمريكية للتنمية بمصر

¹ US Central Accounting office, lessons learned from aid private sector development efforts in Egypt, report to the administration agency for international development Washington p.c., US.Government ,printing office,1993 , p 22/23.

² ibid.p30.

،حيث تقرر تخفيض المعونات الإقتصادية منذ عام 1999 بنسبة 5% تقريبا في كل سنة أو بنحو 40 مليون دولار في كل سنة لتتخفف المعونات الاقتصادية إلى النصف تقريبا بحلول عام 2009 من 810 مليون دولار إلى 408.5 مليون دولار¹.

هذه المعونات التي تقدمها الوكالة الأمريكية للتنمية لمصر لها منافع لا يمكن إنكارها ،وذلك بغض النظر عما إذا كانت هذه المنافع تتناسب والحجم الضخم من الأموال التي تخصصها الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية لهذه المعونات في مصر ، وبغض النظر عن مدى إستفادة أمريكا ذاتها من هذه المعونات ، وهذه المنافع واضحة من خلال النظر إلى القطاعات المختلفة التي ذهبت إليها المعونات، فقد اقيمت بهذه المعونات مدارس ومستشفيات واستخدم جانب منها في تطوير مرافق المياه والصرف الصحي والإتصالات والموانئ وأثبتت جانب منها على البحوث الزراعية لزيادة إنتاجية المحاصيل المختلفة وخصص أجزاء من المعونات لمكافحة تلوث البيئة وتوفير الطاقة ،حيث ذهبت بعض أموال المعونة لدعم المشروعات الصغيرة والمتناهية الصغر بالقروض ولتوفير معدات ومستلزمات الإنتاج لمشروعات القطاع العام في أول الأمر ،ثم لمشروعات القطاع الخاص بعد ذلك. وتجدر الإشارة إلى أن أحداث 11 سبتمبر قد فرضت على السياسة الأمريكية اولويات جديدة لاسيما من خلال إستراتيجية الأمن القومي وجعل التنمية العالمية ركيزة ثالثة للأمن القومي إلى جانب الدفاع والدبلوماسية، وظهر ذلك من خلال زيادة برامج الديمقراطية والحكومة حتى وصلت 16% من إجمالي ارتباط المعونة ،وزادت الضغوط على مصر لإجراء إصلاحات دستورية وسياسية وربط النقد في هذه الملفات ببرنامج المعونة، حيث إعتمدت فيما بعد إدارة أوباما سياسة أقل حدة ظهرت في الجزء الخاص بمصر من ميزانية الو.م.أ لعام 2011، حيث أشاد بدور مصر في المنطقة ونص على منحها 1.55 مليار دولار منها 1.3 مليار دولار كمساعدة عسكرية².

ومن أهم برامج المعونة الأمريكية لمصر التي تقدمها الوكالة الأمريكية للتنمية هي:

¹ إبراهيم العيسوي، قصة المعونة الأمريكية لمصر، مركز كتب عربية، القاهرة، 2001، ص12، 13.

² عمار أحمد فايد، المعونة الأمريكية لمصر من كامب ديفيد إلى ثورة يناير، مجلة رؤية تركية، العدد3، خريف 2012، إستنبول، ص25.

برنامج الإستيراد السلعي: ويهدف إلى تمويل إستيراد معدات ومواد خام أمريكية المنشأ للقطاع العام والخاص عن طريق قروض ميسرة، ومنح لاترد، بالإضافة إلى التدريب على تشغيل وصيانة هذه المعدات والقطاعات التي تستفيد من هذا البرنامج، هيئة السكك الحديدية وهيئة قناة السويس وهيئة الكهرباء المصرية.

برنامج القانون العام 480 لفائض الحاصلات الزراعية:

هي قروض ميسرة لشراء سلع زراعية مثل القمح ودقيق القمح من الو.م.أ تحول لمنح لا ترد إذا استخدم حصيلة بيعها في التنمية القروية وتنظيم الأسرة والصحة.

برنامج المشروعات:

ويتمثل بمخصصات مالية يتم توجيهها لقطاعات معينة كالصناعة، الكهرباء، الصحة، التعليم ومشاريع البنية الأساسية، ويلاحظ التزايد المستمر لهذا البرنامج في السنوات الأخيرة مع تغير أولويات المعونة تبعاً للتغيرات في أولويات الإدارة الأمريكية.

البرنامج العسكري:

تقدم الوكالة الأمريكية للتنمية لمصر بعض الاسلحة مثل طائرات (F16) والمطور منها (F-16CD) وطائرات هيليكوبتر، بوينج طراز تستيرك (CH47D) وطائرات الإنذار المكبر (E2C) التي نتجتها شركة نورثروب غرومان Northrop Gruman Grop، ومن أهم بنود البرنامج العسكري الدبابة أبرامز Abrams Battle tanh M1A1 والتدريب عليها، وقد سجلت التقارير الحصول على 1200 دبابة في عام 2012، وتحمل شركة جنرال ديناميكس General Dynamics مسؤولية تنفيذ المشروع¹.

¹ المرجع نفسه، ص 27.

فالمعونات التي تقدمها الوكالة الأمريكية للتنمية لها ثمن سياسي وعسكري وثقافي، فهي تفتح الباب أمام التدخلات الأمريكية في رسم السياسات الداخلية لمصر، فمن ضمن المجالات المعلنة للمعونة الأمريكية المقدمة من طرف الوكالة الأمريكية للتنمية الآن إصلاح التعليم والديموقراطية والحكم، وهو ماسمي بالإختراق الناعم، والذي تمارسه الوكالة ضمن أدوات الدبلوماسية العامة، فهي بذلك تكرر التبعية للمرافق الأمريكية تجاه مختلف المشكلات العالمية وتكرس الخضوع لمخططاتها في المنطقة العربية وتسخر الإمكانيات العسكرية لمصر في خدمة أغراض أمريكا في تنفيذ مخططاتها للهيمنة على العالم العربي، وهذه المعونات تجعل من مصر وكيلا للحكومة الأمريكية في المنطقة العربية وتساعد في تمرير مآثره من سياسات وحلول وذلك على حساب الدور القيادي والريادي المفترض لمصر بحكم وزنها التاريخي وثقلها الحضاري في المنطقة العربية.

2- الحالة العراقية : معايير نشر الديمقراطية وإعادة البناء

لطالما شهدت الو.م.أ تعارضا بين إستراتيجيتها في العراق ودبلوماسيتها العامة فيه، فعندما كانت الإدارات الأمريكية تدعو للديموقراطية كانت تروجها كدبلوماسية عامة تعزز القوة الناعمة للو.م.أ وكانت تسوقها سلعة جاهزة متوفرة لدى وزارة الخارجية الأمريكية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية والمنظمات غير الحكومية التابعة لها بغية تشييدها على أنقاض السيادة الوطنية. من ناحية أخرى سرعان ما أثبت غزو العراق واحتلالها أن اللجوء إلى القوة الصلبة من خلال شن الحروب في سبيل تعميم الديمقراطية الأمريكية لم يكن وسيلة يمكن الإعتماد عليها في تحسين صورتها، فاحتارت بين إعتمادها القوة الناعمة أو القوة الصلبة، وذلك حال دون أن يثق العرب بالخطاب الأمريكي بشأن الديمقراطية وعلى رأسها العراق¹.

و تجدر الإشارة إلى أن التسلسل التاريخي للأحداث التي كانت تميز علاقة الو.م.أ بالعراق تظهر بوضوح ترجمة الو.م.أ لمصالحها عن طريق رسم علاقاتها مع دول الشرق الأوسط فكان العراق

¹ مروان بشارة، أهداف الو.م.أ وإستراتيجيتها في العالم العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مجلة سياسات عربية، العدد 1، مارس 2013، ص3.

في فترات على علاقات ممتازة مع الو.م.أ عندما كان يحقق أهداف إستراتيجية لهما التصدي للنفوذ الإيراني في المنطقة، و لكن عندما دخل العراق على المنطقة الحساسة و الحيوية للو.م.أ باجتياحه للكوييت دق ناقوس الخطر و بدأت الخطط توضع في البيت الأبيض ليتم تنفيذها في الوقت المناسب فكان لابد من وجود مبررات و مصوغات لتنفيذها. فجميع هذه القضايا بدءا من العلاقات الجيدة بين الو.م.أ و العراق وصولا إلى اجتاح العراق للكوييت و تغير الموقف الأمريكي نحوه و الخطط التي وضعت للقضاء على النظام العراقي و إحكام السيطرة على الخليج بشكل أكبر جعل من الو.م.أ أن لها تسمح لأية قوة في المنطقة الصعود إلى الأعلى و الانتقال من مرتبة الدول التابعة إلى الدول شبه الأطراف عن طريق الهيمنة الأحادية العسكرية التي نفذت سياسته الو.م.أ مع العراق.

بعد هذه الأحداث فقد طرأ تحسن جوهري على الوضع الاقتصادي في العراق منذ سقوط نظام البعث في العراق في أبريل 2003 طبقا لمؤشرات متعددة و متنوعة حيث مكن ارتفاع الرواتب و دخول العديد من العراقيين على إعادة شراء لوازم الحياة كانوا قد باعوها إبان فترة الحصار حيث تشهد معدلات البيع العالية لهذه اللوازم على نمو القوة الشرائية الجماعية حيث استطاع بعض المواطنين على الأقل على اتفاق دخل استهلاكي على المواد غير أساسية إلا أنه و مع ذلك فإن النمو الاستهلاكي و الاستقرار النسبي للأسعار و مهما كان موضع ترحيب فإن ذلك لا يكفي ليس في ذلك ما يشير إلى نوع إعادة الأعمار التي يحتاجها اقتصاد دمرته عقود من مسؤول الإدارة و الحروب و العقوبات الاقتصادية .

لقد أكدت الوكالة الأمريكية للتنمية بأن الجهد في إعادة إعمار العراق قد عجز كثيرا في الوصول إلى الأهداف المتوخاة فالمكتب العراقي للعقود و المشاريع و هو المكتب المسؤول عن اتفاق مخصصات الأعمار الأمريكية يقدر 164 مشروعا إنشائيا فقط و هو ما يقل عن 7 بالمئة من المشاريع التي خططها حتى عام 2008 و إن التحديد الدقيق للمبالغ التي أنفقتها الوكالة الأمريكية للتنمية « USAID » فعلا في العراق مهمة معقدة و لكن من الواضح أنها لا تشكل سوى جزء ضئيل 10 بالمئة تقريبا من مبلغ 18.4 بليون دولار و مخصصة لإعمار العراق. و تجدر الإشارة إلى أن الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية « USAID » تساعد الشعب العراقي لإعادة اعمار وطنهم عن

طريق العمل مع الحكومة المؤقتة و يتم تنفيذ برامج الوكالة الأمريكية للتنمية الدول في نشر القيم الديمقراطية بالتنسيق مع الأمم و الدول التحالف المشتركة و المنظمات المتحدة و شركاء القطاع الخاص و المنظمات غير الحكومية « NGO »¹ .

و تتمثل مهمة الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية في العراق في توليها برامج في مجال التعليم و الرعاية الصحية و الأمن الغذائي و إعادة اعمار البني التحتية و إنعاش الاقتصاد و مبادرات تطوير المجتمع و التنسيق بين المؤسسات الحكومية و مبادرات الانتقال و قد قامت بعثة الوكالة الأمريكية للتنمية في إطار التنمية في إطار برامج الدبلوماسية العامة تجاه العالم العربي بتنفيذه هذه البرامج في أربع جوانب حيوية إستراتيجية في العراق و هي :

- إعادة العمل في البني التحتية الأساسية
- دعم المبادئ الأساسية للصحة و التعليم
- التوسع في الفرص الاقتصادية
- تطوير كفاءة و مسؤولية الحكم

و في هذا السياق و في إطار برامج الدبلوماسية العامة الأمريكية من خلال أنشطة الوكالة الأمريكية للتنمية فقد أذن الرئيس باراك أوباما بعمليتين في العراق:

- تقديم الجهود الإنسانية لمساعدة الآلاف من المدنيين العراقيين من الضربات الجوية و هذا لمساعدة قوات التحالف في العراق أيضا.
- تقديم الحصص الغذائية و توفير المياه الصالحة للشرب و توفير مساعدات عاجلة إضافية و توفير مواد الإغاثة و الرعاية الصحية و الدعم و المأوى للنازحين في شمال العراق¹.

¹ Pierre-Jean Luizard, « Société civile et occupation de l'Irak », in *Les sociétés civiles dans le monde musulman*, TAP / Islam et Société (Paris: La Découverte, 2011), , <https://www.cairn.info/les-societes-civiles-dans-le-monde-musulman--9782707164896-p-355.htm>, p. 361.

كما قامت الوكالة الأمريكية للتنمية أيضا « USAID » بتقديم المساعدات في حالة الكوارث حيث كانت الوكالة تضم مجموعة من الخبراء مهمتهم الاستجابة الإنسانية للعراق و تلبية احتياجاته الملحة في جميع أنحاء المناطق المتضررة من النزاع في شمال ووسط العراق.

و تجدر الإشارة إلى أن دور الوكالة الأمريكية للتنمية « USAID » لم يقتصر فقط على الجهود الإنسانية حيث كانت تبني مشاريع تهدف إلى دعم القدرات المؤسسية في العراق ووضع أسس سليمة للسياسات المالية و النقدية حيث طلبت الوكالة من معهد البحث المثلث (RTI) إعادة تنظيم هيكل الحكم المحلي و تفويض المحافظات و البلديات و البدء في إدارة شؤونها كمظهرين من مظاهر نشر الديمقراطية و هذا الدعم جهود إعادة البناء و تمكين العراقيين و إصلاح مؤسساتهم و بشكل أكثر عمومية و تعزيز قدراتهم المحلية و قد عبر عن ذلك مسؤول في الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية « USAID » قائلا: " لم نشرك العراقيين بما فيه الكفاية ونحن هنا ليس فقط للقيام بأعمال البناء ماديا بل أيضا تسهيل عملية النقاها النفسية و الاجتماعية"².

و في الأخير فإنه يمكن القول أن ما تم تدميره في العراق لم يكن بسبب عسكري استراتيجي بل بهدف اقتصادي بحت و هو إعادة إعمار و يظهر ذلك بعدما قامت الإدارة الأمريكية بتكليف الوكالة الأمريكية للتنمية مسؤولية إعمار العراق خاصة بعد احتلاله و هنا قد كانت معركة العقود أو "معارك الـ البنزس" حيث احتكرت مجموعتي هالبيرتون و بكتل Hally Birtow Biktle لعملية إعادة الإعمار خاصة في مجال إصلاح آبار النفط و تشغيلها و تقديم خدمات إمداد الجيش و إعادة البني التحتية و إنشاء محطات كهرباء و مياه و طرق و كل هذه الإصلاحات كانت ضمن برامج الدبلوماسية العامة في العراق من خلال الوكالة الأمريكية للتنمية³، هذا من جهة و من جهة

¹ Philippe Droz-Vincent, « La reconstruction de l'Irak ou le "nation-building" américain », in *Vertiges de la puissance*, TAP/Relations internationales (Paris: La Découverte, 2007),, <https://www.cairn.info/vertiges-de-la-puissance--9782707152978-p-183.htm>. p. 184.

² Faleh A. Jabar, « L'Irak de l'après-guerre : un Etat-nation en attente, Post Conflict Iraq : A Nation-State in Waiting », *Confluences Méditerranée*, n° 49 (2004): <https://doi.org/10.3917/come.049.0109>. p. 109.

³ Luizard, « Société civile et occupation de l'Irak ». p 362.

أخرى فإن العراقيين لم تكن لهم استجابتهم لهذه الأنشطة بصورة فعالة فالخبرة و العلاقات التي اكتسبها العراقيون خلال فترة من الزمن من الوكالة الأمريكية للتنمية وصلت إلى حد بعيد و في ذلك يقول أحد المسؤولين: " قفز وهنا دون أن يكونوا قد سمعوا بشيء اسمه منظمة غير حكومية " NGO " و هذا ما يفسر عدم وجود رؤية تنموية¹، الأمر الذي أدى بهم إلى توجيه انتقادات الكفاءة للمستشارين الأمريكيين.

3. الحالة السعودية : تكريس التحالف

ترتبط العلاقة بين الو.م.أ و العربية السعودية علاقة الهيمنة التحالفية هذه العلاقة تعطي طابع التحالف في الظاهر و سيطرة الو.م.أ على القرار السعودي في جوهرها فالأحداث التاريخية التي مرت بها هذه العلاقة يمكن اعتبارها مفاصل في تحولها إلى اعتماد العربية السعودية على الو.م.أ بشكل أكبر و أيضا البنية الداخلية للعائلة المالكة التي تشعر باستمرار أن هناك ما يهدد أمنها داخليا و إقليميا حيث وضعت العربية السعودية نفسها ضمن ارتباطات محكمة مع الو.م.أ مع وجود توجيهات أمريكية حقيقية في تعزيز هذه الارتباطات التي جعلت من العربية السعودية المعتمدة بشكل وثيق على الو.م.أ.

فقد أقامت الو.م.أ و السعودية علاقة خاصة يرجع أصلها إلى الدور الكبير الذي لعبته الشركات و الوكالات الأمريكية في مجال التنمية و على رأسها الوكالة الأمريكية للتنمية « USAID » و ذلك من خلال تنمية الموارد البترولية السعودية و قد تعززت العلاقة بعدها عن طريق التعاون على مستوى الحكومتين و المساعدة الحكومية و أصبح واضحا أن المسؤولين في كلا البلدين يعتبرون أن الحفاظ على هذه العلاقة و تعزيزها يمكن أن يوفر أساسا لحل القضايا السياسية والأمنية والاقتصادية وقضايا الطاقة التي تواجه الو.م.أ و السعودية.

¹ Jabar, « L'Irak de l'après-guerre ». p. 118.

فمن المنظور الأمريكي فإن القرارات التي تتخذها الحكومة السعودية يمكن أن تؤثر في ميزان المدفوعات الأمريكي ومستقبل الدولار ومعادلة الطاقة الأمريكية والعالمية ومعدل الانتعاش الاقتصادي العالمي و المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط و منطقة الخليج و هدف الحل الشامل للصراع العربي الإسرائيلي لذلك فقد كانت تعمل على استغلال كل الوسائل المتاحة من أجل تكريس و تعزيز التحالف مع المملكة العربية السعودية و اللجوء إلى الوسائل الناعمة لتحقيق مصالحها في المنطقة العربية.

و تجدر الإشارة إلى أن السياسة الأمريكية تجاه المملكة العربية السعودية تركز على مجموعة من المصالح تشما أهدافا اقتصادية و تجارية كما تشمل أيضا أهدافا سياسية وعسكرية و نظرا لأهمية المملكة كمنتج للنفط وكقوة في الشرق الأوسط فإن الو.م. أ تنظر إلى السعودية كقائد لدول شبه الجزيرة العربية. و قد مالت السياسة الأمريكية إلى تشجيع الاستقرار فيما بين الدول العربية الموجودة في هذه المنطقة تحت القيادة السعودية. و قد تم تحديد المصالح الأمريكية من خلال وسائلها لاسيما الوسائل الناعمة على النقاط التالية:

- إعادة استثمار الفوائض المالية السعودية الناجمة عن بيع النفط
- المشاركة الأمريكية في نشاطات تحديث السعودية

و قد استهدفت المبادرات السياسية و الإستراتيجية الأمريكية تحقيق ما يلي:

- دعم الاستقرار و الأمن في منطقة الخليج الفارسي و البحر الأحمر
- تشجيع المبادرات السعودية الرامية إلى الحفاظ على استمرار لنتاج النفط والاعتدال في الأسعار.
- تشجيع دعم السعودية لتسوية عربية إسرائيلية
- صيانة السلامة السياسية والإقليمية للمملكة

و في هذا السياق فقد وضعت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية مخطط الشرق الأوسط تحت عنوان " التعاون الإقليمي في الشرق الأوسط والذي كان الفاعل الرئيسي فيه هو المملكة العربية

السعودية حيث كلفت الوكالة الأمريكية ثماني عشر (18) مؤسسة أمريكية غير حكومية¹ والتي تنشط تحت غطاء الدبلوماسية العامة حيث تمخض عن التقرير الذي أعلنته الوكالة الأفكار التالية :

1- سيكون الدور الأمريكي حاسما في مجال التعاون الإقليمي مع المملكة العربية السعودية وباقي

الدول العربية و على الو.م.أ أن تلعب دور الوسيط

2- تقوم فكرة التعاون الإقليمي على أساس شرق أوسطي و ليس على أساس عربي.

3- إيجاد مؤسسات جديدة تتجاوز الجامعة العربية لكي نسمح باستيعاب إسرائيل وانخراطها في النظام الإقليمي الجديد.

4- إعطاء أهمية لدور الأكاديميين ورجال الأعمال في بداية في بداية التعاون الإقليمي وتطويره².

و تجدر الإشارة إلى أن التقرير الوكالة الأمريكية للتنمية قد عالج مسألة التعاون بين إسرائيل و السعودية ومصر والأردن ضف إلى ذلك فقد أوصى بإقامة مشروعات صناعية مشتركة بين إسرائيل و السعودية حيث أكد على الدور الذي يجب أن تلعبه الو.م.أ في المراحل الأولى من التنفيذ و ذلك لاهتمامها الكبير بالمملكة العربية السعودية لخدمة مصالحها الاقتصادية والهيمنة على النفط العربي والمحافظة على تفوق إسرائيل في هذا السياق ذكر البروفيسور روبرت تاكر **Robert- Tacker** « أنه لمنع أمريكا من أن تنزف حتى الموت من جراء نفط الشرق الأوسط عليها فرض السيطرة الأمريكية الفعلية على المنطقة الممتدة من الكويت نزولا على طول الإقليم الساحلي للمملكة العربية السعودية. و في الأخير يمكن القول أن العلاقات الأمريكية السعودية قد بدأ ينتابها الشك خاصة بعد أحداث 11 ديسمبر و التي وجدت فيها الو.م.أ نفسها أمام ضرورة استخدام القوة الناعمة نتيجة تزايد التوتر مع صدور دعوات في الغرب لتغيير أنظمة و إعادة رسم خرائط و تكريس تحالف جديد إلا أنها رغم محاولة اعتمادها على وسائل الدبلوماسية العامة فقد ذلك كله مع غموض متعمد

¹ Adrien Lespagnard, « Les Territoires de la Mémoire - Les ONG américaines pour la démocratie », consulté le 12 juin 2016, <http://www.territoires-memoire.be/dons/141-aide-memoire/aide-memoire-64/946-les-ong-americaines-pour-la-democratie-2e-partie..>

² Sébastien Wesser, « La relation américano-saoudienne à l'épreuve du rapprochement entre Washington et Téhéran », *Politique américaine*, n° 26 (15 décembre 2015): 85-101, <https://doi.org/10.3917/polam.026.0085>.

في السياسة الأمريكية تجاه السعودية تجسد في عدم التعليق على هذه العلاقة و تعزيزها من خلال أدوات القوة الناعمة لاسيما من خلال أنشطة الوكالة الأمريكية للتنمية « USAID » سيوفر الأساس لحل القضايا السياسية والأمنية و الاقتصادية وقضايا الطاقة والتنمية الديمقراطية التي تواجه الو.م.أ والسعودية و هذا يتوقف على التسليم بأن السعودية تقدم مهمة للو.م.أ من خلال تعزيز المصالح المشتركة المتمثلة في الحفاظ على العلاقات الاقتصادية والتكنولوجية بينهما وتقويتها واستمرار حرية الوصول إلى الأسواق الخاصة بكل منها سواء للتجارة أو الاستثمار .

تتداخل المصالح الأمريكية - السعودية و تشابك فيما بينها و هو ما يفرض على الطرفين الاستمرار في التعاون بشكل وثيق أما الصيغة القديمة التي حكمت العلاقات بينهما فقد تغيرت و هذا نتيجة تنويع علاقاتهم و تحالفاتهم الإقليمية و الدولية و تجاوز العقبات التي تحول دون بناء منظومة أمنية و سياسية و اقتصادية لدول الخليج العربي من جهة أخرى و اعتماد الو.م.أ على نموذج القوة الناعمة و الذي اختارت فيه الوكالة الأمريكية للتنمية وسيلة لتعزيز هذا التحالف الذي أعاد تعريف علاقاتها مع المملكة العربية السعودية و الدولية.

المبحث الثاني: الدبلوماسية العامة الأمريكية واستراتيجية مكافحة الإرهاب في الوطن العربي: مركز راند لمواجهة التهديدات الأمنية الأمريكية.

لقد جاءت أحداث 11 سبتمبر لتمثل نقطة تحول في صياغة النظام العالمي للقرن الحادي والعشرين ,بعد أن أتاحت الفرصة أمام الو.م.أ لتحديد معايير الإرهاب العالمي من وجهة النظر الأمريكي ، والتي تحتاج إليه الو.م.أ في سياستها الخارجية لتسترجع مرة أخرى لهجتها القوية في سنوات الحرب الباردة " من ليس معنا فهو ضدنا" ، حيث أصبحت تشير الإستراتيجية الأمريكية في الوطن العربي إلى أن الحرب على الإرهاب هو التحدي الذي يواجه هذا الجيل ,ذلك أن الو.م.أ لم تعد تواجه خصما إستراتيجيا أو بلدا وحيدا أو متحالفا عبر الحدود، وإنما بات خطر الإرهاب يمثل تهديدا

داهما وأن جميع الدول لم تعد تملك بمفردها الوسائل الكفيلة لمواجهة هذه التهديدات ,وقد ظهر ذلك من خلال التحول في العلاقة وتغيير لغة الخطاب السياسي الأمريكي وإعتماده على وسائل اخرى مغايرة، حيث أصبح بذلك الحرب على الإرهاب إحدى المكونات الرئيسية للإستراتيجية الأمنية الأمريكية.

ومع تولي إدارة جديدة للحكم في الو.م.أ منذ يناير 2009، أصبحت فكرة جوزيف ناي حول ظهور أنماط غير عسكرية للقوة في العلاقات الدولية بين الو.م.أ والوطن العربي موضع إهتمام المحللين في الو.م.أ، خاصة فيما يتعلق بتدعيم مكانة الو.م.أ على الصعيد العالمي ،وبات الرأي سائدا بأن القوة الصلبة والمعتمدة في بعض الدول العربية كما في حالة العراق إنما من شأنه الاضرار بصورة أمريكا ،وأن القوة الناعمة التي كانت تبرر لها الإختيار قد أفرزت واقعا عالميا مناهض لسلوك الإمبراطورية وإختيارتها ،مما يعكس حاجة الو.م.أ لمعايير الدبلوماسية العامة والإعتماد على أدواتها ووسائلها لاسيما النخبة الممثلة في مراكز الفكر " Think tanks " ،الذي أضحى فيها مركز راند من بين المراكز التي تنشط في مجال السياسة الخارجية والعلاقات الدولية ومواجهة التهديدات الأمنية الأمريكية، من خلال برامج عمل تهدف إلى وضع المحددات الأساسية لتوجهات الو.م.أ -إتجاه العالم العربي- والتي تحاول تقديم توصيات من خلال نشر فيها التغيرات الدولية الراهنة و التي يميزها مفهوم الحرب على الإرهاب¹.

المطلب الأول : دور القوة الناعمة في الحرب على الإرهاب في المنطقة العربية:

إن الإعتماد على القوة الناعمة في قضية مكافحة الإرهاب أصبح أمرا مهما في ظل الدراسات الأكاديمية التي تبحث في هذا الإطار ، والتي تعتمد على الدبلوماسية العامة لكسب قوى

¹ هزار صابر أمين، مراكز الفكر " Think Tank " و دورها في التأثير على صنع السياسة الخارجية، أنموذج لدراسة الو.م.أ مركز الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية، العدد الرابع. تم الوصول الى الموقع في <http://www.Fcdes.com/magazin/420.html.14/03/2014> .

دوليه داعمة للحرب ولإستراتيجية المتبعة، وفي هذا السياق فقد أصبحت الو.م.أ من تستخدم القوة الناعمة إلى جانب القوة العسكرية من خلال تقديم المساعدات التنموية والإقتصادية والأمنية وكذا التدريب بالنسبة للدول التي تعتبر مناطق آمنة لتجمع الجماعات المسلحة ،حيث أشار المستشار الأعلى في البيت الأبيض جون برينان " john brennan " أنه على الو.م.أ إستخدام قوتها الإقتصادية لمساعدة الدول على رفع مستوى أمنها والحلول دون لجوء مواطنين إلى العنف¹. فبعد خروج الو.م.أ من أحداث 11سبتمبر 2001 سرعان ما بدأت تشرع في تحقيق أهدافها في الهيمنة على العالم من خلال قوتها الناعمة، والتي واجهت معاداة واضحة لهذه السياسة أدت إلى تدهور قوتها الناعمة وصورتها لدى العالم، وبالتالي أضعفت الموقف العالمي العام لأمريكا رغم صلابه قوتها الخشنة ،وهذا ما صرح به المفكر فرانسيس فوكوياما "Fukuyama Francis " آنذاك بأن هناك تفاؤل بأن تتجح إدارة الرئيس باراك أوباما في إستعادة قدر كبير من القوة الناعمة الأمريكية والتي إفتقدتها على المستوى الإقليمي والعالمي لاسيما في الحرب على الإرهاب.

1- الإرهاب ومعاداة أمريكا:

لقد عملت الو.م.أ على عولمة الإرهاب عندما دعت إلى قمة لمكافحة الإرهاب في مدينة شرم الشيخ عام 1996 أو ما سميت " قمة صانعي السلام " *، حيث صدر القانون الأمريكي لمكافحة الإرهاب الذي تم بموجبه السماح لرئيس الدولة بوقف المعونة على الدول راعية الإرهاب وإعلان أن منظمات بذاتها إرهابية ،و بالتالي تجريم دعمها وتمكين السلطات الأمريكية من تحويل أي أجنبي يشتبه به الى المحاكمة وتحويلها في الوقت نفسه حق ترحيل أي أجنبي دون إبداء للأسباب ،فضلا

¹ Rob Hendin, US terror Strategy, hard and soft power.
http://www.icnl1research/Algeria/html. (Accessed 03/11/2015)

* شهدت شرم الشيخ علي مدار السنوات العشر الماضية قمة متعددة بين الرئيس حسني مبارك قادة الدول العربية وعدد كبير من زعماء العالم ثنائية وثلاثية، كان أبرزها قمة صانعي السلم في 13 مارس 1996 التي حضرها الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون وزعماء أوروبيون وقادة دول المنطقة لبحث دفع جهود السلام بإيجاد حل للقضية الفلسطينية ولأول مرة تستقبل شرم الشيخ قمة عربية عادية ولكنها عاجلة

عن إعتقاد مليار دولار من أجل أعمال بنود هذا القانون وبعد وقوع أحداث 11 سبتمبر إستلهم المشروع الأمريكي بعض عناصر قانون عام 1996 ،حيث أصبحت أمريكا تخضع كل شيء للحرب ضد الإرهاب وتفيد قراءة كل شيء من منطلق متطلبات هذه الحرب من منطلق الشك والإرتياب في الآخر وإرجاع كل تحركاته إلى أغراض شريرة ومنطلق إنعدام الثقة، في حين أن التعامل بين البشر وإزدهار العلاقات البشرية لابد أن يفترض الثقة المتبادلة. لذلك فقد قام بوش عقب أحداث 11 سبتمبر بإطلاق لفظ الحرب العالمية ضد الإرهاب معتبرا إياها أفضع وأطول وأقسى من أي حرب دخلتها الو.م.أ من قبل، حيث صرح في خطابه أمام الكونغرس في 20 سبتمبر 2001 أن كل أمة تستمر في احتضان أو دعم الإرهاب ستعتبرها الو.م.أ نظاما معاديا لها¹.

لقد لجأت الو.م.أ في هذا الإطار إلى توظيف المنظمات والتجمعات الدولية لمحاربة الإرهاب في شتى المجالات لتحقيق أهدافها ومحاصرة الإرهاب أينما كانوا و وجدوا، حيث ركزت التجربة الأمريكية في محاربتها للإرهاب على إستخدام الطرق الأمنية والعسكرية في العديد من مناطق العالم العربي وتجفيف منابع الإرهاب من خلال المراقبة والمتابعة الدقيقة لحركة المال، حيث أدركت الو.م.أ أن محاربة الإرهاب لا يمكن أن توتى ثمارها إلا إذا كان هناك تنسيق وتعاون مع مختلف بلدان العالم، وهذا مادفعها للإهتمام بمختلف الطرق والسبل التي تكفل لها تعزيز مكانتها وإنهاء معاداتها في العالم وبشكل عام والعالم العربي بشكل خاص. كانت هذه السياسة بمثابة ضغوط تمارسها الو.م.أ لاسيما بعد أحداث 11 سبتمبر وذلك من أجل التعاون معها بشأن الأمن إصلاح أنظمة التعليم التي تحتشد بالتوجهات والقيم الإسلامية في خطوة من الواضح إنها تستهدف مصر والسعودية بشكل أساسي، كما شعر العرب في الوقت نفسه برياح السخرية تنال من كل ما هو عربي ومسلم في الغرب بشكل كئيف عن تزايد الإزدراء والإحتقار القائمين، وبالفعل وعلى ذلك كانت الحرب على الإرهاب في المنظور العربي حرب على الإسلام و العرب².

¹ شاهد إسماعيل الشاهر، أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 أيلول 2001، مرجع سابق، ص 115.

² المرجع نفسه، ص 118

وتجدر الإشارة إلى أن مشاعر العداة قد تزايدت مع إتخاذ بوش قرار شن الحرب على العراق بحجة حيازته على أسلحة الدمار الشامل ودعمه للإرهاب ودعم إستجابة صدام حسين لطلب مجلس الأمن بعودة المفتشين الدوليين إلى العراق للتأكد من عدم وجود أسلحة الدمار الشامل، إلا أن إدارة بوش قد إتخذت قرار الحرب برغم معارضة فرنسا وألمانيا، روسيا والصين الدائمين بمجلس الأمن ليكون يوم 20 مارس 2003 بداية لحرب العراق¹. ورغم ثبوت خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل فيما بعد، إلا أن الإدارة الأمريكية ظلت متمسكة بالإستمرار بالحرب بحجة نشر الديمقراطية والحرب على الإرهاب إذ يرى بريجنسكي أن الحرب على العراق قد كلفت الو م الكثير، حيث ألحقت ضررا كارثيا بالصورة الأمريكية في العالم العربي خصوصا موقف و مصداقية الرئيس الذي يؤكد قبل الحرب على إمتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، ليغير رأيه فيما بعد بعدم وجود هذه الأسلحة بالعراق و بالتالي ومن زاوية نظر بريجنسكي أن هذا الخداع للرأي العام العالمي كلف الو.م.أ مصداقيتها عالميا، وسيكون له تأثير فيما بعد على علاقتها بالعالم العربي والإسلامي، بذلك يكون إنعدام الثقة قد فوض الشرعية الدولية للو.م.أ والتي هي مصدر مهم من مصادر القوة الناعمة والدبلوماسية العامة الأمريكية، لذلك فقد ساعدت الحرب على العراق على زيادة مشاعر العداة والكراهية لأمريكا مما أدى ذلك حسب بريجنسكي إلى زيادة توسيع رقعة الإرهاب ضد الو.م.أ².

لكن ، يظهر على السياسة الأمريكية سمة الازدواجية تجاه قضايا المنطقة العربية ، والتي تعد سببا اساسيا من أسباب الكراهية والمعاداة والغضب الشعبي تجاه الو.م.أ، فعلى المستوى الخطابي تنادي الو.م.أ باحترام حقوق الإنسان والديموقراطية وحل قضايا المنطقة العربية، إلا أنها على مستوى الممارسات ظلت سياساتها تدور حول ثلاث أهداف رئيسية هي أمن دولة الإحتلال الإسرائيلي وبقاء تفوقها العسكري النوعي على العرب وضمن تدفق النفط بأسعار مناسبة، وعدم وقوعه تحت سيطرة حكومات مناوئة للغرب وضمن بقاء الحكومات العربية الحليفة وعدم وصول قوى وطنية للحكم بخطى شيوعية شعبية حقيقية، خوفا من قيامها بتعديل سياستها مع الغرب. يمكن الإشارة إلى أن المواقف

¹ Massin Lefebre, "la politique étrangère Américaine force et impressions", p61.

² Ibid p63.

الأمريكية تتجاهل عدة مصادر حقيقية لحالة المعاداة والكراهية تجاه الو.م.أ، وهي مصادر لا علاقة لها - كما إدعى بوش الابن - بمعاداة قيم الحرية والديموقراطية ومحاربة الإرهاب وأهم هذه المصادر:

- تجاهل جوهر الصراع العربي، الصهيوني وهو الإحتلال وقضية اللاجئين وبناء المستعمرات على أنقاض قرى العرب ومدنهم فالصراع ليس مجرد قضية أرض متنازع عليها.

- أما المصدر الثاني لمعاداة أمريكا فهو حقيقة أن الو.م.أ هي أكبر حليف وداعم لدولة الإحتلال والعنصرية، ومن ثم فهي شريكة لها في الإحتلال عند جل العرب، وقد استخدمت الو.م.أ إلى غاية 2011 حق الفيتو نحو 55 مرة لحماية إسرائيل من الإدانة بمجلس الأمن أو اعتراضا على مقترحات ذات علاقة بقضايا المنطقة العربية.

- أما المصدر الثالث هو إدعاء دوائر داخل الو.م.أ رسمية وغير رسمية تنشط في إطار الدبلوماسية العامة بأن الرفض الشعبي هو سبب فشل مبادرات إنهاء العداء، وأن بعض الأنظمة العربية أكثر إعتدالا "وليبرالية" من شعوبها، ومن ثم فإن هذه الدوائر ترى الحل في إعادة تنشئة هذه الشعوب لتتقبل مايقبله بعض حكامها ومثقفوها من خلال حملات علاقات عامة تعكس طبيعة قوتها الناعمة تجاه العالم العربي، من تعديل مناهج التعليم و وسائل الإعلام وهذا إدعاء غير صحيح لسبب بسيط وهو أن العرب لم تعرض عليهم منذ قيام دولة الإحتلال، حلول تنهي الطابع العنصري والتوسعي لدولة الإحتلال.

- أما المصدر الرابع والأخير فهو الخلط بين الإرهاب والمقاومة، وتجاهل حقيقة أن مقاومة الإحتلال ليست إرهابا وإنما هي دفاع مشروع عن الذات وعمل مشروع في كافة المواثيق الدولية والأعراف الإنسانية¹.

¹ عبد الفتاح ماضي، أي دور للنظام العالمي في نشر الكراهية للغرب، مجلة السياسة الدولية، العدد الصادر في 18.01.2015 <http://www.siyassa.org/eg/News/5097.aspx> الوصول الى الموقع في 09.10.2016

إن كل هذه المصادر وغيرها أوجدت مشاعر الكراهية والإحساس بالمهانة من كل السياسات الأمريكية، وأثارها في الشارع العربي وهي ذاتها التي جعلت الكثير من الشعوب العربية تقف ضد سياسات الو.م.أ والتي تنادي بالكف عن الإزدواجية والعمل على إيجاد سياسات تحافظ على مصالحها في المنطقة العربية وتعالج القضايا العربية معالجة شاملة وعادلة في الوقت ذاته وعلى رأسها القضية الفلسطينية. في هذا السياق فقد عبر فريد زكريا في كتابه ما بعد العالم الأمريكي " the post American world " والذي كان أول من إستخدم عبارة لماذا يكرهوننا " why do they hate Us" ، عبر عن أحداث 11 سبتمبر بأنها نتاج غضب عارم فهو ليس عمل إرهابي أعمى بغرض الإرهاب ولكنه رد فعل بل عقاب مسلط على السياسة الأمريكية، مضيفا أن موجة العداة لأمریکا تعود جزئيا إلى سياسات إدارة بوش وأسلوبها في التعاطي مع الدول العربية¹.

وبالحديث عن الإدارة الأمريكية الجديدة ودورها في محور مشاعر العداة، والتي كانت من خلال خطاب الرئيس أوباما الذي وجهه إلى العالم الإسلامي والذي كان أحد أبرز ملامح إدارته ليعلن عن التوجه الجديد الذي قررت الإدارة الأمريكية أن تسير فيه لكسب ثقة العالم العربي ولتحسين الصورة التي أصابها قدر كبير من سوء في عهد الإدارة السابقة، ولبدء مرحلة جديدة من التعاون بين الجانبين في إطار من الإحترام المتبادل ومراعاة المصالح المشتركة والإلتزام بقواعد القانون الدولي، وذلك بتوظيف عناصر القوة الناعمة في حربها على الإرهاب وبالتالي إنهاء معاداة أمريكا وتحسين صورتها تجاه العالم العربي والتي تتحدد أساسا بتفعيل وسائل الدبلوماسية العامة الأمريكية.

2 - الدعاية وتحسين الصورة:

إن سياسة الحرب على الإرهاب قد قضت على كل مقومات ومبادئ الحريات وكل الأسس التي تقوم عليها الديمقراطية فالو.م.أ قد إستعملت وسيلة الدعاية من أجل تحسين صورتها تجاه العالم

¹ Farid.Zakaria, *the post american word*, w.w Notan.2008. p120.

azadegan.info/files/Post%20American%20World.pdf (accessed 02/ 09/2015).

العربي من خلال الكذب والتعتيم والتضليل وكل أنواع الدعاية لتبرير غزوها للعراق، وهكذا إمتزجت الديمقراطية الأمريكية بالأنظمة الشمولية وإمتزاج الإعلام بالدعاية والدبلوماسية العامة والبروباغندا.

لقد حدثت بعد أحداث 11 سبتمبر تغيرات جذرية في الخريطة السياسية العالمية وفي العلاقات الأمريكية الغربية حيث نجد في كتاب *الحكوميون وزعماء من يهللون لوسائل الإعلام والدعاية والناس الذين يهتفون ضدهم* " لدفيد قودمان David Godman يقدم فيه تحليل حول كيف أنفقت الـ ٥.٠ مليارات الدولارات لممارسة الدعاية والتزييف والتبرير لغزو العراق ونشر معلومات مضللة حول أوضاع العراقيين تحت الإحتلال، هكذا مارست الإدارة الأمريكية العامة لتجميل وتحسين صورة الـ ٥.٠ في العالم بعد ما اكتشف بعد 11 سبتمبر أن صورتها سلبية جدا و أن معظم شعوب العالم لها فكرة سيئة عن ممارسات الـ ٥.٠ في العالم¹.

وفي هذا السياق فقد استأجرت الإدارة الأمريكية كتاب في دول عديدة من العالم لإبراز دور أمريكا في محاربة الإرهاب والتخلص من الدكتاتوريين أمثال صدام حسين، أما داخل الـ ٥.٠ فقد إستعملت مختلف أساليب الدعاية بحجة الحرب على الإرهاب، فمنذ وصول إدارة بوش إلى السلطة وهي تستعمل طرق ووسائل عديدة للوصول إلى الرأي العام العالمي، ومن أهمها إخفاء الحقائق والتركيز على ما يدعم سياساتها وقراراتها من خلال كسب ولاء وسائل الإعلام الأمريكية والأجنبية لترويج سياستها وإقناع الشعب العراقي والرأي العام العالمي أن الأوضاع في العراق أحسن بكثير الآن عما كانت عليه في عهد صدام حسين، إلا أن الوضع غير ذلك فوسائل الإعلام المأجورة والمالية للبيت الأبيض أصبحت تتغاضى عن الواقع اليومي الذي تعيشه العراق حيث تدنى مستوى الخدمات وإنعدام الأمن وسوء المعاملة والظلم²، وبدلا من كل هذا ركزت وسائل الإعلام على الأخبار

¹ محمد مسعود قيراط، الإرهاب دراسة في البرامج الوطنية وإستراتيجية مكافحته، مقارنة إعلامية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، الطبعة الأولى، 2011، ص 130.

² المرجع نفسه، ص 132.

الإيجابية والدعاية التي تلون صورة أمريكا محليا وعالميا وخاصة في الوطن العربي كالأموال المخصصة للتنمية و التحول نحو الديمقراطية.

وتجدر الإشارة إلى أن الوم.أ من خلال إستراتيجيته الدعائية في تحسين صورتها ومكافحة الإرهاب، قد كانت قائمة على نشر مفهومها للإرهاب الذي يقوم على جعل كل صور الإرهاب وأعمالها غير مشروعة، وذلك حتى يرى الجميع الإرهاب مساويا للعبودية والقرصنة والإبادة وغيرها من أنواع السلوك المستهجن الذي يجب على الجميع أن يعارضه ويقاومه ويمتنع عن مساعدته، وتنتج تلك الإستراتيجية في شقها الفكري على العالم العربي والإسلامي وحكوماته بإعتبار أن الظروف والأوضاع والأيدولوجيات التي تقضي إلى ظهور الإرهاب أو دعمه أو ترويجه توجد في العالم العربي، وذلك لضمان أن لا تجد تلك الأوضاع والأيدولوجيات أرضا خصبة في أي بلدان ذلك العالم الإسلامي¹.

رغم كون الدعاية من المصطلحات المحسوبة على الدهاء والتورية وأحيانا السرية، إلا أن إرسال كارين هيوز إلى العالم العربي كان عكس ذلك بهدف تجميل صورة الأمريكي عند تلك الشعوب حيث ساهمت كارين هيوز في وضع السياسة الإعلامية والدعائية لما يسمى الحرب على الإرهاب والتي تم على أساسها تعيينها لتحسين صورة أمريكا لدى العالم العربي والتكفل بشؤون الدبلوماسية العامة، حيث أكدت أن الدعاية لصورة أمريكا والتحاور مع العالم والإستماع إلى الآخرين هو شرط ضروري لنجاح الدبلوماسية العامة في حربها على الإرهاب.

وفي هذا السياق وبعد أحداث 11 سبتمبر ظهرت صناعة جديدة في واشنطن في إطار الدعاية الأمريكية أطلق عليها " إصدار التقارير حول الدبلوماسية العامة وتحدياتها" ،حيث أشارت كارين هيوز إلى نحو 30 دراسة أجمعت على القول أن أمريكا أخفقت في مجال الدبلوماسية العامة خلال ولاية بوش الأولى ومعظمها أشار إلى العلاقة العضوية بين الدبلوماسية العامة والسياسة الخارجية، بما فيها

¹ علوي مصطفى، مكافحة الإرهاب ومستقبل الحوار بين الحضارات، رؤية عربية، النهضة، العدد15، أبريل، ص60.

التقرير الذي وضعته اللجنة المستقلة التي شكلها الدبلوماسي السفير إدوارد والتي أشارت إلى الصورة الأمريكية السلبية بأنها مرتبطة بسياسة واشنطن في المنطقة العربية وإلى أن يشعر سكان هذه المنطقة بأن السياسة الأمريكية في المنطقة أصبحت عادلة فإن الصورة السلبية لن تختفي¹.

من ناحية أخرى فإنه من المهم توضيح أنه وفي إطار سياسة الحرب على الإرهاب من خلال الدعاية ، فإن كارين هيوز البارزة في فن الدعايات وبعد تقلدها لمنصب وكيلة الوزراء لشؤون الدبلوماسية العامة قد عمدت إلى إتباع إستراتيجية قالت أنها تتألف من ثلاثة بنود، " رؤية إيجابية من الأمل " في نشر الديمقراطية في العالم وعزل المتطرفين دينيا وتعزيز القيم العامة المشتركة بين الثقافات ومكافحة خطر الإرهاب حيث تعهدت الإستجابة بشكل أكثر قوة للمعطيات الخاطئة أو المضلة عن الو.م.أ ،وأضافت بتشكيل وحدة رد سريعة في وزارة الخارجية لمراقبة الإعلام ومساعدتنا للرد بشكل أقوى على الإشاعات والمعلومات غير الدقيقة وبالتالي تحسين صورة الو.م.أ². وبالحدث عن دور الدعاية الأمريكية في تحسين الصورة فقد لجأت إدارة بوش إلى إنشاء مايسمى بإدارة العمليات الإعلامية لإنتاج مقالات صحفية تكتب باسم كتاب عرب لتضليل الرأي العام، هذه الإدارة كانت تنشط تحت مضلة البنتاغون خصصت لها مئات الملايين من الدولارات من أجل نشر الدعاية السياسية والخطاب الإعلامي الإيجابي والمحابي لأمريكا من أجل إخفاء السلبيات والتركيز على الإيجابيات.

ففي حربها على العراق اعتمدت إدارة بوش على المعارضة العراقية التي كانت تزودها بأخبار مغلوبة وزائفة وإعطاءها اموال طائلة لتقديم أكاذيب للامريكين ،ومن أهمها وجود أسلحة الدمار الشامل في العراق ولقاء الرئيس صدام حسين بأسامة بلادن ووجود علاقات وطيدة بين العراق والقاعدة ،هذه الأخبار تداولتها وسائل الإعلام الأمريكية بدون مسائلة ولا تحقيق ولا تمحيص في

¹ عبد الحلیم حمود، كواليس الدعاية الأمريكية، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2008، ص122.

² المرجع نفسه، ص125.

مصادقتها ، ففي حربها على الإرهاب جندت إدارة بوش إمكانات كبيرة لتحميل صورتها في العالم كما جندت عددا كبيرا من الصحفيين واستخدمت السلطة الرابعة جهازا دعائيا للحكومة¹.

لقد قامت من جهتها وكالة المخابرات المركزية بتجنيد عدد من الصحفيين في عملية التضليل والتبرير والتلاعب الإعلامي من أجل كسب الرأي العام والتقرب من الصحفيين وفي المقابل قامت بإجراءات للتخلص وإبعاد الصحفيين الحادين المعروفين بالتزامهم بقضايا الجماهير، وكانت هذه الطريقة تستخدم في المؤتمرات الصحفية للرئيس بوش حتى لا يتم إحراجه بأسئلة جديدة مبنية على معطيات وحقائق من الميدان، وعملت المؤسسات الإعلامية الكبيرة على تبرير فشلها في حربها على العراق وتقديمه للرأي العام سواء في أمريكا أو في العالم الغربي على أنه نجاح². وفي هذا السياق فقد ذكرت صحيفة نيويورك تايمز "New york Times" في هذه المجموعة من الصحفيين مايلي: " نكفي ضغطة واحدة على الزر لتعرف تلك الأبواق ولتصبح أداة لأوركسترا الدعاية بأية لغة وفي أي بلد من بلاد العالم طالما أن مزاج "CIA" يتقبل الإستماع إليها ويدعم تلك الأبواق أوركسترا كبيرة من الصحفيين، فإدارة بوش لم تقتصر على شراء الصحفيين الأمريكيين بل تخطت ذلك إلى أنحاء العالم واشترت الأصوات والعملاء في الصحفيين والمؤسسات الإعلامية لإسماع صوتها وإسكات أي صوت من شأنه أن ينتقد الو.م.أ ويشوه صورتها تجاه العالم العربي³.

وتجدر الإشارة إلى أنه وبعد إتباع نهج الدبلوماسية العامة في الحرب على الإرهاب من خلال الدعاية في محاولة التقرب من الشعوب الغربية فقد سقطت الدبلوماسية العامة الأمريكية في الإمتحان الصعب في ظل التدهور المستمر في شعبية وصورة الو.م.أ، ووفقا لكارين هيوز مستشارة الدبلوماسية العامة السابقة في البيت الأبيض فإنها خرجت في مطلع عام 2008 من منصبها بقناعة أن الدعاية الموجهة للشعوب العربية لنا يصنع تغييرا في الصورة النمطية عن الو.م.أ. وقد أضافت أن الصراع

¹ محمد مسعود، قيراط، مرجع سابق، ص133.

² المرجع نفسه، ص 135.

³ عبد الحليم حمود، المرجع السابق، ص177.

الحالي ضد الإرهاب الإسلامي من خلال وسائل الدعاية الأمريكية وعلى حد تعبيرها فقد وضحت أنه ليس صدام للحضارات بل نزاعا ترتبط نتيجته إرتباط وثيق بحرب أهلية بين المعتدلين و المتطرفين ضمن الحضارة الإسلامية ،ذلك أن الو.م.أ لن تتجح الا إذا فان المسلمون المعتدلون ،وأن القدرة على إجتذاب المعتدلين لها أهمية حساسة في إحراز انصر ،ذلك أن الو.م.أ بحاجة إلى إعتقاد سياسات تعجب المعتدلين التي قد توظف فيها دعايتها من خلال استخدام الدبلوماسية العامة بطريقة أكثر فعالية لتوضيح مصالحها المشاركة، فهي بحاجة إلى إستخدام قوتها الناعمة بنجاح وسيتعين عليها أن تتعلم كيف تجمع بين قوتها الناعمة والصلبة بطريقة أفضل تسمح لها بمواجهة التحركات الحالية في سياستها تجاه العالم العربي ،ويتحدد ذلك من خلال شراء مساحة أو صحفي أو صحيفة أو إذاعة من أجل تحسين صورتها في عين العالم العربي والذي يحتاج بدوره إلى تفادي الأخطاء العيئية داخل هذه المنطقة والكف عن تبسيط الأمور وألوهها الإنشغال بالشعبية وتحسين الصورة العامة للأمريكيين هناك. فالإدارة الأمريكية من خلال حربها على الإرهاب قد أدركت أن الدعاية توجه غالبا لأصحاب النفوذ والتأثير، وعلى هذا الأساس فقد قسمت رسالتها الدعائية لتحسين صورتها إلى رسالتين:

فأما الأولى فهي تخاطب الطبقات المثقفة في العالم العربي، كما كان ذلك من خلال قناة الحرة الفضائية سابقا ،والتي رصد لها الكونغرس 62 مليون دولار والتي كانت تعتمد على العقول العربية المهاجرة في أمريكا وتشدد مرتكزاتها إلى قضايا حقوق الإنسان ونشر الديمقراطية، ومكافحة الإرهاب، و أما الثانية فقد ركزت على الشباب العربي من الفئة العمرية 18-25 سنة و كان ذلك عبر إذاعة سوا التي خصص لها الكونغرس 35 مليون دولار والتي كانت تعتمد على ترويج القيم الأمريكية كونها القوة التي تسعى إلى حماية العالم من التحديات الحالية، والتي ترجمتها من خلال قوتها الناعمة تجاه العالم العربي.

المطلب الثاني : مركز راند كفاعل سياسي و دبلوماسي و تأثيره على السياسات المتعلقة بالإسلام السياسي

تميز البحوث الأخيرة التي تتناول هذه المسألة بين دور الجماعة السياسية (أي مجموع المؤسسات و القوى السياسية في الحقل السياسي) المكفلة بالسياسة الخارجية الأمريكية من جهة و دور الحكومة الرسمي. في حين أن الأولى تتناول الأفكار و الفواعل الخاصة بالإسلام السياسي بصفته سمة من سمات القوة المرنة الأمريكية فإن تعامل الحكومة مع الإسلام السياسي يتميز بذلك التفويض الموكل حصريا الى المؤسسات التابعة لوزارة الدفاع¹. المثير في زاوية القراءة هذه أن مركز راند يتواجد في مكان ما بين هؤلاء و هؤلاء ، فهو عنصر حيوي داخل الجماعة السياسية من حيث صفته كمنتج للخطاب و هو تابع سياسيا بحكم منابع تمويل البحث الى البنتاغون. يعطي هذا الأمر ميزة أساسية للمركز تسمح له بالتوقيع الجيد داخل بنية النقاش السياسي و باحتلال ما يسميه توماس ميدفيدز (واحد من أهم سوسيولوجيي مراكز الفكر الأمريكية) بالموقع الهجين Hybrid position للنقاش و التي تخوله المقدره على التأثير في كافة قطاعات الرأي و العمل السياسي. على هذا الأساس يُنظرُ الى مركز راند في دراستنا على أنه فاعل فكري و سياسي في آن واحد ؛ فكري بصفته منتج للخطاب الذي يقوم بشر عنة السياسات القائمة عن طريق ممارسة ما يسمى بالدبلوماسية الفكرية Intellectual Diplomacy ، و سياسي بصفته المشكل للإطار المرجعي لسياسة البنتاغون. فإذا كانت السياسة الرسمية للوم أ بخصوص الإسلام السياسي - و لا تزال إلى الآن - من اختصاص البنتاغون فإن خيارات هذا الأخير تظل حبيسة الأفكار التي يهيكلها خبراء راند . نحن نركز كثيرا على مدلول عبارة " خبراء " ليس فقط لكي نشير الى وجود اختلاف صريح بين عمل الخبير Expert و المنظر Théoricien ، و لكن أيضا لننتبه أن المنتج الفكري للخبراء يختلف في اسلوبيته و في مضامينه - و إذن في استراتيجياته و رهاناته السلطوية - عن الخطاب الأكاديمي حول نفس المسألة. إذا كان الأخير يحاول تقديم تفسيرات للواقع فإن الأول يقدم تحليلا لمشكلات

¹ -Bosco, Robert M. *Securing the sacred: Religion, National Security and the Western State*. Michigan: University of Michigan Press, p 114.

السياسة لكي تكون قاعدة للعمل السياسي¹. بالتالي، فإن المقترحات التي يقدمها المركز تكون خاضعة اساسا لرهانات ايدولوجية و سياسية أكثر من خضوعها لمعايير الموضوعية و الحياد كما يروج له عادة الاعتبار العام القائل بأن مراكز الفكر هي منظمات مستقلة تقدم تحليلات حيادية. سوف نستكشف فيما يلي كيف تتمت صياغة المفاهيم الموجهة للسياسة الأمريكية الخاصة بالإسلام السياسي على مستوى مركز راند و طبيعة الأدوار التي يقوم بها كفاعل للدبلوماسية العامة.

1. دور راند في بناء استراتيجيات مواجهة الاسلام السياسي

منذ 2001 أنتجت خبرة راند الخاصة بالإسلام السياسي نموذجين عن فهم الاسلام ، نموذج الاحتواء و نموذج التعامل الايجابي مع الاسلام السياسي و الذي من تجسيدا ته العملية قبول إدارة أوباما للتعامل مع الإخوان المسلمين بعد انهيار نظام مبارك سنة 2011. لفهم مضامين و رهانات هذين النموذجين علينا أن نفهم أولا كيف تتم صياغة هذه النماذج على مستوى مركز الفكر. هذه الخطوة تعتبر ضرورية من أجل استكشاف درجة خضوع السياسة المنتهجة من طرف الحكومة للاعتبارات الفكرية و المؤسسية التي تحكمها (أ) . بعد التركيز على مضمون نموذج الاحتواء (ب) سنتعرف على ظروف بناء النموذج البديل الذي يقبل التعامل مع الاسلام السياسي المعتدل (ج).

أ. منطلق مركز الفكر في انتاج الخبرة عن الاسلام السياسي

الخطاب الذي ينتجه مركز راند عن الاسلام السياسي يتبع بشكل كبير ظاهرة path dependency. التحليل الذي يقوم به خبير مركز الفكر يخضع بصورة عموما لمنطق برهاني ثابت و محدد مسبقا. مهما كانت طبيعة الوثيقة التي يعدها المركز (مداخلة أمام الكونغرس ، تقرير ، مؤتمر ، كتب ... الخ) فان هذه الأخيرة تنتظم حول أربع حجج رئيسية :

- " تبيان وجود وضع أزموي (مثلا وجود شعور معادي لأمريكا في العالم الاسلامي)

¹ Marzouki, Nadia. «De l'endiguement à l'engagement : le discours des think tanks américains sur l'Islam depuis 2001.» *Archives des sciences sociales des religions*, Juillet - septembre 2011.p 23

- تعريف أسباب هذا الوضع الأزموبي (المسلمون لا يعون حقيقة أمريكا الحضارية)
- توضيح السياسات القائمة التي وضعت للتعامل مع هذه الأزمة مع التركيز على عدم توافقها مع طبيعة الأزمة (مثلا : لا تكفي فقط سياسة مكافحة التيارات المتطرفة)
- إعداد السياسة البديلة و اقتراح التوصيات (مثلا : من المناسب جدا التمكين لحوار معمق مع التيارات المعتدلة) " 1

من أجل أن تكون الحجة المقدمة ذات مصداقية فان الخبراء يعمدون إلى بناء أصناف عملياتية مثل الاسلاموية ، الاسلام السياسي ، اسلام الشباب ، اسلام النساء ...الخ. بعبارة أخرى فان مهمة الخبير هي تحويل الإسلام من مجرد فكرة نظرية إلى أصناف و فئات وظيفية تتضمن مجموعة من الأعمال و الظواهر المختلفة التي يمكن ربط بعضها ببعض. مركز راند يفرق في هذا الإطار بين ما يسمى " بالاسلام الجيد " Good Islam و ما يسمى " بالاسلام السيء " Bad Islam . (الجيد هو ما يتفق مع المصالح الاستراتيجية لأمريكا بينما السيء هو ما يتعارض و أياها). في التقرير المسمى " العالم الاسلامي يعد 11 سبتمبر " و الذي أعده راند بعد 11 سبتمبر عن العالم الاسلامي نجد أن هذا الأخير قسم إلى ست فئات تحليلية عملية تتوافق معها مجموعة من الاقتراحات : "الأصوليون الراديكاليون ، الأصوليون النصيون ، المحافظون ، الحداثيون ، العلمانيون الليبراليون و العلمانيون التسلطيون" 2 .

تستتبع هذه الآلية في العمل باليات أخرى تقوم على اقتراح توصيات للعمل السياسي. لكن ميزة هذه التوصيات أنها يجب أن تطرح في صيغة يسمح لها أن تبدو على أنها "أصلية" و لكن من دون أن تظهر على أنها جديدة جذريا، بمعنى أنها لا يجب أن تحدث قطيعة مباشرة مع السياسات الماضية أو القائمة. يتم العمل بهذا الأسلوب نظرا لأن أي مركز الفكر عليه أن يجتنب مخاطر الامتصاص absorption و الافراط maximalisme (بالمفهوم الذي يشير اليه السوسيولوجي المختص في الحركات الاجتماعية غودمان) حتى يستمر في الوجود و أن لا يقع في مخاطر

¹ Ibid .p 25

² Ibid . p 24

التهميش و عدم المصادقية . هذه الآليات تمارس في الحقيقة ضغطا مؤسساتيا على الخبراء بحيث أن هوامش الحرية تنقلص لتفسح المجال واسعا أمام فكرة اعادة انتاج ما هو موجود مسبقا. تبعا لهذا المنطق فان راند لا يقترح توصيات من قبيل "يجب التمازج مع كل الأحزاب الاسلامية " و من قبيل " يجب إنهاء جميع أشكال التدريس الديني " هي مقترحات مرفوضة مؤسساتيا لدى الخبراء¹. إذا كان المقترح يرافع لصالح سياسة بديلة فان الخبير قلما ينادي بالنزج الجذري للطابع السائد للسياسة القائمة او لالغائها. أغلب المقترحات تتبع المنطق التالي "يجب القيام بـ "أ" بدلا من "ب" و لكن يجب الاستمرار في "ب" لفترة أخرى. في التقرير السابق الذكر " العالم الاسلامي بعد 11 سبتمبر " فان خبراء راند يروجون لإستراتيجية قطيعة مع المقاربات الواقعية المهيمنة الى غاية 11 سبتمبر و القائمة على دعم استقرار منطقة الشرق الأوسط. من الآن فصاعدا ، تتادي أغلب المقترحات بضرورة سلوك سياسة تغيير الأنظمة عن طريق دعم منظمات المجتمع المدني خصوصا المعتدلة. يقترح التقرير على وجه الخصوص تشكيل "شبكة للإسلاميين المعتدلين" و "الشروع في اصلاح أنظمة التعليم" و "العمل مع فئات الشتات الاسلاميين الموجودة في الغرب" و "بتشكيل قوى عسكرية مناسبة".

ب. احتواء الاسلام الراديكالي

فكرة الاحتواء تجد أصلها في استراتيجيات كينان في مواجهة الاتحاد السوفييتي. تمت اعادة انتاج نفس الصورة مع الاسلام الراديكالي من طرف مركز راند بعد 11 سبتمبر. تدعمت هذه الفكرة بشكل أكثر بفعل هجمات الحادي عشر من سبتمبر و بفعل ذلك الاجماع الذي شهدته المشهد السياسي الأمريكي حول فكرة عدم مواصلة دعم الأنظمة التسلطية بحجة الاستقرار في الشرق الأوسط. حسب خبراء راند فان هذه السياسة تعتبر مسؤولة جزئيا عن تنامي مشاعر العدا و الكره ضد أمريكا و التي انتهت بمنزل هذه الهجمات. في التقرير السابق الذكر يحاول مركز راند أن يقدم مجموعة من الحلول التوافقية بن مقاربة تغيير النظام و المقاربة الواقعية الراعية لمصالح القوة العظمى. بالاعتماد على مقارنة مستمدة من فكرة جورج كينان عن الاحتواء (1947) و تربط بين الظروف الحالية و

¹ Mousavi, Mohammad Ali, and Hakimeh Saghaye-Biria. "American Policy Institutions and Islam:." *Iranian Review of Foreign Affairs*,, Spring 2015. P139.

ظروف الحرب الباردة وجد خبراء راند الحل الوسطي لهذه المعضلة الأمنية في ما يسمى بالسلام المعتدل. يتم تقديم الاسلاميين المعتدلين و الاسلاميين الليبراليين على أنهم أصدقاء و حلفاء للوم أ و كأعداء للإسلاميين الراديكاليين. ليس الهدف تحديد الاسلامي الجيد أو الاسلامي السيء بل الهدف هو تحديد حليف اللوم أ من عدوها. يسمح هذا الأمر في النهاية من وضع تصور للاستراتيجية المناسبة للتعامل مع الأزمة. الحل عندهم يتم استخلاصه من الماضي دوما. على الادارة الأمريكية أن تفعل مثلما فعلت بالأمس مع الاتحاد السوفييتي من خلال دعم الجماعات و الأفراد المعارضة للشيوعية في دول اوروبا الشرقية. الاسلام الراديكالي يتم التعامل معه على أنه ايدولوجية مشابهة للشيوعية من حيث عدائها لنموذج و قيم الحياة الغربية. بينما يلعب الاسلام المعتدل ليس دور القوة الليبرالية بل دور اليسار غير الشيوعي في مواجهة الاسلام الراديكالي¹

بعد أن تم تحديد الاسلام المعتدل كنموذج عملياتي لإستراتيجية احتواء الحركات المتطرفة يقوم الخبراء بتعريف المؤسسات و الجماعات التي تمثل هذه الفئة. خبراء راند يعتبرون " المعتدل " كل شخص أو مجموعة تتفق؛

- مع فكرة قبول القراءة غير النصية للنص القرآني. بعبارة أخرى، كل من له تصور "اصلاحي" للاسلام ،
- و مع فكرة التوافق مع المصالح المادية الأمريكية.

على هذا الأساس فان مؤسسة تعريف "الاسلام المعتدل " تتسم بنوع من المزج الغامض بين الرؤية النيولوجية المحضة (كيفية فهم النص المقدس) و الرؤية الاستراتيجية الواقعية. ينتج عن هذا، أن استراتيجية الاحتواء تقوم على "دعم أفراج و منظمات المجتمع المدني التي لا تتفق مع التيارات الراديكالية و لا مع الأنظمة السياسية المتعارضة مع مصالح اللوم أ². رغم وجود هذا الترابط الغامض بين مجموعة من المقاربات (الثيواوجية ، الليبرالية ، الواقعية ، المثالية) إلا أن لمثل هذا الخطاب أبعاد

¹ Merzouki , op.cit ,p 26

² Ibid, p 24

عملية في الواقع. يبدو أن توقيت هذا التقرير الذي ندرسه (2004) يأتي في سياق استراتيجي معين بموجبه يتأكد فشل سياسة "تغيير النظام" التي انتهجتها ادارة بوش خصوصا في العراق و افغانستان. إن الوظيفة الحينية لمثل هذا الخطاب تكمن في تقديم حجج جديدة لخطاب ما يسمى "بالإسلام المعتدل" من أجل عقلنة لسياسة احداث القطيعة مع استراتيجيات "تغيير النظام" و من أجل شرعنة العودة إلى سياسة الحفاظ على الوضع القائم statu-quo و لكن من دون الاعتراف بهذا النوع من العودة الى Real politik.

ج. نموذج التعامل مع العالم الاسلامي

ابتداء من 2008 و محيئ الرئيس أوباما الى سدة الحكم تعرض براديغم الاحتواء لنوع من الاهتزاز و ترك المكان تدريجيا لصالح ما دعي " بالتعامل مع العالم الإسلامي ". هذا البراديغم لم يظهر فجأة بل يستمد جذوره من الأفكار التي تطرحها مراكز الفكر. بعبارة أخرى ، هذا البراديغم هو ابتكار خاص بمراكز الفكر و على رأسها Brookings و RAND الذين تأكدوا من حدود سياسة الاحتواء بعد عهدتين كارثيتين لجورج بوش على مستوى صورة الوم أ لدى المسلمين.

تمثل الو وثيقة المعنونة بـ "Building Moderate Muslim Networks" التي أصدرها معهد راند سنة 2004 و التي كتبها الباحث لدى المركز Rabasa مصدرا لنا لفهم مقاربة راند القائمة على قبول التعامل مع الحركات الاسلامية. يستند هذا البراديغم المنادي بالتعامل مع العالم الاسلامي على فهم خاص جدا للعالم الاسلامي باعتباره "ثقافة سياسية مختلفة تتميز بالتأثر الكبير بالدين و باعتبار أن السلوك السياسي للمسلمين يمكن أن يفسر بأنه انعكاس للقيم الدينية فان الاستراتيجية الأمريكية يجب أن تهدف الى اعادة اعتبار للقيم المريضة في الاسلام الحقيقي". بعبارة أخرى و باعتبار أن بعض القيم الدينية و الثقافية يمكنها أن تغير من سلوك المسلمين فانه من المناسب أن يتم العمل على هذه القيم من أجل تغيير المواقف السياسية و الاجتماعية للمسلمين نحو شكل أفضل.

نفس هذا الاتجاه نجده يتكرر لدى مسؤولي الحكومة الأمريكية منذ مجيء الرئيس اوباما في 2008. إن هذا الأمر لم يحصل بمحض الصدفة بل جاء نتيجة لغلبة الاتجاه المنادي بسياسات بديلة

للطابع العسكري للمبادرات التي عرفتتها فترة بوش. في هذا السياق يمثل خطاب اوباما بجامعة القاهرة في 2009 تتويجا لهذا الاتجاه الذي روجت له حصريا مراكز الفكر و ليس تحولا جذريا في المقاربة الأمريكية. في هذا الخطاب عبر اوباما عن رغبته في احداث قطيعة مع استراتيجيات الاحتواء. يقوم هذا البراديغم على اقتراح مجموعة من الاستراتيجيات تتمحور في الأساس حول اعتبار النزعة الأحادية و الامبريالية للوم أ غير مفيدة (نقول غير مفيدة و ليس المعنى عدم شرعيتها) و عليها - لكي تحسن علاقاتها مع العالم الاسلامي - أن تنظر الى الاسلام كفضاء ثقافي و جيوسياسي كمورد و ليس كمشكلة. تولي الاستراتيجية أيضا اهتماما بالغا لدور الوسطاء و المتمثلون في الجماعات و الشبكات المحلية في انجاح السياسات القائمة و الهادفة الى تحسين العلاقات البيئية¹..

في الحقيقة ، يمثل هذا البراديغم ترجمة أخرى للنموذج الواقعي القائم على الاحتواء أكثر من كونه بديلا له. نجد في افكار اقتصاد الخبرة تفسيرا لهذا الأمر. من غير المعقول في عالم مراكز الفكر احداث قطيعة راديكالية مع السياسات القائمة بل يتعلق الأمر غالبا بإضافة تعديلات او بإضافة توصيات لم يتم الإفصاح عنها في الماضي². إن هذا البراداييم يقدم طريقا آخر لمواجهة التهديد الاسلامي يقوم على اعتماد الوسائل الثقافية و الاجتماعية بدلا لوسيلة الحرب العسكرية ان مركز راند يقدم معالجة أمنية للإسلام السياسي ، فرغم اعترافه بخصوصية الثقافة الاسلامية إلا أن نظريته مهيكلة حسب مفردات أمنية. الكثير من المفردات وردت في كلمات التقرير السالف الذكر و في كتاب راباسا الذي أصبح المرجعية الرئيسية لخبراء راند و مسؤولي البنتاغون ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : "حرب الأفكار" ، "تمويل الجماعات المعتدلة عن طريق وكالة الاستخبارات المركزية حتى تظل الادارة الأمريكية بعيدة عن المواجهة المباشرة مع المجموعات الاسلامية"³ . يفسر هذا الأمر بأن نظرة راند على العموم للإسلام تتميز بطابعها الايديولوجي المحض. إنها تنظر إليه على أنه ايديولوجية و ترفض مصدره الإلهي. لذلك فهي ترفض التعامل مع عناصره "الراديكالية" أو "

¹ Mousavi & Saghaye-Biria ,op.cit ,p 151

² Merzouki ,op.cit.p25

³ Mousavi & Saghaye-Biria,op. cit. p. 154

الأصولية" بينما تحظى العناصر المعتدلة منه بالاهتمام نظرا لكونها قابلة "للتحديث Modernisation". المقارنة المستمرة بينه و بين "الشيوعية " تؤكد هذا المنطق .

2. التجسيد العملي و السياسي لأفكار مركز راند حول الاسلام السياسي

يتم انتاج الخبرة السياسية عن مسألة الاسلام السياسي و غيرها لكي يتم استرجاعها من طرف الحقل السياسي و حتى تشكل قاعدة للعمل السياسي. سوف نرى من خلال قراءة في التجربة المصرية مع الاخوان المسلمين كيف استطاعت خبرة مركز راند من التأثير في الموقف الرسمي الأمريكي (أ) و من أداء أدوار دبلوماسية غير تقليدية (ب).

أ. تأثير مخرجات مركز راند على السياسة الأمريكية : حالة الإخوان المسلمين في مصر

حظي نموذج "التعامل مع الاسلام السياسي" و هو ابتكار حصري لعالم مراكز الفكر باهتمام واسع من طرف الحكومة الرسمية. يتجسد هذا من خلال تبني إدارة أوباما لنفس الاستراتيجية التي يروج لها راند مع قضية الاخوان المسلمين في مصر بعد ما الحوادث المسماة بـ "ثورة يناير" و التي أفضت إلى سقوط نظام مبارك و اعتلاء حركة الاخوان المسلمين للحكم لأول مرة في تاريخها. لا يكشف هذا الأمر فقط عن الارتباط الوثيق الموجود بين راند على الخصوص و مراكز الفكر على العموم مع الحكومة الأمريكية بل يعبر أيضا عن القوة السياسية التي تتمتع بها مثل هذه الهيئات من حيث قدرتها على تحويل الأفكار إلى عمل سياسي.

غداة الأحداث التي اندلعت للمطالبة برحيل مبارك مع مطلع 2011 و مع بروز الاخوان المسلمين كقوة بديلة صرحت هيلاري كلينتون - كاتبة الدولة للخارجية - بما يلي : " نعتقد و بمقتضى التحولات الحاصلة حاليا في مصر أنه من مصلحة الوم أن تتعامل مع جميع الأحزاب التي لا تلجأ إلى العنف و التي تتنافس على المقاعد البرلمانية أو الرئاسة ... و نرحب بالحوار مع

قادة الاخوان المسلمين الذين عبروا هم أيضا عن رغبتهم في التحدث إلينا¹. تم قبول هذا المنحى الايجابي في التعامل مع الاخوان المسلمين رغم المعارضة الشديدة التي أبدتها لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس و التي عبرت عن موقفها أن الاخوان المسلمين كانوا و لا يزالون ملتزمون بالعنف و أنه لا يصح التعامل معهم. لكن على الصعيد الرسمي لم يتم بتاتا تصنيف الاخوان المسلمين كتنظيم إرهابي من طرف الحكومة الأمريكية. استطاع أنصار التيار القائل بضرورة إدراج الاخوان المسلمين في عملية التحول الديمقراطي أن يتفوق على معارضيهم و بادرت الادارة الأمريكية في هذا المسعى بعد فوز الاسلاميين بالانتخابات التشريعية ثم الرئاسية في سنة 2012. اعترف جون كيري بنتائج الانتخابات كما صرح الدبلوماسيون الأمريكيون العاملون بالقاهرة على استعدادهم للعمل مع "الفائزين". بعد الانقلاب على حكم الاخوان من طرف القادة العسكريين ظلت تصريحات الرسميين الأمريكيين في صالح المقاربة غير الاقصائية. ماري هارف - الناطقة الرسمية باسم كتابة الدولة للشؤون الخارجية صرحت بما يلي : " الو م أ لم تصنف في الماضي و لا الآن تنظيم الاخوان كمنظمة ارهابية. صرحنا دوما أننا نعمل في مصر على تطوير مقاربتنا الادماجية لجميع القوى السياسية بدون استثناء. طالبنا من المسؤولين الحاليين في مصر بضرورة الحفاظ على هذه المقاربة الادماجية في هذه الفترة من مسار التحول نحو الديمقراطية"². بعد مجيء العسكر لم تتخل الو م أ عن مقاربتها التي تقبل مشاركة للإخوان المسلمين في العمل السياسي - على الأقل على المستوى الخطاباتي - رغم أنها اعترفت بالأخطاء التي ارتكبتها الاخوان لما زالوا الحكم. لكن ، و من جهة أخرى ، لم ترفض الادارة الأمريكية عودة العسكر الى الحكم بالطريقة التي تم بها عزل مرسي. كل هذا يؤكد غموض بل تناقض السياسة الأمريكية مع الحالة المصرية و هذا من مميزات ما يتعلق الأمر بحالات عدم اليقين

¹ Sheridan, Mary Beth. "U.S. to expand relations with Muslim Brotherhood." *washingtonpost*. June 30, 2011. https://www.washingtonpost.com/world/national-security/us-to-expand-relations-with-muslim-brotherhood/2011/06/30/AGVgppsH_story.html?utm_term=.7e1f5070e861 (accessed 03 2016, 23)

² Gerges, Fawaz. "The Obama approach to the Middle East: the end of America's moment?" *International Affairs* , march 11, 2013,p3

Incertitude. لكن رغم هذا ، يعكس الموقف الرسمي الأمريكي تجسيدا فعليا للأفكار التي يتضمنها تارة نموذج الاحتواء و تارة أخرى النموذج الادماجي للإسلام السياسي.

ب. الدور الدبلوماسي لمركز راند RAND في شرعنة السياسات الأمريكية حول الاسلام السياسي

إن أنصار الاتجاه القائل بقبول التعامل مع القوى الاسلامية يولون اهتماما بالغاً للدبلوماسية العامة و يشتركون في الرأي القائل بضرورة كسب قلوب و مشاعر المسلمين. تقوم فرضية هذا الاتجاه على فكرة أن الدبلوماسية العامة أداة فعالة لتحسين العلاقات بين الوم أ و العالم الاسلامي¹ . سيؤدي هذا التحسن في العلاقات البينية إلى تغيير في مواقف المسلمين السياسية تجاه الوم أ. من جهة أخرى ، نجد أن أغلب الخبراء المنادين بهذا البراداييم يشيرون الى منظر القوة المرنة ، جوزيف ناي . في الوثيقة السابقة و الخاصة ببناء شبكات الاسلام السياسي المعتدل يشير راباسا مباشرة إلى " ناي" بالقول :

" الشيء الأكثر أهمية هو أن الدبلوماسية العامة تعتبر وسيلة ضرورية من شأنها أن تسمح للوم أ بتطبيق ما يسميه جوزيف ناي (...) و الذي وصفه بأنه واحد من أهم امتيازات الوم أ و بأنه حجرة المحورية في بناء القوة التأثيرية للوم أ عبر العالم التي تتم من خلال "القوة المرنة" (...) القوة المرنة تعني قدرتنا على الحصول على ما نريد عن طريق الاقناع و الجذب (...) إنه الطريق الأكثر نجاعة لممارسة السلطة الحقيقية لأنه لا يحتاج لا للقوة العسكرية و لا لتكاليف مالية باهظة"²

فضلا عن اشارته إلى القوة المرنة فان مركز راند في حد ذاته يعتبر فاعلا للدبلوماسية الفكرية. رغم أن هذا المصطلح يقصد به أساسا مساهمة الخبراء و المنظرين في بناء تصورات عن

¹ Merzouki ,op.cit, p 33.

² ibid , p 35.

السياسة الخارجية الا أنه يشير في الأدبيات الحديثة الى قدرة مراكز الفكر على **تقمص دور القائم بالتأثير على الجماهير و على النخب السياسية في العالم الاسلامي** . يتم هذا خصوصا عن طريق الترويج للأفكار بجميع وسائل الدعاية و التسويق و ذلك بهدف تقليص حجم الفجوة و الاختلاف الموجود بين امريكا و العالم الاسلامي. تقوم استراتيجية راند في هذا الاطار على تكتيك فعال قائم على الانتشار و التوسع Expansion و هذا بهدف الاقتراب أكثر من الجماهير و النخب. توسعت مراكز البحث التابعة لرانند بشكل واضح منذ نهاية التسعينيات عبر جميع أنحاء العالم و كان للمنطقة العربية حيزا هاما منها (مصر و الخليج العربي على الخصوص). كما تقوم شبكة التوسع أيضا على التنوع في مشاريع و فضاءات البحث (الاقتصاد ، السياسة ، المجتمع ، التحولات السياسية ...). أصبح المركز بالتالي ممثلا دبلوماسيا مباشرا على المستوى المحلي حيث يمارس المتوج الفكري المسوق في قالب معرفي وظيفية رمزية في الأساس ، فهو يهدف إلى تعبئة الرأي العام في العالم الاسلامي ككل لصالح السياسات التي تقوم بها الحكومة الأمريكية و التي يساهم كثيرا في تأسيسها.

مع هذه الأنشطة فإن خطاب مركز راند عن الاسلام السياسي يمارس مجموعة من الوظائف. تشير كريستينا بوزوال C. Boswell إلى الوظيفة الرمزية ، و يقصد بها في عالم مراكز الفكر استخدام المنتج المعرفي في شرعنة السياسات التي تقوم بها الحكومة و في تقوية مواقفها الطابع المعرفي للخبرة هو الذي يعطي قدرا هاما من المصداقية للظروحات التي يجري الترويج لها¹ ، و من هنا قوة مراكز الفكر في تأطير الظروف الفكرية الخاصة بكل نقاش سياسي. برزت لنا داخل هذه الوظيفة مجموعة من الأدوار و هي :

- تزويد حقل النقاش السياسي بالخيارات السياسية الممكنة بهدف التأثير في صناع القرار (مؤسسة التوصيات)،

¹ Boswell, Chritina. *The political use of expert knowledge*. Cambridge CB2 8RU, UK: Cambridge University Press, 2009; p 89.

- تمتلك خبرة مركز راند قدرا هاما من المصداقية و التي بإمكانها أن تحول الخيارات التي لا تحظى بشعبية إلى خيارات مفضلة (الانتقال من نموذج الاحتواء الى مقاربة التعامل مع الحركات الاسلامية)،
- تستعمل الحجج المطروحة كاستراتيجيات للتعبئة السياسية بهدف كسب الدعم للسياسات المنتهجة (التدخل عبر وسائل الاعلام و نشر الأبحاث و الدعاية لصالح مقاربات معينة).

انطلاقا من هذه الأدوار و من الاعتبارات المشار إليها سابقا (ارتباط السياسة الخارجية للإسلام السياسي بالبنتاغون، الارتباط الوثيق بين مركز راند و البنتاغون و ارتباط نشاط المركز بمنطق الخبراء لا بمنطق الأكاديميين) فان منطق الأمننة Securisation هو السمة الرئيسية لخطاب مركز راند عن الإسلام السياسي. يكمن منبع هذه الخلفية الأمنية كما يؤكد Samaan هو انتقال مركز ثقل الدراسات البحثية في السياسة الخارجية الأمريكية من ما يسمى بالدراسات السوفييتية إلى دراسات الإسلام السياسي¹ و التي ظلت حبيسة منطق الحرب الباردة (أي فكرة ضرورة وجود العدو). بعبارة أخرى ، فان مركز راند ينظر إلى الإسلام السياسي بنفس النظرة الايديولوجية التي تتميز بها مؤسسات الدفاع الوطني ، أي **معنصر من عناصر استراتيجية الأمن الأمريكية**. من جهته يؤكد توماس ميدفيدز أن أغلب الأدوات غير الدولتية للسياسة الخارجية الأمريكية و منها مركز راند على الخصوص تجد امتدادها الطبيعي في مخططات الحرب الباردة و أنها تستمر الى الآن في تطبيق الخبرات التي استفادت منها إبان هذه الفترة² ووظيفة راند بالتالي لا تعدو أن تكون سوى شرعنة بالوسائل الخطابية للسياسة الرسمية للحكومة الأمريكية و لهذا السبب تستمر الحكومة في دعم مركز راند (في سنة 2014 مثلا قدرت ميزانية العمل لمركز راند بـ 269.7 مليون دولار ؛ 72% منها تمويل مباشر من الحكومة³). من جهة أخرى ، يمارس منطق الأمننة المستمد من

¹ -Samaan, Jean-Loup. *The RAND Corporation (1989-2009): The reconfiguration of strategic studies in the United States*. New York: Palgrave Macmillan, 2012, p 24.

² Medvetz, Thomas. *Think tanks and the production of policy-knowledge in America Sociology*. Berkeley: University of California Berkely , 2007.p 94.

³ *RAND at a glance*. 2014. [http://www/rand.org/about/glance/html](http://www.rand.org/about/glance/html) (accessed June 23, 2016).

الموروث الاستراتيجي للحرب الباردة تأثيرا واضحا على طبيعة مخرجات مركز راند. لقد رأينا من خلال دراسة حالة الاسلام السياسي منذ 11 سبتمبر 2011 أن استراتيجيات التعامل مع هذه الحركات كما يقترحها راند ما هي سوى إعادة إنتاج لاستراتيجيات التعامل مع "الخطر السوفييتي" في قالب معرفي.

المطلب الثالث : دور مركز راند في تكييف السياسة الأمنية الأمريكية في مكافحة الإرهاب

كما رأينا سابقا فان سياسة مواجهة الاسلام السياسي تتبع مؤسساتنا للبنتاغون ما يؤدي إلى أمنة للخطاب الذي يفرزه مركز راند على مستوى هذه القضية. لماذا هذا المنطق الأمني في بناء المفاهيم و ما هي انعكاساته على أولويات السياسة الأمنية الأمريكية ؟ إن الفرضية التي تُطرح هنا هي أن أمنة الخطاب المعرفي لمركز راند عن الاسلام السياسي ناتج عن ثقل التأثير بالموروث الاستراتيجي للحرب الباردة و الذي يساهم في إعادة إنتاج المفاهيم عن " العدو " و هو الميكانيزم الذي بموجبه تمت "شيطنة" Diabolisation الحركات السياسية التي تجعل من " الاسلام " مرجعية فكرية و شرعية لعملها ، ما أفرز على السواء عسكرة للتوصيات militarisation des Recommandations و للسياسات المتبعة من طرف المؤسسات الرسمية. لتحليل هذه الفرضية ، سوف نبين من خلال حالة " الإرهاب " كيف أُسْتُخِدِمَتْ خبرة مركز راند في شرعنة السياسة الأمنية الأمريكية التي تتخذ من الارهاب مفهوما محوريا لها.

1. خطاب مركز راند عن الارهاب : من الارهاب إلى الارهاب الاسلامي

تتحكم في جهود تعريف الارهاب و اعداد السياسات الأمنية عوامل استراتيجية محضة تأتي على رأسها "فكرة العدو". صرح الدبلوماسي الروسي في الوم أ Alexandre Arbatov مع انهيار جدار برلين سنة 1989 قائلا : " سوف نقدم لكم أسوأ خدمة على الإطلاق ... سوف نقوم بحرمانكم

من عدو¹. بالنسبة للوم أ كان العدو السوفييتي يمتلك جميع مواصفات "العدو" المثالي ؛ صلب ، متجانس عسكريا و مشابه للقوة الأمريكية ، مبني وفقا لنموذج Clausewitz مثير جدا للقلق لكن يمكن توقعه². زوال هذا العدو في بداية التسعينيات أغرق خبراء الاستراتيجية في عدم الوضوح لذلك أستدعى الأمر خلق و بناء عدو جديد. استدعى الأمر عشر سنوات حتى الحادي عشر من سبتمبر 2001 حتى يتم تحديد و تعريف عدو جديد و جدي و هو الارهاب . داخل مؤسسة بناء صورة العدو لعبت مؤسسات الخبرة الاستراتيجية أو مراكز الفكر و على رأسها راند دورا مركزيا في ربط فكرة الارهاب بالإسلام. الأهم من هذا هو أن هذه الوظيفة هي أصلا جوهر وجود هذا المركز. وجوده تبرره ثلاث أسس ؛ التعريف بالآخر المشكل للتهديد ؛ تبرير سياسات الدفاع و تحديد أولوية التهديدات ؛ و شرعنة استخدام القوة . تكلم Paul Dickson³ منذ 1971 عن "المركب الصناعي - الفكري" « complexe militaro-intellectuel » لوصف هذه الماكنة القوية الموروثة عن الحرب الباردة.

منذ 11 سبتمبر أصبح الارهاب لدى الخبراء كما السياسيين الاطار المرجعي الأهم على الاطلاق لفهم العنف السياسي و السياسات الأمنية الناتجة عنه⁴. أدى هذا الأمر أيضا إلى تحول سريع في جدول أولويات السياسات الأمنية أين تحولت الارهاب إلى المشكلة الأولى و الوحيدة بالنسبة للحكومة الأمريكية. لم يتم هذا التحول تلقائيا بل حدث بفعل تأثير ما يسميه Richard Jackson بمؤسسة خبراء الارهاب Entreprise des experts du terrorisme التي شكلت

¹ Pierre Conesa, « La fabrication de l'ennemi », *Revue internationale et stratégique*, n° 76 (2009): 35-44, <https://doi.org/10.3917/ris.076.0035>. p. 35.

² Conesa. P. 36.

³ Paul Dickson هو صاحب أول كتاب عن "مراكز الفكر". صدر سنة 1971 بعنوان "Think Tanks"

⁴ Stampnitzky, Lisa. *Disciplining Terror: How Experts Invented 'Terrorism'*. New York : Cambridge University Press, 2013,p 24.

عدوا جديدا هو "الارهاب الاسلامي"¹ . في سعيها لتقديم فهم عن المسألة (أ) لم تستطع هذه المؤسسة فرض فهم مغلوط في الغالب ليس فقط بحكم التسييس بل لعدم جدواه الفكرية (ب) .

أ. دور مركز راند في بناء مفهوم الارهاب الاسلامي

إن سيطرة خبراء مراكز الفكر على ملف الإرهاب جعلت من هذا الموضوع ذو خاصية ايديوغرافية شأنه شأن قضايا أخرى مثل حقوق الانسان ، الديمقراطية و الحرية حيث و بسبب الافراط في عرضه إعلاميا في قالب واحد (هو قالب خبراء مراكز الفكر) أصبح متداولاً لدى العامة كمفهوم و لكن من دون أن يكون لهم القدرة على تعريفه. يسهل إذن على الخبراء تعميم وجهة نظرهم في هذه الظروف إلى حد يمكن فيه التعبير عن وجود استغلال أو تلاعب Manipulation . يمكن إذن الحديث عن غياب لمؤسسات عمومية أو حتى للمجتمع المدني قدرة على التدخل في تحديد معنى للإرهاب و للسياسات الأمنية التي يجب أن تنتج عنه بشكل يضاهاي قوة الخبراء في ذلك².

حسب Jackson ، فإن الخطاب الذي ينتجه مركز راند عن الارهاب يتأثر بثلاث عوامل رئيسية هي :

- هو انعكاس لنتائج الدراسات التي كانت تهتم "بالإرهاب الديني" و التي سيطر عليها في الو م أ كبار المفكرين المستشرقين و على رأسهم برنارد لويس Bernard Lewis ، نوواه فالدمان Noah Feldman و رافيل باتاي Raphael Patai مؤخرا و كلهم اشتغلوا كمستشارين بالمؤسسات السياسية الرسمية،
- هو انعكاس كبير للارتباط بين خبراء راند و الأوساط السياسية الرسمية و بالتالي ذو تأثير سياسي كبير و ذلك بحكم السهولة التي يتم بها نقل طروحاته الى المسار السياسي ،

¹ Jackson, Richard. "Constructing Enemies: 'Islamic Terrorism' in Political and Academic Discourse." *Government and Opposition*, 2007,p 394.

² ibid,p 395.

- هو انعكاس مباشر للخلفية الثقافية و السياسية الأمريكية التي تقبل على الصعيد الاعلامي بالكثير من الأحكام الجاهزة و المسبقة عن الاسلام¹ (بعد 11 سبتمبر تأثرت هذه المؤسسة بعوامل إضافية مصدرها الخطاب السياسي الرسمي مثل "الحرب الجيدة The good war " ، "العدو " ، " الأبرياء " صراع الحضارة ضد البربرية" . لكن الأهم من هذا هو أن الخطاب أصبح يحمل الكثير من الاشارات مسلمات منها "العالم الاسلامي ، الغرب ، النهضة الاسلامية ، الاسلام السياسي ، المتطرفون ، الراديكاليون ، الأصوليون ، الجهاديون ، المعتدلون ... الخ " . الأهم من هذا كله أن هذه المصطلحات لا يتم تعريفها بتاتا بل تظل في قالبها المبهم. هذه المصطلحات يقدمها مركز الفكر عبر فئات عملياتية - كما رأينا أعلاه - و لكن في شكل ثنائيات متضاربة من قبيل "الاسلام و الغرب" ، " المتطرفون و المعتدلون " ، " الحضارة و البربرية " . إن وظيفة هذه الفئات العملية هي بناء "الارهاب الاسلامي " كعنصر من الخطاب العام بحيث يسهل تجريمها مقابل فئات أخرى. الأهم من هذا أنها تغالط بالكثير من الروايات غير المعقولة و المتناقضة عن هوية بعض الفاعلين ، فهي لا تقدم مثلا "حزب الله " في لبنان على أنه حزب سياسي بل " كمتطرفين " . بهذا الشكل تتمكن الخبرة عند راند من إخفاء وجود هذه القوى كقوى شرعية للمقاومة ، للحماية ، كجمعية محلية ، كمؤسسات تريبوية ، كعموم محلي بالمساعدات للسكان و غيرها. يؤدي هذا في النهاية إلى اعتبار هذه الأنشطة الاجتماعية "كمصادر للإرهاب" و من ثمة إلى اعتبارها "عدو " لأمريكا.

إن المسلمات الرئيسية التي تظهر في خطاب المركز عن الارهاب هي :

- محور الخطاب هو الافتراض بأن العنف سمة ملازمة للاسلام لأنه على عكس المسيحية لا يفرق و بين الدين و الدولة ما يستدعي التخلص منها (أي الدولة) عن طريق الحرب الدينية. من بين الحجج التي يسوقها واحد من أهم خبراء الارهاب في الو م أ Walter Laqueur

¹ Ibid , p 401

- هي أنه "حيث لا يوجد مسلمون و لا عرب كمحتكرين للحقل الجيني لا يوجد عنف بهدف تقويض الدولة"¹ و كذا فكرة صمويل هنتغتون عن أن "الاسلام يمتلك حدودا دموية".
- ميله الى الربط المباشر بين الارهاب و "التطرف" و "الأصولية" في الاسلام. أصبح الربط و كأنه "بديهي" axiomatic بين "الوهابية"، "السلفية" و الارهاب رغم أنها ليست بالضرورة حركات متطرفة سياسيا.
 - ميله إلى الربط المباشر - و هو الأكثر خطورة و تلاعبية بالمفاهيم - بين الارهاب و "الاسلام" كدين. من حجج هذا التيار أن النصوص تشتمل على مفردات و وصايا تدعو إلى العنف مثل "الجهاد، الشهادة، التكفير، دار الاسلام، دار الحرب".
 - هيمنة الاتجاه الذي يعتبر أن الإرهاب تحركه حوافز دينية أكثر منها حوافز سياسية أو ايدولوجية. من حجج هذا التوجه أن الهدف من الارهاب هو تدمير اسرائيل أو الغرب و العودة إلى أرض الإسلام أو أن أكثر من نصف سكان المنطقة العربية يناصرون شخصية أسامة بن لادن.
 - ترتبط رواية التهديد الذي يشكله الارهاب الاسلامي - و هي محورية ايضا في الخطاب عن الارهاب - بالأساطير المحيطة ببعض الكيانات مثل "تنظيم القاعدة". طروحاتها تركز على حجج من مثل أن هناك الآلاف من المتطرفين تدربوا في افغانستان و مستعدون للحرب ضمن القاعدة. هذه الرواية مقتبسة بشكل كبير من حقل الدراسات عن الارهاب و خصوصا من فكرة أن "العالم يواجه عدوا جديدا و هو الارهاب الجديد الذي توجهه مشاعر الحقد و التعصب الايديولوجي"².
- يقبل هذا النوع من الخطاب الكثير من الانتقادات. لكن - و في موضوعنا هذا - سنحاول أن نستكشف الدور السياسي لمثل هذا النوع من الخطابات. أقل ما يقال عليه من الناحية الفكرية أنه يستند على حجج غير متينة بل و يسيرة النفض. بينما من الناحية السياسية فهو يمارس دورا هاما في

¹ Stampnitzky, op.cit , p 128

² Jackson, op.cit, p 408.

تطبيع و شرعنة Normalisation et légitimisation بعض الأنماط المعرفية وما يتبعها من سياسات أمنية.

ب. تطبيع و تنميط النماذج المعرفية الخاصة بالإرهاب الاسلاموي و رهاناته السياسية

يهدف هذا النوع من الخطاب الذي يمثل وسيلة للسيطرة الايديولوجية كما يفهمه قرامشي Gramsci إلى تمكين الطبقة المهيمنة من تدعيم سيطرتها على علاقات القوة في المنظومة الداخلية و الدولية. إن من إهم الوظائف التي يقوم بها الخطاب سياسيا في مسألة الارهاب الاسلاموي هي "بناء الهوية القومية و المحافظة عليها من خلال فضح سلبية الآخر الذي ينظر إلى الذات الغربية بشكل اقصائي و سلبي " ¹ . دافيد كامبل من جهته يؤكد أن هذا النوع من الخطاب – مثل ما أنتج عن الارهاب الاسلاموي – و خصوصا عن طريق تحديده كعدو خارجي مهدد يساهم في المحافظة على حدود الداخل / الخارج و الأنا / الآخر و في كتابة و تأكيد الهوية الداخلية.

فضلا عن هذه الوظيفة النسقية فإن هذا النوع من الخطاب يؤثر على العمل السياسي ليس من زاوية أنها يحددها بشكل مطلق و لكن من زاوية أنه يجعل هذه الأعمال معقولة أ غير معقولة ، قابلة أو غير قابلة للتصديق ، مقبولة أو غير مقبولة و مفهومة أو غير مفهومة. بعبارة أخرى، فإن هذا الخطاب يؤسس الظروف الفكرية الأولية لإمكانية العمل بسياسة معينة دون الأخرى ² و هذا ما يجعل القرارات السياسية مفهومة ، مقبولة و شرعية في نظر الرأي العام. بهذا الشكل يتم تقديم استراتيجية مكافحة الارهاب بشكلها العسكري المحض و جميع الاجراءات الأخرى المقيدة لحرية التعبير على أنها طبيعية و شرعية Normales et légitimes بينما تُصَوَّرُ المبادرات المرنة الهادفة إلى الحوار على أنها غير لائقة بل و غير مفهومة.

¹ Stampnitzky.op.cit, 128.

² Jackson, op.cit, p 420.

من هذا المنطلق ، فإنه بالإمكان أن نفهم الآن الكيفية التي يستعمل فيها الخطاب عن الارهاب الاسلاموي كتقنية سياسية من أجل تثبيت مشاريع الهيمنة للنخب المهيمنة (بمفهوم قرامشي دوما). يقوم الخطاب هنا بتوحيد Réification و توسيع Expansion قدرة الو م أ على الهيمنة في المنطقة العربية. بعبارة أخرى ، عندما يحدد الخبراء أسباب الارهاب مثلا في العناصر الدينية المتطرفة فإنهم ينفون بذلك كل المطالب و المبررات السياسية التي قد تكون خلفية للعنف السياسي و يرفضون الاستجابة بل و التعامل مع هذه المطالب التي هي في أصلها نتيجة مباشرة لسياسة الو م أ في المنطقة العربية. حينما توصف الأعمال بالإرهابية فان هذا النوع من الخطاب يقوم فوراً بنزع الطابع السياسي لهذا الفعل و يخرج من سياقه ثم يفقده معناه التاريخي كصراع سياسي بين قوى اجتماعية بمطالب سياسية - في الغالب شرعية - ما يؤدي إلى تفكيك الرابط بين مبررات العمل الارهابي و سياسة الو م أ و حلفائها في المنطقة. هذا النوع من الخبرة المبنية اجتماعيا عن الارهاب الاسلاموي يسهل و يسمح بممارسة القوة الأمريكية على الصعيد العالمي دون التقيد بمراجعة سياساتها بهذا الشأن. في نفس الوقت يعمل الخطاب هنا كأداة قوية جدا لتجريد القوى المعارضة من أية سلطة سياسية أو مصداقية أخلاقية أو شرعية سوسيوثقافية بإمكانهم أن يكتسبوها و ذلك بالتوجه نحو الأحكام العلمانية الجاهزة التي تحوز عليها المجتمعات الغربية عموما. يسمح هذا النوع من الخطاب في النهاية لقطاع السياسة الأمنية بتقوية مكانته السياسية و من الاستفادة مادي و فكريا من السياسات التي يزاولها (رفع الميزانية ، مقاومة التشريعات التي تحد من سلطته ...).

لقد رأينا - كحوصلة - كيف يتم بناء مفهوم الارهاب لدى مركز راند بطريقة هشة فكريا و لكن مُسَيَّسة كثيرا و لاحظنا أنه مفهوم مبني اجتماعيا و مقدم على أنه "تهديد وجودي". لاحظنا أن وظيفة هذا الخطاب هي دعم و ترقية بعض المشاريع السياسية و إعادة توحيد نظام سياسي و اجتماعي قائم على تقوية صلاحيات القطاع الأمني. الهدف من هذا عادة النظام هو خلق حالة طوارئ تسمح بتجاوز التشريعات داخليا (بحكم أن المؤسسة القانونية هي الوحيدة القادرة على الحد من سلطات الأجهزة الأمنية) كما تسمح بتبرير سياسات تدخلية في الخارج يصعب تبريرها في الظروف العادية (حالة التدخل في افغانستان ، العراق ، ليبيا).

2. تأثير خطاب مركز راند عن الارهاب الاسلامي على السياسات الأمنية منذ 11

سبتمبر

توافقا مع الملاحظات التي سجلناها أعلاه يشير الكثير من مختصي الإرهاب في الوم أ إلى أن إشكالية الارهاب كما هي مبنية على مستوى الخطاب غير متوافقة مع حقيقة المشكلة في أرض الواقع¹. الهدف من هذا النوع من الخطاب ليس تقديم تفسير موضوعي بقدر ما هو تبرير لسياسات و اجراءات مؤسساتية معينة (رفع الميزانية ، تقوية الصلاحيات ، أمنة السياسات ...). من أهم نتائج هذه المقاربات على الصعيد العملي عسكرة السياسات الأمنية و التي تعني هيمنة الفاعل العسكري و سيطرته على مؤسسة صنع القرار. فيما يلي سنوضح هذا الجانب بالتركيز على فترة أوباما الأولى أكثر منه على فترة بوش و التي كان للمقاربة العسكرية وضوح أكبر.

أ. سياسة مكافحة الارهاب في الخطاب الرسمي للرئيس أوباما : عسكرة

السياسة الأمنية الأمريكية

إن تقدير التهديد الارهابي المشكل داخل مسار الأمنة يقدم المسألة على أنها "تهديد وجودي طارئ" (تماما كما تقوله توصيات راند) يؤثر دوما و باستمرار على الوم أ. قامت المؤسسات المكلفة بالأمننة (الرئيس أوباما ، أجهزة الاستخبارات و البنتاغون على الخصوص لكننا نركز فقط على تصريحات الرئيس أوباما نظرا لسهولة الوصول الى المصادر) بالإعلان عن "وسائل غير اعتيادية" لاحتواء و مواجهة التهديد. هذه الوسائل كانت قبل كل شيء عسكرية : " أنتم و جميع من يحمل الزي العسكري الأمريكي ، ستظلون صخرة الدفاع الوطني و مرساة الأمن الوطني". هذه الوسائل العسكرية كان لها بعدان رئيسيان : تم من جهة التأكيد على ضرورة تقوية الحرب العسكرية في مسرحين اثنين هما افغانستان و العراق لأنها مركزي تواجد القاعدة ، ثم من جهة أخرى تم تقرير

¹ -Bonditti, Philippe. «L'organisation de la lutte anti-terroriste aux Etats-Unis.» *Cultures et Conflits* . 2001, p 73 <http://conflits.revues.org/742> ; DOI : 10.4000/conflits.742. (accès le mars 13, 2016)

مساعدة القوات العسكرية في هذين المسرحين من أجل مواجهة الخطر الإرهابي. يعتبر العراق المثال الأقوى لتجسيد هذه الاستراتيجية القائمة على تحميل مسؤولية مكافحة الإرهاب للقوات المحلية.

الهدف من هذه المقاربة هو القضاء على العدو - أي القاعدة - و العمل العسكري تم تقديمه على أنه الطريق الوحيد للوصول اليه. كان الخطاب الفاعل الأمني إذن يتسم بالصرامة و القوة لأنه كان يؤكد دوماً أن الحرب ستستمر حتى يتم دحض العدو. بهذا الشكل ، يمكن اعتبار هذا الخطاب استمراراً لسياسة الرئيس بوش الذي كان ينفى تماماً سبل الحوار مع الإرهاب . يبدو أن سياسة أوباما أيضاً على مستوى الخطاب متعارضة و غير متجانسة مع بعض الروايات التي كانت تؤكد " على ضرورة ادراج خلفية أخلاقية لسياسة مكافحة الإرهاب".

رغم أن سياسة مكافحة الإرهاب توقفت عسكرياً في أفغانستان و العراق بعد انسحاب الجيش الأمريكي منهما سنة 2014 و رغم أن إدارة أوباما وضعت هدفاً لعهدتها الأولى و هو وضع حد للحرب في هذين الدولتين إلا أن عموم السياسة الأمنية تتدرج في عملية طويلة المدى. الرئيس أوباما بنفسه صرح في العديد من المرات أنه و حتى بعد الانسحاب من أفغانستان و العراق فإن الحرب على الإرهاب لن تنتهي قريباً. بسبب أن أمننة الإرهاب محفوظة في هذا السجل طويل المدى فإنها ستظل لفترة طويلة من اختصاص الأجهزة العسكرية و حبيسة للخيارات العسكرية. في هذا الإطار ، تغيرت التكتيكات قليلاً مع الانسحاب المباشر للقوات الأمريكية من مسارح الحرب و عوضها حماس كبير بخصوص استعمال أجهزة الدرون Drones . تم اعتبار هذه الوسائل شرعية على مستوى الخطاب لأنها تسمح بالقضاء على الأسماء الكبرى المهددة للوم أ. هذا التكتيك دافع عنه و روج له بشكل خاص جدا جون برينان (مدير و كالة الاستخبارات خلال فترة الحكم الأولى لاوباما) بحجج "الدفاع عن النفس" و " تصفية الأعداء باجتتاب الأضرار الجماعية".

ب. مركز راند كأداة إضافية لسياسة مكافحة الإرهاب : أي دور في الدبلوماسية

العامة ؟

فضلا عن الوظائف الرمزية التي يقوم بها معهد راند - و التي أشرنا إليها سابقا ، أي شرعنة و تبرير السياسات القائمة التي تعكس نمطا معيناً من الهيمنة الأيديولوجية التي تمارسها نخب معينة - فإن هذا المعهد يعتبر أداة ليس فقط لاقتراح حلول لمشاكل معينة بل هو " أداة استراتيجية مكملة لمجموع الاستراتيجية الشاملة للدولة¹. بعبارة أخرى ، و نظرا للتوافق الكبير بين مضمون خطاب خبراء راند و خطاب المسؤولين الرسميين فإن دور راند يتحول إلى دور دعائي خصوصا في زمن أطلق عليه إسم " الحرب على الإرهاب". إذن و بتوفر عنصر " الحرب الدائمة و المستمرة " و " الوظيفة الإتصالية " للمركز فإنه يمكننا التحدث عن دعاية و ليس عن استراتيجيات اتصالية قائمة على التسويق فقط.

تتأثر الاستراتيجية الاتصالية في مجال الدعاية بالعوامل الثلاثة التالية ؛ (1) التقدم الكبير في تكنولوجيايات الاتصال ، (2) تطور الاستراتيجيات و التكنولوجيات العسكرية و (3) التحول المستمر في العلاقة بين النخب السياسية و الشعوب² تحت تأثير هذه العوامل الثلاثة ، استخدم معهد راند في مضامينه الخطابية استراتيجيات اتصالية تهدف أساسا إلى " تبرير العسكرة و محاولة جعل الحرب فكرة مقبولة لدى المتلقين"³. تبرز قوة المعهد من حيث أنه ناقل للمعرفة Knowledge و ليس للمعلومة Information فحسب. بعبارة أخرى ، في هذا المناخ المتسم بانتشار تكنولوجيايات الاتصال عبر العالم و التي تفرز ما يسمى "بزخم المعلومة " فإن المركز بمن توجه المعرفي المقبول

¹ -Urrutia, Olivier. "The role of Think Tanks in the definition and application of defence policies and strategies." *Institut Espagnol des Etudes Strategiques* . 2013.p 3 revista.ieee.es/index.php/ieee/article/download/88/83 (accessed Mars 13, 2016).

² Ingram, Haroro J., and Alastair Reed Reed. "Lessons from history of counter-terrorism strategic communications." *International Center of Counter Terrorism The Hague* . June 2016, p 3. <https://www.icct.nl/wp-content/uploads/2016/06/ICCT-Ingram-CTSC-June-2016-3.pdf> (accessed October 12, 2016).

³ Urrutia,op.cit,p 5.

مسبقا لدى المتلقي كأنه " كلام خبير " Parole d'expert يحظى بدور كبير ليس فقط في تفسير المعلومة المنافسة بل و في فرض فهم و معالجة معينة لسياسة مكافحة الارهاب. كل الجهد الذي يقوم به مركز راند في هذا الخصوص ينحصر في التسيير الاستراتيجي للمعلومة و المعرفة و ذلك بالاعتماد على تجارب الخبراء الذين تربطهم علاقات غير رسمية وطيدة بالبنتاغون. إن المنظمة التي تعمل وفقا لهذا الميكانيزم هي اقرب في ماهيتها إلى منظمة استخباراتية. يتأكد هذا الطرح من خلال تفحصنا المعمق لطريقة العمل المطبقة في راند و التي تتجه نحو "التوقع" و "الاحتياط" - أي وضع الفرضيات و بناء السيناريوهات - (تصنيف الفئات إلى فئات عملياتية ، إعداد قواعد بيانات ، إعداد قوائم التنظيمات الارهابية) و هو نفس الأسلوب الذي تستعمله الاستعلامات. إن الفائدة من وجود مركز راند بالنسبة للحكومة الأمريكية عموما و لمؤسسة البنتاغون على الخصوص هي أنه يحول المعلومة التي يمتلكها هذا الأخير و يصل اليها المعهد بسهولة إلى معرفة و التي تتحول في الأخير إلى واقع.

يقوم معهد راند من خلال خطابه المعرفي باستراتيجيات تعتمد على ارسال رسائل دفاعية. تقوم دعاية راند في هذا المجال على ترويج روايات مضادة للدعاية "الجهادية" التي تقوم بها هذه التنظيمات المسماة بالإرهابية مثل القاعدة أو داعش. هذا الشكل من الاتصال هو تكتيك دفاعي لأنه مهيكّل وفقا لرسائل مضادة لدعاية "العدو". من وسائل هذه الاستراتيجية و أكثرها تجسيدا عند مركز راند الاعتماد على خبرات و توجيهات خبراء مسلمين مختصين في التطرف. يأتي مثال الدكتور توفيق حميد كأفضل تأكيد على هذا الجهد¹. مداخلاته و شهاداته أما الاعلام و الكونغرس جعلت منه اسما بارزا في مجال الدعاية المضادة ضد التطرف.

¹ توفيق حميد هو الطبيب النفساني المصري الذي يعيش في الو م أ و عمل كخبير لدى راند و أهم الأصوات المسلمة المسموعة لدى الكونغرس . كان عضوا في "الجماعة الاسلامية" المصرية - أي الجماعة الارهابية في التصنيف الأمريكي - ثم تخطى عن هذا المسار ليتحول إلى واحد من أهم الأصوات الداعية "لإصلاح" الإسلام و لإعادة تأويل النص القرآني. تحظى مقارنته "النفسانية-الإجتماعية" في معالجة التطرف بالكثير من الرواج الاعلامي في الو م أ. أهم أعماله كتابه "Inside Jihad : Understanding and confronting Radical Islam"

باستجماع هذه الملاحظات ، يمكننا أن نستخلص أربع مبادئ تحكمت في دعاية مكافحة الارهاب لدى مركز راند.

- 1. أنتاج مجموعة من المضامين تشتمل في الأساس على أحكام تجريبية للإرهاب يجب موجهتها هجوميا و عسكريا.
- 2. كل هذه المضامين كانت توضع في قالب معرفي متجانس يخدم أهداف وحدة الرسالة الدعائية
- 3. تم الاستعانة بجميع الوسائط الاعلامية لإيصال الرسالة الدعائية خصوصا الوسائل الجماهيرية التقليدية و الشبكات الاجتماعية
- 4. صاحبت هذه الاستراتيجية الاتصالية أعمال سياسية ميدانية (الحرب في أفغانستان و العراق ، الهجمات الميدانية بأجهزة الدرون... الخ)

عمل مركز راند على أداء وظيفتين محورتين في سياسة مكافحة الارهاب : وظيفة بناء المعنى و وظيفة احتواء الارهاب. تمت هذه الأخيرة عن طريق السيطرة السياسية و العسكرية التي قامت بها الحكومة و التي ساهم في الترويج لها كثيرا مركز راند ، بينما تمت الأولى بهدف **تأطير و توحيد الإدراك العام** عن المشكلة و عن الفاعلين المحركين لها. أصبحت الحرب على الارهاب الخلفية المهيمنة على الدبلوماسية العامة الأمريكية و التي كان فيها معهد راند محوريا جدا بحكم القرب من هيئات الدفاع الرسمية. ساهم المعهد بشكل ملموس في جميع مستويات هذه السياسة : (1) بناء تعريف للارهاب ، (2) في تحديد الأجندة ، (3) في تحديد مصادر التهديد ، (4) في بناء الحكم الأخلاقي التجريبي ، (5) و في اقتراح الحلول. ساهم هذا الجهد في خلق **إجماع وطني** داخل الو م أ ، لكنه لم يولد نفس الإجماع على الصعيد الخارجي. يشير العديد من مختصي الارهاب أن **العسكرة** هي التي جعلت من استراتيجية مكافحة الارهاب محدودة النتائج. نظرا لآثار **الاهانة الأخلاقية** التي ولدها الخطاب المعرفي عن الاسلام و عن الارهاب في المنطقة العربية - و الذي من مظاهره التمجيد الذي حظيت به شخصيات مثل أسامة بن لادن - فإن هذه الجهود الذي قام بها مركز راند

على صعيد الدبلوماسية العامة أقرب أن تصب في خانة الفشل منها إلى النجاح¹. بينما أدت جهود المركز من الناحية الأمنية إلى تثبيت الكثير من الاجراءات العسكرية و إلى توسيع هامش التدخل السياسي للمؤسسة الأمنية في صناعة القرار و إلى تعدد مسارح العمليات العسكرية. لهذا السبب ، و على صعيد سياسة مكافحة الارهاب أو سياسة التعامل مع الحركات الاسلامية فإنه من الأفضل الحديث عن دبلوماسية فكرية لمراكز الفكر بدلا عن دبلوماسية عامة.

¹ -Gregory, Bruce. "Public Diplomacy and Counterterrorism: Lessons from the U.S. Experience." *Public Diplomacy George Washington University*. 2008, p 5.

المبحث الثالث : ثورات الربيع العربي بين القوة الناعمة والقوة الذكية: الدبلوماسية العامة الرقمية الأمريكية.

إن الإدارة الأمريكية خسرت في عهد بوش كما سبق الذكر الكثير من شعبيتها في العالم العربي، مما قلل من تأثيرات البعد الثقافي الأمريكي فاضطر المسؤولون الأمريكيون إلى اللجوء إلى مفهوم جديد للقوة بهدف تلميع صورة أمريكا واستعادة مكانتها في الوطن العربي، حيث كثر الحديث في الفترة الأخيرة عن دور تكنولوجيا الإنترنت في الثورات التي شهدتها الدول العربية فبدأ الحديث عن ثورة الفايسبوك وحزب الفايسبوك، ودور الشباب في تحريك الجماهير عبر وسائل الإعلام الإلكترونية من الفايسبوك والتويتر...إلخ، وكل هذه المفاهيم كانت تصب في مفهوم جديد للقوة عمل على صياغته علماء مركز الدراسات الإستراتيجية الدولية Center for Strategic and international Studies وذلك تحت إسم القوة الذكية " Smart Power " وهو المفهوم الذي يدمج بين مفهوم القوة الناعمة " Soft Power " والقوة الصلبة "Hard Power".

لذلك فقد قررت الو.م.أ أن تستعين بالتكنولوجيا لخدمة سياستها الخارجية بهدف تعزيز جهود دبلوماسيتها العامة وتطوير حلول سياسية مبنية على التكنولوجيا لاسيما في ما يخص مصالحها في المنطقة العربية وعلاقاتها بها ،حيث قامت بترجمة هذه العناصر في مفهوم الدبلوماسية الرقمية Digital Diplomacy التي إعتبرتها الو.م.أ فرع من فروع الدبلوماسية العامة يمكن الإعتماد عليها كأداة لمواجهة التحديات الأمنية في عصر المعلومات الرقمية ،ومع إنتقال ثورات الربيع العربي من نظام إلى آخر في الدول العربية بدأ من تونس مرورا بمصر وليبيا قامت الو.م.أ في التخطيط في السياسة التي يجب أن تتبناها مع الثورات العربية، حيث قررت إنتهاج نهج يقوم على مسارين يقوم على أساسا تقديم الدعم للزعيم المطلوب سقوطه وإتخاذ المتطلبات اللازمة لتأمينه مع الوعود لبداية الإصلاحات وتمهيدا لتحقيق الديمقراطية ، وهو ما لم يحدث خاصة في الثورة المصرية حيث

حدث تحول في الموقف الأمريكي بتصريح أوباما " مصالح أمريكا ليست معادية لآمال الشعب¹، وهو ما يمثل تحولا جذريا في المواقف والاستعداد لتخمين بعض المخاطر في فقدان المزايا الأمنية على المدى القصير لصالح تشجيعها و ضمانها على المدى البعيد، وذلك بإعتمادها على وسائل أكثر نعومة وأكثر نكاء تمثلت في إستخدام شبكات التواصل الإجتماعي تحت مسمى القوة الذكية والدبلوماسية الرقمية.

المطلب الأول: الدبلوماسية الرقمية و الثورات العربية والموقف الأمريكي منها.

1-الدبلوماسية الرقمية القوة الذكية الأمريكية:

إن الثورة الرقمية التي تعلق أسهمها يوم بعد يوم وضعت ملامح جديدة للسياسة وجعلتها تسير على خط مواز لمواكبة تقدم وتطور هذه الثورة التقنية، وبالتالي لم تعد السياسة نفسها التي كانت تسود العالم خلال القرن الماضي بل ثارت هي الأخرى على تقليديتها وابتكرت طرقا جديدة للتواصل والحكم والعلاقات بين الدول. لذلك فقد شهد العقد الأول من القرن الـ 21 ظهور نوع من الدبلوماسية تقوم على تسخير الإنترنت وتكنولوجيا الإتصال الحديثة للتواصل مع جمهور خارجي بهدف خلق بيئة تمكين للسياسة الخارجية لبلد ما، وقد سميت هذه الدبلوماسية بالدبلوماسية العامة الرقمية *Public Digital Diplomacy* وهذا بفضل المنصات الرقمية التي تمثل جهازا عصبيا جديدا للعالم، حيث أصبح ممكنا التواصل بشكل فوري مع مجتمعات الإنترنت التي تشكل قوة سياسية متنامية الأهمية في عملية صنع السياسة الخارجية في بلدانها حيث يصفها الصحفي والباحث في كلمته الدبلوماسية الرقمية *Digital Diplomacy* بأنها أساليب وطرق جديدة في

¹ نسرين حواتش، الوسومية الجديدة: تحولات السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط بعد الثورات العربية: نيكولا جيفسديف و راي ناكية.

ممارسة الدبلوماسية والعلاقات الدولية بمساعدة شبكة الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات ويمكن إعتبارها مجموعة فرعية ذات صلة بالحكومة الإلكترونية حيث تشمل دبلوماسية الإنترنت والدبلوماسية الافتراضية والدبلوماسية المغردة ودبلوماسية تويتر وفايسبوك ودبلوماسية المواطن والدبلوماسية العالمية¹.

وتعتبر الو.م.أ هي السبابة لهذا النوع من الدبلوماسية حيث كانت بداياتها من خلال إجتماعات ونقاشات دعا إليها مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية Center for Strategic and international Studies تحت إسم القوة الذكية Smart Power ، حيث ضمت أعضاء من الإدارة الأمريكية الجيش ومنظمات غير الحكومية وسائل الإعلام أكاديميين وكذلك أفراد من القطاع الخاص، وأصدرت اللجنة تقريرها عن التحديات التي تواجهها الو.م.أ بعنوان " التوقع العالمي لتحديات الأمن العليا لعام 2008 " The Top Security Challenges of 2008 secure " Global Poreccst وتقرير القوة الذكية أمن أكثر لأميكا smart power mor " america². وقد اشارت إلى هذا المفهوم الجديد للقوة " هيلاري كلينتون" في حديثها أمام لجنة العلاقات الخارجية لمجلس الشيوخ يوم 13 يناير 2009 حيث قالت إن " زعامة الو.م.أ كانت دائما مطلوبة، لكنها مطلوبة أيضا وعلينا أن نسخر مايسمى بالقوة الذكية " Smart Power " وكل الأدوات التي تتوفر لدينا أي الدبلوماسية الإقتصادية والثقافية والعامة والعسكرية والسياسية، ثم إنتقاء الأداة المناسبة أو مجموعة من الأدوات التي تتناسب مع كل وضع، وبإعتمادها على القوة الذكية ستصبح الدبلوماسية في طبيعة أدوات السياسة الخارجية لأنها هي الأسلوب الذكي إلا أن

¹ خالد بن إبراهيم الرويتع، الدبلوماسية الرقمية والسياسة الخارجية.

http://archive.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=751949&issueno=12785#.WiZoH4ZI_IU

تم الوصول الى الموقع : 2015/07/20

² إسماعيل عبد الحميد شمس الدين، لمحات من كتاب الدبلوماسية الرقمية للباحث فيصل خالد خضرة.

تم الوصول الى <http://www.gmsudan.sd/ar/indesc/publication/4824.21/07/2015>.

الموقع في

القوة العسكرية ستكون أيضا ضرورية في بعض الأحيان وسنعتد عليها لحماية شعبنا ومصالحنا حينما وأينما تطلب الأمر إليها كمالآخير¹.

ولقد ركزت الوزيرة كلينتون على تعزيز المجتمع المدني والأعمال التجارية والتنمية الاقتصادية والفرص التعليمية والتعاون العلمي والتكنولوجي وتمكين المرأة من حقوقها، وقد أشارت إلى مبادرة من هذه المبادرات والتي أطلقت عليها منتدى المستقبل وهي مبادرة " المجتمع المدني 2.0 " * لدعم المنظمات الشعبية عبر العالم عبر مجموعة من الإجراءات من بينها تدريب ودعم منظمات المجتمع المدني في أنحاء العالم لبناء إمكانياتها الرقمية، لكيفية إنشاء موقع على شبكة الأنترنت، كيفية التعامل مع المدونات كيفية إطلاق حملة رسائل نصية قصيرة، كيفية بناء شبكة إجتماعية على الأنترنت، كيفية حشد الشبكات الإجتماعية لتأكيد قضية ما، وتخصيص منحة قيمتها 5 ملايين دولار لتمويل برنامج طليعي في الشرق الاوسط وشمال أفريقيا من شأنه تعزيز وسائل الإعلام الجديدة وإمكانيات منظمات المجتمع المدني وقدرته على تكوين الشبكات الإجتماعية وتعزيز التعليم في المنطقة عن طريق الأنترنت تحت مسمى الدبلوماسية الرقمية " Digital Diplomacy " ².

وقد أشار إلى هذا المفهوم الكاتب الصحفي " جيسي ليشتنباين " Jesse.Lichtenstein في مقال له بعنوان " Digital Diplomacy " نشر الجريدة "نيويورك تايمز" وكيف أن هيلاري

1 زكرياء سحنون, الدبلوماسية الرقمية في خدمة السياسة الأمريكية

<https://www.maghress.com/attajdid/66798> , 30.05.2011 تم الوصول الى الموقع في

02.12.2015

* مجتمع مدني 2.0 يشير الى تكوين فعاليات المجتمع المدني في مجال التكنولوجيا، من اجل تشجيعها على الانخراط الفعال في استخدام التقنيات الحديثة في مجال اشتغالها، و لإيجاد حلول مبتكرة منخفضة التكلفة لمعالجة مشاكل اجتماعية حقيقية باستخدام التكنولوجيا, وهو يدخل في اطار مبادرة وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة هيلاري كلينتون سنة 2009 هدفه هو بناء الوعي الرقمي لمنظمات المجتمع المدني عبر ورشات وتكوينات تفاعلية .

² لمزيد من المعلومات أنظر موقع الخارجية الأمريكية.America.gov

كلينتون تعتبر الشباب في العالم العربي جاهزون بشكل خاص للتأثير الخارجي عبر "ممرات التكنولوجيا" كالهواتف المحمولة وشبكة الأنترنت، حيث يتحدث الكاتب عن مهندسي هذه الدبلوماسية الجديدة وهما أليك روش "Alick.Ross" وجارد كوهين "Jard.Kohine" الموصفان بوزارة الخارجية الأمريكية وبناء على جميع إقتراحاتهم أدرجته وزيرة الخارجية الأمريكية كلينتون " حق الإتصال " ضمن حقوق الإنسان وأجندة السياسة الخارجية¹.

وتجدر الإشارة إلى أن الدبلوماسية الرقمية الأمريكية حسب أعضاء لجنة تخطيط السياسات في الخارجية الأمريكية وعلى رأسهم إريك سميث Erich Shmith المدير التنفيذي لشركة غوغل "Google" ومستشار أوباما للشؤون التقنية، فهي تقوم على إستراتيجية بناء علاقات واتصالات مباشرة مع قطاع الشباب والناشطين وكافة فئات وشعوب العالم خاصة في العالم العربي بعيدا عن الدبلوماسية التقليدية الرسمية التي تمارسها السفرات والقنصليات التي يمكن تسميتها بالدبلوماسية الجغرافية والمكانية. لذلك فإن سبب اهتمام مستشاري هيلاري كلينتون وباراك أوباما بالدبلوماسية الرقمية هو النجاح الذي لاقاه هؤلاء المستشارين خلال تنظيمهم حملة أوباما الإنتخابية لعام 2008 فقد أكد خبراء الحملات الإنتخابية أن شركات الانترنت ووسائل الاعلام كانت الأبرز خلف نجاح أوباما، وهو ما شجعهم على وضع إستراتيجيات الدبلوماسية الرقمية في مشاريع وزارة الخارجية الأمريكية في عهد أوباما².

و على هذا الاساس يمكن الاشارة الى ان الو م أتعد الدولة الام لسياسة القوة الذكية و الدبلوماسية الرقمية حيث رسمت لنفسها هذه السياسة لجملة من الاسباب و التي تشكل في الوقت نفسه تحديات أنية و مستقبلية لمكانتها الدولية ويمكن حصر هذه الاسباب فيمايلي:

¹ زكريا سحنون، مرجع سابق.

² مركز الحرب الناعمة للدراسات، الحرب الناعمة الأسس النظرية والتطبيقية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،

.2014.

1. أن السياسة الخارجية الامريكية في الآونة الاخيرة شهدت حالة من التراجع الملحوظ على المستوى الدولي كتأزم الوضع الامريكي في العراق , حيث تزايدت الخسائر الامريكية البشرية و المالية فضلا عن تدهور العملية السياسية.
2. عدم تحقيق الاهداف من تلك الحربين المتمثلة في نشر الديمقراطية في الشرق الاوسط و القضاء على تنظيم القاعدة و المنظمات الارهابية بل زاد عددها بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر بمقارنتها بتلك التي كانت قبل هذا الحدث المفصلي في التاريخ, و هذا يعكس المقولة الامريكية التي مفادها أن العالم بعد الحادي عشر من سبتمبر سوف يكون أكثر أمنا عن مثيله قبل تلك الاحداث.
3. عدم وجود سياسات أمريكية للتعامل مع صعود قور جديدة على الساحة الدولية و قوى أخرى تستعيد قوتها من جديد بعد فترة من التراجع¹.

إذن مشروع القوة الذكية smart power في الو م أ يهدف الى أن تقوم السياسة الخارجية الأمريكية على الدمج بين مفهومي القوة الناعمة soft power و القوة الصلبة hard power و ذلك في ظل غياب الرؤية الإستراتيجية لكيفية مواجهة التحديات الآنية و المستقبلية التي تواجه الو م أ , و السبيل الأمثل لإدارة السياسة الخارجية الأمريكية من أجل تحقيق المصلحة و الامن القومي الأمريكي . ومن خلال استراتيجيات الو م أ في مواجهة التحديات و الأحداث الجارية لاسيما بعد انتهاء عهد القذافي و مصرعه في أكتوبر 2011 أكدت الو م أ من جديد على استراتيجية القوة الذكية و تبني الدبلوماسية الرقمية كأساس لسياسة الو م أ في عهد أوباما, والتي تركز على إشراك الحلفاء في المهمات الدولية وعدم التصرف بفرديّة لتحاشر تكرار فشل أمريكا في العراق والتأكيد على القيم الأمريكية و نشرها في العالم العربي عبر مواقع التواصل الإجتماعي² . و قد كان جوزيف ناي joseph nye قد ذكر أن القوة القاسية المتمثلة في القوة العسكرية و الاقتصادية

كريم أبو حلاوة ,سياسات القوة الذكية ودورها في العلاقات الدولية,مركز دمشق للدراسات و الابحاث دمشق , سوريا 2015 ,

¹ص ص 7 . 8

سهير أبو عقصة داوود, سياسة القوة الذكية للرئيس أوباما : هل هي ذكية فعلا ؟, مجلة القدس العربي السنة 24 , العدد

²727,نوفمبر 2012 ص 18.

مهمة ولكن غير كافية لتحقيق الاهداف الأمريكية الخارجية و أن هذه القوة الذكية smart power التي تيناها أوباما كمحور أساسي لسياسته الخارجية هي المطلوبة في الاوضاع الراهنة من أجل الحفاظ على صورة الو م أ و دورها القيادي في المنطقة العربية , وفي هذا السياق فإنه يتوجب عليها التحرك من أجل انتزاع الخوف و الغضب و بعث التفاؤل و الأمل في العالم العربي , و بالتالي يجب أن تكون أكثر ذكاء و الاستثمار في مصالح العالم لاسيما العالم العربي , وهذا يتطلب إعادة النظر في نظام كامل من إدارة الشؤون العالمية و التحول من المادية و غير المادية الى القوة الذكية التي تعكس الدبلوماسية الرقمية .

و لاستعادة دورها القيادي يجب على الو م أ التركيز على خمسة مجالات أساسية :

- 1- التحالفات و الشراكات من خلال تنشيطها و التي تخدم مصالحها وتساعد على تلبية متطلبات و مواجهة تحديات القرن الحدي و العشرين.
- 2- التنمية العالمية وذلك من أجل التوفيق بين المصالح و تطلعات الشعب الامريكي في العالم العربي .
- 3- الدبلوماسية العامة الرقمية و الهدف هو بناء علاقات طويلة الامد لاسيما من بين الشباب .
- 4- التكامل الاقتصادي و مواصلة مشاركتها في الاقتصاد العالمي و توسيع منافع التجارة الحرة.
- 5- التكنولوجيا و الابتكار و توظيفها في الحفاظ على أمنها¹.

و رغم كل هذا فإن الو م أ تواجه صعوبة في استخدام القوة الذكية في العالم العلابي لأسباب عديدة منها الفوارق الثقافية الكبيرة بين أمريكا و الشرق الأوسط و نزعة العداة المتنامي لأمريكا بسبب السياسات الأمريكية في حقل الصراع العربي الاسرائيلي رغم وجود جوانب كثيرة في الثقافة

¹ Matteo pattaver power and its formes:hard, soft, smart, A thesis submitted to the Department of International Relations of the London School of Economics for the degree of Master of Philosophy. London, October 2011 , p p 120 121.

الامريكية يميل اليها شباب العالم العربي و تعد أساسا جيدا للقوة الناعمة الا أن أمريكا قد فشلت في استغلال هذه الفرص لذلك فقد وضعت لجنة استشارية بعض التوجيهات لزيادة قوة أمريكا الذكية في البلاد العربية مثل انشاء المكتبات و زيادة المنح الدراسية فضلا عن انشاء فضاءات للتعارف و الدردشة الالكترونية عبر مواقع التواصل الاجتماعي الامر الذي زاد من تعزيز الحراك الشعبي داخل الوطن العربي .

2- ثورات الربيع العربي والموقف الأمريكي منها:

عرفت المنطقة العربية على مدار السنوات الماضية حالة من الحراك الشعبي والصراع الداخلي والتي يمكن القول عنها بأنها المدة الأولى التي تشهد فيها بلدان المنطقة مثل هذا النوع من التحركات ، ففي الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي كان الصراع على أشد ضد الاحتلال والسعي للحصول على الاستقلال أن مشهدهته بدايات العقد الثاني من الألفية الثالثة عكس نمط جديدا من الصراع ضد الأنظمة الحاكمة التي فسدت وأفسدت المجتمعات بسياسات فاشلة داخلية ومتخاذلة خارجيا، مما جعل الشعوب ترفض الاستمرار في هذا المسلسل الذي تؤديه هذه الأنظمة تحت دعاوى الأمن والاستقرار والأخطار الخارجية. لقد بدأت العلامات الأولى للثورة من تونس مرورا بمصر واليمن وصولا إلى ليبيا وسوريا فضلا عن بعض التحركات ربما لم تصل إلى مايمكن وصفه بالثورة كما حدث في المغرب B والأردن والبحرين وعمان حيث نجحت قادة هذه الدول في الاستجابة السريعة إلى مطالب شعوبها باتخاذها حزمة من السياسة و الاستراتيجيات التي تصب في القضايا المعيشية للمواطنين.

وفي غضون هذه الأحداث والتي تفردت فيها الولايات المتحدة الأمريكية بالهيمنة العالمية والتي ترافق معها دعوات التحرر الاقتصادي والسوق المفتوح والمظاهر الواضحة لخضوع الدول العربية للشركات الأجنبية العملاقة المتعددة الجنسيات عمت أفكار مفادها أن الثورات والمظاهرات الشعبية لم تعد لها جدوى تذكر، الا أن هذا التوجه الفكري اختلاف بعد تمكن الثورات العربية بإسقاط بعض أنظمتها السياسية حيث عملت الأنظمة العربية على تحذير شعوبها لأول فترة ممكنة

، وكانت دعاية الأنظمة تحاول أن تقنع الشعوب بأنها سوف تعمل على القضاء على التخلف العربي لتجعلها من الدول المتقدمة لأن هذه الحقيقة المتمثلة برضوخ الشعوب لأنظمتها السياسية قد تغيرت مع بدأ تمحور الشعوب فيما بينها والتفافها حول مفاهيم وشعارات مستوردة من الولايات المتحدة الأمريكية ومنها الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان وغيرها من المفاهيم التي تعتمد على وقوف الشعوب ضد الأنظمة المستبدة حتى أن خلقت فوضى تعصف بالأمن والاستقرار والوحدة الوطنية ، وقد تطرقت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون في عام 2012 للربيع العربي في لقاءها مع الراديو القومي الأمريكي بالقول "الشتاء العربي بدأ يعرف الدفء وللمرة الأولى منذ عقود توجد فرصة حقيقية لتغيير دائم في منطقة الشرق الأوسط ومن دون الشروع في إصلاحات حقيقية ومنتزعة فإن الربيع العربي سيتحول في نهاية المطاف إلى سراب¹.

وفي هذا السياق فإنه يمكن الإشارة إلى أن ما حدث في المنطقة العربية قد فاجأ الإدارة الأمريكية كغيرها من القوى العظمى وأريك حساباتها، فالولايات المتحدة الأمريكية ترى أن مصلحتها لا تتمثل فقط في استمرارية الاستقرار بل ما يهيمها هو الحفاظ على اتفاقية السلام مع إسرائيل بالنسبة للوضع المصري والعمل على مكافحة الإرهاب والحد من الانتشار النووي وربما ذلك هو المحدد الذي غلب على الموقف الأمريكي في الحرص الكامل على الإبتعاد عن توظيف ما حدث حيث يعني ذلك عدم إعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالأمر الذي يرفع بعض القوى والمنظمات الدولية أو الإقليمية لإتباع الموقف الأمريكي وهو ما قد يضعف أي حكومة². حيث كان العديد من المحللين الأمريكيين وصناع القرار يأملون أن تكون هذه الحركات بداية لحقيقة جديدة في المنطقة فقد وصف الرئيس باركأوباما هذه الثورات بأنها فرصة تاريخية وهو يقصد بها الفرصة التاريخية للولايات المتحدة الأمريكية وأن هذه التحولات من شأنها أن تسمح لواشنطن بالمضي قدما

¹ عبد الفتاح ماضي ,مرجع سابق.

² شيماء منير , أو مواقف القوى الدولية من ثورة 30 يونيو ,الاهرام الاستراتيجي (الاهرام الرقمي), أوت 2013
تم الوصول الى الموقع في .http://www.digital ahram.org.eg/articles. Aspx ?serial=1469501.

لتحقيق الأمن والاستقرار والسلام والديمقراطية في الشرق الأوسط¹، حيث ظهرت الكثير من التساؤلات حول طبيعة الدور الأمريكي وموقفها من ثورات الربيع العربي ومدى مشاركتها في تعزيز الحراك الشعبي في المنطقة. حيث ذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن الولايات المتحدة الأمريكية قد ساعدت على تغذية الثورات العربية من خلال تلك البرامج المتعلقة بالتدريب والتمويل والرعاية التي قدمتها للنشطاء الديمقراطيين في العالم العربي. كما نشر مركز سان بيترسيورغ لدراسات الشرق الأدنى المعاصر في عام 2011 تقريراً حول الدور الأمريكي في الثورات العربية والذي أشار إلى تعبئة الاحتجاج من خلال الشبكات الإجتماعية حيث إعتبر الحراك العربي منذ بداياته نتاجاً مباشراً للمبادرة الشرق أوسطية التي أشرفت على 350 برنامجاً منذ عام 2001 تحت إدارة الخارجية الأمريكية ، خضع من خلاله عشرات الألوف من المواطنين العرب للتدريب و التعبئة السياسية باستخدام وسائل الاتصال الحديثة².

وتجدر الإشارة أنه ورغم السكوت الأمريكي المتعمد عن الممارسات اللاديمقراطية للأنظمة العربية والفسل في بناء أنظمة إقتصادية ناجحة وقوية وتضخم الأجهزة البيروقراطية الحكومية وتراجع مؤشرات نجاحها في خدمة شعوبها وتخبطها مع مستنقع الفساد والرشوة والمحسوبية ، رغم كل ذلك إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية من خلال مراقبتها للمجتمعات العربية أدركت أن تغييراً ما لابد أن يحدث وأن هذا التغيير يحمل في طياته صعوداً واضحاً لقوى الإسلام السياسي وحضوراً على مسرح الأحداث السياسية لما تمتاز به هذه التيارات من تنظيم وانضباط وتماسك وما تملكه من برامج وسياسات إستطاعت أن تستقطب حولها فئات كبيرة من أبناء المجتمعات العربية وما تطراً من برامج ورؤى تحظى بقبول ورضى تلك الفئات الكبرى من المجتمع . ولذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية تحاول مقارنة الحركة الإحتجاجية العربية من موقع التشجيع ودعم عملية التحول المؤسساتي في اتجاه الديمقراطية وبالتالي فهي ستدعم هذا التحول إذا تناغم مع قضايا حقوق الإنسان والليبرالية السياسية والإقتصادية كما يحاول الرئيس الأمريكي بارك أوباما الإعتماد على

¹ عصام الشافعي ، تراجع الدور الامريكى في البيئة الاستراتيجية الجديدة ، السياسة الدولية ، العدد 186، أكتوبر 2011 ، ص90

مؤسسة الجيش داخل الدول العربية لاسيما تونس ومصر وسوريا باعتبارها المؤهلة لحماية هذا التحول التدريجي والسلمي أي الانتقال من الدولة التسلطية إلى الديمقراطية¹، وهنا لابد من الإشارة إلى موقف واشنطن من الحركات الإسلامية وهذه النقطة لازالت غامضة صناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية لم يحسموا قرارهم بشأن مرحلة ما بعد الثورات وتحديدًا فيما يتعلق بالموقف من الإسلامي السياسي والتباين بين إشراك الإسلاميين في السلطة سيؤدي إلى أسلمة المجتمعات العربية أو الدعوة إلى التواصل مع هذه الحركات باعتبار أنها تغيرت ونضجت وبظهر موقف الولايات المتحدة الأمريكية أمن حركات التغيير في العالم العربي من خلال ، علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بقوى الإسلام السياسي في الشرق الأوسط ويمكن توضيحها فيما يلي :

الموقف من الثورة في تونس:

لم تعلق الولايات الأمريكية على الاحتجاجات التونسية مباشرة بعد الثورة فقد إستمرت فترة بعد اندلاعها ولم تشرفي خطاباتها وتصريحاتها إلى الموقف الأمريكي من هذه الاحتجاجات حيث إلتزمت الإدارة الأمريكية الصمت تجاهها رغم العنف الذي ميز الرد الحكومي على المحتجين السلميين ويرغم تزايد عداد الضحايا والمصابين والمعتقلين ويرغم جنوح النظام التونسي إلى المعالجة الأمنية للأزمة بدلا من المعالجة السياسية إلا أن الإدارة الأمريكية لم توجه اللوم أو النقد بل تعمدت الصمت والتجاهل. وفي هذا السياق فقد ذكرت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون (Hillary Clinton) أن الحكومة الأمريكية تراقب ما يحدث في تونس دون أن تقف إلى جانب النظام على حساب الشعب أو العكس بالعكس لذلك فقد دعت الخارجية الأمريكية السفير التونسي في الولايات المتحدة الأمريكية محمد صلاح تقيه للفت نظره إلى خطوة ارتفاع عدد ضحايا الرصاص من بين المتظاهرين في سيدي يوزيد والقصرين وتالة ثم في كامل البلاد وفي يناير 2011 ذكر مارك تونر (Mark Toner) الناطق باسم وزارة الخارجية الأمريكية أن إدارة الرئيس

1.فواز جرجس، الحركات الإسلامية ليست القاطرة الرئيسية في الثورات العربية ،

<http://www.alraimedia.com> 2011/ar/article/issues/2011/06/23/269521/nr/nc

باراك اوباما " Barack Obama " قلقة جدا بسبب تقارير عن استخدام الحكومة التونسية المفرط للقوة ضد المحتجين¹. وبعد انتخاب منصف المرزوقي رئيسا جديدا لتونس إعتبرت الولايات المتحدة هذه الخطوة خطوة إيجابية في المرحلة الإنتقالية الديمقراطية لتونس وكان المجلس الوطني التأسيسي التونسي قد إنتخب منصف المرزوقي حيث أكدت هيلاري كلينتون خلال لقائها بنبيويورك مع وزير الشؤون الخارجية محمد مولدي الكافي اعتزاز الولايات المتحدة الأمريكية بالموقف إلى جانب تونس بعد الثورة لاسيما في هذه المرحلة الإنتقالية التي تعيشها البلاد.

الموقف الأمريكي من الثورة في مصر :

وفي موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الثورة المصرية لوحظ تأخر إعلان الموقف الأمريكي من الثورة انتظارا لما ستفسر عنه الأحداث بعد 25 يناير حيث أشارت هيلاري كلينتون أن الأوضاع في مصر مستقرة والأمر يتطلب إدخال بعض الإصلاحات وهو ما فسر تمسك الإدارة الأمريكية بمبارك حيث لوحظ أن واشنطن كانت حريصة خلال هذه المرحلة على الحفاظ على مبارك أو إعداد بديل له وعدم تكرار النموذج التونسي المتمثل في رحيل الرئيس الفوري على اعتبار أنه لو تكرر هذا السيناريو فقد يصعب بعد ذلك السيطرة على الأوضاع في باقي المنطقة . وتجدر الإشارة إلى أن الموقف الأمريكي من الثورة المصرية قد اتسم بدرجة عالية من الإرتباك بفعل الضغوط الشديدة التي تعرضت لها إدارة أوباما (Obama) والناجمة عن فجائية الثورة المصرية وسرعة تطور أحداثها والحرص الناشئ عن التناقض الواضح بين ما تدعو إليه الإدارة الأمريكية من قيم سياسية تعلو من الديمقراطية والحريات العامة وبين ما تنفذه واقعا من خلال ممارستها وسلوكها². إلا أن الحرج الذي وقعت فيه إدارة أوباما فمرده أن الثورة المصرية رفعت شعارات لا تتعارض مع القيم

1كمال بن يونس ,عوامل اندلاع الثورة ضد نظام بن علي في تونس , السياسة الدولية , العدد 184 أبريل

2011 , ص 61

رسالن هاني , الموقف الدولي العربي من اندلاع ثورة 25 يناير في مصر . [http : // www.](http://www.Sudile.com/2008.05.19.17.39.36.118.2009.12.08,2015)

² تم الوصول الى الموقع في 12.08,2015

الأمريكية إلا أن واشنطن التزمت الحذر دون القدرة على بلورة سياسة محددة تساعد على تجاوز الأزمة حيث كانت من الناحية القيمة مع شباب الثورة أما مصالحها فهي مع النظام .

الموقف الأمريكي من الثورة في المغرب:

بعد الاحتجاجات الشعبية التي انطلقت في المغرب في 20 فيفري 2011 والتي قادها شبان مغاربة "حركة 20 فبراير" يدعم من الهيئات الحقوقية والأحزاب السياسية المغربية والمواطنين المغاربة طالب المتظاهرون بإصلاحات سياسية واقتصادية و اجتماعية وفي خضم هذه الأحداث أعلنت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون عن تأييدها للانتخابات التشريعية المغربية غير أنها حذرت من أن مهمة بناء ديمقراطية ستطلب المزيد من العمل الشاق وقال المتحدث بإسم وزارة الخارجية الأمريكية مارك توتر "Marck Tomer" إن كون حزب العدالة والتنمية يتمتع بإيديولوجية إسلامية أو يطلق عليه إسم إسلامي لا يجد طريقة العمل معه ويجب ان تنتظر ونرى كيف سيعمل هذا الحزب في الواقع وما الأشياء التي يقولها علنا ، حيث قالت كلينتون في بيان لها أنهى الشعب المغربي بالإستكمال الناجح للإنتخابات التشريعية حيث توجه ملايين المغربيين إلى صناديق الإقتراع لإختيار قادتهم السياسيين الجدد¹.

الموقف الأمريكي من الثورة في اليمن :

ظهر الموقف الأمريكي من الثورة اليمنية من خلال إشادة الرئيس الأمريكي (بارك أوباما) بمبادرة الرئيس اليمني السابق علي عبد الله صالح التي أطلقها في 2 فبراير 2011 التي أعلن خلالها عدم ترشحه لولاية جديدة وعدم نيته توريث السلطة لنجله إضافة إلى إصلاحات أخرى حيث أعتبر أوباما أن المبادرة تضمنت عددا من الخطوات الإيجابية والإصلاحات المهمة ، وأكد على دعم الإدارة الأمريكية لكل الخطوات والإصلاحات التي أعلن عنها صالح وطالبه بأن تلتزم قوات الأمن اليمنية ضبط النفس وان تمتنع عن إستخدام العنف ضد المتظاهرين الذين يمارسون حقهم في

¹رسلان هاني، المرجع نفسه

التجمع ، حيث ذكر مدير الاستخبارات الوطنية الأمريكية أن لتحديا السياسية والأمنية وتحديات التنمية تمثل أكبر تهديد لليمن منذ الحرب الأهلية عام 1994¹. وردًا على سؤال حول الأوضاع السياسية في الأمن في ظل الثورة اليمنية اعتبر مدير الاستخبارات جايمس كلايبر (James Clapper) أن تدهور الحكم سيمثل تحديات خطيرة للمصالح الأمريكية والإقليمية بما في ذلك ان سيجعل تنظيم القاعدة في وضع أفضل يسمح له بتدبير وتنفيذ الاعتداءات. في خضم هذه الأحداث عبر مسؤولون أمريكيون عن ارتياحهم للعمل مع صالح الذي سمح بعمليات عسكرية أمريكية في اليمن ضد تنظيم القاعدة رغم عدم الترحيب الشعبي بتلك العمليات مما يوحي برغبة الولايات المتحدة الأمريكية ببقاء صالح رئيسا لليمن في تجاهل واضح للمتظاهرين وتفضيل للمصالح والحسابات الأمريكية على الأرض اليمنية التي يفترض أن تحترم فيها وعلى أرضها مصالح ومطالب وطموحات شبابها.

الموقف الأمريكي من الثورة السورية :

لعبت الولايات المتحدة الأمريكية دورا أساسيا وضح موقفها من الثورة والتي كانت دوافعه نابعة من أهدافها ومصالح التي تتحدد أساسا في الدفاع عن المصالح الاستراتيجية وردد المخاطر عنها وحماية مصالحها وخاصة استمرار السيطرة على أنظمة وحكومات الدول المنتجة للنفط وتحديدًا دول الخليج العربي ومن هذا المنطلق فيمكن فهم تشدد الولايات المتحدة الأمريكية في رغبتهم في إطاحة النظام السوري بعدما عجزت في محاولتها لإبعاده عن دعم واحتضان المقاومة في لبنان وفلسطين حيث اعتمدت على وسائل ضغط على مجرى الأحداث في سوريا سواء كانت مباشرة أو

مركز الجزيرة العربية للدراسات و البحوث, اليمن ثورة شعب

¹ تم الوصول الى الموقع في 21.04.2015 S= /217 php?&t=id 217 http://www.aljazeera-online/index

من خلال أو عملاءها والتي تمثلت بصورة رئيسية في الإعلام الصانع للرأي العام والمال والنقود في المنظمات الدولية والإقليمية¹.

وفي هذا السياق فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بنشاطات داخل منظمة الأمم المتحدة الهدف منها إطاحة النظام السوري وكذلك تحفيز شركائها داخل منظمة الحلف الأطلسي وجامعة الدول العربية لاتخاذ مواقف معادية للنظام السوري وفرض عقوبات ضحيتها الشعب السوري بالدرجة الأولى . وتجدر الإشارة في سياق الحديث عن مواقف الولايات المتحدة الأمريكية من الثورات العربية إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية قد ارتبكت في البداية عن الإفصاح عن موقفها لأن اللاعب الابرز في معادلة التغيير هم الإسلاميون ولكن بعد ذلك عملت الولايات المتحدة الأمريكية للتعاطي مع المتغيرات السياسية ضمن إستراتيجيتين:

1. إستراتيجية الاحتواء من خلال محاولتها الاحتواء الثورات الشعبية فبدأت تغازل جماعة الإخوان المسلمين وتدعم رياح التغيير وتظهر تفسيرها كأنها الراعي الحصري للتحويلات الديمقراطية في العالم العربي لكنها أدركت متأخرة بأن الشعوب العربية هي شعوب واعية ومتقفة ووطنية ولن تسمح لأحد باحتواء ثوراتها.
2. إستراتيجية الإفشال الإيجابي فبعد أن شعرت الولايات المتحدة الأمريكية أن من الصعب احتواء الثورات العربية بشكل كامل بدأ تنتهج إستراتيجية جديدة تقوم على الإفشال الإيجابي للثورات والهدف العام لتلك الإستراتيجية هو منع قيام وحدة إسلامية في المنطقة العربية تحت قيادة الإخوان المسلمين وذلك من خلال دعم ثورات مضادة في العديد من الدول التي تضع ضمن محور الممانعة من اجل تغيير نظام الحكم فيها لنظم أكثر إعتدالا و إنسجاما مع الرؤية الأمريكية للعالم العربي².

¹ زكي العابدي، إخفاقات أوباما في الشرق الاوسط، مركز الجزيرة للدراسات، 2012، ص 52
<http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2012/04/2012412124821204822.html> الوصول

الى الموقع في 12.11.2015

² حسام الدجني، أمريكا و الثورات العرب ، مجلة القدس العدد ، 6774 ، مارس 2011 ، ص 17

وهذه الطرق الإيجابية تعتمد على التظاهر السلمي وتبني مطالب عادلة يعبر عنها الشباب باستخدام العالم الافتراضي والرقمي لإيصال رسائلهم السياسية.

المطلب الثاني : إستراتيجية تسويق الدبلوماسية العامة الأمريكية عبر شبكات التواصل الاجتماعي في المنطقة العربية.

تعددت المسميات التي أطلقها المختصون على مواقع التواصل الاجتماعي التي أفرزتها ثورة الأنترنت فمنهم من أطلق عليها بشبكات التواصل الاجتماعي خاصة وأنها كانت تجمع النسيج الاجتماعي الحقيقي للمجتمعات في مجتمع افتراضي على شبكة الأنترنت ومنهم من أطلق عليها اسم وسائل الإعلام الاجتماعي بسبب الثورات العربية التي كانت بمثابة الوقود الذي يساهم في إشعالها بسبب منافستها لوسائل الإعلام التقليدية في بث المعلومة وإيصالها إلى المستخدم في الوقت نفسه. وقد ظهرت مواقع التواصل الاجتماعي انطلاقاً من حاجة المستخدمين للتواصل فيما بينهم بعد أن أصبحت الأنترنت ملاذاً آمناً ومهماً لإشباع حاجات نفسية واجتماعية وعلمية وفي إطار جغرافي يتميز باللامحدودية في المكان والزمان وقد ساعد البعد التقني في دمج الكثير من التطبيقات المتعددة مما أوجد عدة أبعاد وخاصة البعد المرئي الذي ساعد أكثر من غيره على تقوية عملية التفاعل بين المستخدمين. فبينما يعتقد الكثير من الشباب العربي بأن وسائل الإعلام الاجتماعي هي السبب في اندلاع الشرارة الأولى للثورات في كل من تونس ومصر واليمن وليبيا والبحرين وسوريا ، يرى بعض الباحثين أن وسائل الإعلام الاجتماعي هي مجرد أدوات أو وسائل إعلام جديدة أتاحتها البيئة الافتراضية ويرجعون أسباب الاحتجاجات الشعبية إلى ما يطلقون عليه بطلاة الشباب وعدم رضاهم عن العائلات الحاكمة وارتفاع أسعار المعيشة وغيرها من العوامل¹.

¹ كيجول طالب ، استخدامات الشباب العربي لشبكات التواصل في عملية التغيير السياسي دراسة تحليلية و ميدانية الجزائر نموذجاً، أعمال المؤتمر العربي التركي الثاني للعلوم الاجتماعية ، المجتمع المدني و التحولات في الشرق الأوسط، مركز الدراسات الحضارية و حوار الثقافات، جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد و العلوم السياسية، 2011، ص 378.

وفي هذا السياق ظهرت طبيعة أنشطة الدبلوماسية العامة الأمريكية الافتراضية من خلال كيفية استقبالها من قبل مستخدمي وسائل الاتصال الحديثة في المجتمعات العربية وذلك الإرتباطات بالأبعاد الثقافية للثقافة العربية ونسبة المستخدمين عبر الفاييسبوك أو التويتر التي تستخدمها الولايات المتحدة الأمريكية بغية تحقيق أهداف الدبلوماسية الرقمية الأمريكية الموجهة إلى الوطن العربي لاسيما بعد ثورات الربيع العربي.

1. الدبلوماسية العامة للأمن الإلكتروني والجاهزية الإلكترونية " 2.0 "

لقد تم إعداد مؤشر الجاهزية الإلكترونية 2.0 بناء على مؤشر الجاهزية الإلكترونية 1.0 وهو يختبر مئة وخمسة وعشرون دولة من الدول التي تبنت أو بدأت بتبني تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والأنترنت ومن تم تطبيق منهجية موضوعية لتقييم مستوى نضج كل دولة والتزامها بالأمن الإلكتروني و تستطيع بذلك الدولة فهم المشاكل التي تعاني منها البنية التحتية للأنترنت بالإضافة إلى التبعيات ونقاط الضعف الناتجة عنها¹. ويقيم مؤشر الجاهزية الإلكترونية 2.0 مستويات جاهزية الدول لبعض المخاطر الإلكترونية المحددة ويحدد المجالات التي يمكن فيها للقادة تعديل أو تحسين الوضع الحالي لدولهم من خلال زيادة فعالية القوانين والمعايير أو تغييرها للحفاظ على أمن اتصال الدولة وحمايتها.

ويتكون مؤشر الجاهزية الإلكترونية من عنصرين أساسيين :

1. صمم ليطلع قادة الدولة على الخطوات التي ينبغي عليهم أخذهم بعين الاعتبار لحماية دولهم التي يزداد اتصالها بالأنترنت بشكل متزايد ولحماية النمو المحتمل لنتائجها الإجمالي المحلي من خلال التقييم الموضوعي لمستوى نضج كل دولة والتزامها بالأمن والمرونة الإلكترونية .

¹ Melissa Hathaway, CYBER READINESS INDEX 2.0 A PLAN FOR CYBER READINESS: A BASELINE AND AN INDEX, Potomac Institute for Policy Studies, 2015, p7.

2. يحدد مؤشر الجاهزية الإلكترونية معنى تمتع الدولة بالجاهزية الإلكترونية وبضع العناصر الرئيسية للجاهزية الإلكترونية على شكل خطة قابلة للتنفيذ لتتبعها الدول حيث تمثل منهجية مؤشر الجاهزية الإلكترونية 2.0 أداة مفيدة وفريدة وسهلة للاستخدام لتقييم الفجوة بين الوضع الحالي للدولة بالنسبة للأمن الإلكتروني وبين قدرات الدولة الإلكترونية للأزمة لتحقيق نظرتها السياسية¹. وانطلاقاً من هذا فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية حريصة على تطوير وسائل الدبلوماسية العامة من خلال تقنيات التواصل الاجتماعي ودمج وسائل الإعلام الاجتماعية التقليدية مع الوسائل الحديثة والذي ترتب عنه إتباع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ماسماه الرئيس الأمريكي بارك أوباما "Barack_ Obama" نهجا دبلوماسياً ذكياً منظماً يقوم على تسويق القوة الناعمة الأمريكية وتحقيق أهداف الدبلوماسية العامة الرقمية وذلك عبر تفعيل الحوار واستخدام الأساليب الاتصالية الحادية الحديثة "Pull media" عبر المنظمات الحكومية وغير الحكومية فضلاً عن توظيف وسائل الإتصال الإلكترونية لتحقيق الأهداف الإستراتيجية للسياسة الخارجية. الأمر الذي يتطلب استخدام منظم للشبكات الاجتماعية وللتقنيات الإلكترونية الحديثة وعلى رأسها تقنية "الأنترنت" 2.0 "Web" بهدف تحقيق أهداف الدبلوماسية الرقمية الأمريكية الموجهة للعالم العربي، والتي أصبحت تستخدم باعتبارها وسائل إعلام حديثة في مجال العلاقات الدولية لاسيما في علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بالوطن العربي وكجزء من إستراتيجية الدبلوماسية العامة الأمريكية. وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية الجاهزية الإلكترونية "2.0 Web" شبكة من الشبكات الاجتماعية والذي انشأ من خلال برنامج وتطبيقات الجيل الثاني "second génération" والذي يمكن المستخدمين من المشاركة عبر الأنترنت في مجال التعاون والعمل والمسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ويتميز هذا التطبيق بشعبية كبيرة في الولايات المتحدة الأمريكية شأنه شأن اليوتيوب والفايسبوك والتويتر والويكي والتعريف الدقيق للمصطلح يعود لعام 2004 في تقرير

¹ Melissa E. Hathaway , Connected Choices: How the Internet Is Challenging Sovereign Decisions, American Foreign Policy Interests, Volume 36, Number 5, 2014, NCAFP, p305

قدمه جراهام بول "Paul Graham" حيث كان أول من استخدم مصطلح "web 2.0" وذلك في مؤتمر بعنوان "web" في عام 2004 "the web 2.0 Conferance in 2004".¹ وفي هذا السياق فقد ذكرت وكالة وزارة الخارجية الأمريكية للدبلوماسية العامة تارسوت انشائين " انه من أجل أن تكون الدبلوماسية العامة الأمريكية فعالة حقا في العالم المعاصر فإنها بحاجة إلى وسائل الإعلام الاجتماعية الحديثة ، حيث كانت من بين المتحدثين في مؤتمر لمعهد السلام الأمريكي في عام 2012 والذي كان بعنوان "التبادل 2.0" علم التأثير وحتمية التنفيذ حيث ضمت الفعالية ضياع القرار والباحثين وخبراء التعليم ومنفذي البرامج في مؤتمر التبادل 2.0 على الانترنت الحديثة وذلك لبحث تصميم البرامج التي تستعين بالتكنولوجيا في المناهج الدراسية ليتسنى استخدامها في التبادلات التعليمية خاصة مع العالم العربي حيث أوضحت أن برنامج التبادل 2.0 يعمل باعتبارها امتداد للدبلوماسية العامة الرقمية الأمريكية لأنه يمكن أن يساعد في الحفاظ على علاقات تبينت في البداية على أساس برنامج التبادل القائمة على أرض الواقع وعلى أثر هذا أعلنت عن إطلاق وحدة التبادل الافتراضي في وزارة الخارجية والتي تهدف إلى فتح قنوات بين الشباب الأمريكي ونظرائه في العالم العربي كما أشارت إلى سلسلة التجمعات التقنية " Tech camps " ² للشباب لتعليم الشباب في العالم العربي على وجه الخصوص مهارات المعرفة الرقمية وكان التركيز على الشباب الذين يتراوح أعمارهم بين 18 و 23 سنة من كل الوطن العربي وعلى رأسها مصر والسعودية .

وتجدر الإشارة إلى أن الدبلوماسية العامة الأمريكية من خلال ويب 2.0 "Web 2.0" او ما يسمى بالدبلوماسية العامة "Public Diplomacy 2.0" تحتوي على عدة مستويات وتمويل من طرف وزارة الخارجية الأمريكية حيث تتراوس هيلاري كلينتون " Hillary Clinton " وزيرة الخارجية

¹ Hannes R. Richter , Web 2.0 and Public Diplomacy, This research is supported by a stipend of the Austrian Marshall Plan Foundation University of Innsbruck , Vienna, Austria, p 11.

² Jane morse ,Effective public diplomacy needs social media IIP Digital.15 october 2012.iipdigital.usem ba.gov/st/article/2012/10/2012 /101513748812 / (accessed 12/04 /2015.

الأمريكية فريق من المدونين الذين ينشرون مقالات باللغة الإنجليزية حول نشاطاتها لاسيما في العالم العربي حيث تم إطلاق موقع وزارة الخارجية وذلك في عام 2010 والتي تدعو من خلاله الزوار لتسجيل آرائهم حول العديد من القضايا السياسية والاقتصادية¹ ، وبالتالي التعبير عن الرأي وجها لوجه كما يسمح لعديد من الدبلوماسيين الأمريكيين من استخدام مواقع التواصل للاتصال مع الناس في الكثير من دول العالم العربي خاصة في السعودية ومصر والإمارات العربية المتحدة ، وهذا ضمن موقع سمي مقهى الولايات المتحدة الأمريكية للمشاركة السياسية.

وبالحديث عن تأثير لدبلوماسية العامة 2.0 في العالم العربي والإسلامي فقد دعت إدارة بارك أوباما إلى تبني برامج لإعادة صياغة العلاقات الأمريكية العربية من خلال استخدام الأنترنت في دعم تقدم وتطور الدبلوماسية العامة الأمريكية وتمكين المستخدمين من تقديم ردود أفعال في شكل تعليقات وتقنيات ذلك أن ويب 2.0 لـ "Web 2.0" يقدم التسهيلات للانضمام إلى الحوار والمشاركة في التعليقات لذلك فإن الدبلوماسية العامة 2.0 الأمريكية تمتاز بثلاث خصائص أساسية :

1. لها القدرة على تسهيل وإنشاء علاقات حول الشبكات الاجتماعية وخاصة مع المجتمعات العربية عبر الأنترنت .
2. اعتماد الدبلوماسية العامة 2.0 على المضمون المقدم من المستخدمين من ردود الفعل والتعليقات من أجل تفعيل أنشطتها تجاه العالم العربي.

¹ Lina Khatib William Dutton Michael Thelwall, Public Diplomacy 2.0: A Case Study of the US Digital Outreach Team, The Middle East Journal, Volume 66, Number 3, Summer 2012, pp. 456.

3. أن الدبلوماسية العامة 2.0 تعطي شعور بأن هذه التكنولوجيا هي الأساس في تفعيل العلاقات من خلال توزيع المعلومات عبر العالم¹.

وتجدر الإشارة إلى أن الدبلوماسية العامة الأمريكية 2.0 أصبحت قوة مكملة للدبلوماسية العامة التقليدية فهي توفر شكل من أشكال الاستماع من خلال تقديم آراء الجماهير عبر العالم في شكل تعليقات مباشرة او عبر المدونات هذا من جهة ، من جهة أخرى فقد أصبحت تعكس أيضا شكل من أشكال الدبلوماسية الثقافية والربط الدولي الذي يسهل تبادل الثقافات وتداول الأخبار عبر العالم ، لذلك فإن ويب 2.0 "Web 2.0" أصبح وسيلة مثالية للدبلوماسية العامة الأمريكية الجديدة والتي تعكس خصائص الدبلوماسية العامة الرقمية الأمريكية . وفي هذا السياق فقد أشار بارك أوباما إلى ضرورة استخدام تكنولوجيا الاتصال باعتبارها جزء لا يتجزء من الدبلوماسية العامة حيث وقع على مذكرة الشفافية والحكومية المنفتحة "transparence on the open gomverment" والتي تنص على ضرورة الاستفادة من تقنيات الويب 2.0 والتي توفر كميات هائلة من المعرفة داخل المجتمعات وفي جميع أنحاء العالم العربي حيث ذكر جيرمي كورتين " Jeremy Cortine" أنه لتفعيل أنشطة الدبلوماسية العامة واشتراك العالم في القضايا السياسية الأمريكية فإن الأمر يتطلب الوصول إلى عالم الأنترنت باعتباره الوسيلة الوحيدة والتي تسمح للوصول إلى بيوت ومكاتب الناس والشعوب عبر العالم خاصة العالم العربي وحتى البلدان ذات التردد المنخفض فهي يمكنها أن تشارك في الحوار فنحن نستخدم الويب 2.0 لتتبيه الجمهور والتفاعل مع المشاركين من بلدان

¹Nicholas J. Cull, The Long Road to Public Diplomacy 2.0: The Internet in US Public Diplomacy, Volume 15, Issue 1 March 2013 , p 124.

<http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1111/misr.12026/abstract> (accessed 12/°9/2015).

عربية مختلفة مثل مصر وتونس والمغرب¹. وبالتالي تتضح أهمية هذه التقنية في تحديد أنماط استقبال وتفسير المستخدمين العرب لجمهور وأنشطة الدبلوماسية العامة الأمريكية في المجال العام الافتراضي.

2. دبلوماسية فايسبوك وتويتر Facediplomacy Twitdiplomacy

لقد ظهرت أشكال عديدة من الدبلوماسية كانت نتيجة لتطور تكنولوجيا الإتصال هذه الدبلوماسية التي أصبحت دبلوماسية عالمية جديدة تستخدم فيها النشطاء والمنظمات الخاصة والعامة والقادة السياسيون والجمهور العام وسائل التواصل الإجتماعي مثل فايسبوك وتويتر "facebook _twitter" بالإضافة إلى كل الإمكانيات التي توفرها الأنترنت لنشر الأفكار وبناء العلاقات الثقافية على المستوى العالمي وتشكيل الصورة الذهنية والتي تثير الجماهير . لذلك ظهرت مفاهيم جديدة منها الدبلوماسية عبر التويتر twitdiplomacy والدبلوماسية عبر فايسبوك "facediplmacy" وهذه المصطلحات تعني أن هناك مجالات جديدة للممارسة الدبلوماسية وان كل دولة لابد أن تبحث عن كيفية استغلال الأدوات الانترنت مثل وسائل التواصل الاجتماعي في ممارسة الدبلوماسية . وفي هذا السياق فقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية من خلال وزارة الخارجية الأمريكية بمبادرة القرن الحادي والعشرين للكفاءة السياسية بهدف تدريب الدبلوماسيين الأمريكيين وتشجيعهم على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لخلق حوار عالمي " International dialogue " حيث أدت هذه التجربة الي نتائج مهمة في استخدام الدبلوماسيين الأمريكيين لوسائل التواصل الاجتماعي مثل تويتر "twitter" وفايسبوك " Facebook " في عملهم اليومي وهذا ما أدى إلى أن يصل عدد متابعي صفحات وزارة الخارجية الأمريكية على الفايسبوك

¹ Jeremy Curtin, US public diplomacy 2.0 bureau of international information programe , US department of state.publicdiplomacymagazine.com/us-publicdiplomacy2.0(accessed 17/08/2015).

وتويتر إلى 26 مليون متابع حيث ذكر رونالدبرلس " Ronald Parles " أن هذه المبادرة أدت إلى تحويل وزارة الخارجية الأمريكية إلى إمبراطورية عالمية¹ .

وتجدر الإشارة إلى أن الدبلوماسيون الأمريكيين قد أجمعوا أن لشبكات التواصل الاجتماعي فايسبوك وتويتر دورا مهما في كونها الية إعلامية جديدة أتاحت للملايين فرصة التعبير عن آرائهم وأفكارهم والتي همشتها وسائل لإعلام التقليدية بسبب مركزية التسيير وملكيته لجماعات المصالح. وفي هذا السياق فقد استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية الشبكات الاجتماعية بغية تحقيق أهداف الدبلوماسية العامة الرقمية الموجهة إلى الدول العربية في بنية وسائل التواصل الاجتماعي فايسبوك وتويتر وذلك من خلال ارتباط الرسائل الدبلوماسية العامة الأمريكية بموضوعات السياسة الأمريكية والمجتمع الأمريكي *American Policy and society* حيث تحمل مضامين حول القيم الأمريكية المقدره لحقوق الإنسان والحريات²، والتي تتحدد من خلال ارتباط وظائف الدبلوماسية العامة الأمريكية وأهدافها بإعلام واتباع الجماهير الأجنبية والعربية خاصة بسياسة الولايات المتحدة الأمريكية أو خلق مناخ الفهم المتبادل والاحترام والثقة فيها وفي مؤسساتها وقيمها حيث تقدم المواد المنتجة باللغة العربية على موقع وزارة الخارجية الأمريكية وصفا تفصيليا لشكل النظام السياسي الأمريكي رسميا وفعليا وكذلك لجماعات الضغط المختلفة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المبادرة موجهة إلى الوطن العربي التي انتقل فيها المواطن العربي إلى مرحلة تسمح له بتكوين الاتجاهات السياسية والثقافية من خلال عمليات النقاش المتواصلة بين ملايين المستخدمين العرب حيث وصلت المستخدم العربي لمواقع التواصل الاجتماعي فايسبوك وتويتر إلى مرحلة حشد الجماهير في المساحات الافتراضية لينتقل فيها بعد

¹ , Roland paris ,The Digital Diplomacy Revolution, Prepared for the Canadian Defence & Foreign Affairs Institute, CDFAI Senior Fellow June, 2013, p33.

² Xin Zhong, Jiay iLu, Public diplomacy meets social media: A study of the U.S.

Embassy's blogs and micro-blogs, Public Relations Review
Volume 39, Issue 5, December 2013, P543.

إلى حشدهم في الساحات الحقيقية وخير مثال الثورات العربية التي استطاعت شبكات التواصل الاجتماعي أن تكون أداة فعالة لتأجيحها ومدتها بالمعلومة وتنظيمها حيث يقدر عدد المستخدمين في الوطن العربي للفايسبوك Facebook بـ 17 مليون مستخدم باللغة العربية ويتوقع المختصون أن يتزايد عدد المدونين في السنوات القادمة ومن جهة أخرى أطلق موقع تويتر واجهة باللغة العربية مع نهاية عام 2011 ويعود هذا السبب إلى الإقبال المتزايد على هذا الموقع الذي يلقي إقبال كبيراً من طرف المستخدمين العرب¹. حيث لجأ بعض المسؤولين الحكوميين والسياسيين العرب إلى المساهمة النشيطة في منصات الشبكات الأجنبية كالفيسبوك وتويتر للتواصل مع الحكوميين وخلق حالة من التفاعل والمواطن والمسؤول حيث سهل هذا الأمر سرعة العملية و انخفاض تكلفتها وفي المقابل ومع تزايد عدد مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي في الوطن العربي تسعى الولايات المتحدة من خلال أنشطة الدبلوماسية العامة التي تمارسها المنظمات الأمريكية الحكومية وغير الحكومية إلى وصف الرؤى والأفكار التي تقدمها عن نفسها للجماهير العربية والتي تقوم بأنشطة ابتكارية تعذر جاذبية النموذج الأمريكي وأهم هذه المنظمات التي تعكس جهود الدبلوماسية العامة الأمريكية نجد:

منظمة هيومن رايتس ووتش " والتي من خلال صفحتها على الفيسبوك تعتبر جزءاً من جهود الدبلوماسية العامة الأمريكية في الوطن العربي والتي تتحدد أنشطتها أساساً من خلال إقامة الحوار وتعزيز السلام وحماية حقوق الإنسان والملاحظ أن القائمين على الصفحة يحرصون على كتابة إسم منظمة هيومن رايتس ووتش والتعريف بها باللغة العربية ونشر جميع الوسائط على الصفحة باللغة العربية نظراً لتوجهها إلى المستخدمين العرب الذين وصل عدد المعجبين بالصفحة إلى 35847 مستخدماً وعدد الذين يتحدثون حولها على الفيسبوك إلى 600 مستخدم².

¹ Jeffrey Ghannam, Social Media in the Arab World: Leading up to the Uprisings of 2011, A Report to the Center for International Media Assistance, February 3, 2011, p 18.

² Ibid ,p 20

السفارة الأمريكية بالقاهرة : والتي تعد هي الأخرى إحدى أهم المنظمات السياسية الحكومية الرسمية المعنية بممارسة أنشطة الدبلوماسية العامة الأمريكية ومخاطبة الجمهور المصري حيث اهتم القائمون على الصفحة بكتابة اسم السفارة باللغتين العربية والإنجليزية أعلى الصفحة أما صورة البروفايل فكانت صورة السفيرة الأمريكية السابقة في القاهرة ان باترسون "Anne Paterson" حيث تنوعت البوستات بين اللغتين العربية والإنجليزية وبصورة شبه متساوية عددياً حيث تحظى الصفحة الرسمية للسفارة الأمريكية بالقاهرة بشعبية كبيرة حيث وصل عدد المعجبين بها "Likes" إلى 152398 وعدد الذين يتحدثون حولها "Talking about" إلى 7606 مستخدمين.

قناة الحرة الإخبارية الأمريكية : التي كانت تعتبر من أبرز المنظمات الإعلامية الأمريكية الحكومية الموجهة للجمهور العربي حيث أطلقتها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في فبراير 2004 وذلك لوجود قناة بمهمته الإعلام المرئي على الجمهور العربي ، وقد أظهر بعض إستطلاعات الرأي التي أجريت من قبل بعض المنظمات البحثية الدولية أن قناة الحرة كانت قد نجحت في الحصول على مشاهدين لها ولبرامجها وسط السوق العربية الفضائية المزدهمة حيث يلاحظ أن صفحة قناة الحرة كان قد وصل عدد المعجبين بها إلى 300893 مستخدماً وعدد الذين يتحدثون عنها إلى 21312 وقد حرص القائمون على الصفحة على كتابة اسم القناة باللغتين العربية والإنجليزية على أساس أنها قناة ناطقة باللغة العربية وتعمل على تقديم الإخبار والمعلومات وتعطى الأحداث في الشرق الأوسط والعالم بشكل متوازن ¹ .

فمن خلال هذه المواقع التي تعتبر جزء من أجزاء الدبلوماسية العامة الرقمية الأمريكية فقد حاولت الولايات المتحدة الأمريكية مراعاة بقدر الإمكان الأبعاد المرتبطة بالصورة الثقافية للدولة عبر وضع المعايير الثقافية للشعوب العربية في الاعتبار وقد ضعف تمسكها بتلك المعايير في سياق

¹ Kim Andrew Elliott. Alhurra spokesperson speaks out for Alhurra, Reporting on international broadcasting, 04 Jan 2010. <http://kimelli.nfshost.com/index.php?id=8104>(accessed 17/12/2015)

القضايا التي قد تمس صورة الولايات المتحدة الأمريكية لدى المجتمعات العربية والتي تعتبر الهدف الرئيسي للدبلوماسية العامة الأمريكية حيث سمح دبلوماسيين الفايبيوك ودبلوماسيين تويتر باعتبارها وسيلة تفاعلية على استخدام الولايات المتحدة الأمريكية لعناصر فنية متنوعة وملائمة لطبيعة الثقافات العربية .

وتجدر الإشارة إلى التزام بارك أوباما باستخدام تكنولوجيا الاتصال باعتبارها آلية حيوية للدبلوماسية العامة ففي خطابه في القاهرة ومحاولة منه للدعوة لتحسين العلاقات الأمريكية العربية استخدمت وكالات الحكومة الأمريكية مجموعة متنوعة من تطبيقات الانترنت بما في ذلك مواقع الشبكات الاجتماعية والبريد الإلكتروني المباشر على الموقع الإلكتروني للبريد الأبيض حيث وصلت الرسائل النصية وتحديثات تويتر لأكثر من 20000¹ من المستخدمين في العالم العربي حيث كانت هذه الرسائل النصية غير متاحة لمواطني الولايات المتحدة الأمريكية بل كان التركيز وتمويل من وزارة الخارجية على مواطني العالم العربي على وجه الخصوص والتي غلبت على هذه الرسائل اللغة العربية بالإضافة إلى الفارسية والأردية.

يمكن القول أن الولايات المتحدة الأمريكية قد أضافت جانباً مهماً يكمل صورة الدبلوماسية العامة الرقمية وهي أن وزارة الخارجية يمكن أن تطور قدرات دبلوماسيتها الرسمية للتواصل مع الجمهور العربي عبر صفحات تويتر وفايسبوك Facebook ذلك أن عدد المتابعين لهذه الصفحات يشير إلى مدى النجاح الذي حققته في جذب الجماهير العربية كما يعني ذلك أيضاً أن الدبلوماسية العامة الرقمية الأمريكية لها تطبيقاتها من خلال التفاعل مع شباب الوطن العربي على وجه الخصوص عبر شبكات التواصل الاجتماعي من خلال التقرب من المستخدمين العرب عبر محاولة الإنعاس في سياق البيئة الطبيعية والعربية لهما اعتباراً منها معظم المستخدمين العرب أو الناطقين بالعربية على وعي بالأهداف الأمريكية وقادرون على التفرقة بين الأنشطة التي تمس الجانبين الإنساني والاجتماعي وتلك التي تمس الجانبين السياسي والأمني للمجتمعات العربية .

¹ Idem.

المطلب الثالث : الدبلوماسية العامة الرقمية الأمريكية وتعزيز الحراك الشعبي في

مصر

لقد عكس موقف بارك أوباما الذي أظهر عديد الاحتجاجات في 25 يناير 2011 شعورها بعدم اليقين والخوف من المستقبل وكانت الوزيرة كلينتون في اليوم الأول للثورة تقديرن اهو أن الحكومة المصرية مستقرة وأنها تسعى إلى سبل تستجيب بها لاحتجاجات الشعب المصري ومطالبه المشروعة ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية شعرت وأنها في وضع يمكنها أن تقرر ما هو مشروع وما هو غير مشروع وفي هذا السياق فقد حث بارك أوباما مبارك على أن يلجأ إلى القوة فيها شجع نائب الرئيس جورايدن " John Rayden " الحل السلمي ورفض أن يدعو مبارك بالطاغية وذلك مع محاولة معرفة رأي القوات المسلحة المصرية من المحتجين وعندما أصبح من الواضح لرفض مبارك التخلي عن منصبه ، حاولت الولايات المتحدة الأمريكية الانضمام إلى أي من الجانبين والالتزام بموقف حيادي .

لذلك فقد كانت هيلاري كلينتون أول مسؤول عالي المستوى بإدارة أوباما يذهب بالقاهرة بعد اندلاع الثورة الشعبية التي أطاحت بحسني مبارك أكثر حلفاء الولايات الأمريكية الموثوقين في الشرق الأوسط لعقود عديدة والتي تميزت بالعلاقات القوية نتيجة الاهتمام الأمريكي بالدور المصري في منظمة الشرق الأوسط والتي أعلى أثرها ازدادت أهمية الشرق الأوسط بشكل كبير وأصبحت من أكثر المناطق الحيوية التي تسعى القوى العالمية للسيطرة عليها نظرا لما تتمتع به من ثروة نفطية هائلة وموقع جغرافي متميز¹. إلا أنه ومع ثورة يناير أصبحت العلاقة بين الولايات المتحدة ومصر يسودها التوتر وذلك لتحقيق الولايات المتحدة الأمريكية فقدان مصر لأنها تعتبرها ذات أهمية كبيرة في المنطقة العربية حيث صرح أن مستقبل أمريكا مرتبط بهذه المنطقة وأعرب عن

¹لويديسي جاردنر، مصر كما تريدها أمريكا من صعود ناصر الى سقوط مبارك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة

الاسرة، القاهرة، 2013، ص 294

جدره من فقدان الاستقرار في المنطقة بفعل الثورات العربية هذه الأخيرة التي كانت مسرحا لعبت فيه وسائل التواصل الاجتماعي مثل فايسبوك وتويتر دورا مهما في تعزيز الحراك الشعبي في مصر والتي حاولت فيه الولايات المتحدة الأمريكية احتوائه من خلال أنشطة الدبلوماسية العامة الرقمية الأمريكية

1. السلوك الأمريكي اتجاه الثورة المصرية : دعم جماعة الإخوان المسلمين

أ. علاقة أمريكا بالإخوان المسلمين

تحسنت العلاقات المصرية الأمريكية مع مجيء الرئيس الأمريكي بارك اوباما " Barack Obama" بشكل ملحوظ حيث أرسل أوباما برسائل عدة إلى العالم العربي مفادها أن تغييرا جوهريا قد طرأ على السياسات الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية عنوانها اعتماد القوة الناعمة بدلا من القوة الخشنة و انتهاج الحوار بدلا من الإملاء والاحتواء بدلا من المواجهة وقد جاءت زيارة أوباما للقاهرة في 4 جوان 2009 ومخاطبته للعالم العربي والإسلامي من على منبر جامعة القاهرة، إعترافا أمريكيا بمكانة مصر و ثقلاها في منطقتها وإقليمها من ناحية ودفاعا وتشجيعا لها لممارسة دور حيادي يتوافق مع الرؤية الأمريكية الجديدة للعلاقات الدولية من ناحية أخرى وكنتيجة لهذا الموقف الأمريكي الجديد الذي أطلقه اوباما. زار مبارك أمريكا لأول مرة بعد أن كان قد أنقطع عن زيارتها خمس سنوات كاملة كما تم استئناف الحوار الإستراتيجي بين البلدين وهو الذي كان قد بدأ في عهد كلينتون في 1998 بهدف توسيع التعاون وحل الخلافات التي تنشأ في لقاءات على أعلى مستوى سياسي . وتجدر الإشارة إلى أن العلاقات الأمريكية المصرية كانت نابعة من مصالح أمريكا في المنطقة باعتبار المجال الحيوي الذي يمكن من خلاله أن تتدخل الولايات المتحدة الأمريكية في الوطن العربي بعد نشر الديمقراطية فبعد أحداث 11 سبتمبر انتهجت الولايات المتحدة الأمريكية سياسة طالبت من خلالها وبضغط شديد على مبارك بأن يسمح بنشر الديمقراطية والإصلاح السياسي ، فسمح مبارك أن تشارك الأحزاب السياسية الأخرى مع الحزب الديمقراطي وهذه سابقة لم تحصل في مصر منذ عقود لذلك فاز الاخوان المسلمين ب 88 مقعدا من أصل

454 مقعد برلماني¹، ودخل نواب الإخوان على شكل نواب مستقلين لكون الدستور المصري يحضر الأحزاب الدينية من مداولة العمل السياسي وبذلك تكونت المعارضة البرلمانية بقيادة الإخوان المسلمين ثم تشكلت بعض الحركات نتيجة للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية على أساس معارض لنهج الحكومة وساعد الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي على زيادة عدد المؤيدين للحركات المعارضة وبدأت تدعو حركات المعارضة إلى قرارات ذات رؤية تمتاز بالضغط على الحكومة . حيث رأت الولايات المتحدة الأمريكية في قيادة الإخوان المسلمين كورقة ضغط على نظام الرئيس مبارك فطوال السنوات الماضية استمرت الاتصالات العلنية والسرية بين جماعة الإخوان المسلمين والأمريكيين حيث حاول الرئيس السابق حسني مبارك استخدام الإخوان المسلمين كفراعنة للعرب بصفة عامة وللولايات المتحدة بصفة خاصة ، وفي هذا السياق فقد أكد السفير الأمريكي السابق في القاهرة فرنسيس ريشاردوني "Franssise Richardouni" في تصريحاته أن الاتصالات الأمريكية مع جماعة الإخوان المسلمين تقتصر على نواب المعارضة في مجلس الشعب والشورى وبعض النواب المستقلين باعتبار جزء من المعارضة .

فبعد أحداث 11 سبتمبر 2001 أدرجت الولايات المتحدة الأمريكية العديد من المنظمات الإسلامية ضمن قائمة المنظمات الإرهابية المحضور التعامل معها لكن لم تكن من بينها جماعة الإخوان المسلمين ، حيث كشفت بعض الوثائق أنه تم العديد من اللقاءات بين الرئيس الأمريكي باراك اوباما مع ممثل عن جماعة الإخوان والتي كان أهمها اللقاء على مأدبة إفطار في شهر رمضان عام 2009² . وبعد اندلاع ثورة يناير اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية التي تعتبر الحليف الدولي الأبرز لنظام الرئيس مبارك موقفا متحفظا كما سبق الذكر متذرة بترك الأمر للشعب والجيش المصريين غير أن استمرار التظاهرات وانتشارها في القاهرة ومختلف المحافظات المصرية أقع الولايات المتحدة بنهاية نظام حسني مبارك وهو ما دفع الرئيس باراك اوباما إلى أن

¹ أنطوان بصبوص، التسونامي العربي، الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف و المطبوعات ، لبنان 2013، ص

² مسعد حجازي، الامريكان و الاتصالات السرية مع الاخوان، مجلة المصريون

http://www.almesryoun. Com/1241/12/09/2013تم الوصول الى الموقع في 22.09.2015

يهنئ الشعب المصري في إغقاب تنحي مبارك في 11 فيفري على الرغم من تداعيات ذلك على السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية أو خلفائها التقليديين وبرغم ضغوط الكثير من حلفائها في المنطقة بهدف توجيه سياساتها لدعم النظام والمحافظة عليه وإعطائه الفرصة خوفا من تكرار المشهد ذاته وهو الأمر المتوقع في هذه الدول التي لا تملك من مقومات القوة ما يملكه نظام حسني مبارك¹ حيث اعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية مبارك صنفتم على أنها تحول في السياسة الأمريكية تجاه مصر مثل " نتمنى أن تنتهي أعمال العنف في مصر " و " الانتقال المنظم للسلطة " ولا بد أن يتم انتقال السلطة الآن وبطريقة ناجحة وهو ما وضح تخلي الولايات المتحدة الأمريكية عن نظام مبارك وحكومة في غضون ثلاثة إلى أربعة أيام فقط من بدء ثورة الشعب المصري.

وتجدر الإشارة إلى ان خطاب الرئيس الأمريكي في القاهرة والذي دعا فيه عشر من أعضاء كتلة الإخوان المسلمين في البرلمان المصري لم تكن أهمية فيما حمل في طياته من دعوة إلى إصلاحات ديمقراطية ولكن فيما اعتبرته وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون " إعادة تشكيل للمشهد الدبلوماسي إذ عرض فيه أوباما إعادة تقويم طموحة لعلاقة أمريكا مع مصر والعالم الإسلامي ،حيث كانت دعوة أعضاء من الإخوان إلى الخطاب ذات دلالة سياسية لما حمل الخطاب من رسائل ضمنية المبادي الديمقراطية والقيم الإنسانية وتمكين المرأة والتنمية الاقتصادية والسلام والأمن كما دلت الدعوة على دعم جماعة الإخوان في مصر ،حيث استشرع مبارك من خطاب أوباما ليؤنة اتجاه الإخوان²

فالولايات المتحدة الأمريكية كانت تتعامل مع معطيات الواقع التي تقر بأن جماعة الإخوان المسلمين تمثل قوة فعالة ومؤثرة في الشارع المصري إلا أن لم تكشف هذه الحقيقة فجأة فهي تعلم

1 ابراهيم عبد الكريم و آخرون ،تقدير موقف الثورات العربية ، دراسات استراتيجية ، مجلة الشرق الاوسط، مركز

دراسات الشرق الاوسط ،الاردن ، العدد 23، الطبعة الاولى ، 2012، ص ص 22 23

² General petraeus ,meeting with Egis cheif ,solinan , wikileaks, july 14.2009.http://www.wikileaks.org/plusd/cables/09CARIO1349html/ (accessed23:09:2015)

القوة الحقيقية للإخوان منذ وقت طويل ودون أي مبالغات في حجم هذه القوة غير أن إعلان تصريحات وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون بشأن استئناف الاتصالات الأمريكية مع جماعة الإخوان المسلمين يتم عن حدوث تطور جديد وتغيير في موقف إدارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما من جماعة الإخوان ومن الموقف الأمريكي العام بشأن الفترة الانتقالية الحالية في مصر. لكن، و بعد أحداث الثورة المصرية وبعد الانقسام في الإدارة الأمريكية من أجل البحث في إتحاد موقف أمريكي موحد ازدادت الثورة المصرية والرئيس حسني مبارك والذي حسمه الرئيس أوباما بالإصرار على تخلي الرئيس مبارك على السلطة وتأييد الثورة المصرية وجدت إدارة أوباما أن مصالح الولايات المتحدة الأمريكية الإستراتيجية في الشرق الأوسط تتطلب الرهان على تأييد جماعة الإخوان المسلمين حتى ولو وصلوا إلى الحكم بعد اندلاع الثورات العربية وخاصة المصرية حيث قرر الرئيس أوباما المخاطرة بالرهان على جماعة الإخوان المسلمين بعد فشل الحكام الذي إعتدتهم للحفاظ على مصالحها ، حيث أيدت الإدارة الأمريكية كل الإجراءات التي اتخذها المجلس العسكري الحاكم في مصر وإجراء الانتخابات البرلمانية في موعدها في شهر سبتمبر 2011 وكان هذا هو الموقف الأمريكي المعروف لكن مع نهاية شهر ماي 2011 حدث تغيير تكتيكي في الموقف الأمريكي تجاه الإخوان وموضوع الانتخابات البرلمانية في مصر¹ .

وفي هذا السياق جاءت تصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون بالإعلان عن استئناف الاتصالات بين الولايات المتحدة الأمريكية وجماعة الإخوان المسلمين لإحراجهم داخليا من ناحية وفرملة اندفاعهم وإصرارهم على إجراء الانتخابات البرلمانية أولا في موعدها من ناحية أخرى حيث أضاف رايدل Radel حول طبيعة الاتصالات السابقة مع الجماعة وفقا لعمله بالقرب من البيت الأبيض أنه كانت هناك اتصالات سابقة مع عدد من الإخوان وأتمنى أن تكوالاتصالات المقبلة في مستوى أرفع ووجود السفارة الأمريكية الجديدة آن باتريسون Ann Patirison في القاهرة يمكن أن يفتح الباب أمام اتصالات أكبر في المستقبل بحكم خبر أنها السابقة، فمصر كانت نائمة واستيقظت وعلى أمريكا أن تتأكد من نجاح الثورة المصرية من أجل تحقيق المصالح

¹ مسعد حجازي ,مرجع سابق.

المشتركة للبلدين وان تضع معايير للقوة التي تتعامل معها في مقدمتها نبد العنف واحترام حكم القانون ولا يجب التعامل مع الرافضين لتلك المبادئ أو من يعملون ضد مبادئ الربيع العربي¹. لذلك يمكن القول أن وجود الإخوان المسلمين بقوة في الساحة الاجتماعية المصرية كطرف فاعل في النظام السياسي وضعهم في اعتبارات الولايات المتحدة الأمريكية المهم التفاعل معهم فقد كانت تعبر عن توجهات السياسة الخارجية الأمريكية من خلال إشراكهم في السلطة حيث قدم الإخوان أنفسهم على أنهم جماعة تنفيذ العنف وتؤيد الديمقراطية وتلتزم بالأعراف الاتفاقيات الدولية لكسب دعم أمريكي والضغط باتجاه ان يمنحهم النظام المصري هامشا للمنافسة في الانتخابات والمشاركة السياسية.

2- اثر الشبكات الاجتماعية و وسائل و تكنولوجيايات الاتصال الحديثة في

تطور الحراك الشعبي في مصر

مثلت ثورة 25 يناير ومشاهدته مصر منذ تنحي الرئيس مبارك وصولا لإزاحة الجيش للرئيس مرسي ومائله من موقف الولايات المتحدة الأمريكية من جماعة الإخوان المسلمين صدمة حقيقية لأركان الحكم ودوائر صنع القرار في العاصمة الأمريكية ففجائية الأحداث وعدم القدرة على توقعها والارتباك الكبير بسبب سرعتها ووجهة مسارها زاد من دراماتيكية الدور الأمريكي إلا أن واشنطن كانت تدرك جيدا ماذا تريد من مصر سواء حكمها حسني مبارك أو محمد مرسي أو عبد الفتاح السيسي وعلى العكس من ذلك لم تعرف مصر ماذا تريد من أمريكا خلال العقود الثلاثة الماضية فالحراك الشعبي في مصر كان يتميز بالطابع الشبابي البعيد عن أي تأثير سياسي أو ثقافي ومحاولة توجيه موجات التغيير في مصر بما يتسق مع المصالح الأمريكية هو يميز له احتواء لهذه الثورة واستثمار مكتسباتها فالـمشهد الثوري في مصر تميز بالخصوصية فلا انقلاب ولا ثورات تقليدية ولزعماء ولا حركات ثقافية وطلابية كما هو الشأن في الماضي بل الفاعلون في هذه الثورة هم شبان أُل " Facebook " الذي حمل الشعارات نفسها من حيث الشكل والمضمون التي كلها

¹ Jeffrey Ghannam, op.cit , p 24.

حركات تنادي بديمقراطية السياسية والمجتمع وتبني مفاهيم حقوق الإنسان وغير ذلك من لوازم المواطنة الفعلية¹.

وتجدر الإشارة إلى أن ما شهدته مصر في الخامس والعشرون من يناير عام 2011 لم يكن سوى نتيجا لعوامل عدت ونقاشات عميقة كانت تتم في مواقع التواصل الاجتماعي وحملات شبابية بعضها خرج من الفضاء الافتراض يالى الميدان لذلك فقد أجمع بعض المحللون المتابعين للشأن المصري أن إضراب السادس من أبريل عام 2008 شكل نقطة تحول بارزة في نشاط مواقع التواصل الاجتماعي وأبرزها الفايسبوك، لعبت دورا كبيرا في الفترة التي سبقت ثورة 25 يناير إلى درجة يفوق فيها الدور الذي لعبته خلال الثورة نفسها ، حيث ساهمت في تهيئة الأجواء والمناخ العام لإطلاق شرارة ثورة 25 يناير ثم انخرط المجموعات الشبابية الناشطة في الانترنت الأحداث الثورة وقيادتها من خلال الدعوات التي كانت تنطق من الانترنت لتنظيم المظاهرات وتحديد أماكنها وساعات انطلاقها والشعارات التي سترفع فيها أمامها امريكا الأجهزة الأمنية التي فقدت زمام السيطرة في غضون أيام حيث كان بشعل الشباب المصري ونشطاء الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي قضايا الفساد التي أصبحت واقعا ملموسا وكذلك انتهاكات حقوق الإنسان وما استنفذ نشطاء الفايسبوك الذين باتوا يركزون على هذه الانتهاكات من خلال مقاطع الفيديو التي انتشرت بشكل هائل على شبكة الانترنت تصور الانتهاكات التي كان يقوم بها الضباط المصريين بحق عدد من المواطنين وهذا ماجعل الولايات المتحدة الأمريكية تتقدم وتتخذها عذرا من اجل توعية الشباب المصري وتحريك مشاعرهم ضد هذه الانتهاكات².

وفي هذا السياق فقد كشفت تقارير صدرت عن المجموعة الحقوقية الأمريكية الشهيرة فري برس Free Presse أن شركة أمريكية مقرها كاليفورنيا " Californie " ومملوكة لشركة بوينغ Boeing العالمية قدمت مساعدات للحكومة المصرية بهدف متابعة الاتصالات ومراقبتها لاسيما

¹ خليدة كعسيبي خلاصي , الربيع العربي بين الثورة و الفوضى , مجلة المستقبل العربي , العدد 421 , مارس 2014,

ص226

² عز الدين حاتم ,ثورة الغضب من الفايسبوك الى ميدان التحري

<http://www.al.Madina.com/mode/28884717/>تم الوصول الى الموقع في 17.02.2015

محتويات البريد الإلكتروني ورسائل التويتر وفاسيبوك حيث استخدمت تقنية مراقبة عالمية المستوى تسمى " DPI " وهي تقنية متقدمة تسمح للحكومة المصرية بالتصنت على الاتصالات والرسائل القصيرة بأجهزة الهاتف المحمول والانترنت كوسيلة من وسائل الدبلوماسية الرقمية الأمريكية تجاه الحراك الشعبي في مصر فقد وصف تيموثي كار " Timothy car " مدير الجمهورية الأمريكية فري براس " Free Presse " ماكانت تشهده مصر بأنه مثال مرعب للكيفية التي يمكن فيها للحكومة إساءة استخدام قوة التكنولوجيا واعتبر ذلك بمثابة انتهاك صارخ لحقوق الإنسان ولخصوصياته¹.

وتجدر الإشارة إلى أن عقيدة التكنولوجيا السياسية هي من يتحكم بعقل وزارة الخارجية الأمريكية تجاه الثورة المصرية وهي عقيدة معقدة تحتاج إلى مراكز أبحاث معقدة لإدراك أبعادها وديناميتها ورصد تفاعلاتها وبرامجها ولفهم هذه العقيدة يكفي إجراء عملية تصفح سريعة لموقع وزارة الخارجية الأمريكية والبحث عن تطبيقات برنامج المجتمع المدني 3.0 / 2.0 وهي تطبيقات هدفها تأسيس مجتمع مدني وشبكات شبابية ناشطة ونخبة سياسية جديدة قادرة على التواصل والتأثير السياسي في المجتمع المصري عبر منافذ التكنولوجيا تويتر _ ويوتيوب _ والفيسبوك _ المدونات الشخصية لصنع المعدلات والأجندات وفق الرغبات الأمريكية و الأخطر هو نشر الثقافة السياسية وأساليب وأنماط الحياة الأمريكية والأمر الذي أعطى أهمية كبيرة لهذه العقيدة السياسية باعتبارها الأداة الفعلية للدبلوماسية العامة الرقمية الأمريكية تجاه المواطن المصري على وجه الخصوص. ويظهر ذلك من خلال البناء التدريجي للحركات الشعبية في مصر والمسمى ديمقراطية وتقديم الدعم والتدريب للناشطين والقادة الميدانيين فيها وكان ذلك من خلال وسائل التواصل الاجتماعي حيث مكنتهم من فهم القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية للضغط على الحكومة المصرية تحت عنوان حقوق الإنسان والديمقراطية من خلال برنامج ودليل جاهز يبدأ بتسمية الحركة والمنظمة بما يتلاءم والمناخ السياسي وهذا ما حصل مع حركة كفاية وحركة 6

¹ مصعب حسام الدين لطفي قتلوني, دور مواقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك في عملية التغيير السياسي, مصر نموذجاً لبيئة الدراسات العليا, جامعة التجارة الوطنية, نابلس, فلسطين, 2012, ص167.

أفريل ، وعلى إثر ذلك فقد تحركت شبكة كلنا خالد سعيد في 25 يناير مع الناشط وائل غنيم مدير قسم قوقل للأنترنت Google في مصر وشمال إفريقيا ومجموعات الناشطين في شبكة أكاديمية التغيير وهو ما تكرر وفق نفس الأسلوب مع حركة تمرد التي سهمت بالثورة الثانية وحراك 30 يونيو 2013 الذي اسقط حكم محمد مرسي حيث قادها الشبان الناشط محمود بدر¹ .

وفي هذا السياق فقد ذكرت هيلاري كلينتون Hilary Clinton ان استخدام ما يسمى بالقوة الذكية سيحقق أهدافها في السياسة الأمريكية في مصر حيث أشادت هيلاري كلينتون بالجهود التي يقوم بها جاريد كوهين في استخدام الأنترنت لحشد المعارضة بين الشباب وتحفيز وتعبئة الحركات الاجتماعية في مصر على اعتبار ان الشباب المصري اصبح عبارة شخص بتسارع فقط من أجل النقر الماوس والاتصال بالفيسبوك وبعث الرسائل الفورية والنصية على حد تعبير جاريد كوهين Jared Cohine حيث ترأس المبادرة العالمية الفكرية التي تديرها قوقل Google بقصد تطبيق حلول تقنية للمشاكل التي تواجهها الشباب المصري والتي كانت واحدة من بين المبادرات التي ساعدت الشباب المصري في الانخراط بتظاهرات 25 يناير 2011 والتي عمد من خلال وائل غنيم مدير قسم قوقل الى استخدام مواقع التواصل الاجتماعي للدعوة الى المظاهرات والاصلاح السياسي والتي جعلت من الثورة المصرية تمثل مظهرا من مظاهر الافكار الأساسية للديمقراطية الرقمية digital Democracy والتي عكست هذه الاخرى وسائل الدبلوماسية العامة الرقمية الأمريكية²، حيث كانت هذه المبادرات من خلال شبكات التواصل الاجتماعي وسيلة لعبت دورا مهما في التواصل بين هؤلاء المصريين والتي كانت أكبر قوة دافعة في توليد الوعي والدعم للمظاهرات لمنافسة لمبارك والتي كانت عبارة عن معلومات رقمية منشورة على شبكات لأنترنت او كلمات مكتوبة في المدونات تحدد اوقات و اماكن المظاهرات والتي كانت أغلبها أثناء صلاة الجمعة في المساجد والتي تعتبر المكان التقليدي للخطاب السياسي والاجتماعي للمجتمع المسلم حيث كانت

¹ مركز الحرب الناعمة للدراسات , الحرب الناعمة الاسس و النظرية و التطبيق, مرجع سابق , ص ص 43 44 45.

² Scott Ritter , digital democracy and the January 25 revolution in Egypt .

https://www.huffingtonpost.com/scott-ritter/digital-democracy-and-the_b_9077082.html (accessed 12/05/2016/

الولايات المتحدة الأمريكية تعتمد على هذه المعلومات الواردة على مواقع الشبكات الاجتماعية من خلال صحفيين وأكاديميين للتواجد في هذه المساجد و اجراء مقابلات مع الشباب المصري لتفسير طبيعة هذا التغيير وماذا يعني بالنسبة للمجتمع المصري¹. من جهة أخرى فقد تحدث كوهين عن الدور الذي لعبته الشبكات الاجتماعية على الأنترنت بوصفها عاملا للتعبئة الاجتماعية في الثورة المصرية حيث أعطاهم مكانة متساوية مع الدور التقليدي الذي تقوم به المساجد في المجتمع المسلم مثل مصر وذلك من خلال ما أسماه بالجبهة الافتراضية Virtual Front اي وسائل التواصل الاجتماعي في مقابل الجبهة المادية Physical Front اي التجمعات الاسلامية الذين يتجمعون في المسجد للاستماع الى خطبة الجمعة².

وفي هذا السياق فإنه تجدر الإشارة الى ان السياسة الامريكية والدبلوماسية العامة تعمل على تحقيق الاهداف على المدى القصير وذلك من خلال اتجاه شبكات ومنظمات الشباب والناشطين لتنفيذ الاستراتيجيات الامريكية وزعزعة النظام السابق ثم تعود للعبة السياسية التقليدية الى سابق عهدها كما حدث مع اختفاء أثر ومفعول الناشطين والشباب المصريين فلا أحد يسمع اليوم بأسماء وائل غنيم وأحمد ماهر وإسراء عبد الفتاح بعد مرور 3 سنوات فقط على الربيع العربي ولا أحد يسمع محمود بدر قائد حركة تمرد 30 يونيو 2013 بعد ان أمسك الجيش والمؤسسة المصرية بقواعد اللعبة مجددا وتلك هي نماذج التطبيقات التكنولوجية للدبلوماسية العامة الرقمية الامريكية³ خاصة أن المشرق على ادارة شبكات الأنترنت هو مجلس الابتكار والمعلومات الذي يديره أريك شهيدة الرئيس التنفيذي لشركة غوغل Google وهو تابع للخارجية الامريكية وتحت إشراف البيت الابيض مباشرة ما يجعل التكنولوجيا أعظم قوة بيد الادارة الامريكية ويمكن القول أن ما حدث في مصر من تعبئة جماهيرية قبل وأثناء وبعد حالة التغيير عند الوسائل التكنولوجية وشبكة المعلومات الدولية الأنترنت لهذه الشبكة العالمية من مواقع التواصل الاجتماعي كالفيسبوك وتويتر

¹ Ibid.

² ibid

³ مركز الحرب الناعمة للدراسات , الحرب الناعمة الاسس و النظرية و التطبيق, مرجع سابق , ص ص 47

و يوتيوب إلى ولما لهذه المواقع من ارتباطات وثيقة بالإدارة الأمريكية سواء بشكل مباشرة او غير مباشرة¹ والمعروف ان هذه المواقع تعد اكبر مواقع لجمع المعلومات التجسدية عن الشعوب لهذا نلاحظ توظيف هذه الادارة التكنولوجيا في عملية تغيير النظام في مصر وهذا لما قامت به من عمليات تعبئة للرأي العام المصري حيث استقطبت النظام المصري وعزل حسني مبارك و اذا ما قمنا بنظر تمحيصية لهذه الاداة لرأينا أنها احدى وسائل الو.م.أ في مشروعها لتغيير الأنظمة حول العالم العربي والذي يندرج ضمن اطار القوة الذكية وتحديد الدبلوماسية العامة الرقمية ودورها في تعزيز الحراك الشعبي الذي تولد عنه الثورات الملونة أو ما يسمى بثورات الربيع العربي.

¹ Scott Ritter , digital democracy and the January 25 revolution in Egypt, op.cit.

الفصل الرابع

الفصل الرابع : تقييم دور الدبلوماسية العامة الأمريكية في خدمة أهداف السياسة الأمنية الأمريكية في المنطقة العربية

لقد اهتمت سياسة الو.م.أ بالمنطقة العربية وذلك باعتبارها منطقة نفوذ تتمتع بأهمية كبيرة في الخطط الاستراتيجية الأمريكية، حيث اختلفت وسائل تنفيذ السياسة الأمريكية في المنطقة العربية باختلاف أهدافها كما سبق الذكر. كما تميّزت الأهداف الأمريكية التي ترمي الى تحقيقها في المنطقة العربية بتطورها وتناميها، حيث تتركز في السيطرة على المنطقة على العديد من المستويات لتصبح منطقة نفوذ تابعة لها بشكل حصري و ترجم هذا السعي بنشر القواعد العسكرية لتأمين المصالحها فيها. بعد تفجيرات 11 سبتمبر 2001 تغيرت الأهداف بإعلانها الحرب على الارهاب والتي تخللها استخدام القوة الناعمة من خلال آلية الدبلوماسية العامة في تحقيق الأهداف الأمنية. لكن تظل مسألة تقييم مخرجات أنشطة الدبلوماسية على الصعيد الأمني عملية جد معقدة و خصوصا على الصعيد المنهجي ؛ أي كيفية ايجاد المؤشرات المناسبة للاعتماد عليها في عملية التقييم. فيما يلي سنحاول تقديم قراءة لأنشطة الدبلوماسية العامة و مدى نجاحها في بلوغ الأهداف الاستراتيجية الكبرى للسياسة الخارجية الأمريكية على الصعيد الأمني.

المبحث الأول: الدبلوماسية العامة : أمنة المصالح أم أمنة القيم؟

لقد تميّزت هذه الدبلوماسية العامة التي استخدمتها حيال المنطقة العربية باختلاف أشكالها وصورها ، فسخرت السياسة الأمريكية وسائل عديدة لتحقيق أهداف سياستها الأمنية تميّزت باختلافها عن الوسائل التقليدية المرتكزة على فلسفة تجزئة الوحدات السياسية للدول العربية ، و لكن أيضا على آلية مباشرة هي استخدام القوة العسكرية للإكراه. تعتمد الوسائل الجديدة على استخدام ما نظر له جوزيف ناي من استخدام مفاهيم جديدة للقوة مستمدة من القوة الناعمة والتي من مظاهرها الدبلوماسية العامة الأمريكية التي تعتبر وسيلة فعالة من أجل مصاحبة مشاريع التجزئة وإحداث الفوضى وعدم الاستقرار وتهيئة القاعدة الشعبية بإثارة ما يسمى بثورات الربيع العربي تحت غطاء

نشر الديمقراطية وإجراء تحولات ديمقراطية ومحاربة الإرهاب. فما مدى نجاح الدبلوماسية العامة الأمريكية في تحقيق أهداف السياسات الأمنية الأمريكية في المنطقة العربية؟

المطلب الأول: في الشأن الديمقراطي: أمنة المصالح والقيم

1. تقييم برامج أمريكا لدعم الديمقراطية في الوطن العربي

لقد كانت للو.م.أ العديد من المبادرات لدعم عملية التحول الديمقراطي في الوطن العربي خاصة بعد أحداث 11 ديسمبر، و التي نجم عنها الكثير من علامات الاستفهام لاسيما بشأن ما تم انجازه على هذا الصعيد خلال تلك الفترة وبعدها وما يمكن أن يتحقق من هذه المبادرات مستقبلا. لقد اعتمدت الو.م.أ. في ذلك على بعض الآليات التي من شأنها أن تساعد على تفعيل الأجندة الديمقراطية في العالم العربي كما اعتمدت على العديد من البرامج التي اتخذتها كآليات لتحقيق أهدافها و خاصة منها برامج مساعدة الديمقراطية للشرق الأوسط ومكتب وزارة الخارجية الأمريكية للديموقراطية وحقوق الانسان والعمل، بالإضافة الى المظهر الرئيسي للديموقراطية الأمريكية في الوطن العربي و هو الوكالة الأمريكية للتنمية.

بعد أحداث 11 سبتمبر رأت الو.م.أ أنه يجب تغيير الأوضاع داخل العالم العربي, لجعل العالم أكثر أمنا وبالتالي تسهيل الديمقراطية في المنطقة العربية، و ذلك باعتبار أن تحول الأنظمة العربية الى نظم ديموقراطية سوف يحسن وضع الأمن القومي للو.م.أ. لكن هذه القناعة لم تكن تستند الى أي دليل بل أن الديمقراطية في العالم العربي ستأتي في الغالب بحكومات إسلامية غير راغبة في التعاون مع الو.م.أ. هذا المعطى لم تتخذه الادارة الأمريكية كقاعدة أساسية في الانطلاق بمبادرتها لدعم الديمقراطية في الوطن العربي وخير مثال على هذا ما حدث في العراق من خلال رفضه للوجود الأمريكي في البلاد. فإذا ما وقعت الإدارة الأمريكية على عملية التحول الديمقراطي في العالم العربي فهناك احتمال كبير لأن تصبح الحكومات المنتخبة أقل تعاوناً مع

الو.م.أ من النظم السلطوية، لذلك فعلى الو.م.أ أن تعلم أن الدول العربية تختلف عن شرق أوروبا وأمريكا اللاتينية التي رحبت بالليبرالية الأمريكية لأنها كانت البديل لأنظمة الحكم الشمولية¹.

تعتبر الديمقراطية هدف مرغوب فيه العالم العربي، ومع أن الديمقراطية تتطوي على مخاطر محددة فإن رفض الحرية يحمل مخاطر كبيرة لذلك فإن الو.م.أ أرادت تطبيق الديمقراطية في العالم العربي وفق معايير اختارتها حسب طبيعة مصالحها السياسية والأمنية والاقتصادية إلا أن هذه المعايير لم يكن تطبيقها يقتضي التطبيق الفوري بل يجب تطبيقها وفق خطة زمنية حسب خصوصية كل نظام وظروفه مثل:

- (1) الأوضاع السياسية (الداخلية والخارجية)،
- (2) استقلالية القضاء،
- (3) مدى تفاعل المجتمع المدني مع هذه المتغيرات،
- (4) حرية الصحافة وحرية الرأي والتغيير،
- (5) الأوضاع الاقتصادية (شفافية التعامل، احترام قدسية العقود المالية والتجارية المبرمة، حملات مكافحة الفساد)،
- (6) الاشراف على حركة المجتمع ورأس المال والبضائع والخدمات العامة لذلك فإننا نلاحظ أن هذه المعايير تنسجم فقط مع الديمقراطية الغربية والنموذج الأمريكي الهادف الى تحرير الأسواق و اهمال ثقافة المجتمعات وقيمها فالو.م.أ كانت تقوم بفرض وليس تطبيق النموذج الديمقراطي الأمريكي على العالم العربي باعتباره النموذج الأمثل².

إن تدخل الو.م.أ في الوطن العربي من أجل نشر الديمقراطية لاسيما بعد شعورها بنجاح مخططاتها في العراق، أصبحت تكثف الجهود والمساعي من أجل التدخل في شؤون البلدان العربية، فكانت تتدخل تارة لحجة نزع السلاح والحد من نفوذ الاسلام السياسي المتطرف وتارة أخرى بحجة

¹شاهر اسماعيل الشاهر مرجع سابق، ص260.

² Albright, Madeleine, and Vin Weber stephen. A cookSupport of arab democracy : why and how ? repport of an independent task force sponsored by the Council on Foreign Relations, [http://www.cfr.org/content/publication/attachments/arab democracy TF.pdf](http://www.cfr.org/content/publication/attachments/arab%20democracy%20TF.pdf) 12/05/2013.

الدفاع عن حقوق الانسان ونشر الديمقراطية وإصلاح النظم السياسية والاقتصادية، وهذا ما أدى بالو.م.أ الى تبني سياسات جديدة أدت الى تنامي فكرة التدخل في شؤون البلدان العربية من أجل الديمقراطية، الأمر الذي جعلها تتمسك بخطة نشر الديمقراطية في المنطقة العربية وصياغة المنطقة بطريقة إيجابية تعزز مصالحها في المنطقة واعتبار هذه الخطة من وجهة النظر الأمريكية مدخلا مهما لتسهيل الهيمنة على العالم العربي¹.

وتجدر الإشارة الى أن الإدارة الأمريكية الرامية الى تبني أجندة محددة من أجل نشر الديمقراطية و الحرية في الوطن العربي، قد فجرت جدلا واسعا داخل الأوساط السياسية والأمنية الأمريكية، حيث يرى بعض المراقبين أنها حققت إنجازات لا بأس بها حيث أسفرت عن اتخاذ بعض الخطوات الإيجابية عن طريق الإصلاح السياسي الديمقراطي في بعض الدول العربية بما يضمن تقليص فرص تنامي مشاعر العداة لواشنطن وسياستها ومن ثم حماية مصالحها في تلك المنطقة الحيوية، وهو الأمر الذي أرجعه هؤلاء المراقبين الى الإجراءات الجادة التي اتخذتها الإدارة الأمريكية في هذا الصدد فضلا عن عدم تردد الإدارة في الانفاق الوفير على المشروعات والبرامج المختلفة التي تسعى لدعم جهود نشر الديمقراطية في البلاد العربية². فالديمقراطية التي تسعى الو.م.أ الى إقرارها في المنطقة العربية وتخصص من أجل نشرها جهودا ومبالغ هائلة قد لا تكون بالضرورة في مصلحة الو.م.أ، ذلك أنها لا تؤدي بالضرورة الى وجود حكومات أو أنظمة متعاونة مع واشنطن، بحيث تساعد على مواصلة الإصلاح السياسي في الدول العربية بالتزامن مع الإبقاء على التنسيق المستمر والاستراتيجي مع واشنطن من أجل دعم وصيانة مصالح الحكومات القائمة.

وفي هذا السياق فانه لا بد من الحديث عن أجندة الرئيس بوش من أجل الحرية والديمقراطية وحماية حقوق الانسان في مقابل أجندة الرئيس باراك أوباما. من الملاحظ أن نية إدارة الرئيس بوش في دعم التحول الديمقراطي في العالم العربي موجودة وقد تم تخصيص موارد هائلة واليات

1 - عبد الهادي العشري. "التدخل الدولي من أجل الديمقراطية : دراسة تحليلية لقرار مجلس الأمن رقم 1559 بشأن لبنان شرعية القرار _ الامم المتحدة كآلية تنفيذ التدخل الدولي الإنساني ، جامعة المنوفية ، 2005، ص 23. (تاريخ الوصول 29 addawli_men_ajl_addimoqrattyا attadakhول_ details/archive.org/ مارس، 2016).

² Sarah E. Yerkes and Tamara Cofman Wittes, « What Price Freedom? Assessing the Bush Administration's Freedom Agenda », *Brookings* (blog), 30 novembre 2001, <https://www.brookings.edu/research/what-price-freedom-assessing-the-bush-administrations-freedom-agenda/>.

عديدة لتحقيق هذا الغرض ، غير أن هذه التحركات الدبلوماسية و الضغوط السياسية الكفيلة بتحقيق افضل النتائج المرجوة في هذا الخصوص قد فقدت قوتها وتراجعت بشكل ملحوظ في فترة إدارة بوش ويرجع ذلك الى وجود مجموعة من التحديات التي واجهت عملية تحويل أجندة إدارة بوش من أجل الديمقراطية في العالم العربي والمتمثلة في مبادرة منطقة التجارة الحرة لدول الشرق الأوسط ومبادرة الشرق الأوسط الكبير وشمال افريقيا¹. و يمكن القول أنها لا تزال آليات محدودة في سبيل تحقيق الهدف المنشود و هو الأمر الذي يستوجب بناء آليات فعالة جديدة تتخطى كونها مجرد برامج شكلية أو مبادرات وقتية تهدف الى تأمين مصالح أمريكا .

وفي المقابل فإن إدارة أوباما كانت تعمل على تدارك النقائص ومواجهة التحديات التي كانت عقبة في تطبيق الديمقراطية في العالم العربي في مرحلة إدارة بوش, فموقف أوباما اتجاه الدول العربية بخصوص قضية الديمقراطية يعزز فكرة غلبة النزعة الواقعية على سياسات أوباما اتجاه العالم العربي, فأوباما المثالي في توجهاته وفي نزعته الليبرالية للحوار يبدو حذرا في نشر الديمقراطية في التعامل مع العالم العربي , لذلك فقد كانت فترة ولايته الأولى فترة انتقالية يريد التخلص من ارث إدارة الرئيس بوش² , و لم يضع قضية نشر الديمقراطية بالعالم العربي من بين أولوياته فهو يفضل في المقابل أن يتحدث عن انتهاكات حقوق الانسان داخل الدول العربية خاصة في دولة كالسعودية وأن يربط أوضاع حقوق الانسان والديمقراطية بالمساعدات الأمريكية في حالة دول مثل مصر وان كان هذا مستبعدا بسبب حاجته لتعاون الدول العربية في حل مشاكل عالقة مثل العراق.

لكن ، رغم كل هذه المبادرات في الإدارة الأمريكية فان الملاحظ هو أن أمريكا تفتقر الى رؤية واضحة أو استراتيجية واضحة لدعم الديمقراطية وحماية حقوق الانسان في المنطقة العربية , ففي حين ان الو.م.أ قد استطاعت ان تخصص مساعدات كبيرة للبلدان العربية التي تمر بمرحلة انتقالية فانه لم يتم وضع أهداف محددة لهذا الحزم لأنها في الغالب تكون تفاعلية ,بالإضافة الى ذلك يعتبر الكثيرون أن برامج الديمقراطية وحماية حقوق الانسان هي الآن أبعد ما يكون عن أهداف سياسات

¹ Wittes. Idem.

² علاء بيومي, صعود براك اوباما و مستقبل السياسة الخارجية الأمريكية (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات,

الو.م.أ المتعلقة بالآمن بل هي تقوض هذه الأهداف بشكل مستمر¹ ، إضافة الى أن سياسة الحكومة الأمريكية المتعلقة بتمويل منظمات المجتمع المدني المستقلة والتي غالباً ما تكون غير مسجلة هي سياسات غير متناسقة ولا تؤمن سوى الحماية الفعلية الضئيلة لعمل المنظمات غير الحكومية بشكل حر. لذلك فإنه يمكن الإشارة أيضاً الى أن المساعدات الأمريكية لم تعد تخدم مصالح الو.م.أ، الا أنه يظهر على الكونغرس الأمريكي استحالة اصلاح الوضع. بالرغم من المساعدات السنوية المقدمة لبعض الدول العربية و على رأسها مصر لم تفلح الإدارة الأمريكية في التأثير على تصرفات الحكومة المصرية، لذلك رفضت إدارة أوباما تكرار استخدام المساعدات لكسب النفوذ والتأثير على الأطراف الفاعلة في مصر وعلى رأسها الجيش المصري والحكومة المصرية.

من المناسب هنا الملاحظة أن تعامل الو.م.أ مع قادة غير ديمقراطيين في العالم العربي قد ألحق الضرر بمصداقية الو.م.أ في المنطقة العربية، ومع أن السياسة القائمة على التغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي في العالم العربي قد تشكل مخاطر قصيرة الأمد على مصالح الو.م.أ فإن تلك الأخطار تستحق العناء، كما أن المنافع الطويلة الأمد لعالم عربي أكثر ديمقراطية وأكثر تطوراً اقتصادياً تفوق التحديات المحتملة التي قد تواجه الو.م.أ في المستقبل ، ذلك أن الو.م.أ لا تستطيع البقاء دون أن يكون العالم ممهد للديمقراطية ؛ فلكي يتحقق الأمن داخل الو.م.أ لابد من استئصال الأيديولوجيات المعادية في العالم العربي والذي يعزز الديمقراطية والتنمية الاقتصادية في العالم العربي. لذلك ، فإنه و لإنجاح الأجندة الديمقراطية الأمريكية لتحقيق الحرية والديمقراطية في العالم العربي فإنه لابد من تبني سياسات أهمها :

- أن تتناسب الإجراءات المتبعة والآليات المستخدمة في هذا الخصوص مع ظروف وطبيعة كل دولة في المنطقة العربية خاصة منها الثقافية والسياسية.
- دعم الجهود والمساعي والتأييد من قبل السفراء الأمريكيين في الوطن العربي مع التنسيق مع وزارة الخارجية من أجل اتخاذ خطوات جادة في سبيل إنجاز الأجندة الديمقراطية.
- تشجيع التغيرات الاجتماعية ودعم التطورات السياسية الإيجابية التي تشهد الدول العربية على النحو الذي يعزز من فرص نمو مساحة الحريات وحماية حقوق الانسان.

¹ Stephen McInerney et Cole Bockenfeld, « The Federal Budget and Appropriations for Fiscal Year 2014: Democracy, Governance, and Human Rights in the Middle East and North Africa | Project on Middle East Democracy (POMED) », Project on Middle East Democracy, consulté le 5 décembre 2017, <http://pomed.org/pomed-publications/the-federal-budget-and-appropriations-for-fiscal-year-2014-democracy-governance-and-human-rights-in-the-middle-east-and-north-africa/>.

- دعم التعاون والتنسيق بين الجهود الرسمية من قبل الإدارة الأمريكية وكذا الفاعلين المحليين ومنظمات المجتمع المدني في الدول العربية¹.
 - العمل على إيجاد مجتمع مدني عربي فاعل يمكن الاعتماد عليه في عملية التحول الديمقراطي في الوطن العربي, وهو الأمر الذي يفرض على أمريكا البحث عن فرص أفضل للتنسيق مع الأنظمة العربية الحاكمة.
 - الموائمة بين تحقيق الديمقراطية في الوطن العربي وصيانة المصالح الاستراتيجية الأمريكية التي طالما أجبرت الإدارات الأمريكية على التضحية بتحقيق الديمقراطية في العالم العربي من أجل الإبقاء على تلك المصالح².
- في الأخير يمكن القول أن برامج وقضية نشر الديمقراطية في العالم العربي لا بد أن تحظى بالاهتمام داخل الإدارات الأمريكية, لأن ذلك من شأنه أن يوفر المصادقية المطلوبة في أجندة الإدارة من أجل حماية حقوق الانسان ونشر الديمقراطية في العالم العربي , ليس فقط لدى المواطن العربي ولكن أيضا لدى الحكام والقادة. يساعد هذا الأمر على تحقيق تقدم ملموس في مجال التحول الديمقراطي بالعالم العربي والذي يتطلب استراتيجيات الحوار قبل استراتيجيات التطبيق وذلك من خلال ادراج معايير وأهداف وأنشطة الدبلوماسية العامة واستخدامها جنباً الى جنب بالتنسيق مع الخطط الاستراتيجية المتبعة.

2. تحديات الدبلوماسية العامة في تطبيق الديمقراطية :

في ظل الظروف الدولية الحالية كان تحرك الو.م.أ في كثير من الأحيان بمفردها امرا لا يليق بتاريخها السياسي والأخلاقي , كما انه لا يستطيع تحقيق طموحاتها الدولية ولن يصل الامر إلى ما تدعيه من تحويل بعض دول العالم العربي الى دول ديمقراطية. فدور المواد اللازمة لذلك والمغامرة الفاشلة في العراق التي كلفت اكثر من ثلاثين ترليون دولار و افضت الى انسحاب امريكي من قبل ان تحقق ما وعدت به العالم من تحويل العراق الى نموذج ديمقراطي عربي متميز تدل على عدم الوفاء الذي لا يليق بموقع أمريكا العالمي, فطالما شهدت سياسة الو.م.أ تعارضا بين استراتيجيتها في العالم العربي ودبلوماسيتها العامة فيه, ونتيجة لذلك فقد سعت الى تحرير أهدافها

¹Yerkes ,wittes,op.cit ,p12 .

² Wittes, « What Price Freedom? », p. 14.

في عقيدتها المعلقة حيث ركزت على النهوض بمصالحها الجيوسياسية وتعديل خطابها واستراتيجيتها , وبغية تنفيذ أهدافها كان عليها نشر قوّاتها في المنطقة العربية لحماية وجودها الدائم فيها.

من الصحيح أن الو.م.أ من خلال ادارتها المتعاقبة أطلقت شعارات تحت اسم الديمقراطية الا أنها أبدت دوما لا مبالاة اتجاه شعوب المنطقة وفي أنظمتها المتسلطة اذ استحوذت مصالح الو.م.أ الاقتصادية وأمن إسرائيل على جل اهتمامها تاركة العرب تحت وطأة أنظمتهم , فعندما كانت الإدارات الأمريكية تدعو للديمقراطية كانت تروجها كدبلوماسية عامة تعزز القوة الناعمة للو.م.أ و كانت تروجها سلعة جاهزة متوفرة لدى وزارة الخارجية الأمريكية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية والمنظمات الغير الحكومية التابعة لهم بغية تشييدها على أنقاض السيادة الوطنية¹.

وتجدر الإشارة هنا الى غزو العراق سرعان ما أثبت أن اللجوء الى القوة الصلبة من خلال شن الحروب في سبيل تعميم الديمقراطية الأمريكية لم يكن سوى مهزلة , اذ أصيبت الإدارة الأمريكية بالإرياك نتيجة الانتخابات في مصر وتونس والمغرب , وهذا ما شكل تحديا لممارسة الدبلوماسية العامة فاختارت اعتمادها على القوة الصلبة الأمر الذي خلق حالة من الاستياء لدى الو.م.أ في تفعيل الدبلوماسية العامة. ان القوة الناعمة الأمريكية تجاه العالم العربي كانت تسعى إلى جذب الجماهير العربية و الى شرعية ديمقراطية للسياسات الأمريكية وتوجيه مسالكهم والتحكم في أفكارهم وتوجيههم دون الحاجة لاستخدام القوة العسكرية. في هذا الصدد فقد لعبت الوكالة الأمريكية للتنمية دورا مهما وحيويا في تشكيل وعي و اتجاهات النّخب والجمهور الخاضعين للأنظمة السلطوية² إلا أنّ ذلك وحسب بعض المختصين فإنّ هذه القوة الناعمة قد أثرت على قدرة الو.م.أ في تحقيق مصالحها في العالم العربي , وذلك أن فقدان الو.م.أ لشرعيتها في عيون الجماهير العربية يؤدي الى زيادة درجة الشكوك في تصرفاتها ويقلل ثقل تأثيرها في الشؤون العربية.

¹ مروان بشارة, « أهداف و استراتيجية الولايات المتحدة في العالم العربي », مجلة دراسات سياسية عربية 1 n°, (2013), <http://www.dohainstitute.org/file/Get/0184e884-a9b2-410c-bd65-ddad1d3eacc1.pdf>.

² رضوى عمار, « مجلة الديمقراطية - الديمقراطيون والسياسة الخارجية الأمريكية: نموذج السودان », مجلة الديمقراطية, consulté le 5 décembre 2017, <http://democracy.ahram.org.eg/UI/Front/InnerPrint.aspx?NewsID=146>.

إن تراجع صورة الو.م.أ عربيا يعود الى الدعم الأمريكي للحكومات العربية، هذا من جهة و من جهة أخرى يرجع السبب الى حجم التناقضات بين السياسة الأمريكية ودبلوماسيتها العامة خاصة عندما تروج للديمقراطية في المنطقة ، فلو أنت الديمقراطية النزيهة بقيادات تعارض مصالح واشنطن بالمنطقة تعلن أنّ الشعوب العربية غير قادرة على الممارسة الديمقراطية مما يترتب عليه فقدان المصداقية الأمريكية العربية ،ففي استطلاع للرأي من خلال البرامج الدبلوماسية العامة الأمريكية حول اتجاهات العرب تجاه الو.م.أ في الشأن الديمقراطي أنّ 65% من العرب يؤمنون بأنّ الديمقراطية ليست هدف أمريكي حقيقي بينما يرى 5% منهم بأنّ الديمقراطية هدف حقيقي للو.م.أ و اعتبر 16% منهم أن تحقيق الديمقراطية كانت هدفا حقيقيا ولكن الو.م.أ تطبقه بالشكل الخاطئ. و تجدر الإشارة الى أنّ تطبيق الدبلوماسية العامة الأمريكية من خلال محاولة التقارب مع الشعوب العربية قد أدى بها الى السقوط في الامتحان الصعب في ظل التدهور المستمر في شعبية السياسة الأمريكية. ووفقا لكارين هيوز ، فإنّ الدبلوماسية العامة لم تضع تغيير الصورة النمطية عن الو.م.أ لدى الشعوب العربية في مركز اهتماماتها ، و بالتالي لا بد من التركيز على أدوات أخرى للدبلوماسية العامة من أجل نقل القيم الديمقراطية الى هذه الشعوب وعلى رأسها التعليم وبرامج تعليم اللّغة الإنجليزية والتبادل الثقافي الذي يترك أثره الطويل المدى باعتبار الدبلوماسية العامة احدى وسائل التأثير في الرأي العام¹.

على الرّغم من أنّ اعلاء المصالح الوطنية الأمريكية يستوجب عدم تغيير السياسات الأمريكية لمجرّد أن الرأي العام العربي لا يؤيدها، إلا أن ذلك لا يعني تهميش تلك المواقف أو اغفال تأثيرها على المصالح القومية الأمريكية. ومن هذا المنطق فإنّ الدبلوماسية العامة لا بد أن تكون آلية هامة لاستعادة مكانة الو.م.أ لدى الشعوب العربية وذلك في ضوء عدة تغييرات أهمها نشر الديمقراطية، بما يعني أن توجهات الرأي العام العربي تؤثر بصورة مباشرة على سياسات المسؤولين المنتخبين تجاه الو.م.أ. من جهة أخرى، فإن ثورة الاتصالات والمعلومات أضحت تحتم تنويع وسائل التواصل مع الرأي العام العربي لتوصيل الرؤى والمواقف الأمريكية والقيم الديمقراطية عبر وسائل متنوّعة.

1 عزت إبراهيم ، دور وسائل الاعلام في تشكيل صورة أمريكا، ورقة بحثية مقدمة ضمن حلقة نقاش بعنوان: الصورة الدولية للو م أ بين إدارتي بوش و أوباما ،برنامج الديمقراطية و حقوق الانسان ، مكتب البرامج الثقافية، كلية الاقتصاد و العلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، الاثنتين 16 فيفري 2009 ، ص 15- 19

في خضم كل هذه المتغيرات فإنه يمكن اعتبار الدبلوماسية العامة الأمريكية التي تقوم على التواصل مع شعوب العالم العربي بصورة أكثر كفاءة لعرض رؤية الو.م.أ حول قضية نشر قيم الديمقراطية لخلق مناخ من التفاهم المتبادل بين الو.م.أ والرأي العام العربي والارتقاء بتأييد منظومة القيم الأمريكية هي أهداف لا يمكن لمؤسسات النظام السياسي الأمريكي الاطلاع بها بمفردها¹. لذلك فقد سعت الو.م.أ الى إعادة تركيز وتنسيق برامج الدبلوماسية العامة والنهوض بالديمقراطية وبرامج المعونة لتعزيز الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك من خلال ربط الدبلوماسية العامة بين القيم الأمريكية والتقاليد الإنسانية الدينية ذلك أن العرب يشعرون بالفخر تجاه تراثهم ودينهم الإسلامي و يربطونه بالانفتاح والتسامح والإنجازات العالمية. فالتقاليد الإسلامية تتوافق مع القيم الأمريكية للدبلوماسية العامة مثل التسامح وروح المبادرة الشخصية، وهذا التركيز يساعد على تقريب هذه الجوانب من الإسلام بالقيم الأمريكية المماثلة والتقليل من التطرف الديني داخل الدول العربية، وبالتالي قبول هذه القيم وعلى رأسها القيم الديمقراطية. ذلك أن الدبلوماسية العامة لا بد أن تتضمن مبادرات الديمقراطية والإصلاح السياسي والديني. في هذا السياق فإنه يمكن القول أن الدبلوماسية العامة الأمريكية ولمواجهة جل هذه التحديات فإنها لا بد من تفعيلها لأنشطتها فيما يخص الديمقراطية وحقوق الانسان وتحقق أهدافها التي من أهمها:

- تقديم صورة أكثر دقة ومصداقية للو.م.أ والشعب الأمريكي وترويجها على المستوى العربي،
- إقامة علاقات شراكة وثيقة مع منظمات غير حكومية ومنظمات المجتمع المدني وبرامج التنمية في مختلف دول العالم العربي وذلك لدعم القيم المشتركة بينها وبين الو.م.أ ،
- جذب أفراد متميزين من المؤسسات الحكومية والمنظمات غير الحكومية للإسهام بخيراتهم في تفعيل الدبلوماسية العامة الأمريكية ،
- تمكين المؤسسات المختلفة من التشارك في المعلومة وتداولها بصورة أكثر ديناميكية مع تقديم خلاصة الجهود البحثية للإدارة الأمريكية للإفادة منها والتعرف على المجتمع العربي وثقافته ووسائل التواصل معه، وبالتالي تحديد معايير تطبيق الديمقراطية وفقا لهذه الثقافة .

¹ M. Lord Kristin, « Voices of America: U.S. Public Diplomacy for the 21st Century », consulté le 5 décembre 2016, <https://www.brookings.edu/research/voices-of-america-u-s-public-diplomacy-for-the-21st-century/>.

- استخدام وسائل لقياس مدى نجاح الدبلوماسية العامة الأمريكية في تحقيق أهدافها بتطبيق القيم الديمقراطية، وبالتالي التعرّف على الوسائل التي يمكن استخدامها في مواجهة التحديات¹.

لكن ، و انطلاقا مما سبق فانه يمكن القول أن الإدارات الأمريكية - و الحديث عن إدارة أوباما خصوصا - والتي لا تختلف بينها خاصة عندما يتعلق الأمر بالدفاع عن مصالحها الاستراتيجية في المنطقة العربية لاسيما في قضية نشر الديمقراطية ، وعلى غرار سابقتها فإنها تشكو من تناقض رئيسي بين دبلوماسيتها العامة وإستراتيجيتها أو من التناقض الناشئ عن العمل وفقا لقيمها الجوهرية بدلا من مصالحها الآنية ، لذلك فقد قام باراك أوباما بتبنى الدبلوماسية العامة من خلال تفعيلها ولكن بأسلوب غير مباشر من خلال تقديم المساعدات في مجالات التعليم والصحة ومكافحة الفقر ومن خلال التركيز على العمل مع الدول العربية والإسلامية سعيا منه للهروب من النقد الذي قد يواجهها اذا ما حاول التقرب من دول المركز بالعالم العربي. ويعود السبب في ذلك الى أن تفعيلها للدبلوماسية العامة لم يعد مرتبط بزيادة المخصصات المالية الخاصة بها بل أصبح يتطلب الاستعانة بعدة وسائل للتغلب على أوجه القصور الهيكلية التي أدت الى مواجهتها لتحدياتها و التي حالت دون تحقيقها لأهدافها خاصة في عهد بوش بحيث يتحقق التواصل مع الشعوب العربية على أساس فهم أكثر واقعية للقيم المجتمعية السائدة والمصالح المشتركة التي يمكن الاستفادة منها، وبالتالي نقل القيم الأمريكية ومعايير النموذج الديمقراطي الأمريكي بما يتناسب وطبيعة المجتمعات العربية.

المطلب الثاني: في سياسة مكافحة الإرهاب

1. تقييم دور الو.م.أ في مكافحة الإرهاب في الوطن العربي :

لقد أصبح الإرهاب هو الهاجس الأمني الأول الذي تواجهه الو.م.أ ومن ثم فإنّ الدفاع عن الو.م.أ ضد هذا الخطر هو الالتزام الأول والأساسي لها. ومحاربة الإرهاب أصبحت هي الركيزة الجوهرية وربما الوحيدة للسياسة الخارجية الأمريكية والنواة الأساسية لاستراتيجية أمريكية كبرى تركز

¹ Kristin. P. 33.

بصفة أساسية على العالم العربي باعتباره هو معقل الإرهاب - حسب المنظور الأمريكي - وهو الأمر الذي تعكسه وثيقة الأمن القومي الأمريكي. وفي هذا الإطار تحدد الو.م.أ العدو باعتباره لا يمثل نظاما سياسيا واحدا أو فردا أو معتقدا أو أيديولوجية بل هو الإرهاب. قامت الو.م.أ بخوض هذه الحرب على عدة جبهات على اعتبار أن محاربة الإرهاب تختلف عن أي حرب أخرى في تاريخها من ناحية كونها ذات امتداد زمني طويل المدى. يجب أن نشير هنا الى ان الاستراتيجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب - حسب التقرير الصادر عن وزارة الخارجية والذي كان بمثابة الانطلاقة الأولى للإعلان الرسمي لمكافحة الإرهاب - ركزت على أربعة مبادئ تمثلت في :

1."عدم تقديم تنازلات للإرهابيين وعدم عقد صفقات معهم ،

2.تقديم الارهابيين للعدالة لمحاكمتهم عن جرائمهم ،

3.تسليط الضغط على الدولة التي تدعم الإرهاب وعزلها لإرغامها على التغيير في موقفها

4.تعزيز قدرات مكافحة الإرهاب لتلك الدول التي تعمل مع الو.م.أ وتحتاج المساعدة"¹.

وبالحديث عن هذه الاستراتيجية فإنه تجدر الإشارة الى أن الو.م.أ قد حرصت على ضم الدول العربية الى هذه الاستراتيجية وذلك دفعا لشبهة الحرب الدينية واستهداف الإسلام والمسلمين من ناحية ولأهمية الدور العربي على مستوى التعاون المعلوماتي و الاستخباراتي من ناحية أخرى خاصة بالنظر الى هوية المتهمين بهجمات 11 ديسمبر والذين يحملون جنسيات مختلفة (السعودية، المصرية، اللبنانية). لذلك فقد كانت هذه الهجمات بمثابة الصدمة المروعة التي أحدثتها في نفوس صناع القرار السياسي الأمريكي ، فقد لجأت الى إعادة النظر في تقييم السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العالم العربي فقامت بدعم وتبيين الاستقرار السياسي كأولوية على استراتيجيتها في العالم العربي حتى ولو كان على حساب القيم الديمقراطية وتطور المجتمعات العربية إنسانيا واقتصاديا. لقد ذكر بعض الخبراء المختصين أن هذه الأحداث كانت بمثابة فرصة ذهبية للو.م.أ لترتيب استراتيجيتها في المنطقة العربية، والتي تعد من أهم المناطق الجيوسياسية بالنسبة للو.م.أ ومنها

¹ Amelia Arsenault, « The End of the War on Terror and the Future of US Public Diplomacy », *E-International Relations* (blog), consulté le 5 décembre 2016, <http://www.e-ir.info/2013/07/02/the-end-of-the-war-on-terror-and-the-future-of-us-public-diplomacy/>.

التغيير في استراتيجية مكافحة الإرهاب من خلال استقطاب دول المنطقة العربية مستخدمة في ذلك الوسائل السياسية و الدبلوماسية والاقتصادية في تحقيق التعاون من أجل محاربة الإرهاب. ومن خلال هذه الوسائل سعت الو م أ الى اضعاف طابع مؤسساتي على الحرب ضد الإرهاب على مستوى الدولة العربية¹.

لكن هذه التداعيات - في تقييم لبعض الخبراء - أدت الى انعكاسات على مجمل المجالات السياسية والاقتصادية وتقليص العديد من الحريات العامة داخل الدول العربية لاسيما تلك المهمة بالعمليات الإرهابية التي اجتاحت الو.م.أ. حيث أصبح هذا المتغير بعدا آخر يتنافى في مجمله مع مبادئ الديمقراطية الأمريكية. و تطلب هذا من الو.م.أ وضع الاستراتيجية السياسية الخارجية الأمريكية وفق مفهوم الإرهاب وإعادة صياغة العلاقات مع المجتمعات العربية وفقا لمقولة " ضد / مع " الو.م.أ في حربها على الإرهاب ؛ أي بمعنى إعادة صياغة سياستها مع العديد من الدول العربية لضمها أو لكسب صوتها في التحالف الدولي ضد الإرهاب.

هذه التغيرات كانت بمثابة لحظة كاشفة لواقع السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العالم العربي والتي لم تكن جديدة في غاياتها وأهدافها، وفي هذا السياق فأنه تجدر الإشارة الى العلاقة بين القيم الديمقراطية للنموذج الأمريكي وسياسة مكافحة الإرهاب والتي كان كلاهما موجه بالدرجة الأولى لدول المنطقة العربية. فالو.م.أ اهتمت بنشر الديمقراطية انطلاقا من قناعتها بأن نشر الديمقراطية سوف يقلل من فرص انتشار الجماعات الإرهابية²، حيث وجدت الو.م.أ نفسها أمام عدو جديد لا بد من استغلاله في سياستها الخارجية وجعله محفز استراتيجي لنشر الديمقراطية وفرضها على الأنظمة العربية للقضاء على الإرهاب من خلال الديمقراطية القصرية للعالم العربي باعتباره هدفا استراتيجيا له علاقة وثيقة بالأمن القومي الأمريكي. ، حيث تبين للو.م.أ بأن استبدال بعض الأنظمة العربية لشعوبهم وقمعهم لهم ونقص الفرص السياسية والاقتصادية في العالم العربي يساهم بشكل كبير في تجنيد الإرهابيين ضدها ومصالحها الحيوية في المنطقة .

¹ Raphael F. Perl, *International Terrorism: Threat, Policy, and Response* (DIANE Publishing, 2010). P. 6.

² محمد ماضي، « الديمقراطية على الطريقة الأمريكية »، مجلة أخبار العالم 12 (blog), consulté le 12 décembre 2016, <http://www.freewebs.com/islamicworldnews/american-democracy/html>.

انطلاقاً من هذا ، تظهر رغبة الو.م.ا في ارسال مبادئ التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية والاعتداء على سيادتها وشن حروب ضدها يدعم مكافحة الإرهاب ، وذلك من خلال استبدال السيادة الوطنية بالسيادة المشروطة التي تمنح الو.م.ا بمقتضاها لنفسها الحق في التدخل في شؤون الدول العربية. في الحقيقة ، يمثل هذا المتغير خطورة شديدة نظراً لإمكانية شيوع الفوضى بذريعة محاربة الإرهاب ، و أن هذه السياسة لا تساعد على إقامة إمبراطوريتها بمقدار ما ستؤدي الى مقاومات متتالية من الشعوب العربية لها. فكلما زاد الاعتماد على الحكم العسكري لمشاكل المنطقة العربية تصاعدت المقاومة ضد الوجود الأمريكي في المنطقة ، ذلك ان للإدارة الأمريكية فرصة ثمينة بتوجيهها المنفرد خسرت دعماً عملياً يصعب كثيراً استعادته بعدما وضعت عقيدتها موضع التطبيق. فالحرب الأمريكية على الإرهاب حسب بعض الخبراء لم تحقق نجاحاً - وقد لا تحققه - دون مراجعة السياسة الأمريكية الراهنة التي تعتمد على القوة فقط ، بينما ينتظر منها العالم العربي مبادرات لتصحيح الاختلال التي تنتج في ظلها مخزوناً للإرهاب¹.

لقد أصبح ينظر الى الو.م.أ بوصفها دولة إرهابية ذلك ان ازدياد الهجمات الإرهابية ضد المصالح الأمريكية في الخارج يعد مؤشراً مهماً لتنامي العداء العربي ضد الو.م.أ لعدم مراعاتها لقواعد العدالة والشرعية الدولية في تعاملها مع القضايا العربية . في هذا السياق فانه لا يمكننا الحديث عن السياسة الأمريكية في محاربة الإرهاب دون التطرق لتقسيم علاقاتها بالجماعات الإسلامية والإسلام السياسي فجهود الو.م.أ الحالية لمكافحة الإرهاب وتحسين صورة أمريكا في العالم العربي هي جهود غير كافية لأنها لا تولي اهتماماً للنقاش الديني في العالم العربي الإسلامي. و يرى خبراء أنه يمكن ان تتصدى الو.م.أ لهذه التحديات باستعمال الرصيد المعياري الهائل للتراث الإصلاحى الإسلامى بالتعاون مع شركاء مسلمين يتمتعون بالنفوذ والمصداقية. إن الآليات والسياسات المحددة والأولويات البرنامجية لهذه المفاهيم يجب ان تطور وتحسن وتتسق وفقاً للأحداث والظروف التي تعيشها البلدان العربية المسلمة، لذلك فانه لا بد من الاهتمام بالاختلافات فيما بين الدول والمجتمعات الإسلامية². لقد بدأ واضعو السياسة الأمريكية في غضون هذه المعطيات يدركون ليس فحسب أهمية اشراك الدول وجماعات المعارضة بل الإسلام نفسه في

¹ شاهر اسماعيل الشاهر مرجع سابق ، ص. 342.

² عبد السلام المغراوي، « السياسة الأجنبية الأمريكية و التجديد الإسلامى » (واشنطن: معهد السلام الأمريكى)، https://www.usip.org/sites/default/files/sr164_arabic.pdf, 2006.

العملية السياسية. وإن العديد من الوكالات الحكومية الأمريكية بدأت بمساندة الزعماء المسلمين "المعتدلين" والجماعات والأحزاب السياسية من أجل دعم سياستها في مكافحة الإرهاب، وهذا يعني أن الانتشار الأمريكي من خلال إقامة هذه العلاقات ومن خلال الأهداف المعلنة وغير المعلنة التي يتم تحقيقها من خلاله توضح أن الحرب على الإرهاب هي مجرد ستار لهدف تحقيق الهيمنة الأمريكية على العالم العربي وإعادة انتاجها على أحسن الظروف وأفضل الشروط¹. وفي هذا السياق فقد حاولت الإدارة الأمريكية إعادة صياغة مفهوم الحرب على الإرهاب كوسيلة منها لإعطاء صورة سليمة للو.م.أ والذي تبعه تغيير في الخطاب الموجه للعالم العربي وبالتالي استمرار نفوذها في المنطقة. لقد قام أوباما في هذا الإطار بتنفيذ تغيير سريع في السياسات وقام بإسقاط مصطلح الحرب على الإرهاب واستبداله بمصطلح آخر وهو "عمليات الطوارئ في الخارج" وذلك لمواجهة منه لتحدي توسيع المصالح الامبريالية الأمريكية ومحور التصرفات المتهورة التي خلفتها إدارة بوش².

2. الدبلوماسية العامة ومدى نجاحها في تحسين الصورة

لقد تزايدت نزعة معاداة أمريكا في السنوات الماضية وقد اعتبر بعض المحللين أن السنوات التي عقت أحداث 11 سبتمبر 2001 عرفت أعلى قمة من العداء لأمريكا منذ زمن طويل، حيث أرجعوا خسائر القوة الناعمة المتمثلة في الدبلوماسية العامة الأمريكية الى طبيعة السياسة الخارجية الأمريكية. ذلك أن حرب العراق أدت إلى انحطاط قوة أمريكا الناعمة نتيجة ذهاب الإدارة الأمريكية المتمثلة في بوش الى الحرب من دون الحصول على ائتلاف عسكري أوسع، فكان لذلك عاقبتان مباشرتان هما ازدياد المشاعر المعادية لأمريكا وزيادة المشاركة في الإرهاب وتكبيد أمريكا كلفة أعلى في الحرب وجهود إعادة الاعمار³. لقد تساءلت الحكومة الأمريكية و الجمهور الأمريكي وهما تحت الصدمة في أعقاب 11 سبتمبر "لماذا يكرهوننا ؟ مستغربين من نظرة النفور الشديد لدى

¹ Kurt M. Campbell, The challenges Ahead for US policy in asia foreign policy reacerch institute. <http://www.nyu.edu/global/beat/asia/frf/03300.html>; 2009. (accessed 13/03/2017).

² Scott Wilson and Al Kamen, « "Global War On Terror" Is Given New Name », 25 mars 2009, <http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2009/03/24/AR2009032402818.html>.

³ Anil Karaca, « After the War on Terror: Regional and Multilateral Perspectives on Counter-Terrorism Strategy », *Perspectives on Terrorism* 4, n° 1 (29 novembre 2010), p. 22. <http://www.terrorismanalysts.com/pt/index.php/pot/article/view/92>.

الشارع العربي، حيث ونتيجة لذلك استحوذت على الحكومة رغبة ملحة في إطفاء نار العداء في المنطقة العربية على أمل الحد من أية هجمات إرهابية في المستقبل أو على الأقل تفاديها، وذلك بضرورة تفعيل الدبلوماسية العامة الأمريكية وإنجاح أهدافها تجاه العالم العربي.

وفي هذا السياق فإن قوة الو.م.أ على مستوى عالم تتزايد فيه قوة الآخرين الناعمة، فإنه يتعين عليها - حسب جوزيف ناي "Joseph Ney" - أن تستمر في أكثر مصادر قوتها الناعمة وأن تتعلم الو.م.أ كيف تنجح في استخدامها بشكل أكثر فاعلية، لذلك فإنه لا بد من جعل الدبلوماسية العامة وسيلة مهمة لتحسين صورة الو.م.أ في المنطقة العربية والتي هي نقطة ضعف السياسة الخارجية الأمريكية نظراً لأغلبية فئة الشباب فيها. فالجماعات الإرهابية تركز على هذه الفئة. و لكن الدبلوماسية العامة لأمريكا لا يجب أن تبدو أنها محاولات للقيادة والسيطرة؛ فعلى سبيل المثال فإن الإعلام وعلى رأسها راديو سوا، وقناة الحرة تبدوان بوضوح أدوات دعائية تعمل على تحقيق أهداف ومصالح الو.م.أ في المنطقة العربية¹.

رغم أن الو.م.أ حاولت تفعيل الدبلوماسية العامة إلا أنه كان يتطلب منها زيادة اجتذاب الآخرين بشرعية السياسات الأمريكية. فالقيم التي تقوم عليها هذه الأخيرة تسمح للو.م.أ بتوجيه مسالك الآخرين والتحكم في أفكارهم وتوجيههم دون الحاجة لاستخدام القوة العسكرية. وفي هذا السياق فإننا لا ننكر دور مراكز الفكر الأمريكية التي كان لها دور حيوي في اجتذاب النخب ودور الدبلوماسية العامة طبقاً لمفهوم الو.م.أ لما يعرف بالأمن الوقائي "preventive Security"، ذلك أن مفهوم الأمن امتد ليشمل عناصر غير عسكرية مثل القطاعات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وذلك بفعل أن الإرهابيين المعاصرين أصبحوا يستخدمون التقنيات المتقدمة الحديثة و الذين هم ممثلون في البرابرة الجدد². وفي هذه الحالة، فإن الو.م.أ لن تتمكن بمفردها من مطاردة كل من تشبه في كونه أحد أعضاء التنظيمات الإرهابية كما أنها لن تستطيع أن تشن حرباً وقتما شاءت دون أن يؤدي هذا إلى استعداد الدول الأخرى لاسيما الدول العربية لها. لقد ذكر جوزيف ناي في هذا الإطار أن الدبلوماسية العامة لن تضمن نجاحها أبداً في اجتذاب المتطرفين

¹ Karaca. P. 23.

² عمار، «مجلة الديمقراطية - الديمقراطيون والسياسة الخارجية الأمريكية: نموذج السودان» ص. 3.

، فالقوة الصلبة وحدها هي الجديرة بالتعامل معهم لكن القوة الناعمة ستلعب الدور الحاسم في اجتذاب المعتدلين وحرمان المتطرفين في الحصول على أنصار جدد و هو من المواضيع التي تسمح لنا بالقول أن الدبلوماسية العامة قد نجحت¹.

إن الدبلوماسية العامة لأمريكا قد حظيت باهتمام كبير من الإدارة الأمريكية في حربها العالمية ضد الإرهاب ، والتي كانت تحت مسمى " حملة الدبلوماسية العامة لتحسين صورة الو.م.أ في العالم العربي " وذلك من خلال الجهود والمبادرات التي كانت تقوم بها في سبيل تحقيق أهداف ومصالح الو.م.أ في المنطقة العربية. إلا أن مكونات هذه الجهود وأهدافها المعلنة غالباً ما تتصارع فيما بينها، ذلك أن الحرب على الإرهاب تتطلب تعاون الأجهزة الأمنية التي تشكل العمود الفقري للأنظمة الاستبدادية في البلدان العربية ، والواقع أن هذا التعاون يقوض كل الطموحات الديمقراطية والجهود الرامية لتغيير المواقف السلبية تجاه الو.م.أ في العالم العربي والتي تقوم على الإصلاحات السياسية والانتخابات الحرة². لكن، من جهة أخرى فإن الانتخابات الحرة في بعض الدول العربية يحتمل أن تأتي بالإسلاميين الأصوليين الى السلطة ، وهي نتيجة تتعارض مع استراتيجية مكافحة الإرهاب والتي تعتبر مختلف الجماعات الإسلامية مصدر تهديد أولي.

وإذا ما حاولنا النظر في هذه المعطيات بغض النظر عن الحوافز السياسية والعقائدية والإستراتيجية لتلك الجماعات ، فإن إحدى المهام الرئيسية للدبلوماسية العامة الأمريكية هي التقليل من شأن رسالة المتطرفين من خلال تشجيع الأصوات المعتدلة ذات المصداقية والتي هي الأخرى تصدر من الأحزاب أو المنظمات الإسلامية المعتدلة.

من المهم أيضاً الإشارة إلى أن الدبلوماسية العامة الأمريكية و حتى تضمن نجاح أهدافها ونشاطاتها فإنه لا بد من أن تحسن صورة الو.م.أ لدى العالم العربي، وهو الجهد الاسمي التي تسعى لتحقيقه. وفي هذا الإطار يؤكد كثير من المفكرين أن شكل الصورة ينبغي أن ينظر إليها على أنها عنصر حيوي من عناصر الأمن القومي، فالدفاع عن الأراضي الأمريكية ومطاردة وتدمير

¹ جوزيف ناي. "القوة الناعمة والكفاح ضد الإرهاب." www.project-syndicate.org 21 افريل , 2004.
<https://www.project-syndicate.org/commentary/soft-power-and-the-struggle-against-barrier=accessreg&terrorism?version=arabic> (تاريخ الوصول 01 افريل, 2016).

² المغراوي، " السياسة الأجنبية الأمريكية و التجديد الاسلامي " ص 4.

الإرهابيين واستخدام الدبلوماسية العامة لتوفير الدعم والتأييد التحالفي للو.م.أ. والتقليل من جاذبية الإرهاب، هي جميعها عناصر مختلفة تتدخل في نفس المعركة¹.

وفي هذا الإطار فإن هناك حاجة إلى أعمال الدبلوماسية العامة من أجل توضيح أسباب توجه الو.م.أ. للحرب ضد الإرهاب، وللتأكيد أن تأييدها هو مصلحة العالم العربي كما هو في صالح الو.م.أ. لقد أدى هذا إلى تصاعد المشاعر المناهضة للإدارة الأمريكية - خاصة إدارة بوش - والتي تحولت بعامل الزمن إلى كراهية الأمريكيين لأنفسهم بما في ذلك منظومة قيمهم وثقافتهم العامة، وهذا ما سجله استطلاع لـ 21 دولة من دول العالم من بينهم البلدان العربية والتي خلصت فيه إلى أن ثلث الذين شملهم الاستطلاع فقط يفضلون انتشار القيم الأمريكية في بلادهم. و بالحديث عن الدول العربية، فإن صورة أمريكا تبدو أكثر سوء فقد أظهر هذا الاستطلاع أن غالبية الشعوب الإسلامية ترى أن الو.م.أ. تعمل على إهانة الإسلام العربي، وقد تغذى هذا الشعور بمجمل السياسات والمواقف الأمريكية إزاء مجمل القضايا العربية وكذا بالإجراءات التعسفية لاسيما التي تم اتباعها بعد أحداث 11 سبتمبر في إطار ما يسمى بالحرب الدولية على الإرهاب. لقد بين هذا الاستطلاع أن العداء للو.م.أ. أقوى بين سكان الدول العربية خاصة، ففي قطاع غزة والضفة الغربية ذكر 91% من الفلسطينيين بأن ثقتهم بالو.م.أ. ضئيلة جدا، بالإضافة إلى ذلك الشعور المعادي الموجود في الدول العربية الأخرى بنسبة أكبر، ومهما يكن من صحة هذه الإحصائيات فإن الحقيقة التي لا تخطئها العين هي تصاعد مشاعر الغضب في المنطقة العربية على وجه الخصوص².

يمكن القول إذن أن الو.م.أ. من خلال الدبلوماسية العامة حاولت كسب معركة العقول والقلوب لدى الدول العربية عن طريق تحسين صورتها في المنطقة واستخدام ادواتها الناعمة وحملات العلاقات العامة، إلا أن تفاقم حالة الكراهية إزاء الو.م.أ. والتي سجلتها هذه الاستطلاعات باتت تشكل أزعاجا كبيرا لصانعي القرار الأمريكي لما يترتب عليها من انكماش النفوذ الأمريكي

¹ زينب عبد العظيم، « الاستراتيجية الأمريكية العالمية و استمرار الحرب على الارهاب »، مركز الحضارة للدراسات السياسية. <http://www.hadaracenter.com/pdfs.pdf>, 2010, (blog).

² رفيق عبد السلام، الولايات المتحدة بين القوة الصلبة و القوة الناعمة، الطبعة الرابعة (بيروت: مركز صناعة الفكر للدراسات و الأبحاث، 2015).

وتراجع مصالحها في المنطقة. فالتهديد المتمثل في الإرهاب الدولي قد زاد من انكشاف أمريكا وتعرضها للأذى، فكانت بذلك الدبلوماسية العامة ليست الوسيلة الوحيدة لإعادة مكانة الو.م.أ لدى الشعوب العربية، ذلك أن الو.م.أ لا تستطيع مجابهة التحدي الجديد المحدد في استراتيجية الامن القومي دون تعاون البلدان الأخرى، وهي ستعاون الى حد ما بدافع مصلحتها الذاتية المجردة ولكن درجة تعاونها تتأثر بجاذبية الو.م.أ للمجتمع العربي.

ليس من الصائب الانتقاص من القوة الناعمة وأهداف الدبلوماسية العامة باعتبارها مجرد مسألة صورة وعلاقات عامة وشعبية مؤقتة زائلة فهي شكل من أشكال القوة ووسيلة للحصول على نتائج مرغوبة وعندما تنقص من أهمية جاذبيتها للبلدان العربية فإنها تدفع ثمنها لذلك، والأهم هو أنه اذا كانت الو.م.أ مكروهة في البلدان العربية فليس من المحتمل أن يقدم زعمائها السياسيون تنازلات وامتيازات لمساعدتها، وهذا ما يشكل تحدي كبير لإنجاح الدبلوماسية العامة في المنطقة العربية¹. تتمثل المشكلة في الصورة المشوهة والشائبة للو.م.أ التي تروجها الجهات المعادية لأمريكا في المنطقة العربية وعلى رأسها وسائل الإعلام ومن ثم يكفي أن يتم استخدام وسائل الدعاية على الوجه الأكمل وتحسين الدبلوماسية العامة حتى تتجلى صورة أمريكا على حقيقتها، ذلك أن التحدي الأكبر الذي يواجه الدبلوماسية العامة الأمريكية هو اجلاء حقيقة قيم الو.م.أ وسياستها لشعوب العالم العربي لأنّ الحقيقة تخدم الحرية، فالأفكار التي ربحت معركة الحرب الباردة يمكنها أن تريح اليوم المعركة ضد الإرهاب.

وهنا تجدر الإشارة الى أن الصراع الحالي ضد الإرهاب - والحديث هنا عن الإرهاب الإسلامي على وجه الخصوص - هو نزاع ترتبط نتيجته ارتباطا وثيقا بحرب داخلية بين المعتدلين والمتطرفين ضمن الحضارة الإسلامية، ولن تكسب الو.م.أ إلا اذا فاز المسلمون المعتدلون. و القدرة على اجتذاب القوى المعتدلة لها أهمية كبيرة في احراز النصر. فالو.م.أ بحاجة الى الاعتماد على سياسة جاذبة للمعتدلين، واستخدام الدبلوماسية العامة بطريقة أكثر فاعلية لتوضيح مصالحها المشتركة، وهي بحاجة الى استراتيجية أفضل لاستخدام قوتها الناعمة بنجاح و بحاجة لكي تتعلم

¹ جوزيف ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية (مكتبة العبيكان، 2007). ص. 42.

كيف تجمع بين قوتها الناعمة والصلبة بطريقة أفضل اذا كانت ترغب في مواجهة تحدي الإرهاب الدولي لاسيما على حساب علاقتها بالعالم العربي¹.

المطلب الثالث : في الحراك الشعبي والثورات الشعبية

1. تقييم أبعاد الموقف الأمريكي في مواجهة التحديات الأمنية للربيع العربي :

لقد كان من الواضح أن الوم.أ قد حاولت أن ترصد عن كثب مسار التغيير في جميع دول الربيع العربي وفي كل واحدة منها على حدى، من خلال مراقبتها لنطاق التحول ومساره فيها بكل الوسائل المتاحة ولاسيما بواسطة الدبلوماسية والأسلحة والحوافز الاقتصادية، حيث ضاعفت محاولاتها للتأثير في مصر ما بعد مبارك واليمن ما بعد صالح وليبيا ما بعد القذافي بهدف احتواء اي مقاومة محتملة للإملاءات الغربية، وهذا محاوله منها في مواجهة التهديدات الأمنية التي قد تكون الحاجز الجديد الذي يحول دون تحقيق أهدافها وحماية مصالحها في المنطقة العربية. لذلك فإنه لا يمكن لأحد أن يتوقع أن تصبح الوم.أ انعزالية بأي شكل من الأشكال بعد تدخلها في ثورات الربيع العربي والإفصاح عن موقفها منها، والذي كان تدخلها من وراء الكواليس وقيادة الحلفاء والعملاء من الخلف بدلا من اتخاذ خطوات أحادية صريحة، ويشمل ذلك دعم الأنظمة المستبدة التي تضع نفسها في خدمة سياسة الوم.أ .

ومن خلال هذا فإنه لا بد من الإشارة الى مواقف الإدارة الأمريكية وتداعياتها والممثلة في إدارة باراك أوباما ،والتي شرعت في توسيع تدخلها العسكري من الجو من خلال توسيع الأقمار الصناعية وشن هجمات الطائرات دون طيار على الدول العربية الإسلامية كلما كان ذلك ضروريا ،حيث أنشأت مركز قيادة في افريقيا ووضعت فرقا أمنية خاصة متخصصة في الحرب الالكترونية² . وفي هذا السياق ، نشرت صحيفة وول ستريت جورنال « wall street journal » معلومات مفادها

¹ عبد السلام، الولايات المتحدة بين القوة الصلبة و القوة الناعمة . ص. 68.

² بشارة مروان ، أهداف الوم أ و استراتيجيتها في العالم العربي ، مرجع سابق ، ص20.

أن إدارة أوباما تعمل على وضع استراتيجية في العالم العربي جوهرها الحفاظ على حلفاءها العرب المستعدين لإجراء إصلاحات في السلطة، حيث تعتمد الاستراتيجية على ربط تحقيق المطالب المحتجين بالحوار مع الحكام الحاليين للوصول الى تغييرات في النظام بدلا من تغيير في الأنظمة بشكل فوري كما حدث في مصر وتونس. لقد كان لهذه الاستراتيجية صدى كبير لدى الشعوب العربية، وهو الامر الذي عكس مدى مشاركة الإدارة الأمريكية في تعزيز الحراك الشعبي في الوطن العربي وتوضيح موقفها وان كان موقف قائم على تحقيق مصالح الو.م.أ بعيدا عن شعار الديمقراطية التي كان تتعذر به. وهذا ما حدث في الاحتجاجات في كل من الأردن والمغرب وعمان حيث رفع المحتجون شعارات "الشعب يريد التغيير في النظام"، بعكس الشعار الذي تم رفعه في مصر وتونس "الشعب يريد إسقاط النظام". حيث سعت الو.م.أ من أجل تدعيم موقفها تجاه الثورات العربية والتي ترى فيها وسيلة لمواجهة التحديات الأمنية لهذه الثورات الى انفاق ملايين الدولارات الأمريكية على المنظمات غير الحكومية لدعم الديمقراطية، حيث صرّحت سفيرة أمريكا في مصر أنه تم إنفاق 40 مليون دولار لدعم هيئات محلية تدعم الديمقراطية في مصر¹.

وفي هذا السياق فإنّه يذهب بعض المفكرين الى القول أن أحداث الربيع العربي ليست سوى الجزء الظاهر من سيناريو مؤامرة تستهدف إعادة هيكلة إقليم الوطن العربي وفق رؤية جديدة تستوعب كل مقتضيات ما بعد أحداث 11 سبتمبر، و هو سيناريو الفوضى الخلاقة. ففي مصر مثلا يرى البعض أنّ ما تشهده مصر ليس سوى جزء من مؤامرة أمريكية لم تكتمل فصولها بعد لإعادة هيكلة العالم العربي برمته، بينما يرى البعض الآخر من خصوم جماعات الاخوان المسلمين في مصر أن الجماعة طرف في المؤامرة وذلك من خلال لقاءات سرية بين رموز الجماعة وبين مسؤولين أمريكيين كبار، معتبرين أن أمريكا سعت لدعم قوى الإسلام السياسي في دول الربيع العربي وذلك في سياق رؤية أمريكية تحقق مصالحها. لقد ذكر كيسنجر في مقال نشره تحت عنوان نظرية جديدة للتدخل " أن أمريكا لا ينبغي أن تأبه لإيديولوجية نظام الحكم أو لهوية الطبقة الحاكمة أو لنوعية النخبة المهيمنة، فلا يهم أن يكون حكومات تلك الدول ثورية أو دكتاتورية أو ديمقراطية

¹ Katerina Dalacoura, « Democratisation: uprising, violence and reform », in *The Arab Spring Implication for British Policy* (Conservative Middle East Council, 2011), <https://cmec.org.uk/sites/default/files/field/attachment/October%202011%20CMEC-Arab-Spring.pdf>. P. 55.

فالمهم فقط هو سياسات تلك النخبة المهيمنة أو هذا النظام تجاه أمريكا , حيث ينصح كيسنجر إدارة أوباما بعدم التدخل لا لدعم الثورات ولا لعرقلتها مشيرا الى أن الغرب يبالغ في تصوير حقيقة الثورات العربية معتقدا أنها قامت على دعامتين (الشباب والديمقراطية), ويبدد كيسنجر أوهام إدارته مشيرا الى أن الشباب باتوا خارج المعادلة حين سمحوا للقوى التقليدية (العسكريين والإسلاميين) بإزاحتهم عن سباقات الوصول إلى السلطة¹.

وبالفعل فقد ظهر على ملامح الإدارة الأمريكية بأنها لن تسارع الى المزيد من التدخل مالم يكن مضطرا لذلك , حيث كان اوباما عازفا على التدخل في ليبيا لكن الضغوط لاسيما من جانب بريطانيا وفرنسا ومجموعة من جامعة الدول العربية تنتزعها المملكة العربية السعودية جعلت أوباما يبدل موقفه. ولكن حتى في ظل تلك الظروف كانت الو.م.أ من الخلف واقتصر دور أوباما في ليبيا على التدخل الجوي, وعندما قام بعض الأصوليين الإسلاميين بقتل السفير كريس ستيفن "Chris Stevens" في 11 سبتمبر 2012 في بنغازي ترسخ لدى أوباما الانطباع بأن الاحسان يقابله الإساءة في العالم العربي, وبأنه ليس من الحكمة التدخل أكثر من اللازم في شؤون المنطقة العربية , لأن ذلك قد يكون على حساب علاقتها مع حلفائها. أما في مصر وتونس واليمن فقد أدت الثورات العربية الناجحة الى تغيير الرؤساء على نحو فاجأ ادارة أوباما ما جعلها في البداية تتخذ موقفا ذو بعد دولي ضعيف إزاء هذه الأزمات, حيث ظل أوباما يميل أكثر الى الإبقاء على الأوضاع الراهنة خاصة في حالة أنظمة الحكم الملكية المحافظة، لذلك لم تفعل إدارة أوباما شيئا في أعقاب الثورات الناجحة أكثر من تقديم المساعدة والمشورة الخارجية بشأن التحول الديمقراطي².

1 عبد المنعم مصطفى , هل الربيع العربي , مؤامرة أمريكية , مجلة المدينة الالكترونية , العدد 1956 الصادر في (2016.14.03 / <http://www.al-madina.com/mode/393439/>) تم الوصول في: 2012.08.03

² كول جوان آر. آي. السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط في الفترة الرئاسية الثانية لبراك اوباما, سلسلة محاضرات الامارات , مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية , أبو ظبي , دولة الامارات العربية المتحدة , الطبعة الاولى , 2014 , ص . 10.

و في هذا السياق فأنه تجدر الإشارة الى أن أوباما كان مستعدا للتعامل مع قوى الإسلام السياسي في مصر و تونس ، ويلاحظ أن هذا الموقف يتناقض مع موقف خصوم أوباما الجمهوريين الذين ينظرون دائما للإخوان المسلمين في مصر على أنهم النسخة المخففة من القاعدة ، ويصررون على ضرورة رفض الو.م.أ التحدث معهم. لكن بعد التظاهرات العنيفة أمام السفارة الأمريكية في القاهرة كف أوباما عن مواصلة اطلاق تعبير حليف أمريكا على مصر، وعلى الرغم من أن نظريات المؤامرة والشائعات المنتشرة بكثرة في العالم العربي نفسه كثيرا ما تصور الو.م.أ على انها تدعم الإسلام السياسي لذلك فضل أوباما التعامل مع الحكومات المدنية وحاول التأثير في الأنظمة في مرحلة ما بعد الثورات لدفعها باتجاه الديمقراطية ورأسمالية السوق الحرة عن طريق الاغراء بالمعونات والقروض الأجنبية من صندوق النقد الدولي وغيره من المؤسسات الدولية¹. إلا أنه ما يزيد من صعوبة الأمر بالنسبة للو.م.أ هو أن الثورات العربية هي داخلية المنبت ولم تتأثر بعوامل التخوف الأمريكية المرتبطة بالإرهاب والقوى الإسلامية المتشددة ، وعليه فان المصالح الأمريكية تبقى هي نفسها والإستراتيجية هي نفسها . لذلك حاولت تبني هذه الإستراتيجية لاسيما بعد أحداث الحراك العربي والتي قد تسمح لها بفهم طبيعة هذه الثورات المفاجئة وذلك من خلال المعطيات التالية :

1. مراقبة التطورات في كل البلدان العربية حيث توصلت الو.م.أ الى قناعة بأن الثورات الشعبية ستطال كل الدول العربية، لكنها لن تتدخل فيها تاركة للشعوب حرية الحركة وتقرير مصيرها بنفسها وستتدخل في الوقت المناسب ،
2. تقديم النصائح المباشرة الى بعض الدول بضرورة اتخاذ خطوات استباقية من أجل الإصلاح خاصة في الدول ذات النظام الملكي، وكانت كلمات أوباما واضحة (Get out ahead of It) أو كما قال أحد السفراء الأمريكيين السابقين في المنطقة في نصيحته الأخيرة للأنظمة العربية تعاملوا مع الثورات العربية قبل ان تستهلككم².
3. تقييم ونقد ذاتي لأجهزة المخابرات عن سبب عدم توقع هذا الحراك وعدم معرفة واقع العالم العربي ،

¹ المرجع نفسه ، ص12

² عبد الحميد الكيالي، الموقف الاستراتيجي الامريكى و الاسرائيلي من التحولات السياسية في المنطقة العربية،

الطبعة الأولى (عمان: مركز دراسات الشرق الاوسط، 2011. ص. 12.

4. اهتمام كبير من وسائل الاعلام الأمريكية في المنطقة ,رغم أن كل التساؤلات والتحليلات مازالت تلبس النظارة الإسرائيلية ومدى تأثير هذه الثورات على أمن إسرائيل ،
 5. دعم الرأي العام الأمريكي للثورات الشعبية في الوطن العربي تزيد عن 80% وهذا مؤشر متوقع يتوافق مع قيم المجتمع الأمريكي ،
 6. الاستفادة من النصائح التي أطلقتها بعض الدول العربية بشأن ضرورة عدم التخلي عن الأنظمة الرسمية بسرعة كما في الحالة المصرية .
 7. تخوف الو.م.أ على أنظمتها الصديقة في المنطقة العربية مثل المملكة السعودية ،
 8. التخوف الأمريكي من تنامي قوة الإسلاميين وسيطرتهم على الأنظمة السياسية ,وبالتالي عدم القدرة على التنبؤ بما سيحدث بعد هذه الثورات، فأمریکا لم تبحث عن حل ثالث ولم تتعامل مع الشعوب بل تعاملت مع الأنظمة ومع القوى الإسلامية ،
 9. حالة الفوضى السياسية في المرحلة الانتقالية التي يمكن أن تحدث في المنطقة و أن تؤثر على المصالح الأمريكية ،
 10. الارتباك الأمريكي في التعامل مع الحراك الشعبي في العالم العربي.¹
- في هذا السياق فانه تجدر الإشارة الى أنه لا يمكن الحديث عن تغيير سيحدث في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الوطن العربي, اذ ستبقى المصالح هي التي تحكم السلوك الأمريكي المتعلق بالمنطقة العربية, وحسب تعبير جيمس بيكر " James Backer " فإنّ المدرسة البرغماتية المثالية بقيت تحكم السياسة الأمريكية بشكل عام و ردود أفعالها تجاه الثورات الشعبية العربية بشكل خاص. فالو.م.أ يمكن أن تتدخل في المنطقة من خلال وسائل دبلوماسية ودعم اقتصادي, وهذا من أجل الحفاظ على مصحتها وأمنها في المنطقة العربية من خلال مواقفها تجاه ثورات الربيع العربي.

2. القوة الذكية ومدى نجاحها في تعزيز الحراك الشعبي :

تستخدم الو.م.أ الفضاء الالكتروني لاعتبارات الأمن والقوة العسكرية بشكل جعل عديدا من الدول تدخل الفضاء الالكتروني ضمن حساباتها الاستراتيجية وأمنها القومي, وهذا الى جانب دور

¹ المرجع نفسه، صص 20 - 22

الفضاء الإلكتروني في تحقيق الرفاهية الاقتصادية وتحقيق التفوق السياسي وتعظيم معرفتها وسياقتها العلمي والبصري والقدرة على تحقيق السلم والأمن والتفاهم الدولي من خلال دور الفضاء الإلكتروني كأداة اتصال ووسيلة إعلامية دولية تحقق أهداف الدبلوماسية العامة الرقمية الأمريكية وتعزز قوتها الذكية تجاه العالم العربي. لذلك فقد رأت الو.م.أ أنه لا بد من تعزيز قوتها الذكية على اعتبار أن النظرة التقليدية التي ترى أن الفضاء الإلكتروني هو مجال التبادل المعلوماتية فقط، فبعد ثورات الربيع العربي بدأ التركيز على الفضاء الإلكتروني كتهديد أمني جديد وذلك للدور الأساسي الذي لعبته مواقع التواصل الاجتماعي في هذه الثورات، حيث مثلت كما سبق الذكر نقطة هامة لدعم الاهتمام الأمريكي بأمن الفضاء الإلكتروني والانترنت، والتي حاولت من خلالها الو.م.أ السيطرة عليها بعد تصاعد الاحتجاجات في البلدان العربية¹.

رغم مراقبة الو.م.أ للأحداث غير المتوقعة على الإطلاق في المنطقة العربية من خلال هذا الفضاء الإلكتروني، و رغم الدعوات الى نشر الديمقراطية عبر هذه المواقع إلا أنه يبدو أن سياستها حيال الأحداث تتمحور في خطوات لا تعبر عن وجود استراتيجية كبرى جديدة " Grand strategy" وإنما أبقّت على نفس الاستراتيجيات مع بعض تصريحات الدبلوماسية العامة²، فهي تراقب ما يحدث دون وجود أي طريقة للتعامل معها، و رغم وجود تفهم أمريكي لما ترفضه الشعوب العربية إلا أنهم لا يعرفون أهدافهم وهو ما يشكل مصدر قلق أمريكي تجاه إيجاد حلول للقضايا العربية والتدخل فيها. فهتمت الو.م.أ خطورة التغيير الذي يجتاح المنطقة وأدركت نطاقاً بدأ من تونس وصولاً إلى اليمن مروراً بمصر والبحرين وليبيا وسوريا، لذلك فقد حاولت الجمع بين قوتها الصلبة والناعمة والتأكيد على خطاب التغيير الديمقراطي من خلال قوتها الذكية استجابة لهذه الثورات، متخلية في ذلك عن براغماتيتها والحديث بصورة إيجابية وحماسية عن دعم التغيير في المنطقة العربية. لكن الملاحظ أن قوتها الذكية من خلال دبلوماسيتها العامة قد أريكت استراتيجيتها الجديدة والتي تباينت بل وتناقضت مع خطابها؛ فالملاحظ من خلال هذه المعطيات أن الو.م.أ من خلال استراتيجيتها لم تكن تسعى إلى أحداث التغيير في العالم العربي بهدف الديمقراطية فقط بل

¹ ايهاب خليفة، القوة الإلكترونية و أبعاد التحول في خصائص القوة، وحدة الدراسات المستقبلية (الاسكندرية: مكتبة الاسكندرية. s. d.)، ص. 43.

² الكيالي، الموقف الاستراتيجي الأمريكي و الاسرائيلي من التحولات السياسية في المنطقة العربية. ص. 18.

كانت هناك أهداف خفية من خلال توظيفها لهذه القوة الذكية عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي، حيث كان لها دور كبير جدا في ضخ الأفكار الليبرالية والنموذج الأمريكي على الرأي العام العربي وتسيّسه وقيادته. لقد نتج عن هذا الأمر تعبئة في أحداث اضطرابات وتغييرات داخل المجتمعات العربية، حيث كان للشبكة العنكبوتية المسماة بالانترنت دور كبير في تجسيد الأهداف المبتغاة نحو الطريق الذي تريده الـ.و.م.أ عبر الفايسبوك وتويتر ومحركات البحث الكثيرة التي تعني بالتجسس وجمع المعلومات حول العالم العربي، والتي تعد من أهم الشركات الأمريكية العالمية. فإذا قمنا بنظرة تمحيص لهذه الأداة لرأينا أنها إحدى وسائل الـ.و.م.أ والتي تدخل ضمن مشروعها لتغيير الأنظمة في العالم العربي والتدخل في شؤونها والتجسس عليها، والذي يندرج ضمن اطار قوتها الذكية ودبلوماسيتها العامة الرقمية¹، فكانت الأدوات الممثلة في أدوات القوة الذكية التي وظفتها الـ.و.م.أ وعملت على ترويجها قد قادت الى مظاهر مختلفة من حالات الصراع الداخلي والحروب الأهلية والتدافعات العشائرية والقبلية، و هو ما عزز من حالات الفوضى وعدم الاستقرار بعد تغيير الأنظمة السياسية في البعض منها و غياب الوعي بشروط الانتقال السلبي والسلطة بالأهداف الحقيقية للسياسة الأمريكية .

بهذا الخصوص ذكر أحد المختصين في مجال الدبلوماسية العامة الرقمية أنه خلال ثورات الربيع العربي وباستخدام الـ.و.م.أ لوسائل التواصل الاجتماعي جعلتها تلقي نظرة جديدة على المنطقة العربية، وقد أعطى لها فرص التواصل بشكل أفضل مع العالم العربي من خلال القنوات الرقمية، و سمحت بتبادل المعلومات حول السياسة الخارجية للـ.و.م.أ. كما ذكر أن وسائل التواصل الاجتماعي ساعدت على تعزيز الحراك الشعبي فكان، الفايسبوك جدول للاحتجاجات والتويتر لتنسيق الاحتجاجات واليوتيوب لأخبار العالم بالاحتجاجات². لذلك فان مظاهر المجالات التطبيقية للقوة الذكية الأمريكية في الاستراتيجية الأمريكية تظهر من خلال ثورات الربيع العربي، حيث مكنت الطفرة التكنولوجية والعلمية الـ.و.م.أ من اختصار الجهد والزمن من أجل إيصال المعلومة ونشرها

¹ علي بشار بكر اغوان، « القوة الذكية والمجالات التطبيقية في الاستراتيجية الامريكية (التغييرات في مصر ، تونس ، ليبيا كمثال تطبيقي) »، الحوار المتمدن، 2011 ،

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=268419>.

² Pippa Russo, « Digital diplomacy in the Middle East and North Africa », consulté le 5 décembre 2016, <https://blogs.fco.gov.uk/pipparusso/2013/02/28/digital-diplomacy-in-the-middle-east-and-north-africa/>.

وترويجها، فكانت الأنترنت ثم شبكات التواصل الاجتماعي الأداة الأكثر فاعلية في أحداث التغيير في البلدان العربية وعلى رأسها الثورة التونسية والمصرية وإدخالها في حرب داخلية لا تخدم الأهداف الأمريكية. يمكن القول أن استراتيجية القوة الذكية الأمريكية في العالم العربي من خلال الدبلوماسية العامة الرقمية كانت في منتهى الدقة، والضبط طبقاً لما يراه الباحثون المختصون في دراسة ورصد مؤشرات السلوك الأمريكي تجاه هذه المنطقة. لكن المواطن العربي العادي لم يكن يعي نسبياً هذا الدور الاستراتيجي الذي تنفذه الو.م.أ بسبب كونها تبنت مفهوم القيادة من الخلف أو تبني سياسة الريمو كونترول من خلال شبكة الأنترنت، وذلك بمعنى تغيير مجريات الأحداث عن بعد وليس أن تكون في قلب الأحداث. لقد تبين هذا من خلال هذه الثورات، حيث دعمت التغيير الذاتي في تونس ومصر أما في ليبيا فقد استخدمت القوة العسكرية بطريقة مختلفة عما في السابق، حيث كان تأثيرها على استصدار قرار من مجلس الأمن من أجل الحصول على الشرعية الدولية دون الاصطدام بالرأي العام الأمريكي، وبالتالي أشرفت على العمليات العسكرية لحلف الناتو ضد ليبيا مقابل دعم الثوار بالمعلومات اللوجستية عبر شبكات الأنترنت التي تمكنهم من السيطرة على الأرض ضد قوات نظام القذافي¹.

بالحديث عن القوة الأمريكية الذكية في العالم العربي فإنه يمكن القول أن ما حدث في تونس ومصر من تعبئة جماهيرية قبل وأثناء وبعد حالة التغيير عبر وسائل التواصل الاجتماعي بما فيها الفيسبوك والتويتر واليوتيوب، فإن هذه المواقع كان لها ارتباطات وثيقة بالإدارة الأمريكية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، والتي يمكن القول عنها أنها من أكبر المواقع لجمع المعلومات والتجسس على الشعوب العربية والإطلاع على ثقافتها وقيمها، الأمر الذي يجعل من عملية التدخل غير المباشر في شؤونها والاختراق الناعم لها ليس بالأمر الصعب مع توفر هذه الوسائل المعلوماتية والذكية. لذلك، فإنه إذا تتبعنا القوة الذكية في السياسة الأمريكية تجاه ثورات الربيع العربي لم يحقق أهداف السياسة الخارجية والدبلوماسية العامة الرقمية الأمريكية بعد، حيث مازالت الكثير من دول العالم العربي تعتبر أسباب الإخفاق والخلل في السيادة الدولية يعود للسياسة الأمريكية وسياسيتها التي تبدو بطيئة وغير حازمة في عهد أوباما، وهذا ما أدى إلى تفاقم الأوضاع

¹ Christopher M. Blanchard, « CRS Report for Congress Prepared for Members and Committees of Congress Libya: Unrest and U.S. Policy » (Congressional Research Service, 29 mars 2011), <https://fas.org/sgp/crs/mideast/RL33142.pdf>. p. 18.

في العالم العربي, لذلك فإنه لا بد من اتباع سياسة خارجية فعالة لتوضيح أهداف الو.م.أ في المنطقة العربية ومواجهة التحديات لاسيما تلك التي أشار إليها تقرير استراتيجية القوة الذكية والدبلوماسية الرقمية والتي تتحدد في ثلاث عقبات:

- أولاً: اعتماد الو.م.أ المفرط على القوة الصارمة لأنها تعتبر مصدر القوة المادية وسهلة الممارسة،
- ثانياً: أن أدوات القوة الذكية لم يتم تطويرها بالشكل الكافي حيث لم تحظى بالتمويل المناسب من قبل الو.م.أ ،
- ثالثاً: أن الاستراتيجية الأمريكية لم تتغير مهما تغير الحكام والرؤساء الذين يصلون الى البيت الأبيض, لكن الذي تغير هي الأدوات والوسائل وقد صنفنا الى أولويات في استخدامها من أجل تحقيق الأهداف الاستراتيجية الأمريكية, لذلك فإن بروز مفهوم القوة الذكية لا يعني أن الاستراتيجية قد تغيرت بل تستمر بأدوات أخرى¹.

يمكن القول أن كل المعطيات التي تنبثق منها القوة الذكية الأمريكية في تنفيذها لأهداف الدبلوماسية العامة الرقمية, قد اثبتت أن العامل العسكري هو خيار قائم وأساسي في الاستراتيجية الأمريكية لكن بد نفاذ الوسائل الناعمة الأخرى, لذلك فإن الواضح أن أطروحة القوة الذكية قد دخلت مجالاتها التطبيقية بصورة مباشرة في ثورات الربيع العربي, وهذه القوة نجحت الى حد الآن نسبياً, حيث قام الرئيس باراك أوباما بتنفيذ استراتيجية القوة الذكية التي تهدف الى إعادة الترسيم الجيوبوليتيكي و الجيوستراتيجي لخريطة العالم العربي². وهذا من أجل الوصول الى مرحلة انعاش الاقتصاد الأمريكي واسترجاع مكانة الهيمنة الأمريكية التي طالما احترمتها الشعوب لاسيما الشعوب العربية وتحقيق متطلبات أمنها القومي والحفاظ على ديمومة تفوقها الشامل, وبالتالي تحقيق أهداف الدبلوماسية العامة التي تعكس آليات تحسين الصورة الأمريكية لدى الشعوب العربية.

¹ باهر مردان, « الاستراتيجية الامريكية .. الاهداف والوسائل والمؤسسات », 2014 ,

<https://www.academia.edu/5860056>.

² المرجع نفسه.

المبحث الثاني: إستراتيجية إعادة صياغة السياسة الخارجية الأمريكية وفق أبعاد الدبلوماسية العامة في المنطقة العربية

لقد سبق الذكر أن الو-م- أ تعاني مشكلة كبيرة وحرجة في صورتها الخارجية و لقد تدهور الرأي العام العالمي و العربي بشأن الو م أ و كثيرون في العالم العربي يرون في الو-م-أ بلد مهيمن ومسيطر على العالم, و هذه التوجيهات نجمت عنها مشاعر متفاقمة موجهة ضد الو-م-أ ذلك أن أكبر التحديات التي تواجهها الو-م-أ في العالم العربي هي إدراك أن أمريكا رغم أنها تسعى إلى نشر و عولمة الثقافة الديمقراطية, إلا أنها في آن واحد تدعم نظاما غير ديموقراطية و كل هذه التصورات هي مصدر توتر للعالم العربي على وجه الخصوص من جهة و عداء لأمريكا يهدد أمنها و يشل فاعلية دبلوماسيتها من جهة أخرى. فالو-م-أ تواجه هذه التحديات التي أصبحت تقود سياستها الخارجية, فتحويل العراق إلى مكان أفضل و أكثر أمانا و لعب دور التعبئة الجماهيرية في الثورات العربية و محاربة الشر العالمي للإرهاب, كلها ليست معارك يمكن الفوز فيها بالقوة العسكرية وحدها فهي تحتاج إلى شركاء أقوياء و راغبين عند كل خطوة لكي تواجه هذه التحديات.

فبعد أن كانت تركز على الدبلوماسية التقليدية بين دولة و أخرى فقد توجب عليها أيضا خلق دبلوماسية قادرة على تعزيز الحوار و التعاون الدولي و قادرة على كسب العقول و القلوب و ذلك من خلال أنشطتها و وسائلها و التعامل معها بصورة مباشرة عن مصادر القطاع الخاص و المنظمات غير الحكومية و جماعات الضغط و وسائل الإعلام و شبكات التواصل الاجتماعي ، بهدف تعزيز أهداف السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه العالم العربي, و ذلك ضمن ما يسمى بالدبلوماسية العامة و دورها في تنفيذ أهداف و أولويات السياسة الخارجية و ذلك من خلال الانجازات التي حققتها للوصول إلى تحسين صورة أمريكا اتجاه دول العالم العربي فكيف يمكن تقييم هذا الدور و ما مدى فاعلية أنشطتها و أدواتها و أهدافها في المنظمة العربية؟

المطلب الأول: هل الدبلوماسية العامة حققت أهداف السياسة الخارجية؟

1- من خلال الأنشطة و الأهداف:

إن الملاحظ للدبلوماسية العامة الأمريكية في الوقت الراهن أنها تعمل على تكريس معظم مقدراتها لتحقيق هدف تحسين صورة أمريكا و تفكيك سوء الفهم و ذلك لأن الو-م-أ أدركت الخلل في صورتها لدى العالم , و هو الأمر الذي قد يؤثر بصورة كبيرة على سياستها الخارجية و أهدافها في العالم العربي¹. لذلك فإنه مع تصاعد العداء للو-م-أ في العالم العربي لاسيما في أعقاب هجمات سبتمبر ثم موقفها اتجاه ثورات الربيع العربي و التي كان لها الأثر في العلاقات الأمريكية مع العالم العربي , خصصت الو-م-أ حوالي ألف مليون دولار لأنشطة الدبلوماسية العامة و لكن بعد سنوات من البرامج و المشروعات التي تهدف إلى كسب العقول عبر الدبلوماسية العامة أظهرت استطلاعات متعاقبة لقياس شعبية الو-م-أ في العالم العربي توصلت الهبوط إلى مستويات لم يسبق لها مثيل بشكل نبه الإدارة الأمريكية و الكونغرس إلى أن المشاعر المعادية للو-م-أ لدى شعوب العالم العربي وصلت إلى مستويات باتت تهدد أمن أمريكا.

لقد طالبت هنا اللجنة الفرعية لتخصص الاعتمادات في مجلس النواب الأمريكي برئاسة النائب الجمهوري آنذاك فرانك وولف " FRANK WALF " بتشكيل فريق استشاري لتقييم جهود الدبلوماسية العامة و تقديم توصيات لمجابهة تنامي المشاعر المعادية للو-م-أ في العالم العربي², و تسجل الحقائق فيما يتعلق بجهود الدبلوماسية العامة من خلال السنوات الماضية و حتى منذ أحداث 11 سبتمبر و الأحداث الدولية التي ميزت تلك الفترة إلى إخفاق في تحقيق بعض الأهداف المتعلقة بقضايا الوطن العربي ، ذلك أن الو-م-أ و حسب تقرير الفريق الاستشاري حول جهود الدبلوماسية العامة تفنقر إلى القدرات اللازمة في الأنشطة التي تقوم بها هذه الدبلوماسية لمواجهة الخطر الأمني و تعزيز علاقات الو-م-أ بالعالم العربي, و هذا الأمر أكد نابع من عدم الاستقرار السياسي و الحرمان من الفرص الاقتصادية و شيوع التطرف في العالم العربي.

¹ نادية محمود مصطفى, الدبلوماسية العامة الأمريكية تجاه العالم العربي, برنامج الحضارات (القاهرة: مطبوعات جامعة الجيزة, 2007), ص. 21.

² محمد ماضي, « هل تصلح الدبلوماسية العامة ما أفسده بن لادن و المحافظون الجدد », 12, 2013 mars

<https://www.swissinfo.ch/ara/-/4790072>.

و في هذا السياق ذكر رئيس اللجنة الاستشارية لجهود الدبلوماسية العامة جيرجيان أن قصور جهود الدبلوماسية العامة الأمريكية في العالم العربي أتاح لبعض المناطق المتطرفة بتعريف الأمريكيين بأنهم محتلون قساة القلوب و متعصبين و غير متسامحين لاسيما في تعاملها مع أزمة العراق و عدائها للمسلمين و مواقف أخرى عبر العالم العربي. و قد أضاف أن قصور الدبلوماسية العامة الأمريكية عن بلوغ أبسط الأهداف و هي التعريف بحقائق ثابتة لا تقبل الجدل عن دور أمريكا في مساعدة شعوب العالم العربي , فرغم أن الو-م-أ مولت المشاريع الضخمة لشبكات الصرف الصحي و تخفيض نسبة الوفيات بين الأطفال في مصر مثلا , إلا أن المصريون يشعرون بالامتنان لليابان لأنها بنت لهم دار الأوبرا محل تلك التي دمرت¹. و في تقرير آخر لمكتب المحاسبة الأمريكية عن جهود الدبلوماسية العامة في العالم العربي و الذي أكد على طبيعة هذه الجهود و الأنشطة مباشرة بعد أحداث 11 سبتمبر، حيث قدم وصفا علميا دقيقا لحمالات الدبلوماسية العامة عبر العالم العربي مستفيدا من الأفكار التي نقدها في مجال تحسين علاقات الو-م-أ بالعالم العربي, كما تضمن التقرير لمجموعة من النتائج التي تعكس جهود قائمة على أسس علمية و عملية صحيحة تحت شعار رئيسي أن الدبلوماسية العامة الأمريكية تسير في الطريق الصحيح ومن جهة أخرى نبه التقرير إلى التحديات الضخمة التي قد تواجه هذه الدبلوماسية لكونها تسعى لتعزيز علاقاتها عبر حوالي 58 دولة في العالم و من بينها الدول العربية و ذلك في ظل ظروف سياسية دولية لا تخلو من التحديات².

إن سلبية المشاعر العربية ليست راجعة إلى التباس في الفهم من جانب العرب بقدر ما هي راجعة الى قبح الصورة عند الأمريكيين, و لذلك فإذا كان مطلوبا بذل جهد لتحسين الصورة في العالم العربي فالذي لاشك فيه أن عشرة أضعاف ذلك مطلوب بذلك على الجانب الأمريكي لتصحيح الأصل, فالمشكل يكمن في قدرة الو-م-أ في تحسين صورتها و نفس وجهة النظر تجري على باقي الدول العربية التي تسعى الو-م-أ إلى تعزيز علاقاتها بها. و كما سبق الذكر فإن الو-م-أ تعد الدولة الأم للقوة الناعمة و القوة الذكية, حيث رسمت لنفسها جملة من الأسباب و التي أصبحت تشكل في الوقت نفسه تحديات آنية و مستقبلية لمكانتها الدولية :

¹ المرجع نفسه.

² U. S. Government Accountability Office, « U.S. Public Diplomacy: State Department Efforts to Engage Muslim Audiences Lack Certain Communication Elements and Face Significant Challenges », n° GAO-06-535 (3 mai 2006), <https://www.gao.gov/products/GAO-06-535>.

1- شهدت السياسة الأمريكية في الآونة الأخيرة حالة من التراجع الملحوظ على المستوى الدولي كتآزم الوضع الأمريكي في العراق ثم ثورات الربيع العربي، حيث كانت تزايدت الخسائر الأمريكية البشرية و المالية خاصة في العراق.

2- عدم تحقيق الأهداف من الحربين المتمثلة في نشر الديمقراطية في المنطقة العربية و القضاء على المنظمات الإرهابية، و التي زاد عددها بعد أحداث 11 سبتمبر بمقارنتها بتلك التي كانت قبل هذا الحدث المفصلي في التاريخ الأمريكي، و هذا يؤكد مقولة مفادها أن العالم بعد الحادي عشر من سبتمبر سوف يكون أكثر أمنا عن مثيله قبل تلك الأحداث¹.

3- هناك العديد من التحديات التي تواجه الو-م-أ و هي ليست ذات طبيعة عسكرية فالتكنولوجيا الأمريكية المتطورة من الممكن أن تجعل من تدخلها في المنطقة العربية تدخلًا ناعم يساعد على استعادة مكانتها و تحسين صورتها في المنطقة، و هذا ما أكده وزير الدفاع الأمريكي السابق روبرتس غيتس حين قال أن القادة الأمريكيين أدركوا أن طبيعة الصراعات تحتاج منهم إلى تطوير القدرات و المؤسسات الأساسية (غير العسكرية)، و التي هي أدوات الدبلوماسية العامة لاسيما في علاقاتها بالعالم العربي.

ضمن هذا التراجع الأمريكي لاسيما في المنطقة العربية فقد بدأت مراكز الأبحاث في بحث كيفية مواجهة التراجع الأمريكي عربيا واستعادة واشنطن لمكانتها. و لما كان الهدف الرئيسي للدبلوماسية العامة الأمريكية هو تحسين صورة الو-م-أ ومحاربة المشاعر المعادية لها و الذي يعتبر جزء من الأنشطة العامة لها، فلا بد من التركيز على الهدف العام للدبلوماسية العامة وهو خلق سلسلة من العلاقات الإنسانية التي توفر أرضية للدبلوماسية التقليدية و تحقيق مصالح الو-م-أ على المدى الطويل، و هذا ما يعاب على أمريكا في استغلال هذه الدبلوماسية لاسيما اتجاه العالم العربي و ذلك من خلال تبني موقف مماثل، فكما أنها تعمل على نقل الرسائل إلى الآخرين فلا بد لها أن تسعى إلى استماع رسائل الآخرين بالقدر الذي نقلت بها رسائلها.

و في هذا الاطار فإنه لا بد من الإشارة إلى بعض النقاط التي يعاب عليها سلوك الو-م-أ اتجاه العالم العربي من خلال الدبلوماسية العامة :

¹ كريم أبو حلاوة، سياسات القوة الذكية و دورها في العلاقات الدولية (دمشق: مركز دمشق للأبحاث و الدراسات،

1- على الرغم من أن الدبلوماسية العامة الأمريكية هو نشاط الحكومة، إلا أنه يجب أن يكون لجميع الأمريكيين دورا يقوم به في تحسين صورة الو-م-أ لدى المنظمة العربية، من خلال تشجيعهم على قبول أدوارهم كمواطنين دبلوماسيين و المشاركة الشعبية لتحسين و استعادة مكانة الو-م-أ في المنطقة.

2- أن الدبلوماسية العامة الأمريكية غير متناسقة في العديد من أنشطتها و برامجها رغم نجاح بعضها، إلا أنها ما تزال تنتظر استثمارة، و هذا يتطلب اعتمادها على الالتزام و المشاركة الفعالة للمواطنين و الجهات الحكومية و زيادة الاستثمارات لهذه البرامج.

3- أن دور الدبلوماسية العامة الأمريكية هي إقناع شعوب العالم الاسلامي و العربي و تقديم معلومات دقيقة و صادقة عن القيم الاساسية للسياسة الخارجية الأمريكية عن الاحترام المتبادل و التسامح و الحوار مع العالم العربي¹. فالملاحظ أن هذه السياسات هي سياسات جيدة إلا أنه لتطبيقها و تفعيلها فإن الو-م-أ مازالت بحاجة إلى المبادرات و الاستثمارات لتحقيق هذه الأهداف، لاسيما في مجال علاقاتها مع المنطقة العربية.

يمكن القول أن السياسة الخارجية الأمريكية يتم توصيلها غالبا بأسلوب يربي مشاعر الإحباط و الاستياء، و غالبا ما يتم توصيل السياسة الخارجية الأمريكية بأسلوب الضغط إلى أسفل الذي لا يأخذ في الحسبان منظور الجمهور العربي أو يفتح الباب للحوار و للنقاش، لهذا ينظر إلى الأمريكيين على أنهم نادرا جدا ما يكونون منصتين للعالم العربي بينما هم يحددون مصالحهم و يدافعون عنها في الخارج. و هذا الأسلوب يغذي مشاعر الإحباط و السخط لدى الشعوب العربية، إذا تشعر هذه الشعوب بأن آرائها يتم تجاهلها أو رفضها و بالتالي عجز سياسة الو-م-أ الخارجية في إيصال رسالتها عبر الدبلوماسية العامة إلى الشعوب العربية.

2- من خلال الوسائل و الأدوات:

بما أن وزارة الخارجية الأمريكية ليست الوحيدة المسؤولة عن تحسين صورة أمريكا في العالم العربي، ذلك أن برامج الدبلوماسية العامة موجودة أيضا من خلال هيئات أخرى كما سبق الذكر

¹ Nargess Rostami, « Public Diplomacy : Tools of Power in Foreign Policy : Case Study : Application of Public Diplomacy in Foreign Policy of United States of America », *Kuwait Chapter of Arabian Journal of Business and Management Review* 33, n° 2541 (juin 2014): 1-10, <https://doi.org/10.12816/0018400>.

كالمنظمات غير الحكومية و وسائل الإعلام و الوكالة الأمريكية للتنمية و مراكز الفكر حيث تشير بعض التقارير أن هذه الهيئات تحوز على الجانب الأكبر من ميزانية أمريكا لتحسين علاقاتها عبر العالم, إذ تستحوذ على حوالي 102 مليون دولار أمريكي كلها موجهة لتعزيز أنشطة هذه الهيئات كبرنامج التبادل الثقافي و برامج حماية حقوق الإنسان و التنمية...إلخ, و التي تعتبر أدوات و وسائل الدبلوماسية العامة الأمريكية. لقد زاد الانفاق على برامج هذه الهيئات 21% في السنوات الأخيرة و ذهبت النسبة الأكبر من هذه الزيادة إلى الهيئات التي تنشط في قضايا العالم العربي, ذلك أن جهود أمريكا لتعزيز علاقاتها مع العالم العربي تواجه تحديات كبيرة , فهم بذلك يدفعون ثمن برامج و رؤى دبلوماسية وضعت في الماضي, ففي السنوات الأخيرة الماضية قامت الإدارة الأمريكية بتقليل أهمية دور برامج الدبلوماسية العامة من خلال هذه الهيئات و ذلك بدمج الهيئة الأمريكية للمعلومات الخارجية الأمريكية التي كانت ذات خبرة واسعة في مجال الدبلوماسية العامة, و هنا لابد من الإشارة إلى أن الإدارة الأمريكية السابقة المتمثلة في جورج بوش رأت أن انتصار أمريكا في الحرب الباردة قلل من الحاجة إلى جهود هذه الهيئات¹.

و تجدر الإشارة إلى أن وسائل الإعلام هي الأخرى كانت بمثابة الهيئة المترجمة لبرامج الدبلوماسية العامة الأمريكية, فهناك استطلاعات رأي متعددة تشير من خلال وسائل الإعلام إلى أن صورة أمريكا في العالم العربي تعاني كثيرا , و على الرغم من الجهود المضنية التي تقوم بها الو-م-أ في مجال الدبلوماسية العامة في تعزيز علاقاتها بالعالم العربي من خلال وسائل الإعلام, إلا أنها لم تسلم من النقد, و كما يقول ديفيد اجناسيوس « David Ignatius » في مقال نشرته صحيفة واشنطن بوست « washington Post » أن ما تسميه الو-م-أ بالدبلوماسية العامة هو أنها تريد من شعوب العالم خاصة العربية أن يخافوا منها و أن يرتعبوا من قوتها الضاربة , و في نفس الوقت أن يحبوها و هي درجة من الماكيافيلية لم يصل إليها ميكيافيلي نفسه, ذلك أن الدبلوماسية العامة الأمريكية أصبحت أداة ربح بالنسبة للو-م-أ و الطريق السهل للوصول إلى طابع الهيمنة من جهة و طابع الحوار و حسن الجوار من جهة أخرى و بالتالي تحسين الصورة². و الجدير بالذكر أن الدبلوماسية العامة الأمريكية أصبحت تعامل على أنها من قبيل الأفكار التي ترد متأخرة فالدبلوماسية

¹ Rostami. PP. 47-48.

² David Ignatius, « David Ignatius - They're Not Going To Like Us », 23 septembre 2005, <http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2005/09/22/AR2005092202258.html>.

العامة تزاح غالباً إلى هوامش عملية السياسة، مما يجعلها تصبح عاجزة فعلياً ذلك أن الو-م-أ لم تدرك أن الدفاع عن الوطن و ملاحقة الإرهابيين و تدميرهم و استخدام الدبلوماسية العامة من خلال القوة الناعمة قد يجعل من الأسهل على الحلفاء تدعيمها في خفض غراية الإرهاب و التأثير على باقي دول العالم ضمن أسس عملية السياسة الخارجية الأمريكية .

من ناحية أخرى، ما يعاب على الو-م-أ هو عدم استخدام قطاع المجتمع المدني و القطاع الخاص من منظمات غير حكومية بدرجة كافية و عدم استغلال المصادر الواسعة لهذه الوسائل و الأدوات، ففي حين إهمالها لها فإن هذه القطاعات باعتبارها أدوات الدبلوماسية العامة فهي تقيم العالم خاصة العالم العربي في معظم المجالات الاستراتيجية الرئيسية التي تتطلبها دبلوماسية فعالة، و يمكن أن تعطي نتائج تتجاوز كثيراً ما يمكن ان تحصل عليه بانفاق الدولارات الحكومية إذا كان هناك دور أكثر اتساعاً للقطاع الخاص والمنظمات غير الحكومية و وسائل الإعلام و مراكز الفكر. يمكن للحكومة الأمريكية أن توصل إيمانها بالديموقراطية و حماية حقوق الإنسان وفق ثقافة تعتمد على نشاطات القطاع الخاص و المنظمات غير الحكومية، و يمكن أن توفر هذه الإمكانيات التي تعتبر شكلاً قوياً من أشكال الدبلوماسية العامة الأمريكية اتجاه العالم العربي مجالاً خصباً يساعد الإدارة الرسمية في تحقيق أهدافها¹.

و بالحديث عن الأخطاء التي وقعت فيها الو-م-أ في سياستها لتعزيز علاقاتها بالعالم العربي يشير روبرت ساتلوف « robert satlph » في كتابه " معركة الأفكار في الحرب ضد الإرهاب " إلى أن أول خطأ وقعت فيه هو جهلها لأعدائها و أصدقائها، فهي لا يمكن أن تنتصر في معاركها دون القيام بذلك فهناك حركات متشددة و معتدلة و علمانية يرى أنه على الو-م-أ أن تفرق بينها كما أن الو-م-أ تقدم قرضاً و معونات للدول و شعوب العالم العربي من خلال الوكالة الأمريكية للتنمية USAID باعتبارها أداة رئيسية من أدوات الدبلوماسية العامة الأمريكية اتجاه العالم العربي، إلا أنه يوجد بعض الدول لا توافق على هذه المعاونات اضعف إلى ذلك فإن الو-م-أ لا تعترف بالأسباب الرئيسية لكراهية بعض الدول لها، و أشار الكاتب أيضاً أن الو-م-أ قد أخطأت في رصدها لملايين

¹ بيتر بيترسون، « العثور على صورة لأمريكا : إستراتيجية لإعادة الدبلوماسية العامة »، مجلة المستقبل العربي،

الدولارات بغرض إنشاء مؤسسات إعلامية ناطقة بالعربية مثل قناة الحرة و راديو سوا بلا أهداف معلنة مما أدى إلى فشل هذا النوع من المشاريع في تحسين صورتها اتجاه العالم العربي¹.

إن القوة الناعمة رغم أنها تشكل وجه من أوجه القوة حسب تعبير جوزيف ناي على اعتبار أن منظومة قوة الدولة أشبه برقعة شطرنج ثلاثية الأبعاد، و هي القوة الصلبة و القوة الذكية و القوة الناعمة، إلا ان الو-م-أ تتجاهل القوة الثالثة و هي القوة الناعمة، فالمشاكل التي تواجهها الدول العربية الجزء الأكبر منها نابع من هذا المستوى فالو-م-أ ما زالت تصب اهتمامها على المستوى الأول من القوة و هو القوة العسكرية رغم انفرادها بالسيطرة على العالم العربي من هذه الزاوية، و هذا ما جعل الانتقادات تقدم للسياسة الخارجية الأمريكية لاسيما في علاقاتها مع العالم العربي². و في هذا السياق فإنه لا بد من الإشارة إلى أن أدوات الدبلوماسية العامة الأمريكية و تأثيرها على العالم العربي هي التجسيد الواقعي للأبعاد القيمية و الدينية في السياسة الخارجية الأمريكية، حيث بلغ من أهميتها و تأثيرها النظر إليها على أنها تشكل الجزء الثالث لمثلث القوى التي تتمتع به الو-م-أ إذا اهتمت بها هذا الاهتمام الذي يمكن اعتباره ترسيخاً لتزايد الاهتمام بالبعد القيمي و الديني في السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه العالم العربي، على اعتبار أن نجاح الدبلوماسية العامة الأمريكية في العالم العربي تتوقف على هذه المعايير. يمكن تلخيص أفكار سياسة الدبلوماسية العامة الأمريكية من خلال القوة الناعمة التي أشار إليها جوزيف ناي Joseph nye و التي يجب على السياسة الخارجية الأمريكية أن تتبناها من أجل فرض هيمنتها على العالم العربي و بطريقة غير مباشرة و بنسب متفاوتة في التطبيق في النقاط التالية :

1- أن الشكل العسكري ينجز كثيرا من الأهداف و لكنه لا يجب أن يكون الوحيد، و أنه من الأهمية أن تضع أمريكا برامج في السياسة الخارجية تجذب الآخرين إليها، من جهة أخرى فإنه أيضا لا يمكن أن ننفي أن القوة الصلبة تساعد الآخرين في البلاد العربية على قبول أدوات و وسائل القوة الناعمة.

2- أن فرض ثقافة أمريكا كثقافة عالمية و قدرتها على وضع وسائل و أدوات و مؤسسات تحكم مناطق النشاط الدولي (بلاد المسلمين) هي مصادر حاسمة للسياسة الخارجية الأمريكية و قوتها، كقيم

¹ محمود مصطفى، الدبلوماسية العامة الأمريكية تجاه العالم العربي. ص. 39.

² ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية. ص. 22.

الديموقراطية و الحرية و التي لا ترتبط بصورة أمريكا السيئة في عين العالم العربي كما ترتبط بها القوة الصلبة.

3- أن أدوات و وسائل الدبلوماسية العامة الأمريكية تعتمد على قدرة أمريكا على صياغة رغبات الآخرين بعد أن تكون بمثابة قدوة لهم يتبنون قيمها و أسلوب حياتها، و هذا هو المطلوب في السياسة الخارجية الأمريكية لاسيما اتجاه العالم العربي¹.

4- لابد من تبني قوة ذكية و المطلوب هو تبني هذه القوة و دمجها بين أدوات القوة الناعمة و القوة الصلبة في استراتيجيات السياسة الخارجية الأمريكية.

و هنا يمكن الإشارة إلى تصريح هيلاري كلينتون Hillary Clinton بقولها أن الو-م-أ ينبغي أن تستخدم القوة الذكية Smart Power في جميع الأدوات المتاحة لديها من أدوات الدبلوماسية العامة، ففي ظل القوة الذكية ستكون الدبلوماسية العامة في مقدمة السياسة الخارجية.

5- أن أسلحة الحرب الدموية باهظة التكاليف مقابل ما يمكن أن تقوم به أدوات الدبلوماسية العامة، حيث يستتكر جوزيف ناي Joseph Ney تجاهل اعمال القوة الناعمة و أثرها الكبير في تحقيق و سطر أمريكا.

6- الثقافة النخبوية المتمثلة في منظمات المجتمع المدني و المنظمات غير الحكومية هي أداة فاعلة من أدوات الدبلوماسية العامة الأمريكية، فالمؤسسات غير الحكومية و منظمات المجتمع المدني تتمتع بقوة ناعمة كبيرة و يمكن ان تلعب دورا هاما في إخضاع الآخرين لما تريد، مثل المنظمات الحقوقية و الشركات عابرة القومية خاصة و أنها تستفيد من ثورة المعلومات و الاتصالات التي تتحكم بها أمريكا.

7- أن مساعدات التنمية الدولية هي من أهم أدوات الدبلوماسية العامة و القوة الناعمة، فهي تساعد إلى حد بعيد في تفعيل أدوار السياسة الخارجية الأمريكية في تحسين صورة أمريكا في العالم العربي².

و في الأخير يمكن القول أنه على السياسة الخارجية الأمريكية أن تدرك أهمية هذه الأدوات في تفعيل الدبلوماسية العامة الأمريكية اتجاه العالم العربي، و ذلك كوسيلة للاستيلاء على عقول و قلوب الشعوب العربية و أهميتها في تحقيق الأمن القومي و المصالح، لاسيما في عصر ما بعد

¹ ناي. ص. 24.

² ناي. ص. 25.

الثورات العربية و استخدام هذه الأدوات و تصنيفها الأولى في قائمة و برامج السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه المنطقة العربية. و من هذا المنطلق فإنه من الملاحظ أن جهود الدبلوماسية العامة الأمريكية من خلال سياستها الخارجية اتجاه العالم العربي كانت جهود دون المستوى لاسيما في امتلاك قلوب و عقول الرأي العام العربي, و هذا راجع إلى تهميشها و غياب إستراتيجية دقيقة في جعل برامج الدبلوماسية العامة ذات فعالية و ذات اتجاه يعزز عملية الدفاع القومي و ذلك بالتنسيق مع برامج السياسة الخارجية و الالتزام بقيادة رشيدة نابعة من الإدارة السياسية للرئيس, و جعل هذه الدبلوماسية أحد المكونات الرئيسية لعملية تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية و خطوة حيوية نحو أمنها. و هذا يتطلب إعادة التفكير الجدي في أدوار هذه الدبلوماسية و في الوقت نفسه إعادة التفكير في الكيفية التي تصاغ بها السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه العالم العربي وفق أبعاد الدبلوماسية العامة حيث يتطلب اقتراح إستراتيجية جديدة لتعزيز أهدافها و وسائلها في تنفيذ أهداف و أولويات السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه العالم العربي.

المطلب الثاني : إستراتيجية تفعيل الدبلوماسية العامة الأمريكية في المنطقة العربية

1 - على المستوى الرمزي : إعادة نهج الدبلوماسية العامة في السياسة الخارجية

إن الجهود التي تبذلها الو-م-أ الرامية إلى تعزيز علاقاتها بالعالم العربي و تحسين صورتها لدى هذه الشعوب هي جهود دون المتوسط كما سبق الذكر ,و في ظل التحديات التي تواجهها تستغل المساعي الأمريكية في هذا المسار و الذهاب إلى أبعد من مجرد مخاطبة الحكومات للتواصل مع شعوب العالم العربي. إن الإستراتيجية التي يجب اتباعها على صعيد الدبلوماسية العامة يجب أن تكون منطوية على قدر مهم من الوضوح و الشفافية في ممارستها بالشكل الذي يسمح بإعطاء النصائح للسياسة الخارجية الأمريكية و الإشارة إلى السبيل الأمثل لتطويرها وفق أبعاد و أهداف الدبلوماسية العامة الرئيسية من خلال تطويق المشاعر المناهضة لأمريكا. سيسمح هذا الأمر للو.م.أ. بإقامة شبكة من العلاقات بين الشعوب و تكون بمثابة السياق العام الذي تعمل من خلاله الدبلوماسية التقليدية, و ذلك من أجل إعادة نهجها في تنفيذ أهداف السياسة الخارجية الأمريكية.

على هذا الصعيد تحتاج الو.م.أ. إلى إعادة استكشاف الكيفية التي تستطيع بها أن تتحول إلى قوة ذكية ناجحة و هي الخلاصة التي انتهت إليها اللجنة الحزبية الثنائية برئاسة ريتشارد ارميتاج Richard Armitage حيث انتهت إلى خلاصة مفادها أن الصورة الأمريكية و النفوذ الأمريكي في العالم العربي قد انخفض في السنوات الأخيرة ,و أن الو-م-أ لا بد لها من صياغة إستراتيجية جديدة في سياستها الخارجية من خلال إعادة نهج الدبلوماسية العامة بصورة تسمح لها بالتحول من تصدير الخوف إلى بث التفاؤل في تسيير علاقاتها الدولية و تتميتها و احترام حدودها مع شعوب العالم العربي¹.

إن كل هذه المقاربات لابد من دمجها في عمليات السياسة الخارجية الأمريكية باعتبارها البوابة التي تسمح بخروج أنشطة الدبلوماسية العامة ,و هذا يتطلب إعادة التفكير في الكيفية التي تعيد بها الو-م-أ سياستها الخارجية من خلال رسم استراتيجيتها و صياغتها وفق طابع أكثر حساسية لشواغل الجمهور المتلقي لرسالة الدبلوماسية العامة الأمريكية اتجاه العالم العربي. و في هذا السياق فقد كان

¹ جوزيف ناي, « أمريكا و استعادة القوة الذكية », الجريدة, 16 décembre 2007, <http://www.aljarieda.com/articl.aspx?sid=37813>.

إدوارد مورو Edward Morow المدير السابق لوكالة الاستعلامات الأمريكية يبحث على إدخال مسؤولي الدبلوماسية العامة في ما يسميه **بمراحل الاطلاق** و ليس فقط في كوارث السقوط أي إشراكهم في عملية صنع السياسة الخارجية ,و يمكن إسقاط هذا على ثورات الربيع العربي حيث قد يساعد هذا النهج على:

1- ضمان أن يكون صانعو السياسة الخارجية واعين لرد الفعل المرجح للرأي العام العربي إزاء سياسة قادته.

2- النصح بكيفية توصيل السياسات على أفضل وجه مقنع للجماهير العربية.

3- ضمان أن يكون الدبلوماسيون الرسميون مستعدين لشرح و تفسير السياسات قبل إعلانها¹.

يعني هذا أن الدبلوماسية لا بد أن تكون جزءا مكملًا للسياسة الخارجية و ليس عنصر يمكن الاعتماد عليه في حالات نادرة ، أي أنه يتعين أن تؤخذ بعين الاعتبار في الوقت نفسه الذي يجري فيه صنع السياسة الخارجية ثم تنفيذها، الأمر الذي يساعد على تحديد سياسات خارجية رشيدة و تفسير كيفية ملائمة السياسات الأمريكية مع قيم الدول العربية و مصالحها و ليست فقط مصالح الو-م-أ. يجب على الو-م-أ و من خلال جهودها الحالية لمواجهة التحديات التي تواجهها أن تأخذ بعين الاعتبار هذه الاستراتيجية في إشراك برامج الدبلوماسية العامة في صناعة السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه العالم العربي خاصة في أخطر قضاياها كمكافحة الإرهاب و التغيير الديمقراطي و تحسين الصورة لاسيما في البلاد العربية و الإسلامية التي تصنف على أنها أكثر تعارض سياسي مع الو م أ و التي تحول دون إحداث التعاون و الحوار². لذلك فهي تحاول التركيز على استراتيجية استعمال الرصيد المعياري الهائل، كالاهتمام بالنقاش الديني الدائر في العالم الإسلامي و التعاون مع شركاء مسلمين يتمتعون بالنفوذ و المصداقية ،و هذا يتطلب تطوير الآليات و السياسات المحددة و الأولويات البرمجية لهذه المفاهيم و تنسيقها لإحداث الحوار الناجح بين الطرفين ،مع أخذ بعين الاعتبار الاختلافات الموجودة بين الدول العربية ،و هذا الامر دفع بوضعي السياسة الخارجية الأمريكية إلى ضرورة إشراك الدول العربية و جماعات المعارضة بل الإسلام و الأحزاب السياسية و الجهات غير الرسمية لمساندتها من أجل بلوغ هدف الحوار.

¹ بيترسون، « العثور على صورة لأمريكا : إستراتيجية لإعادة الدبلوماسية العامة.» ص. 93.

² بيترسون. ص ص . 94-95.

إن هذه الاستراتيجية هي استراتيجية تعكس طبيعة الجهود التي قامت بها الدبلوماسية العامة من خلال تحديد النقائص التي حالت دون تحقيق و تعزيز فعاليتها في تنفيذ أهداف و أولويات السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه المنطقة العربية, و هذا إن دل على شيء فإنه يدل على الجهود غير الكافية التي قامت بها هذه الدبلوماسية في السنوات الماضية. من خلال المقاربات السابقة يمكن الإشارة إلى أن تفعيل الدبلوماسية العامة وفق أهداف السياسة الخارجية اتجاه العالم العربي لم يعد مرتبط فحسب بزيادة المخصصات المالية و المساعدات المقدمة للدول العربية بل أصبحت مرتبطة بأوجه القصور الهيكلية التي أدت لإعاقة تحقيق الدبلوماسية الشعبية لأهداف السياسة الخارجية و في تحقيق التواصل بينها وبين شعوب المنطقة العربية, و يمكن الوقوف على استراتيجية شاملة للو-م-أ في إعادة نهج الدبلوماسية العامة في تنفيذ أولويات و أهداف السياسة الخارجية في المنطقة العربية و التي تشمل على:

- 1- تقوية هيكل الدبلوماسية العامة الأمريكية بصورة فعالة يساعد على تحديد استراتيجية الاتصالات و توجيه هياكل الدبلوماسية العامة, و تحويل هذه الجهود إلى وكالة الحكومة الأمريكية و الحلفاء و الشركاء.
- 2- تحسين قدرة أمريكا على أن تنصت إلى الرأي العام العربي, و الشروع في تقييم منظم للاستعداد الدبلوماسي و تحديد أولويات الاتفاق مع مراجعة للدبلوماسية العامة الأمريكية, و هذا ما أدى إلى ضرورة إصدار توجيهات خاصة بالدبلوماسية العامة من خلال التزام أمريكا بإصلاح هذه الدبلوماسية و جعلها عنصرا مركزيا في سياستها الخارجية و خاصة في قضايا الشؤون العربية¹.
- 3- إحياء الدبلوماسية العامة الأمريكية من منظور مؤسسي, من خلال مجموعة من البرامج المحورية كبرنامج أمريكا America Program الذي يهدف إلى تمويل مبادرات تحسين صورة أمريكا على المستوى العربي, و صندوق دعم القيم المشتركة Common-values funds الذي يقوم بتقديم الدعم لقادة الرأي العام في المجتمعات العربية الذين يسعون إلى ترسيخ القيم المشتركة مع الو-م-أ².

¹ بيترسون. ص. 97.

² Kristin, « Voices of America: U.S. Public Diplomacy for the 21st Century ». p. 30.

4- السعي إلى توسيع المدى الذي يعين فيه حاملوا رسائل أمريكا إلى العالم العربي الذين بإمكانهم أن ينتقدوا العيوب في مناطقهم بدرجة من المصادقية أكبر مما يستطيع فعله من طرف دبلوماسي أمريكي.

5- توسيع أنشطة الدبلوماسية العامة، من خلال المشاركة في الجهود الرئيسية المؤثرة على الساحة الدولية كتشجيع مكافحة قوى التطرف و العنف لصالح الحل السلمي للنزاعات و خلق التسامح و الحوار، و هذا يتحقق من خلال تعزيز الديمقراطية و ضمان التعددية و إشراكها في سياستها اتجاه العالم العربي، لاسيما قضية حقوق الإنسان و مكافحة الإرهاب و الوصول إلى حل سلمي لأزماتها خاصة بعد ثورات الربيع العربي.

6- بناء مؤسسة مستقلة للدبلوماسية العامة الأمريكية بتنفيذ أهداف السياسة الخارجية او ما يطلق عليها في بعض الدراسات **بمنظمة الثقة بين الو-م-أ و العالم العربي** The USA World arab Trust. بحيث تكون هذه المؤسسة مرتكزة على جميع المبادرات المتعلقة بالدبلوماسية العامة، و التي تتخطى العوائق البيروقراطية التي تتسم بها المؤسسات الحكومية، حيث تسعى لتحقيق عدة أهداف محورية في السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه العالم العربي أهمها:

- تقديم صورة أكثر دقة و مصادقية للو-م-أ و العمل على ترويجها على مستوى العالم العربي.

- إقامة علاقات شراكة وثيقة مع منظمات غير حكومية و برامج محلية للتنمية في مختلف الدول العربية لدعم القيم المشتركة بين الو-م-أ و باقي دول العالم العربي.

- استخدام وسائل لقياس مدى تحقيق الدبلوماسية العامة لأهداف السياسة الخارجية الأمريكية و تعزيز أدورها على مستوى العالم العربي¹.

ان تفعيل الدبلوماسية العامة الأمريكية من خلال إعادة نهج السياسة الخارجية اتجاه العالم العربي، يتحدد من خلال استراتيجية وطنية للدبلوماسية العامة تتطوي على الأهداف المحورية و وسائل تحقيقها على المدى البعيد و التعامل مع التحديات التي تواجهها في العالم العربي، من خلال تقييم نتائج استطلاعات العالم العربي حول الو-م-أ بصورة دورية، و إعداد خطط سنوية للتعامل مع سلبات السياسة الخارجية الأمريكية و الارتقاء بقدرات المؤسسات الأمريكية المختلفة المسؤولة عن

¹ Kristin. P. 33.

تنفيذ أنشطة الدبلوماسية العامة في ضوء التقييم المستمر لمدى نجاح تلك الأنشطة في تحقيق أهدافها ، صف إلى ضرورة توظيف العنصر الثقافي كوسيلة أساسية لتحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في الوطن العربي من خلال غزو العقول و السيطرة عليها، و هذا يتطلب المزج بين الدبلوماسية العامة والدبلوماسية التقليدية بقصد إنجاز أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في المحيط العربي و بالتالي تفعيل تطبيق و تحقيق أهداف الدبلوماسية العامة الأمريكية.

2- على المستوى التنظيمي : إعادة توجيه و تنسيق الدبلوماسية العامة.

إن التركيز على إعادة توجيه و تنسيق جهود الدبلوماسية العامة قد تعزز بعد أحداث 11 سبتمبر، أين بدأت الدبلوماسية الأمريكية تسعى من أجل محاولة العثور على رسالة لكسب عقول و أفكار الشعوب العربية المشككة في السياسة الأمريكية ، و هنا تفتنت الو-م.أ إلى أن المشكلة ليست في هذه الرسالة و إنما المشكل يكمن في استراتيجية تنسيق و توجيه هذه الرسالة، فكان عليها الاستفادة من تجاربها السابقة لاسيما في فترة الحرب الباردة واستراتيجيتها و تعزيز سياسة معركة القلوب و الافكار ، حيث صرح أحد أعمدة الدوائر السياسية في واشنطن بأن استراتيجية امريكا في الوقت الحالي هي تماما كما فعلت في الحرب الباردة، فهي بحاجة للدفاع عن أفكارنا بقوة في العالم العربي فالتواصل هو الاستراتيجية¹. لذلك فإن الدبلوماسية العامة الأمريكية تحتاج إلى استراتيجية جديدة تركز على كسب العقول في الوطن العربي و تنسيق جهودها و توجيهها إلى هذه الشعوب، و لعل أهم خطوة تبدأ بها هذه الاستراتيجية هي سد الفجوة بين الأمريكيين و العالم العربي و تعزيز سياسة مد الجسور من خلال برامج أكثر فعالية خاصة منها كما سبق الذكر برنامج فولبرايت Fulbright و فرق السلام الأمريكي، مع أخذ بعين الاعتبار للتحديات التي تواجه ممارسات الحكومة الأمريكية خاصة مع تزايد نفوذ الجهات الفاعلة من غير الدول².

و الملاحظ أن الهدف الرئيسي الذي تسعى إليه الو-م-أ من كل هذا هو الهدف الذي صقل بعد أحداث 11 سبتمبر من خلال حملة مكافحة الإرهاب في البلاد العربية، فالو-م-أ لاحظت

¹ John Gershman et Renda S. Zaharna, « Forget Battles, Think Bridges | IPS », Institute for Policy Studies, 30 septembre 2005, https://www.ips-dc.org/forget_battles_think_bridges/.

² Gershman et Zaharna. Op. cit.

أنها لم تحقق التقدم المطلوب بعد عدة سنوات من الحرب على الإرهاب من خلال الأنشطة التي مارستها الدبلوماسية العامة لاسيما في عهد إدارة بوش تحت إشراف وكالة وزارة الخارجية كارين هيوغز Karine Hyuges , و في هذا السياق كانت وكالة الاستراتيجية الوطنية للاتصالات الاستراتيجية و الدبلوماسية العامة تعنى بتكتيكات الدبلوماسية العامة و الاتصالات الاستراتيجية في مواجهة مشكل الارهاب و سوء الفهم بين الو-م-أ و العالم العربي, الذي يعتقد أن الو-م-أ تريد القضاء على الإسلام¹. و في هذا السياق فقد قامت الو-م-أ بصقل وثيقة استراتيجية لتنسيق و توجيه جهود الدبلوماسية العامة الأمريكية من أجل تفعيل تطبيقها في المنطقة العربية ,حيث تضمنت ما يلي:

1- ينبغي على الإدارة تحديد الدبلوماسية العامة و تعزيز المصالح الأمريكية و الأمن الدولي من خلال التفاهم و التأثير على الرأي العام العربي و توسيع نطاق الحوار بين أمريكا و العالم العربي ,من خلال أدواتها من وسائل الإعلام و منظمات المجتمع المدني و المنظمات غير الحكومية.

2- وضع مجموعة من المبادئ النظرية لشرح طريقة عمل الدبلوماسية العامة من خلال محاولة الاستجابة لاحتياجات الجمهور العربي.

3- تحديد حدود السلطة و التركيز على المساواة ,و هذه الاستراتيجية يجب أن تحدد بشكل واضح من خلال عنصري التوجيه و التنسيق بين الوكالات التابعة لجهاز الدبلوماسية العامة و ذلك بالتنسيق مع الجهات الرسمية.

4- استراتيجية تحديد طبيعة الجمهور العربي و عناصر الاختلاف بينه و بين المجتمع الأمريكي مع فهم طبيعة القادة و تطبيق هذه الاستراتيجية من خلال رسائلها إلى جميع أنحاء العالم العربي.

5- إنشاء مراكز مستقلة بحيث تقوم بنشاط تقييم جهود الدبلوماسية العامة في الوطن العربي بشكل يسمح لها بتدارك النقائص على مستوى الممارسة².

6- جعل مهمة الدبلوماسية العامة تتمثل في قول الحقيقة عن أمريكا وعن سياستها الخارجية و قيمها و مثلها, الأمر الذي يجعلها وسيلة لاستماع تكون متاحة على المدى الطويل و إيصالها إلى

¹ Darrell Ezell, « Diplomacy and US-Muslim world relations: the possibility of the post-secular and interfaith dialogue » (University of Birmingham, 2010). P. 26.

² Ezell. Op. cit.

المتشككين من الدول العربية في السياسة الأمريكية و هذا يعني بناء مستوى من التفهم حول أمريكا و سياستها و النوايا الحسنة.

7- ضرورة وجود موظفين ناطقين باللغة العربية في السفارات الأمريكية الموجودة في البلدان العربية الذين يظهرون بشكل مستمر في النقاشات و الشؤون العامة من خلال وسائل الإعلام, ذلك أن الو- م-أ لا يمكن أن تغير أو تدافع عن سياسة و وجهات النظر الأمريكية إذا اكنت لا تشارك في وسائل الإعلام أين تحصل المجتمعات العربية عن الأخبار و المعلومات التي يمكن أن تشكل رأيهم¹.

8- دعم برامج التبادل الثقافي و التعليمي على أوسع نطاق في العالم العربي و ذلك من خلال اتفاق الجزء الأكبر من أموال الدبلوماسية العامة على هذه البرامج الأمر الذي يساعد على التدفق المستمر للطلاب العرب على أمريكا.

9- التواصل مع الشباب العربي الذي أصبح في الوقت الراهن من بين أهم التحديات للسياسة الخارجية الأمريكية فالتواصل مع الشباب العربي يعني التواصل مع العالم العربي الإسلامي و ذلك من خلال تثقيفهم و تعليمهم بحيث يتيح ذلك فرص التفاهم و انهاء المفاهيم الخاطئة حول أمريكا و نواياها في العالم العربي فالترحيب بالطلبة الأجانب مثلا يمكن من الانخراط في الحوار بدلا من صراع الحضارات².

10- إقامة شراكة بين المؤسسات التعليمية العربية و الأمريكية و القطاع الخاص و المنظمات متعددة الأطراف لتطوير برامج تدريبية للمدرسين و تأمين المساعدة التقنية لإلغاء مركزية الأنظمة التعليمية العربية و المساعدة في توسيع نطاق تعليم اللغة الإنجليزية و إرساء نظام التعلم مدى الحياة من خلال تعليم البالغين و الذي يدخل ضمن استراتيجيات الدبلوماسية العامة للإصلاحات التعليمية العربية.

11- الربط بين بين القوة الناعمة و القوة الصلبة أي بين الدبلوماسية العامة و الدبلوماسية التقليدية من خلال اللجوء إلى القوة الذكية أي الدبلوماسية الرقمية أي الربط بين التسامح و الشدة من خلال توظيف وسائل الإعلام و التواصل الاجتماعي عبر شبكات الانترنت فبالقوة الناعمة تكون أمريكا قادرة

¹ Lionel Beehner, « Perceptions of U.S. Public Diplomacy | Council on Foreign Relations », 2005, <https://www.cfr.org/background/perceptions-us-public-diplomacy>.

p.9.

² Ibid , p 10.

على ما تريد عن طريق الإغراء بدلا من القسر ، فالمساعدات الاقتصادية و التبادل الثقافي مع العالم العربي و خلق رأي عام عربي موافق لها و الاعتماد على الشرعية و خلق المصادقية في هذه المنطقة إلا أن القوة الناعمة ليست هي الحل لكافة المشكلات و القوة الذكية هي القدرة على دمج القوانين معا الصلبة و الناعمة في ذلك في استراتيجيات فعالة للدبلوماسية العامة الأمريكية.

و تجدر الإشارة إلى الإدارة الأمريكية حاولت تفعيل الدبلوماسية العامة من خلال العديد من المفاهيم حيث قام باراك أوباما و الذي اقترن اسمه بمفهوم الأمن المستدام و الذي يتطلب تنمية القدرات الدبلوماسية و استخدام جميع وسائلها لبناء عالم أكثر استقرار و اتباع نهج القضايا السياسية الخارجية تأخذ في عين الاعتبار الروابط المعقدة بين الـم-أ و العالم العربي لذلك يبدو أن مفهوم الأمن المستدام هو السمة المميزة للرئيس أوباما و هذا أكد يقترن بسياسته في إعادة صياغة الكيفية المناسبة للتعامل مع دول العالم و هذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن الرئيس أوباما على استعداد كامل لأخذ زمام المبادرة في الدبلوماسية العامة و إعادة رسم دور أمريكا في العالم العربي من خلال مساندة وسائلها من منظمات غير حكومية و وسائل إعلام و مراكز الفكر¹.

لقد ظهر هذا من خلال اقتراحه استراتيجية فعالة في تنسيق جهود هذا النوع من الدبلوماسية بشكل كاف مع جهات الجهات الحكومية الأخرى كوزارة الدفاع حيث تم تنسيق جهود الدبلوماسية العامة من خلال الوكالة الخارجية لشؤون الدبلوماسية العامة تحت إشراف وكيل الخارجية للشؤون الدبلوماسية العامة جون جلاسمان² و مركز مكافحة الإرهاب الذي اعتبر بمثابة تعاون على أعلى مستوى تصل من خلال الـم-أ إلى تفعيل الدبلوماسية العامة و توسيع نطاق نشاطاتها في العالم العربي في حماية حقوق الإنسان و الأمن الإنساني و نشر الديمقراطية و مكافحة مخلفات أحداث 11 سبتمبر 2001. و في هذا السياق فإنه لا بد من توجيه جهود مختلف المؤسسات المساهمة في الدبلوماسية العامة بحيث تكون مسؤولة عن التنسيق فيما بينها و توزيع الأدوار مع التركيز على مفهوم ربط العلاقات بين أمريكا و العالم العربي ضمن برنامج الترابط العالمي الاستراتيجي Global.Strategic engagement كأحد أهم الآليات لتحسين العلاقات و الصورة الأمريكية لدى

¹ Natalie Ondiak, « President Obama's Foreign Policy: Public Diplomacy Is Front and Center », 21 mars 2009, <https://thinkprogress.org/president-obamas-foreign-policy-public-diplomacy-is-front-and-center-c2e235ec463a/>.

² Kim Holmes, « President-elect Obama, we need a new kind of public diplomacy », The Heritage Foundation, consulté le 6 décembre 2017, /technology/commentary/president-elect-obama-we-need-new-kind-public-diplomacy.

العالم العربي و هذا يتطلب تدريب الدبلوماسيين الأمريكيين للتواصل مع المفكرين و قادة الرأي العام في الدول العربية لتعزيز المصالح الأمريكية في المنطقة مع الإفادة بصورة اكبر من النشاط المتنامي للمنظمات غير الحكومية الأمريكية لأداء تلك المهمة و خاصة منظمات حقوق الإنسان¹.

و يمكن القول و من خلال دراسة كريستين لورد Kristine Mclord و التي كانت بعنوان " أصوات أمريكا : دبلوماسية عامة أمريكا من أجل القرن الحادي و العشرين " أن مكانة الدبلوماسية العامة في السياسة الخارجية الأمريكية من خلال الاستراتيجية الحالية لتفعيلها قد عرفت تغيير ملحوظ في أهدافها و نهجها خاصة اجاه العالم العربي فقد لعب أوباما دورا كبيرا في تفعيل أنشطتها خاصة و أنه قد واجه العديد من التحديات و المتغيرات المحورية كانتشار الديمقراطية وصعود فاعليين غير دوليين الأمر الذي سيعكس طبيعة السياسات التي لابد من انتهاجها في سبيل مواجهة المشاكل و التحديات التي تحول دون تفعيل الدبلوماسية الشعبية الأمريكية بالشكل الذي يتناسب و الخصائص المجتمعية و السياسية و الأمنية للو-م-أ.

¹ Holmes. *Idem.*

المطلب الثالث : مشاكل و تحديات الدبلوماسية العامة الأمريكية في المنطقة العربية

1- المشاكل و التحديات:

لقد كانت الدبلوماسية العامة لإدارة تونس مثالا بينا على مدى صعوبة استخدام هذه الدبلوماسية في الترويج للسياسة الخارجية و التي هي في الأصل غير مرحب بها على الصعيد العربي حتى مع بذل مجهود لأجل تحسين أساليب الدبلوماسية العامة و قد واجهت إدارة بوش تحديا هائلا بعد الهجمات المرعبة في 11 سبتمبر بشأن التواصل مع المجتمع العربي بطريقة تتيح كسب دعم شعبي في حملتهم " حرب عالمية ضد الإرهاب " حيث كانت أول محاولة في ظل هذه التحديات لأجل النهوض بالدبلوماسية العامة الأمريكية هو تعيين الخبيرة تشارلوت بيريز " Charlotte Beers" المتخصصة في العلاقات العامة في منصب سكرتير ثاني في وزارة الخارجية لشؤون الدبلوماسية العامة والشؤون العامة¹ كي تقوم بتطوير استراتيجية للترويج لحملة " حرب عالمية ضد الإرهاب " ثم لاحقا الترويج لمشروع غزو العراق و التحول الديموقراطي في الشارع العربي.

و في هذا السياق فقد قدمت بيريز مبادرة للدبلوماسية العامة باسم " القيم المشتركة " و التي يقصد بها أن يتم توجيهها إلى المسلمين حول العالم العربي و فحواها أن الو-م-أ تحتضن المسلمين و دينهم و ثقافتهم جنبا إلى جنب سائر الديانات و الثقافات الأخرى في بوتقة الو-م-أ و الآن مشروع بيريز قد فشل و الذي واجه العديد من المشاكل على مستوى ترويج هذه الاستراتيجية و الطرق قياسا بالترويج داخل الو-م-أ فالمشكلة ليست في تقديمها للإستراتيجية و الخطط المستخدمة من قبل العلاقات العامة بين أدوات الدبلوماسية العامة و لكن في الطريقة التي تم تنفيذ هذه الاستراتيجية من خلالها.

لذلك فقد كانت المشكلة الوحيدة التي واجهت الو-م-أ بعد هجمات 11 سبتمبر هي أنها أصبحت في مواجهة صنف جديد من التحديات التي تواجه زعامتها في العالم العربي و من هنا و حسب توجه الو-م-أ فإن الدبلوماسية العامة سيكون لها دور مهم في إعادة نشر صورة إيجابية عن الو-م-أ في العالم العربي فبعد العديد من التخفيضات في ميزانية العمل المخصصة للوكالة الأمريكية

¹ جيفري بيجمان, *الدبلوماسية المعاصرة* (القاهرة: دار الفجر للنشر و التوزيع, 2014). ص. 179.

للتنمية فإن نشاط الدبلوماسية العامة اعترفوا بأنهم يلاقون صعوبات في المنطقة العربية و لعل أهم هذه الصعوبات:

- صعوبة في إيجاد ممثلين للقيام بإجراء هجوم مضاد لتحسين الصورة الأمريكية في المنطقة العربية ذلك أن الإدارة الأمريكية وجدوا صعوبات في إيجاد مسؤولين في الدبلوماسية العامة قادرين على إعادة تشغيل ماكينة الدبلوماسية العامة كما كانت تعمل أثناء أيامها في فترة الحرب الباردة.

- عدم تماشي أهمية الدبلوماسية العامة الأمريكية و صيغتها مع مقتضيات الفترة المعاصرة و تحدياتها الجيوسياسية و في هذا السياق يذكر "يان ميلسان" أن الدبلوماسية العامة الأمريكية أصبحت تواجه تحديات في المنطقة العربية كونها لم تعد محصورة في حملات الدعاية أو الترويج أو حتى الاتصالات الحكومية المباشرة مع الجماهير العربية التي تخدم مصالح الو-م-أ بل هي عبارة عن بناء علاقات مع الجهات الفاعلة في المجتمع المدني في العالم العربي و تسهيل للتفاعل الشبكي بين الأطراف الحكومية و غير الحكومية.

- الدبلوماسية العامة الأمريكية تستعمل سفراء غير حكوميين قادرين على خلق القوة الذكية و التحدي الذي يواجهها هي القدرة على جمع هذه الجهود الخاصة و العامة ببعضها البعض حتى تتجانس لخدمة هدف الزعامة الأمريكية في الوطن العربي و هذا يتطلب إعادة صياغة مفهوم القوة الناعمة من خلال الانتقال من القنوات التقليدية للاتصال إلى الفضاء الافتراضي و الشبكات الاجتماعية¹.

- غياب إستراتيجية واضحة للتنسيق بين الوكالات و الهيئات المعنية بتنفيذ الدبلوماسية العامة الأمريكية في المنطقة العربية و تطوير إستراتيجية مشتركة بين أنشطة الوكالات ذات الصلة بأنشطة و برامج الدبلوماسية العامة الأمريكية.

- افتقاد الإدارة الأمريكية لإستراتيجية و أدوات فاعلة للتأكد من أن الشعوب العربية المستقبلية للمساعدات الأمريكية خاصة مصر و سوريا على علم بأن تلك المساعدات تأتي من الو-م-أ و أنه يتم تمويلها من الضرائب التي يدفعها المواطن الأمريكي.

¹ Maud Quessard-Salvaing, « Repenser la diplomatie publique américaine après le 11 septembre : acteurs, enjeux et stratégies de diffusion au service du leadership », *Mémoire(s), identité(s), marginalité(s) dans le monde occidental contemporain. Cahiers du MIMMOC*, n° 16 (7 avril 2016), <https://doi.org/10.4000/mimmoc.2441>.

- نقص الموظفين الذين يجيدون لغات المجتمعات العربية التي يعملون بها و هي المشكل الأكثر إلحاحا و وضوحا في حالة المجتمعات العربية فقد أشار تقرير مجلس محاسبة الحكومة إلى أن 30% من المواقع الوظيفية في مجال الدبلوماسية العامة في الدول العربية ثم شغلها من قبل موظفين لا تتوفر فيهم الشروط و المهارات اللغوية المطلوبة و لا يجيدون اللغة العربية بالمستوى المطلوب و بالإضافة إلى ذلك فإن معظم هؤلاء لا يجيدون الحوار و التفاعل مع الإعلام العربي أو المشاركة في الجدل العام باللغة العربية¹.

- أن استخدام الدبلوماسية العامة كمدخل لتغيير الأنظمة السياسية كرس و وقع الاقتصاد و التهميش كسمة أساسية بدلا من وضع آليات الاندماج المجتمعي في الدول العربية و هذه المشكلة تحول دون الوصول إلى قيم و ثقافات هذه المجتمعات.

- إن جوهر مشكلة التغيير و الإصلاح السياسي في المنطقة العربية على طريقة الدبلوماسية العامة الأمريكية و إن كانت قيمها المعلنة لا خلاف بشأنها إلا انها تكمن و كما يبدو في ضعف الإدراك الأمريكي و تكمن في خفة و سطحية الطرح الأمريكي لمتطلبات التطور الديمقراطي في الوطن العربي باعتبارها لا تمس جوهر المشكلات السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية بالإضافة النية الأمريكية غير المعلنة في إخضاع هذا الوطن بدوله المتعددة للو-م-أ.

و في هذا السياق فإنه يمكن الإشارة إلى أن أهم التحديات التي تواجه تطبيق الو-م-أ لمفهوم الدبلوماسية العامة و القوة الناعمة في العالم العربي هي نابعة من الهيكل الإداري و السياسي و مؤسسي للإدارة الأمريكية و التي يمكن حصرها في:

التحدي المؤسسي : حيث يتمركز في الفجوة القائمة بين مؤسسات القوة الصلبة و الدبلوماسية التقليدية التي تعتمد استخدام الإكراه و الإكراه و بين مؤسسات القوة الناعمة التي قد تدخل ضمن ميزانية الدولة في صورة مهمة أو بدون إعطائها وزنها الحقيقي فحجم مؤسسات القوة الصلبة أكبر بكثير من نظيراتها للقوة الناعمة من حيث الحجم المؤسسي و الرسوخ و الثبات ناهيك عن ميزانية الدولة في كل منهما فالتباين المؤسسي بين الدبلوماسية العامة و الدبلوماسية التقليدية ينتج تعقيدات

¹ , «مشاكل الدبلوماسية العامة الأمريكية» , تقرير واشنطن (معهد الامام الشيرازي, 2010 ,)

(<http://www.siironline.org/>).

تتعلق بحجم المؤسسات و مكانتها و ثقافتها المؤسسية و كل هذا بالطبع يؤثر في أدائها و بالتالي أداء الدبلوماسية العامة داخل المجتمعات العربية.

2- التحدي السياسي: أن تطبيق الدبلوماسية العامة في العالم العربي لا تحتاج فقط إلى مؤسسات تدعمها و حسب بل تحتاج إلى قوة سياسية و إرادة من القيادة لتحقيقها فغياب التوازن السياسي بين القوة الناعمة و القوة الصلبة تحدي آخر من تحديات تطبيق الدبلوماسية العامة الأمريكية في المنطقة العربية فأنصار القوة الناعمة بين فئات المواطنين أقل بكثير من المؤيدين للقوة الصلبة و يقتصر التأييد و الدعوة لهذا التوجه على فئات الأكاديميين و الدبلوماسيين السابقين فلا يوجد قوة شعبية توازن تلك التي تمتلكها القوة الصلبة¹.

التحدي التنظيمي: أن برامج منظمات الدبلوماسية العامة تتكامل و تتربط أنشطتها بالخارجية الأمريكية بصرف النظر عن ماهية تلك البرامج و لاشك أن اختيار القوة الناعمة كوسيلة للتعامل الأمريكي مع العالم العربي يضيف مشاكل و تحديات جديدة و مخاطر على الاستقرار و خاصة مع قدرة وسائل الدبلوماسية العامة أن تحقق أهدافا يستعصى تحقيقها على القوة الصلبة حيث تشكل إطارا عاما من الأنماط و السلوكات الثقافية أي الانتقال من الآلة العسكرية إلى الوسائل السلمية و الاقتصادية و الثقافية و الدعايات المنظمة بكل الوسائل المتاحة من وسائل الإعلام و المنظمات غير الحكومية و المساعدات المقدمة للمنطقة و برامج التبادل الثقافي. فالدبلوماسية العامة الأمريكية يمكن القول أيضا أنها تواجه تحديا هائلا في المنطقة العربية و ذلك في تفويض الدعم للمتطرفين من خلال المساعدة على تحسين حياة الغالبية العظمى من العرب و الذين تتمثل مشاكلهم في تلك المشاكل المتواجدة في جميع الدول النامية من فرص العمل و السكن و تحسين التعليم و الرعاية الصحية بحيث أن المساعدة في بناء هذه الحياة تكون القوة الدافعة لشؤون الدبلوماسية العامة الأمريكية و البديل هو الاعتماد على القوة الصلبة التي أثبتت بوضوح أنه يجب دائما تذكر هذه المنطقة من أجل ضمان نجاح الدبلوماسية العامة فيه².

¹ سيد العزاوي, « الفهم الصحيح للدبلوماسية مابين القوة الصلبة و الناعمة و الذكية رؤية تطبيقية », المركز العربي

للدراسات الاستراتيجية. (blog), 2010, <http://www.democratica.de/?P=31089>.

² Nancy Snow, Philip M. Taylor, et Annenberg School of Communications (University of Southern California), éd., *Routledge handbook of public diplomacy* (New York: Routledge, 2009). P. 173.

و في الأخير فإن تجدر الإشارة إلى الكثير من المشاكل و التحديات التي تواجه الدبلوماسية العامة الأمريكية في المنطقة العربية تتشارك فيها مجتمعات أخرى فيما بعد الحداثة و هكذا فإن هذه التحديات و المشاكل لا يمكن القول أنها تنقص من قوة الدبلوماسية العامة و القوة الناعمة و ذلك لكونها تسعى إلى الحفاظ على قوة الانفتاح و الحريات المدنية و الديمقراطية التي تحجب المجتمعات العربية لذلك فإن المشكلات و التحديات تنشأ من القوة الناعمة عندما لا ترتفع هذه الدبلوماسية من ممارساتها إلى مستوى مقاييسها ذاتها و عندما تكافح للعثور على التوازن الصحيح بين الحرية و الأمن في المعركة ضد الإرهاب مثلا فإن من المهم أن نتذكر الو-م-أ أن الآخرين يراقبونها لاسيما في قضية حقوق الإنسان و تنشر الديمقراطية و التغيير السياسي في المنطقة العربية.

2- سبل مواجهة المشاكل و التحديات

لقد أضحت البنية العالمية غير مواتية لتحقيق الو-م-أ لمصالحها الحيوية نتيجة استياء الرأي العام العربي من السياسات الأمريكية المتعارضة مع القيم الراسخة التي طالما روجت لها الو-م-أ أكثر بث لسياستها الخارجية مثل الديمقراطية و الحكم الرشيد و احترام حقوق الإنسان ففي استطلاع للرأي 23 دولة من جانب مركز خدمات استطلاع الرأي العام التابع لهيئة الإذاعة البريطانية أن الو-م-أ تؤثر بصورة سلبية في العالم خاصة العالم العربي و قد أشار استطلاع في بعض الدول العربية إلى أن الو-م-أ تمثل التهديد الأكبر لدولتهم في المستقبل و يمكن تفسير تلك الوجهات المناوئة للو-م-أ في ضوء وجود إشكالية تتعلق بالسياسة الخارجية الأمريكية تتمثل في تعارضها مع القيم المجتمعية الأمريكية خاصة في سياستها اتجاه العراق¹.

و تجدر الإشارة إلى أن هذه التحديات و الصعوبات كانت إحدى أهم الخصائص التي ميزت فترة إدارة الرئيس جورج دبليو بوش خلال سنوات رئاسته انخفضت خلالها صورة أمريكا في نظر العالم العربي الأمر الذي أدى إلى زيادة الو-م-أ للكثير من البلدان العربية خاصة ذات الأغلبية المسلمة. و في ظل هذه الظروف و مع نتائج الانتخابات التي جاءت بفوز الحزب الديمقراطي على الحزب الجمهوري و الذي كان له الأثر في توجهات الو-م-أ في صياغة سياستها اتجاه العالم العربي من خلال محاولة وضع استراتيجية جديدة لتحقيق أهداف هذه السياسة الخارجية، لذلك فقد حدد الحزب الديمقراطي بزعامة باراك أوباما استراتيجيات جديدة مخالفة للرئيس السابق جورج بوش اتجاه

¹ Kristin, « Voices of America: U.S. Public Diplomacy for the 21st Century ».

العالم العربي رغبة منه في مواجهة التحديات و الصعوبات التي قد تحول عن نجاح السياسة الأمريكية في المنطقة العربية.

و في هذا السياق فقد أكدت إدارة أوباما على أن الـم-أ هي صديقة لكل بلد يسعى من أجل تعزيز الحرية و الصداقة مشيدا إلى أن أمريكا ستواجه هذه التحديات و الصعوبات و لن ترسخ لمن أسماهم بالإرهابيين فهي هدفها الأساسي هو تحسين صورتها في العالم العربي و حل النزاعات فيها على أساس الحوار الدولي و سعيها إلى طريق جديد قائم على المصالح المتبادلة و الاحترام الأمر الذي يفسر مقاربة مهمة هي ان دخول باراك أوباما إلى البيت الأبيض هو انتصار للديموقراطية الغربية و الذي حاولت ترجمته الـم-أ في دور الرئيس باراك أوباما في البيت الأبيض الراض لنهج بوش الذي كان قائما على شن الحروب ضد الدول العربية و الإسلامية حيث أكد باراك أوباما في إحدى خطاباته أن سياسة أمريكا الخارجية اتجاه العالم العربي يجب أن تقوم على المواءمة القائمة على إبراز التعاون معها فهو بذلك اتخذ موقفا رافضا اتجاه الآراء التي تقول أنه ليس أمام أمريكا في سياستها الخارجية إلا أن تختار الحرب أو الانعزالية بل أمامها سياسة أكثر مرونة بعيدة عن القوة العسكرية تتمثل في القوة الناعمة و القوة الذكية ¹.

و في هذا السياق فقد رفع باراك أوباما منذ حملته الانتخابية و حتى صعوده على كرسي الرئاسة الأمريكية شعار جديد حول طبيعة الدبلوماسية التي يتوجب على الـم-أ انتهاجها في ظل هذه التغيرات و التي أطلت عليها شعار الحوار الدبلوماسي الذي استعمله كوسيلة لإنهاء سنوات فشل حقبة جورج بوش و الذي أفرز الحرب على الإرهاب و التي زادت من كره العالم العربي لأمريكا و عمقت صورتها الذهنية السالبة لدى الرأي العام العربي و الذي حاول أوباما أن يغيرها عبر حقبة جديدة في الدبلوماسية الأمريكية تحت شعار الحوار بين الشعوب للوصول إلى تعزيز ديموقراطية فعالة داخل البلدان العربية التي هي بحاجة إليها و اعتبار أن الدبلوماسية العامة الأمريكية هي وجه آخر لعدة أنواع من الدبلوماسية البعيدة عن القوة الصلبة ².

¹ غادة الحوراني. "انقلاب أبيض : مهادنة أوباما للعالم الاسلامي خدعة لاتخاذ الاقتصاد الأمريكي". مجلة العرب الاسبوعي 'العدد الصادر يوم السبت 31 جانفي ، 2009، ص 19.

² ابراهيم عبد الله، من محور الشر الى دبلوماسية الحوار ، مجلة العرب الاسبوعي ، العدد الصادر يوم السبت 31 جانفي 2009 ص 19.

و الملاحظ أن باراك أوباما كان دائما مصرا على وعده في تغيير السياسة الخارجية الأمريكية في النهج الذي يكون فيه أكثر ملائمة لتوجهات الرأي العام العالمي في اول مقابلة رسمية للبيت الأبيض لشبكة تلفزيون العرب " قناة العربية " تحدث عن نقطة مهمة اعتبرها نقطة انطلاق في التغيير و هي معالجة الشارع العربي و الإسلامي من خلال تطبيق الدبلوماسية العامة و تحقيق أهدافها في المنطقة و التي أعطت ردود أفعال إيجابية من طرف المسؤولين الحكوميين¹ و لعل اهم ردود الأفعال الإيجابية هي تلك التي صدرت عن أدوات الدبلوماسية العامة من خلال قادة المنظمات غير الحكومية و منظمات المجتمع المدني حيث أكدت هذه الأخيرة على مساندتها لهذه السياسة و مساعدة الرئيس في تنفيذ وعده ببداية جديدة في العلاقات الأمريكية مع العرب و المسلمين الأمر الذي أدى بإدارة أوباما على وضع المزيد من التركيز على جهود الدبلوماسية العامة و مواجهة تحدياتها و مشاكلها و صياغة رسائل جديدة إلى العالم العربي على أساس الحوار و التفاهم.

لذلك فقد كانت رؤية باراك أوباما لمواجهة تحديات الدبلوماسية العامة وتفعيل تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية هي مرتبطة بتفعيل الدبلوماسية العامة نفسها لما لها من دور في دعم سياسة الو-م-أ في التركيز على قوة الدبلوماسية و ليس التركيز على دبلوماسية القوة. حيث ذكر جوزيف ناي " Joseph Ney" في هذا السياق في بداية رئاسة باراك أوباما أن إدارته سوف تخلف توازنا بين القوة الصلبة " Hard power " التي تمتلكها القوتان العسكرية و الاقتصادية لأمريكا مع عناصر القوة الناعمة " Soft power" في التعامل مع التحديات الخارجية خاصة في العالم الإسلامي و العربي و ذلك من خلال سياسات التبادل الطلابي في جامعات الو-م-أ². لذلك فإنه تجدر الإشارة إلى أن استراتيجية الرئيس باراك أوباما في السياسة الخارجية هي إستراتيجية حديثة خاصة مع مواجهة التحديات التي تواجهها على المستوى الاقتصادي ذلك أن أوباما يحاول الحفاظ على مكانة الو-م-أ في الاقتصاد العالمي باعتبارها مفتاح الاقتصاد لدى العالم العربي و ربط الأمن الاقتصادي بالأمن القومي و الذي يعتبر الداعم الرئيسي للمساعدات الإنمائية التي تقدمها الو-م-أ للدول العربية في إطار أنشطة الدبلوماسية العامة الأمريكية من خلال الوكالة الأمريكية للتنمية.

¹ Brigitte L. Nacos, « Note to Pres. Obama: Public Diplomacy Must Aim at Largest Audience », reflectivepundit, consulté le 6 décembre 2017, <http://www.reflectivepundit.com/reflectivepundit/2009/01/note-to-pres-obama-public-diplomacy-must-aim-at-largest-audience.html>.

² هشام ملح, « هل يفى اوباما بوعد السلام للشرق الاوسط؟ », مجلة قضايا القدس, 4 . décembre . 2009.

المبحث الثالث : ملامح مستقبل الدبلوماسية العامة الأمريكية في العالم العربي.

سوف نركز في هذا المبحث على ملامح مستقبل الدبلوماسية العامة الأمريكية في الوطن العربي و سوف نركز على السيناريو كأحد تقنيات الدراسات المستقبلية و التي لا تؤثر على النتائج النهائية بل تساعد صناع القرار على التعامل بعقلانية مع مختلف المستجدات فالدراسات المستقبلية المهمة بموضوع الدبلوماسية العامة الأمريكية اتجاه العالم العربي يمكن القول أنها محدودة و يمكن القول الدراسات التي اهتمت بالتعريف بالدراسات المستقبلية هي تتدرج ضمن اتجاهين: اتجاه يسعى للتعريف بها كما نشأت في سياقها الغربي. اتجاه ينقل تعريفها ومراحل التغيير و التحول التي مرت بها بهدف التعريف بها¹. و لما كان السيناريو فرع رئيسي من علم المستقبل وظيفته وصف مختلف الأحداث الممكنة و تحليل نتائجها فهو أيضا يجب أن يعتمد على مجموعة من النقاط في تحليله:

- وصف لوضع مستقبلي و سبل إدارته. قصص عن المستقبل يشمل الماضي و الحاضر.

- وصف لمستقبل محتمل أكثر من كونه توقعات محتملة لمستقبل فعلي.

- سلسلة من الافتراضات لأحداث مقبلة

- صور متناسقة لمستقبل محتمل.

- أن يكون نظام عمل مبرمج للاستجابة للأحداث و التطورات الرئيسية داخل إطار من التخطيط المستقبلي للدولة و المؤسسة و ذلك بهدف تحقيق النجاح في المستقبل².

و في هذا السياق فإن مستقبل الدبلوماسية العامة الأمريكية اتجاه المنطقة العربية سوف يعتمد على مجموعة من السيناريوهات تركز على الفهم الدقيق لدور القوة الناعمة في السياسة الخارجية الأمريكية في العالم العربي و هذا يتراوح بين فهم و تحليل أسباب تراجع القوة الناعمة و استمرار القوة

¹ وليد عبد الحي. "الدراسات المستقبلية النشأة التطور و الأهمية". مجلة الشرق الأوسط. 2003.

² المرجع نفسه

الصلبة من جهة و تفسير و تحليل معطيات استمرار القوة الناعمة و تراجع القوة الصلبة و هذا يتطلب ارتباط هذا السيناريو بمعطيات من الواقع من خلال التركيز على دور هذه القوة الناعمة و التي من خلالها يمكن الحكم على طبيعة ممارسات الدبلوماسية العامة في تنفيذ السياسات الأمنية و أهداف السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه العالم العربي لذلك فإننا أمام سيناريوهين الأول استمرار القوة الناعمة و تراجع القوة الصلبة من خلال الزيادة في كسب العقول و القلوب و تحسين الصورة في العالم العربي و سيناريو تراجع القوة الناعمة و تصاعد القوة الصلبة كون العالم العربي قد يصبح تحدياً للدبلوماسية العامة الأمريكية في العالم العربي مستقبلاً.

المطلب الأول : تنامي الطلب على الدبلوماسية العامة و القوة المرنة : سيناريو الاستمرار

1- كسب العقول و القلوب في الوطن العربي:

تقوم السياسة الأمريكية الراهنة على كسب العقول و القلوب عن طريق تحسين الصورة الأمريكية في العالم العربي و استخدام أدوات الدبلوماسية العامة و حملات العلاقات العامة بموازاة بناء المؤسسات و قمع الأموال و من المعلوم كما سبق الذكر أن تفاقم حالة الكراهية إزاء الو-م-أ في العالم العربي باتت تشكل إزعاجاً كبيراً لصانعي القرار الأمريكي كما يترتب عليها من انكماش النفوذ الأمريكي في العالم العربي. و يتمثل سيناريو الاستمرار من خلال زيادة كسب العقول و القلوب في الوطن العربي من خلال وضع الدبلوماسية العامة الأمريكية في قالب واضح و التي يراها بعض المفكرين إيديولوجية للهيمنة الثقافية أو هيمنة الثقافة الأمريكية على المجتمعات العربية خصوصاً في ظل ضмор الشكل التبادلي الذي يجعل المادة الثقافية موضوع إرسال و استقبال و اعتبارها شكل من أشكال الدعاية لتحسين صورة أمريكا في العالم العربي هذا من جهة من جهة أخرى فيراها بعض المفكرين أن الامكانيات ستوفرها الدبلوماسية العامة الأمريكية في المستقبل ستكون سبب تفاهم أعمق و تعزيز السلم عبر العالم و توفير أرضيات ذهنية لتجاوز الخلافات و حل النزاعات على المدى

البعيد و هي القناعة التي تتبناها الو-م-أ من خلال شعار معركة كسب العقول و القلوب في العالم العربي¹.

و قد جاءت تحولات الخطاب السياسي الأمريكي عناية بالقوة الإيديولوجية للإرهابيين الذي يمثل تحديا مستقبليا في سياسة كسب العقول و القلوب حيث تضمن هذا الخطاب اعترافا بمقدار التأثير الهائل لعقائدهم و أفكارهم و قد جاء هذا الاعتراف الأول حسب مستقبل السياسة الخارجية الأمريكية في العالم الإسلامي و العربي في مذكرة حملت عنوان " حرب الأفكار " و التي صدرت بتاريخ 2003/10/16 و هذه المذكرة التي وجهها دونالد رامسفيلد إلى مساعديه تحت على ابتكار وسائل جديدة (الأفكار) لخوض الحرب ضد الإرهاب و مواجهة هذا التحدي مستقبلا و هزيمته ليس فقط بالقوة العسكرية و لكن من خلال الأفكار و كسب العقول و القلوب. فالإحباط الذي عبرت عنه المذكرة تضمن تساؤل رامسفيلد في الوثيقة هل سنكسب الحرب ضد الإرهاب العالمي في المستقبل أم أننا سنخسرهما؟ و قد أشارت المذكرة إلى خطر المدارس الدينية مستقبلا على السياسة الخارجية الأمريكية ذلك أن الصراع يدور حول الأجيال اللاحقة و تحديد صراع على امتلاك قلوب و عقول المجتمعات العربية استكمالا لفكرة المذكرة طرح رامسفيلد فكرة إقامة وكالة معلومات القرن الحادي و العشرين في الحكومة للمساعدة في معركة كسب العقول و القلوب².

فالمشكلة حسب الرؤية الأمريكية و حسب بعض المفكرين لا تعود إلى البضاعة الأمريكية الفاسدة التي يتم تصديرها إلى المنطقة العربية بل في حسن إخراج وتجميل هذه البضاعة ، أي لا تعود إلى طبيعة السياسات المتبعة بقدر ما أن الخلل يكمن في العجز عن إخلاء هذه السياسات و حسن تسويتها عند شعوب المنطقة العربية حيث نقتنع بها فعلا و تدرك أبعادها النبيلة و الخيرة و هذا يتطلب الاهتمام الزائد بأدوات الدبلوماسية العامة مستقبلا و الذي سيؤدي في إخلاء السياسة الأمريكية الجديدة و جعلها تحظى بالقبول و الشرعية في أعين شعوب العالم العربي³. و في هذا السياق يدعو جوزيف ناي إلى القول أنه لا يمكن القلق من المستقبل فالشعبية شيء مؤقت زائل و يجب أن لا تكون دليلا للسياسة الخارجية بأي حال فالدبلوماسية العامة الأمريكية تستطيع العمل دون تصفيف

1 نزار الفراوي. القوة الناعمة و حروب الأفكار في السياسة الخارجية . بيروت: مركز برق للأبحاث و الدراسات 2016 ، ص5.

2 سعد سلوم، « حرب قصف العقول و كسب القلوب القوة الناعمة في تحولات الخطاب السياسي الأمريكي »، مؤسسة مدارك

لدراسة آليات الرقي الفكري. الفكرية. (blog), 19 septembre 2006, <http://www.madarik.net/mag3/12htm>

3 ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية. ص. 189.

العالم فهي قوية لدرجة تستطيع أن تفعل ما تشاء فهي القوة العظمى الوحيدة في العالم و لابد حتما أن تولد هذه الحقيقة حسدا و غيضا. و قد أضاف فؤاد عجمي مؤخرا أنه الو-م-أ لا تحتاج إلى القلق حول مسألة كسب العقول و القلوب في أراضي أجنبية لاسيما المنطقة العربية ذلك أن الدبلوماسية العامة تعدت ما يسمى بخلق الحوار و التفاهم بين الشعوب العربية و الو-م-أ بل أصبحت تسعى إلى اجتذاب و استقطاب هذه الشعوب خاصة فئة الشباب من خلال وسائلها و أدواتها في كسب العقول و القلوب و الإعلام الأمريكي خير مثال.

و في هذا السياق فقد تنبأ كاتب العمود الصحفي كال توماس إلى أن أعداء أمريكا في العالم العربي يمكن جعلهم أقل تهديد لنا بواسطة ما تقوله أو تفعله أمريكا¹ ذلك أن أمريكا كانت عديمة الشعبية في الماضي و مع ذلك استطاعت أن تتعافى فهي ليست بحاجة إلى حلفاء و مؤسسات بصورة دائمة فباستطاعتها دائما أن تنتقي انطلاقا من المستعدين لمعاونتها عندما تحتاج إلى ذلك. و على الرغم من التحديات التي واجهت تطبيق الدبلوماسية العامة الأمريكية في الوطن العربي في كسب العقول و القلوب و ذلك منذ أحداث 11 سبتمبر على وجه الخصوص مع المنطقة العربية سواء كان ذلك على مستوى إخفاقها في مكافحة الإرهاب أو في تراجعها في تطبيق و نشر الديمقراطية في المنطقة نتيجة عدم فهم الثقافات العربية و طبيعتها و زيادة نفقات الدبلوماسية العامة في كسب هذه المعركة إلا أن الكثير من المفكرين توقعوا الاستمرار في زيادة كسب الشعوب العربية و جذبهم للسياسة الأمريكية و هذا الاحتمال يعود إلى جملة من المعطيات التي تبين استمرار كسب عقول شعوب العالم العربي و من هذه المعطيات :

- القدرة على تقديم أفكار تساهم في بقاء الو-م-أ كقوة عظمى تسعى إلى كسب الشعوب و تحسين صوتها لدى العالم العربي.

- القدرة على إتباع استراتيجية تمتد إلى مستقبل غير محدود على مستوى علاقاتها بالعالم العربي.

- القدرة على تحسين تدريجي لمشاكل سياسية و اقتصادية و اجتماعية و استراتيجية متنوعة في المنطقة العربية رغبة منها في زيادة رصيدها من الشعوب العربية المحبة للسياسة الأمريكية .

¹ ناي. ص. 193.

- القدرة على استخدام وسائل الدعاية على الوجه الأكمل و تحسين الدبلوماسية العامة حتى تتجلى صورة أمريكا على حقيقتها فالتحدي الأكبر الذي كان يواجه الدبلوماسية العامة الأمريكية هو إجلاء حقيقة قيم و سياسات الو-م-أ لشعوب العالم العربي لأن الحقيقة تخدم الحرية حسب تعبير كوندوليسا رايس مستشارة الأمن القومي سابقا و التي ذكرت أن الأفكار التي ربحت معركة الحرب الباردة يمكنها أن تريح مستقبلا المعركة ضد الإرهاب¹.

و تجدر الإشارة إلى أن أهمية كسب العقول و القلوب تكمن في كونها جزء لا يتجزأ من الحرب الواسعة على الإرهاب، فالحرب على الإرهاب بالأسلحة هي نفسها معركة كسب العقول و القلوب التي تعتمد على إيديولوجية مختلفة ذلك أن الاستراتيجية الأمريكية في مكافحة الإرهاب و الفوز فيها يعني الانتصار في معركة الأفكار و كسب العقول . و في هذا السياق فقد تنبأ انطونيو انشافاريا الثاني الذي كان يشغل مدير البحث في كلية الدراسات الأمنية في الجيش الأمريكي أن عدم دعم العالم للو-م-أ و وجود مشاعر العداة للو-م-أ لا يعني بالضرورة عدم نجاح الدبلوماسية العامة و السياسات الأمريكية في تحسين صورتها لدى العالم العربي فسوف تستمر بلا شك سياسة الو-م-أ في محاربة الإرهاب مستقبلا و ذلك بغض النظر عن كيفية انتهاء الصراع فبالرغم من هذا فإن هناك يقين على نطاق واسع بفوز الدبلوماسية العامة و السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة الحربية كسبها للعقول و القلوب².

و يمكن القول أن و من خلال دراسة روبرت أرميتاج و جوزيف ناي صدرت في واشنطن بوست ان مستقبل الدبلوماسية العامة في كسب العقول و القلوب في العالم العربي ستتجه إلى إعادة المجد و القيادة الأمريكية ذلك أنها ستعتمد حتما على مسلمة مركزية جديدة لسياستها الخارجية لتحل محل الحرب على الإرهاب و نشر الديمقراطية التي سيطرت على السياسة الخارجية و هو الهدف الجديد للو-م-أ مستقبلا و هذا يتطلب رؤية لأمريكا آمنة و ذكية و إعادة كشف العظمة الأمريكية لمصدر للأفكار و الحلول العملية في العالم العربي ستعتمد عليها مستقبلا في زيادة و استمرار كسب العقول و القلوب في العالم العربي و التي ستعتمد على الحلول العملية في المنطقة العربية الذي

¹ عيد السلام، الولايات المتحدة بين القوة الصلبة و القوة الناعمة. ص. 136.

² Antulio Joseph Echevarria, *Wars of ideas and the war of ideas* (Carlisle, PA: Strategic Studies Institute, U.S. Army War College, 2008). P. 56.

سيستمع إلى كلماته و أفعاله و اللتان تشكلان الطريقة التي ستتعامل بها أمريكا مع التحديات المستقبلية في العالم العربي و إيجاد الحلول المناسبة لهذه التحديات.

لذلك فانه يمكن القول من خلال السيناريو أن معظم الكتابات الأمريكية قد ركزت على أهمية توظيف الجوانب الثقافية بكل أبعادها في مستقبل تطبيق الدبلوماسية العامة وهذا من خلال الاستثمار في أدوات القوة الناعمة و الحاجة على الدبلوماسية العامة للسيطرة على المدارك العقلية عبر وسائل الإعلام و المبادلات الثقافية و حتى المناهج التعليمية تحت ذرائع الإصلاح الثقافي و السياسي و في هذا الصدد نشرت أبحاث عديدة تحمل عناوين بارزة في السياق ذاته و التي كان وسيلة للتحريض على ضرورة توظيف العنصر الثقافي لتحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في الوطن العربي من خلال غزو العقول و السيطرة عليها و اتخاذها منطلقا لممارسة النفوذ في المنطقة لصالح الاستراتيجية الأمريكية على المستويات كافة¹.

2- تصاعد الطلب على القوة الناعمة و تراجعها على القوة الصلبة:

لم تدخل القوة الناعمة الأمريكية إلى العالم العربي إلا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 لكن المؤكد أن الاهتمام الأمريكي بالمنطقة العربية على هذا المستوى لم يتخذ قبل ذلك أبدا هذا القدر من الانخراط و هذا المستوى من البرمجة و التخطيط الواضح الأهداف فهذا الاهتمام يؤكد أن الدبلوماسية العامة من خلال القوة الناعمة هو استمرار المنطق القوة الصلبة من محاربة الإرهاب إلى نشر الديمقراطية و حماية حقوق الإنسان وصولا تعديل البرامج التعليمية و إنشاء قنوات تلفزيونية و إذاعية متحدثة باسم المصلحة الأمريكية و هذه كلها محاور عمل حددها تشخيص للحالة الاستراتيجية المستحدثة عادة تفجيرات 11 سبتمبر و هذا ما عكس تصاعد هذه القوة الناعمة و تراجع القوة الصلبة².

و يتمثل سيناريو الاستمرار من خلال تصاعد القوة الناعمة و تراجع القوة الصلبة من خلال استمرار تفوق الو-م-أ على العالم العربي من خلال قوتها الناعمة و ضرورة قيام السياسة الخارجية

¹ عمر عبد العاطي, « القوة الذكية مفهوم جديد لأمريكا », 11 décembre 2012, [http://www.elaph.com./web/reports/2008/\(331\)/265.htm](http://www.elaph.com./web/reports/2008/(331)/265.htm).

² نزار الفراوي, القوة الناعمة و حروب الأفكار في السياسة الخارجية (بيروت: مركز برق للأبحاث و الدراسات, 2016).

الأمريكية بالاهتمام بمفهوم القوة الناعمة و التفكير في كيفية مواجهة التحديات المستقبلية التي ستواجهها في المنطقة العربية. و في هذا السياق فإن أول الجهات التي كانت معنية بهذا التوجه هو مراكز البحوث الاستراتيجية من خلال إنجاز البحوث و الدراسات لتفادي السقوط الأمريكي و استمرار تصاعد القوة الناعمة. و هنا يمكن الإشارة إلى مشروع مركز الدراسات الاستراتيجية الدولية الذي اهتم بمستقبل القوة الناعمة من خلال تطويرها إلى القوة الذكية حيث دعا إلى مشاركة الباحثين و الأكاديميين لتقديم مجموعة من الأبحاث و الدراسات من أجل وضع توصيات تهدف إلى تصاعد القوة الناعمة الأمريكية و زيادة تأثيرها لاسيما في العالم العربي و لتحقيق ذلك مستقبلا وضع مجموعة المعطيات أهمها:

- زيادة تقديم المساعدات الخارجية التي توجه للعالم العربي
- إعادة تقوية التحالفات و المنظمات التي تتيح لأمريكا مواجهة مصادر الخطر الجديدة
- إعادة استثمار الدبلوماسية العامة بإنشاء المؤسسات الغير ربحية و التي تسعى إلى خلق روابط بين الأفراد في الخارج لاسيما في المنطقة العربية.
- التوفيق بين القوة الناعمة و القوة الذكية¹.

و في سياق تصاعد القوة الناعمة الأمريكية و تراجع القوة الصلبة فقد ذكر جوزيف ناي في كتابه " القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية " ذكر أهمية القوة الناعمة داخل المؤسسات الحكومية و التي تتبنى القوة الصلبة في سياستها فأشارت إلى أن العسكريون من خلال السلطة العسكرية يلعبون دورا مهما في إيجاد القوة الناعمة فليديها سلسلة واسعة النطاق من تبادل الضباط و التدريبات المشتركة و برامج المساعدات مع البلدان العربية و في زمن السلم و ما يؤكد زيادة اهتمامهم بأدوات القوة الناعمة و التراجع عن استخدام القوة الصلبة في بعض القضايا هي تبنيها لجلسات حول الديمقراطية و حقوق الإنسان إلى جانب التدريب العسكري و يضيف أن مشاكل الدور العسكري تكمن في براعة استخدام القوة الناعمة التي تنشأ عندما يحاول تطبيق تكتيكات زمن الحرب في

¹ عبد العاطي, « القوة الذكية مفهوم جديد لأمريكا.»

أوضاع غامضة و هذا شيء له إغراء خاص في سياسة أمريكا المستقبلية اتجاه العالم العربي و قضية مكافحة الإرهاب¹.

و في هذا السياق و من خلال سيناريو تصاعد القوة الناعمة و تراجع القوة الصلبة فإنه يمكن ملاحظة وجود بعض المؤشرات القوية الدالة على تمدد القوة الناعمة الأمريكية في المنطقة العربية إلى درجة كبيرة و التي يمكن حصرها فيما يلي:

1- إقبال قطاعات واسعة من شعوب المنطقة العربية و خصوصا بين الشباب و النسوة على أنماط الحياة الثقافية الشعبية الأمريكية و التي يمكن اعتبارها مظهر من مظاهر التحولات الاجتماعية و الثقافية التي تشهدها البلاد العربية.

2- الانتشار الواسع لاستخدام على حساب اللغة العربية الامر ليس في مجال الأعمال و قطاع الأعمال فحسب بل أيضا في مجال الإدارة و المؤسسات العامة و قد يصل الأمر على حد تحولها إلى لغة تخاطب يومي خصوصا في منطقة الخليج العربي و بعض البلدان العربية الأخرى.

3- الانتشار الواسع للمدارس و الجامعات إلى جانب المراكز الثقافية و البحثية الأمريكية في المنطقة العربية و هذا من خلال و هذا من خلال بحث فروع الجامعات أمريكية في الكويت و الشارقة و الدوحة و الدار البيضاء و غيرها.

4- زيادة مشاعر الإعجاب و الانبهار التي هي مؤشرات الميل إلى مظاهر الحياة و تغييرات الثقافة الأمريكية و هو مشهد يعكس الاستقطاب الثقافي و السياسي بين اتجاهات الهوية و بين اتجاهات تغربية².

5- ثقافة الانفتاح و الابتكار للو-م-أ من خلال أدوات الدبلوماسية العامة سوف تبقيا مركز للعالم ذلك أن إنجازاتها العلمية ستعزز توجهها الاقتصادي و تدعم قوتها الناعمة لاسيما داخل المنطقة العربية.

¹ ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية. ص ص. 172-174.

² عبد السلام، الولايات المتحدة بين القوة الصلبة و القوة الناعمة. ص. 73.

6- إدراك الو-م-أ أن مشكلة القوة الأمريكية في الوطن العربي ليست في تراجع القوة الصلبة فقط و إنما ايضا إدراك حتى أكبر بلد في العالم لا يمكن أن يحقق النتائج التي يريدها دون مساعدة من الآخرين من أدوات القوة الناعمة.

7- القناعة على أن القوة الصلبة اتجاه العالم العربي ستكون سبيلا للردع و التطبيع وحتى الفهم بينما استعمال القوة الناعمة اتجاه المنطقة سيجعلها الو-م-أ تحصل على المشروعية لسياستها و تجعلها أكثر جاذبية بالنسبة للشعوب العربية¹.

و تجدر الإشارة إلى أن بعض المفكرين قد لاحظوا أن الو-م-أ لم تحقق النتائج التي من أجلها شنت الكثير من الحروب و هي الهيمنة و السيطرة على بعض الدول العربية حيث وجدت أن المدخلات في استخدام القوة الصلبة المباشرة تفرق بكثير المخرجات التي تحققها و هذا يستدعي إعادة النظر في تلك المدخلات و تنظيمها مستقبلا و توجيهها بما يحقق التأثير المتمثل في السيطرة و الهيمنة بالتحول من القوة الصلبة إلى القوة الناعمة التي تتميز بقلّة التكاليف و الموارد و بأقصر السبل. ففي كتاب جوزيف ناي هل انتهى القرن الأمريكي الذي أصدره في 2011 أن الو-م-أ ستكون في موضع أفضل في التعامل مع العديد من الدول ومنها الدول العربية و هذا يظهر من خلال تراجع القوة الصلبة و تصاعد القوة الناعمة الأمر الذي يجعلها تضل حازمة بإدارتها و في ظل ثورة المعلومات يبدو انتشار القوة الصلبة مشكلة تصعب إدارتها و يضيف جوزيف ناي أن الحكومة ذات القوة الصلبة هي التي تسود لكن في عصر المعلومات قد تزيح الدول أو المنظمات غير الحكومية ففي هذه الحالة تضع القوة الناعمة الجزء الأكثر أهمية في هذه الفوضى المعلوماتية و هو ما حصل في ثورات الربيع العربي², فالو-م-أ لا يمكنها أن تحقق أهدافها في العالم العربي و هي تنصرف لمفردها فهي تحتاج إلى تعاون الآخرين لاسيما من أدوات الدبلوماسية العامة و وسائلها فهي لا تستطيع معالجة القضايا وحدها ضف إلى ذلك فإن التحديات المستقبلية في العالم العربي يستلزم على الو-م-أ استخدام قوتها الناعمة لتطوير الشبكات و بناء المؤسسات لمواجهة هذه التحديات فاستمرار الو-م-أ في امتلاك القوة الصلبة و تجاهل القوة الناعمة لا يعني أن ستحول سلوكها إلى قوة فاعلة

¹ عبد الله حمودة، « جوزيف ناي مستقبل أمريكا مشرق و القوة الناعمة تتحقق من الجاذبية »، مجلة أفاق المستقبل، 2010. ص. 99.

² جوزيف ناي، هل انتهى القرن الأمريكي، الطبعة الأولى (الرياض: العبيكان، 2016). ص. 98-100.

لاسيما في علاقاتها مع العالم العربي يمكن أن يزيد الأمر من توتر هذه العلاقات لاسيما في ظل معاداة العالم العربي للو-م-أ.

و انطلاقا من هذا السيناريو و المتمثل في تصاعد القوة الناعمة و تراجع القوة الصلبة فإنه يمكن توضيحه من خلال مؤشرات أخرى تهمها:

1- أن التطورات الرقمية و الحديثة و في ظل التغيرات التي مست العالم العربي فإن القوة الصلبة الأمريكية لم تعد كافية لتحقيق أهداف السياسة الأمريكية اتجاه المنطقة العربية بل لابد من زيادة الاعتماد على القوة الناعمة التي تعتمد في جوهرها على وسائل و آليات ناعمة و جذابة و معنوية.

2- أن الاعتماد على القوة الصلبة وإهمال القوة الناعمة قد يشكل خطرا على التطلعات الاقتصادية و الثقافية و السياسية و مصالحها في العالم العربي.

3- الاعتماد على القوة الناعمة و البحث في آلياتها و زيادة الاهتمام بها سيكون مظهر من مظاهر استمرار هذه القوة و بالتالي تجديد و ديمومة الهيمنة الأمريكية لاسيما في العالم العربي.

4- تبني استراتيجية كبرى متكاملة تجمع بين القوة الناعمة و القوة الذكية من النوع نفسه الذي كسبت به الحرب الباردة و هذا في الحرب ضد الإرهاب لأن القوة الصلبة لا تستطيع أن تأمل فيها الو-م-أ الانتصار مالم تكسب عقول عامة العرب و المسلمين¹.

و يمكن القول من خلال هذا السيناريو ان تصاعد القوة الناعمة الأمريكية في الوطن العربي سيكسر القناعة بضرورة تعزيز الاستثمار في هذه القوة و الدبلوماسية العامة بأبعادها التواصلية و الثقافية من أجل معالجة الصور و التمثلات السلبية حول أمريكا في العالم العربي و هذا يتطلب استخدام وسائل غير عسكرية للحصول على مكاسب من طرف آخر و هذا سيؤدي إلى غياب الشعور بالجانب الإكراهي و الإملائي في العلاقة بين الو-م-أ و العالم العربي. فالو-م-أ في المرحلة القادمة ستركز على هذه المعطيات و المؤشرات بزيادة الاهتمام بالقوة الناعمة و التراجع عن القوة الصلبة و ذلك لتقوية مصالحها على مستوى العالم العربي.

¹ Théo CORBUCCI et William FREGONESE, « Soft power, hard power et smart power : le pouvoir selon Joseph Nye », Nonfiction.fr, consulté le 7 décembre 2017, <https://www.nonfiction.fr/article-7095-soft-power-hard-power-et-smart-power-le-pouvoir-selon-joseph-nye.htm>.

المطلب الثاني: استمرار تراجع الصورة الأمريكية في العالم العربي : سيناريو التراجع

1- قراءة في وضع الصورة الأمريكية لدى الجماهير العربية :

يعتبر العالم العربي و هواجس التهديد الأمني و السياسي و الممانعة الإيديولوجية التي يترتب عنها التشويش على الحضور الاستراتيجي و حتى الاقتصادي للقوة الأمريكية بمناطق حيوية في العالم العربي كان وراء حالة الاستنفار التي أعلنت على صعيد الدبلوماسية العامة الأمريكية. و يظهر سيناريو تراجع الدبلوماسية العامة الأمريكية من خلال كون العالم العربي قد يكون تحديا سلبيا لها و يظهر ذلك في الانتقادات القوية الموجهة لأمريكا من طرف المجتمع العربي خاصة مع ضعف المخصصات المالية للدبلوماسية العامة الموجهة لها، حيث اتجهت هذه الانتقادات أساسا لمضمون هذه الدبلوماسية و التي نقول للمجتمع العربي أكثر مما تتصت و الذي أدى إلى تزايد الانطباع بعدم اهتمام أمريكا بوجهة نظر العرب و المسلمين و هذا ما يعكس التحدي الذي ستبقى تواجهه الو-م-أ من خلال أنشطة دبلوماسية العامة في المنطقة العربية¹.

يتمثل هذا السيناريو في احتمال تفاقم التحديات التي تواجهها الو-م-أ في المنطقة العربية و صعوبة توزيع أنشطة الدبلوماسية العامة و استراتيجياتها اتجاه العالم العربي و هذا السيناريو لا يمكن القول أنه سيلغي المكانة المتميزة للو-م-أ و غنما سيكون حافز لتغيير سياسة الو-م-أ و تبني توجهات جديدة مستقبلية تكون سببا في حل القضايا العالقة و مواجهة التحديات. و يشكل العالم العربي حلقة جديدة من حلقات التراجع الأمريكي في تسيير و حل قضايا العالم العربي إذ أن الإدارة الأمريكية قد أخفقت في العديد من هذه القضايا من خلال نشر الديمقراطية و مكافحة الإرهاب و موقفها المحايد من الثورات العربية وصولا إلى فشلها في إعطاء دفع جديد لمفاوضات السلام بين إسرائيل و فلسطين و هذه المعطيات تعتبر مؤشرا هاما و واضحا عن تراجع الدور الأمريكي في قضايا محورية كانت السبيل الأمثل لتعزيز علاقاتها مع العالم العربي و تفعيل أنشطة الدبلوماسية العامة لاسيما مع التحديات الراهنة التي يفرضها الفضاء الرقمي و المعلوماتي.

¹ Marwan M. Kraidy, « Arab media and US policy: A public diplomacy reset », 2008. P. 7.

لقد أشارت دراسة صدرت عن مؤسسة ستانلي The stanly fondation بعنوان " الميديا العربية، السياسة الأمريكية : إعادة انطلاق الدبلوماسية العامة " للخبير في وسائل الإعلام العربية مروان كرايدي " ، أن العديد من استطلاعات الرأي قد كشفت على تراجع الصورة الأمريكية عربيا و تأثرها مستقبلا و الذي أرجعته الدراسة إلى الدعم الأمريكي للحكومات الحربية السلطوية بجانب الدعم الأمريكي للسياسات الإسرائيلية اتجاه الفلسطينيين فلا يمكن تجاهل حجم المتناقضات في السياسة الأمريكية خاصة عندما تزوج للديموقراطية في المنطقة، فعندما تأتي هذه الديموقراطية بقيادات تعارض مصالح واشنطن بالمنطقة تعلن أن الشعب العربي غير قادر على تطبيق الديموقراطية في المنطقة مما يترتب عليه غياب المصادقية الأمريكية عربيا في المستقبل و بالتالي تفاقم تشوه الصورة الأمريكية لدى المجتمعات العربية¹. و في أحد استطلاعات الرأي حول اتجاهات العرب اتجاه الو-م- أ تبين أن 65% من المستطلعة آرائهم يؤمنوا بأن الديموقراطية ليست هدف أمريكي حقيقي بينما يرى 5% بأن الديموقراطية هدفا حقيقيا للو-م-أ و رأى 16% أنها كانت هدفا حقيقيا و لكن الو-م-أ تطبقه بطريقة خاطئة.

فالملاحظ أن الدبلوماسية العامة لطالما كانت تركز بشكل أساسي على خوض حروب المعلومات بدلا من التواصل مع الأشخاص الآخرين و تحت شعار توصيل رسالة الو-م-أ تبنت الدبلوماسية العامة الأمريكية بشكل أساسي نهج أحادي الاتجاه إلا أن هذا الاتجاه و حسب بعض المفكرين سيؤدي إلى العالم العربي و الإسلامي الأمر الذي سيجعل معاملتها له تغلب عليه الطابع السلبي في حرب الأفكار و البعد عن التواصل مع الخصم و حسبما يرى النقاد الأمريكيين فغن هذا النهج العدوانى الي انتهجته الدبلوماسية العامة الأمريكية لن يحقق سوى نتائج عكسية قد تزيد من تراجع الصورة الأمريكية لدى المجتمعات العربية². و يظهر ذلك من خلال مجموعة من المعطيات و المؤشرات التي قد تكون سببا رئيسيا في زيادة تراجع الصورة الأمريكية من خلال فشل أنشطة الدبلوماسية العامة:

¹ Kraidy. P. 12.

² محمد غزيل، « العالم العربي والدبلوماسية الثقافية..الفرصة الضائعة »، بوابة روز اليوسف، 24 août 2016.

<http://www.rosaelyoussef.com/news/details/233789>.

1- عامل الدين و ذلك في إطار الترويج لمقولات و نظريات بدأت كُشف طريقها عالميا مثل مقولات " صدام الحضارات Clash of civilizations " و لكن في واقع الأمر يعد العامل الديني متغير واحد ضمن متغيرات أخرى هي سبب في تراجع الصورة الأمريكية عربيا.

2- تراجع المخصصات المالية الموجهة للدبلوماسية العامة و عدم توسيع نشر اللغة العربية بين المتخصصين الأمريكيين و صعوبة وصول الصحفيين العرب للمصادر الأمريكية بصورة واسعة.

3- عدم الأخذ بعين الاعتبار حجم التنوع الهائل في الدول العربية و بالتالي عدم الإدراك أن أحد الشروط الأساسية لنجاح الدبلوماسية العامة الأمريكية و تحقيقها للغايات المنشودة في المنطقة العربية هو أن تتميز بالمرونة و التجاوب مع الاختلافات و المناهج المتعددة لدى المجتمعات العربية.

4- زيادة الدفع الأمريكي نحو العولمة الأمر الذي يجعلها في وضع كراهية لأن العرب سيفهمون أن الهدف هو السيطرة و التحكم في الموارد العربية و هذا مرتبط بالجانب الاقتصادي و هي المقاربة التي أكد عليها تقرير صادر عن خدمات أبحاث الكونغرس و الذي أشار إلى وجود اتجاه للو-م-أ قد تعود لعولمة يمكن أن تصيب المنطقة العربية كأزمات اقتصادية دائمة.

5- في استطلاع للرأي بعد أحداث 11 سبتمبر حول ما يؤثر في السياسات و الدبلوماسية العامة اتضح أنه من الأسباب الرئيسية لتراجع الصورة الأمريكية في المنطقة العربية أن الو-م-أ أعملت الفجوة بين الاغنياء و الفقراء حسبما رأى 59% من المستطلعة آرائهم في حين رأى 57% أن تراجع الصورة الأمريكية يكمن في الدعم الأمريكي لإسرائيل مقارنة ب 54% عبروا عن استيائهم عن القوة الأمريكية كسبب رئيسي لكرههم للو-م-أ¹.

فهذه المؤشرات و المعطيات قد فتحت المجال أمام تحليلات عديدة و دراسات كثيرة تذهب إلى القول بأن تراجع الصورة الأمريكية في المنطقة العربية في المرحلة القادمة سيسودها نوع من الديمومة تدهور على مستوى العلاقات بين البلدين لاسيما فيما يتعلق بالقوة الأمريكية ففي كتاب جوزيف ناي هل انتهى القرن الأمريكي " Is the American Century Over ? " ذكروا من خلال تقرير مجلس الاستخبارات القومي و الذي أطلق عليه " أمريكا في عام 2030 " فقد تنبأ فيه أن تبقى الو-م-أ القوة

¹ Kraidy, Marwan. *Arab media and US policy*, p 8

العظمى الوحيدة في العالم لكن ستتراجع الهيمنة و الو-م-أ لن تكون قوية كما كانت في الماضي و درجة الانحدار النسبي لن تكون كما لو أنها نهاية العهد الأمريكي¹ و هذا راجع لتراجع الصورة الأمريكية لدى العالم لاسيما العالم العربي الذي أصبح يشكل تحديا سلبيا في تعزيز قوة الو-م-أ و إعادة صياغة صورتها لاسيما بعد أن تزايد شعور الكراهية و المعاداة اتجاهها.

و بالحديث عن الانحدار النسبي غير المسبوق و الذي تراجعت على أثره المكانة الأمريكية في العالم العربي خلال سنوات رئاسة أوباما فقد تدخل العديد من المفكرين من أجل الإجابة على العديد من الأسئلة حول الشخصية التي خلفت الرئيس باراك أوباما و المجسدة في الرئيس المنتخب حديثا رونالد ترامب "TRUMP" و الذي مما لاشك فيه أن انتخابه كان أمر غير عادي بكل المقاييس الخاصة و أنه لأول مرة يتبنى أحد الحزبين الكبيرين ترشيح أحد ليس من كوادره. و في العالم العربي فقد رافق إعلان فوز ترامب ردود أفعال حادة في العالم العربي ما عدا مصر التي وجدت في فوزه سندا قويا لنظامها و قد ذهب بعض المختصين إلى التنبؤ إلى مستقبل سلوك هذه الشخصية لاسيما في علاقاتها بالمنطقة العربية و تحدياتها فيها و ذلك من خلال تصورات ترامب التي تتفق مع البحوث و النتائج التي ظهرت خلال السنوات الماضية في الو-م-أ لاسيما في فترة جورج بوش و التي أدت إلى استنزاف القوة الأمريكية و تصاعد معاداة أمريكا من طرف العالم العربي و الإسلامي و الذي بدوره سوف بلغي الاحتكاك بين العالم العربي و إدارة ترامب و هو أمر وارد في المستقبل يحتسب له في المستقبل². فإذا كان ترامب قد أعلن عن خطوط مزعجة للعالم العربي ومريحة لإسرائيل و منهجية للقضية الفلسطينية فإن الصورة قد أصبحت واضحة و هي أن أمريكا ستصبح أكثر انحيازا لإسرائيل و على الجانب الآخر العالم العربي بكل قضاياها .

و يمكن القول و من خلال سيناريو تراجع الصورة الأمريكية و موجة الكراهية التي سادت العالم العربي قد تؤثر على الصورة النموذجية التي تسعى الو-م-أ إلى تسويقها في العالم العربي من خلال أنشطة الدبلوماسية العامة بذريعة حماية السلام و نشر الديمقراطية و العدالة حيث ستبقى هذه الصورة محل شك أمام سلوك أمريكا اتجاه المنطقة العربية و لعل أهم ما يثير التخوف الأمريكي في المستقبل هو التحدي الكبير الذي ستواجهه على مستوى المعارضة الشديدة للسياسة الأمريكية في

¹ Nye , op.cit, p92.

² عبد الله الأشعل, « كيف يتعامل العالم العربي مع إدارة ترامب الأمريكية؟ », الشروق, 6 décembre 2016, consulté le 7 décembre 2016, <http://www.alchourouk.com/212499/678/>.

المنطقة العربية و بالتالي فشل كامل لسلوك الدبلوماسية العامة الأمريكية التي ستكون الوسيلة الوحيدة لإعادة صياغة الصورة الأمريكية لدى العالم العربي بما يتوافق و المصالح الأمريكية.

2- تراجع القوة الأمريكية الناعمة و تبدها :

إن الحديث عن صورة الو-م-أ لدى العالم العربي يبدو أكثر قناعة و سوءا كما سبق الذكر حيث أظهرت العديد من الاستطلاعات ان غالبية الشعوب العربية و الإسلامية ترى أن الو-م-أ تعمل على إهانة العرب و المسلمين و قد تعدى هذا الشعور بمجمل السياسات و المواقف الأمريكية إزاء القضايا العربية و كذا الإجراءات التعسفية داخل أمريكا و خارجها التي تم اتباعها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر و ما أعقب ذلك ضمن ما يسمى بالحرب على الإرهاب. و يتمثل هذا السيناريو في احتمال تراجع القوة الأمريكية الناعمة و تبدها و ذلك من ما نشهده من تراجع ملحوظ في مجال نفوذها الناعم نتيجة ما بات يحبطها من ريبة و كراهية واسعة في مختلف مناطق العالم العربي و التي ترجع إلى النظرة السلبية للو-م-أ. هذا الأمر هو الذي أدى إلى تركز الو-م-أ لقواعدها و لنشر حشودها العسكرية في المنطقة العربي أكثر من أي موقع آخر في العالم الأمر الذي جعل من قوتها الصلبة تتصاعد في مقابل تراجع قوتها الناعمة.

و يمكن الإشارة إلى أن تراجع القوة الناعمة و على حد تعبير الكثير من المفكرين بدأت منذ فترة الحرب على العراق و كما ذكر جوزيف ناي أن الحرب على العراق كانت بمثابة آخر فصل من فصول حرب القرن العشرين¹ ذلك أن الو-م-أ قد وجدت نفسها أمام هذا الحرب غير قادرة على استخدام قوتها الناعمة و أنها مضطرة لاستخدام القوة الصلبة. و في هذا السياق فقد ذكر وزير الدفاع الأمريكي السابق رامسفيلد عندما سئل عن مدى تراجع القوة الناعمة الأمريكية بعد الحرب على العراق بأنه لا يعرف دلالة هذا المصطلح أصلا و أضاف ان مسألة الشعبية مضللة و لا يجب أن تكون موجها للسياسة الخارجية و أن الو-م-أ قوية بما يكفي و قادرة على فعل ما تريد دون الحاجة إلى موافقة الآخرين². و في لقاء مع المفكر جوزيف ناي سئل عن سبب عجز الو-م-أ عن تحقيق

¹ Joseph Nye, « U.S. Power and Strategy After Iraq », *Foreign Affairs*, août 2003, <https://www.foreignaffairs.com/articles/united-states/2003-07-01/us-power-and-strategy-after-iraq>.

² حمودة, « جوزيف ناي مستقبل أمريكا مشرق و القوة الناعمة تتحقق من الجاذبية. »

إنجازات ملموسة من خلال قوتها الناعمة في العالم العربي فأجاب أنه بسبب الحرب التي شنتها الو-م-أ في العراق تعثرت جهود الدبلوماسية العامة و تراجعت قوتها الناعمة في المنطقة العربية و كذلك عجزها عن دفع عملية السلام إلى الأمام برغم أن الكلمة التي ألقاها الرئيس أوباما في القاهرة كانت واعدة. كما أكدت استطلاعات الرأي العام التي أوضحت تحسنا ملحوظا بعد تلك الكلمة إلا أن صوت الحقائق التي تحدثت في الواقع أعلى من نبرة الكلمات. معنى ذلك أنه من المحتمل أن تكون الصعوبات التي ستواجه الو-م-أ بعد حربها على العراق ستكون مؤشرا لتضاؤل قوتها الناعمة و مدى فاعليتها. فاستخدام القوة الصلبة العسكرية للسيطرة على شعب مسلح و مستقر ستؤدي إلى نتائج عكسية تضعف أثر القوة الناعمة في المستقبل¹.

و من بين مؤشرات تراجع فعالية القوة الناعمة الأمريكية في المنطقة العربية:

- 1- السياسات التي انتهجتها الو-م-أ سابقا بعد هجمات سبتمبر و اعتمادها على موارد القوة الصلبة.
- 2- عدم الاهتمام بقضايا الشرعية و المصداقية في سياستها اتجاه العالم العربي فكان من الطبيعي أن تظهر استطلاعا الرأي العام تراجعا كبيرا في القوة الناعمة الأمريكية.
- 3- سلوك الو-م-أ المتعارض بشكل مباشر مع القيم التقليدية الأمريكية الخاصة بالحرية و حقوق الإنسان و سيادة القانون و قد فسره بعض المفكرين بسياسة الغاية تبرر الوسيلة.
- 4- سياسة الو-م-أ اتجاه الثورات العربية و التردد في إبراز موقفها حفاظا على مصلحتها في المنطقة أدى إلى تقليص قوتها الناعمة و إضعاف شرعية الو-م-أ.
- 5- فرض الهيمنة و معاقبة قوى المقاومة و الممانعة الأمر الذي وضح أن معظم المشروعات الأمريكية في المنطقة العربية و على رأسها فكرة الديمقراطية لم يكن همها الاصلاح السياسي المباشر الذي هو من أهم أدوات القوة الناعمة².

6- عدم قدرة النظام السياسي الأمريكي معالجة القضايا الملحة و ذات الاهتمام بالنسبة للمنطقة العربية منها تقديم المساعدات للدول المتضررة و إصلاح قوانين الهجرة إلى أمريكا و قضايا البيئة و هذا كان وسيلة لمواقف معادية للو-م-أ من طرف الشعوب العربية.

¹ Nye,op.cit, p 103

² حزب البعث العربي الاشتراكي, « القوة الناعمة الأمريكية التحديات والآفاق », http://www.baath-party.org.2012 ,

و في هذا السياق فقد ذكر جاكوب شكورت Jacob Schroth في مقال له مقدم حول مستقبل القوة الناعمة الأمريكية¹ أنه من المحتمل أنها ستواجه الفشل و التراجع و هذا يظهر من خلال العجز في ميزانية الو-م-أ المخصصة للدبلوماسية العامة و الذي يشكل أكبر تهديد لقدرة أمريكا على جذب الدول الأخرى خاصة منها الدول العربية و يضيف أن تدهور القوة الناعمة الأمريكية ستعجم عن قلة الاتصال بين الو-م-أ و الدول العربية و هي أكبر فجوة تؤدي إلى تدهور السلوك الأمريكي اتجاه المنطقة العربية الذي يهدد بدوره المصادر الأساسية للقوة الناعمة¹. لا بد من الإشارة إلى فكرة كل من جوزيف ناي و ريتشارد آرميتاج من خلال مقالهما الذي نشر في صحيفة واشنطن بوست Washington post و المعنونة ب: قف عن الجنون أمريكا أصبحت ذكية حيث أشارا من خلال تقرير استراتيجية القوة الذكية إلى وجود ثلاث عقبات قد تواجه الو-م-أ في المستقبل و التي من المحتمل أن تؤدي إلى تراجع القوة الناعمة الأمريكية في العالم خاصة العالم العربي و التي هي:

أولاً: الاعتماد المفرط للو-م-أ على القوة الصلبة لأنها تعتبر مصدراً للقوة المادية و سهلة الممارسة.

ثانياً: عدم تطوير أدوات القوة الناعمة بالشكل الكافي حيث لم نحظ بالتمويل المناسب من قبل الو-م-أ الأمر الذي سيؤدي إلى تراجع أنشطة القوة الناعمة.

ثالثاً: عدم إعادة الاستثمار في الدبلوماسية العامة².

لذلك فإنه من المهم القول من خلال هذا السيناريو أن طروحات القوة الناعمة حول تراجعها يثبت أن العامل العسكري و القوة الصلبة هي الخيار القائم و الأساسي في الاستراتيجية الأمريكية و هذا ما يفسر نفاذ الوسائل الناعمة و يظهر ذلك في الأحداث العربية و التي رأى بعض المفكرين أنها ستؤثر سلباً على مستقبل العلاقات الأمريكية العربية ذلك أن هذه القوة لم تنتج و لن تسجل تفوقاً في أنشطتها فرغم تنفيذها الدقيق من أجل إعادة الترسيم الجيوبوليتيكي و الجيوستراتيجي لخريطة العالم إلا أنها لم تصل إلى إعادة واسترجاع مكانة الو-م-أ و بالتالي فهي لن تحافظ على ديمومة التفوق

¹ Jacob Schrot, « American Soft Power and Geopolitics », in *IAPSS World Congress* (American Soft Power and Geopolitics”, Thessaloniki, Greece, 2014), <https://junge-transatlantiker.de/wp-content/uploads/2014/04/American-Soft-Power-and-Geopolitics.pdf>.

² مردان, « الاستراتيجية الأمريكية .. الاهداف والوسائل والمؤسسات. » ص. 112.

الأمريكي الشامل في المستقبل و هي المعطيات التي ميزت فترة رئاسة باراك أوباما من خلال سعيه لإعادة النظر في قوة أمريكا الناعمة اتجاه المنطقة العربية.

من جهة أخرى و في ظل التغييرات الراهنة في السياسة الأمريكية فقد تبني الرئيس الأمريكي الجديد دونالد ترامب مجموعة من المواقف المختلفة و التي تبدو متعارضة مع سلفه الرئيس باراك أوباما ، فعلى الرغم من محدودية خبرة الرئيس الجديد بالسياسة الخارجية و قضايا المنطقة العربية إلا أن المنطقة العربية أخذت نصيب الأسد في تصريحاته الإعلامية التي بدأت منذ بداية الانتخابات التمهيدية قبل عام تقريبا. و في هذا السياق يرى الدكتور " سعيد اللاوندي " خبير العلاقات الدولية بمركز الأهرامات للدراسات السياسية و الاستراتيجية أنه من المحتمل أن يكون فوز ترامب " TRUMP" له تأثير كبير على المنطقة العربية رغم أن الـم-أ لها سياسات ثابتة اتجاه بعض القضايا و لكن الجمهوريين سيحاولون تهدئة الاحتقانات في المنطقة العربية خاصة و أن ترامب قد ألقى باللوم على إدارة أوباما في إدارة أزمات المنطقة العربية و قد أعرب اللاوندي عن توقعه بأن يشهد دور الـم-أ في المنطقة العربية اختلافا كبيرا لاسيما على مستوى قوته الناعمة و غدا توقعه إلى ما تضمنته خطابات ترامب خلال الحملة الانتخابية¹.

يمكن القول و من خلال هذا السيناريو أن ما يمكن التأكيد عليه هو أن سياسة الـم-أ الخارجية من خلال دبلوماسيتها العامة اتجاه العالم العربي في ظل حكم الرئيس ترامب من المحتمل أن لا تكون امتدادا لسياسة جورج بوش الابن عبر القوة الصلبة أو استمرار لسياسة باراك أوباما عبر القوة الناعمة هذه الأخيرة التي من المحتمل أن تهمل بشكل واضح من قبل ترامب و يظهر ذلك من خلال تصريحه على الـم-أ أن تتبنى التدخل العسكري في الصراعات في أنحاء العالم العربي خاصة فترامب يؤيد الدكتاتوريين في مختلف أنحاء العالم إذا كانوا يضمنون الاستقرار².

لذلك فإنه يمكن القول أن أحد أهم ضحايا فوز دونالد ترامب في الانتخابات الرئاسية الأمريكية هو بدون شك هو قوة أمريكا الناعمة خاصة في العالم العربي و الذي من المحتمل أن تتراجع على

¹ عماد الأزرق، « توجهات جديدة للإدارة الأمريكية بعد فوز ترامب تجاه رق الأوسط »، 2016 ،

<http://www.arabicnews.cn/2016-11/09/c1358/17942/07/12/2016>.

² منصور ابو كريم، « ملامح السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط بعد فوز ترامب »، مركز رؤية للدراسات و الأبحاث (blog), 2016, <http://roayacenter.ps/wp-content/uploads/2016/11/American-foreign-policy-after-Trump-win.pdf>.

أثره أنشطة الدبلوماسية العامة الأمريكية في المنطقة العربية و تراجع ثقافتها و مصداقيتها الدولية و صعود ترامب إلى السلطة يمكن أن يحطم صورة الو-م-أ و يتزايد على إثرها الشعور المعادي و الكراهية لدى الشعوب العربية و هذا ما ذهب إليه بعض المفكرين على اعتبار أن قصة الانتخابات الأمريكية قد خفضت بشدة القوة الناعمة حيث نستبدل الأمل بالخوف و أمريكا لن تظل نفسها بعد بداية حكم ترامب.

خاتمة

منذ مطلع القرن الواحد و العشرين أخذت الدبلوماسية العامة الأمريكية في العالم العربي حلة عسكرية واضحة اتضحت بشكل خاص منذ التدخل العسكري في العراق ثم موجة الفوضى المعاصرة التي أفرزتها حوادث ما سمي بالربيع العربي. لقد تعالَى إِنْ دور مؤسسة الدبلوماسية العامة في مصاحبة هذا الدور العسكري لكن مع وجود لمسات جد خاصة للكثير من الفاعلين القائمة أدوارهم و مهامهم على تحديد طبيعة التهديدات التي تواجه الأمن القومي الأمريكي مثل وكالة الاستخبارات و البنتاغون و المؤسسات التابعة مباشر للرئيس. إن هذا السياق الجيواستراتيجي العام يعتبر في نظرنا أهم محدد لسلوك الدبلوماسية العامة في المنطقة العربية و هو ما جعلنا نتجه في افتراضاتنا لهذه الدراسة إلى اعتبار جهود الدبلوماسية العامة كجهود اتصال استراتيجي أمني هادفة إلى دعم مركز القوة الأمريكية (الهيمنة الأمريكية على العالم و على المنطقة العربية) في ظل أوضاع جيواستراتيجية ميدانية غير مستقرة بتاتا و معسكرة في غالب الأحيان. بحكم أن هذه الأخيرة تستهدف "البنى الإدراكية" للجماهير المستهدفة فإن النشاط الاتصالي يحيلنا مباشرة إلى نظريات الدعاية الكلاسيكية لكن و مع التغيرات الهيكلية الحاصلة في العالم العربي سواء على الصعيد البشري (حصول تحول ديموغرافي و ارتفاع مستوى التعليم خصوصا لدى الشباب) أو على الصعيد التكنولوجي (خصوصا بفعل الاستثمارات و الولوج التدريجي في مسار العولمة) فإن مثل هذا الاشكاليات يجب أن ينظر إليها وفقا لتفكير مركب complexe. لقد لجأنا في محاولتنا لتفسير التفاعل بين مؤسسة الدبلوماسية العامة و السياسات الأمنية الأمريكية إلى الرؤى التي اقترحها ما سمي بنموذج الدبلوماسية العامة الجديدة New public diplomacy الذي يعيد الاعتبار لعناصر البيئة الاتصالية كمدخل لاعداد الرسالة الملائمة لتحقيق الأهداف السياسية القائمة ، لكن مع دمجها ضمن مسلمات مدرسة القوة المرنة ثم مدرسة القوة الذكية لاحقا. سمح لنا مثل هذا التفكير المركب بإحداث نقلة نوعية في رؤيتنا للدبلوماسية العامة الأمريكية في العالم العربي ؛ فضلا عن البرامج الكلاسيكية في الميادين الثقافية و التعليمية و الاعلامية فإن هناك استثمار في فضاءات جديدة و هو ما تعكسه بعض الاستخدامات المحمولة في مفاهيم و مصطلحات مثل الدبلوماسية العامة 2.0.

من ناحية ثانية فقد تم التمييز في منطقتنا التحليلي بين جهود الدبلوماسية العامة الرسمية (أي التي تقودها البنى الرسمية مثل مؤسسة الرئاسة ، كتابة الدولة للدبلوماسية العامة و الأجهزة

(العسكرية) و البنى غير الرسمية (الدبلوماسية الرقمية و مراكز الفكر و المنظمات غير الحكومية) حتى نتمكن من فهم الأدوار الخاصة بكل بنية و مدى التزامها بمصاحبة الأهداف العامة للسياسة الخارجية الأمريكية. لقد كان مثل هذا التقسيم جد مفيد لأنه سمح لنا بمعاينة التطورات التي تشهدها الدبلوماسية كنشاط و التي من بينها وجود استعصاء في الأداء الرسمي (الكثير من الاصلاحات المؤسساتية و التغييرات في المسؤولين الوافدين على كتابة الدولة للدبلوماسية العامة) و وجود توجه نحو خصخصة مؤسسة الدبلوماسية العامة (فاعلين اقتصاديين ، مراكز الفكر... الخ). لكنه من جهة أخرى سمح بالوقوف على وجود اجماع داخلي بخصوص ضرورة تعبئة مقاربات اتصال استراتيجي فعالة لكن مع وجود استعصاء مادي ملموس في تحديد طبيعة الرسالة الواجب ارسالها عن دور الو. م. أ. إن من أهم نتائج مثل هذا الاستعصاء هو الرجوع التدريجي لمسلمات دينية تقليدية و هو ما يتضح كثيرا في خطابات الكثير من المسؤولين الأمريكيين و في مقدمتهم باراك اوباما.

لقد هدفت هذه الدراسة إلى ايجاد اجابات نظرية عن طبيعة نشاط الدبلوماسية العامة في علاقته بالبنى الاستراتيجية و الأمنية للسياسة الخارجية الأمريكية في العالم العربي كما هدفت إلى التعريف المدقق بأدوار الفاعلين المتصاعدة أدوارهم في هذا النشاط. تبعا لهذا المنطق يمكن تجميع أهم النتائج المتوصل إليها في محورين يخص أحدهما النتائج المستخلصة على الصعيد بينما يرتبط الآخر بتقييم أدوار الفاعلين.

فأما على الصعيد النظري فقد قمنا بتعبئة أدوات تحليلية مقتبسة من ثلاث مدارس كبرى ؛ ما سمي بنموذج الدبلوماسية العامة الجديدة الذي يدافع عنه الجيل الأخير من الكتاب مثل برايان هوكينغ و يان ميليسان و نانسي سنو و فيليب سايب الذين ينطلقون من البيئة التقنية كمحدد لفهم تغيرات الأنشطة الدبلوماسية العامة ، ثم مدرسة القوة المرنة أو القوة الذكية (جوزيف ناي) ثم أخيرا نظريات الاتصال الاستراتيجي (فيليب سايب و كارل مانهايم) و هو ما سمح بتسجيل الاستخلاصات التالية:

- هيمنة المقاربة الواقعية على النظرة الرسمية لكيفية الاتصال مع الجماهير الأجنبية ؛ إذ لا يمكن الوثوق كثيرا في تحاليل تقصي هذا البعد من العملية الاتصالية إذا أردنا فهم نشاط الدبلوماسية العامة بشكل جيد. فمثلا أصبحت جميع الوثائق و الخطط الحكومية

تشير إلى تسمية الاتصال الاستراتيجي *strategic communication* و تحبذها على التسميات التي سادت خلال الحرب الباردة و غداة نهايتها. لم يعد هناك أي فصل بين كلمتي الدبلوماسية العامة و الاتصال الاستراتيجي و هو ما يعكس التوجه الواقعي في الذهنية الأمريكية إذ أن الرسالة يجب أن تكون محضرة بشكل استراتيجي و خدمة لأهداف دقيقة و هو أمر يعكس بدوره هيمنة أساليب التسيير السائدة في المؤسسة الاقتصادية البحتة و احتلالها لجميع الفضاءات بما فيها الحكومية. لنلاحظ في هذا الإطار كيف أن التعيينات في مناصب كتابة الدولة خصت مسؤولين ذوي صيت في مؤسسات متعددة الجنسيات أو في مؤسسات مختصة في الاستشارات و العلاقات العامة و نحن نشير هنا تحديدا إلى شارلوت بيير و كارين هيوجز.

- اللجوء الواضح إلى المبررات الدينية في إعداد الرسالة : تلك النظرة المعيارية للدور الأمريكي في العالم لم يخل بتاتا من تعبئة الحجج الدينية التي لم تغب في الحقيقة عن الخطاب الأمريكي. منذ تعيينه كرئيس للو.م.أ. أشار باراك اوباما خلال الشهر الأول من عهده الأولى (جانفي 2009) الى مركزية الحرية الدينية في السياسة الخارجية الأمريكية و إلى الطابع التحريري للمهمة الأمريكية في العالم. لقد رأينا من خلال تحليل خطاب القاهرة كيف تمت تعبئة العامل الديني ضمن الأدوات الدبلوماسية لمخاطبة الجمهور العربي حيث أنه و بطريقة مدروسة استراتيجيا تم تعبئة القيم المشتركة المحمولة في الأديان السماوية من أجل استقطاب التعاطف و الانضمام الجماهيري العربي إلى المبرر الأمريكي و جعلها تتصرف على المدى الطويل بايجابية مع السلوك السياسي الأمريكي في المنطقة. تم استخدام هذا الأسلوب من طرف مراكز الفكر أيضا لكنه و في هذه الحالة كان موجه بشكل رئيسي نحو النخب ذلك أن المنتج المعرفي يعتبر في جوهره نخبويا و يهدف إلى احداث تواصل و حوار مع المسؤولين الدينيين و السياسيين في العالم العربية حتى يتحقق للسياسة الأمريكية القبول الأكبر لدى هؤلاء و لدى الجماهير العربية الواقعة تحت تأثيرهم المباشر.

- الدبلوماسية العامة هي شكل من أشكال ممارسة القوة الذكية ، و هي ترجمة لمقترحات جوزيف ناي و ريتشارد أرميتاج (مسؤول سابق خلال إدارة بوش الثانية في كتابة الدولة للدفاع) الواردة في تقريرهما لسنة 2007 عن القوة الذكية. إن منطق ناي و ارميتاج

عن القوة الذكية يشير إلى أمرين مهمين ؛ الأول يخص الاستخدام "العقلاني و المضبوط " للقوة الصلبة و بشكل اقل ملاحظة لدى الرأي العام و لكن أكثر دقة في أهدافه (مثلا استخدام أجهزة الدرون في العمل العسكري المباشر) ، و الثاني يتعلق بتكثيف القوة المرنة مع خصائص غير المتكافئة و العابرة للأوطان للعلاقات بين الأفراد و الدول.

أما على الصعيد الأميركي و من خلال تحليلنا للأدوار الدبلوماسية العامة التي يقوم بها مختلف الفاعلين سواء الرسميين و غير الرسميين فقد تم تسجيل النتائج التالية :

- تخضع أنشطة الدبلوماسية العامة لسياق استراتيجي عام يتميز بما يسميه بعض الكتاب بإعادة التوازن الاستراتيجي *rééquilibrage stratégique* و الذي يقضي بإحداث توجه أكبر نحو آسيا تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية لمواجهة الصعود الصيني مع ما يتضمنه هذا السلوك من انسحاب جزئي من المنطقة العربية، دون أن يعني هذا تخل مطلق عنها بل إدارة لشؤون المنطقة بوسائل جديدة حملها مصطلح الزعامة من الخلف *leadrship from behind* (التدخل العسكري في ليبيا بواسطة الأعضاء الوروبيين في حلف الأطلسي ، الحراك العربي بوسائل الاتصال الجديدة و ثورات الشبكات الاجتماعية).

- أصبح اعداد المبادرات الاستراتيجية و الاتصالية مع الجماهير العربية يراعي السياق السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و التكنولوجي العام لهذه المنطقة من العالم. يقوم نشاط الدبلوماسية العامة الرسمي على محورية فاعل واحد هو كتابة الدولة للدبلوماسية العامة التي انشئت خلال ادارة بوش الابن الأولى. تقوم مقترحات هذه الهيئة أيضا على مقاربة ذكية للتعاون مع الخارج و هو ما تسميه في وثيقتها الرئيسية المسماة بالخطة الرباعية للدبلوماسية و التنمية QDDR - التي تحاكي في جوهرها الخطة الاستراتيجية الرباعية التي يعدها البنناغون كل أربع سنوات - بالتعاون الذكي *smart cooperation* في إشارة إلى ضرورة التعاون مع شركاء الو. م. أ. سواء كانوا من القطاع العمومي أو الخاص لتحقيق الأهداف العامة للسياسة الخارجية الأمريكية. لقد صاحبت كتابة الدولة للدبلوماسية العامة ما سمي بالتحول الرقمي *virage*

numérique الذي أعلن عنه منذ السنوات الأولى لادارة جورج بوش الابن و الخاص بعصرنة وسائل الدبلوماسية العامة. على الصعيد الميداني ترجم هذا التحول بتعاون أكبر مع الشركاء الحكوميين و غير الحكوميين تقوده المؤسسات الاقتصادية و المنظمات غير الحكومية مع تفضيل واضح للاستثمار في الفضاء الافتراضي.

- تم توظيف و استخدام الدبلوماسية العامة خلال فترة الرئيس اوباما لمصاحبة الطريقة الذكية لاستخدام الأداة العسكرية في المسرح العربي : لقد استطاع فعلا الرئيس اوباما اعادة اكتشاف طريقة ذكية للحرب مع كل ما يحمله هذا التوجه من تحديات بالنسبة لمؤسسة الدبلوماسية العامة. لم يتم التخلي عن الوسيلة العسكرية في السلوك السياسي الخارجي للوم.أ في العالم العربي بل استخدم بشكل خفي و جد موجه نحو أهداف أكثر دقة بناء على توصيات تقرير ناي و ارميتاج لمواجهة مخلفات سياسات المحافظين الجدد. بهذا الشكل فإن الدبلوماسية العامة تعتبر أيضا شكل من أشكال الواقعية في خدمة أهداف السلوك الحربي (او العسكري).

- مع تطور البيئة الاتصالية في العالم هناك استثمار أوسع في الدبلوماسية الرقمية أو ما يسمى أيضا بالدبلوماسية 2.0. ما تغير في هذا العهد الجديد ليست الرسالة و لا الجمهور المستهدف بقدر ما هي الوساطة في حد ذاتها le medium. تستهدف الدبلوماسية العامة الجديدة الفرد مباشرة عبر الشبكات الاجتماعية خصوصا. ترجم الحراك العربي المسمى بالربيع العربي استخدام هذه الوسائط لتعبئة الجماهير نحو التطلعات الديمقراطية و محاولة تحسين الصورة الأمريكية لدى الجمهور العربي. يستخدم المحللون مفهوم الدولة الشبكة لوصف هذا النمط من العمل الدبلوماسي في الاشارة إلى تعقد العلاقات بين الدول و المجتمع المدني المعولم.

- لا يعني الاستثمار في الدبلوماسية الرقمية التخلي عن الدبلوماسية العامة الكلاسيكية (الدبلوماسية العامة 1.0) و عن أشكال التعاون المحمولة في برامج التبادل الثقافي و التعليمي. ما تغير على هذا المستوى هو أنها تمارس بمشاركة فعالة من طرف القطاع الخاص (المنظمات غير الحكومية و الشركات الاقتصادية) على حساب القطاع الحكومي.

إن مثل هذه النتائج تساعدنا على تسجيل نوعين من الملاحظات و هي في الحقيقة مترجمة في خطة بحثنا. فأما الأولى فهي تخص **طبيعة التأثير** الذي تستهدفه الدبلوماسية العامة، أي صناعة الصورة عبر الأفعال و الأجزاء و أيضا عبر عمليات التأثير النفسية التي تقوم بها البنى شبه العسكرية للقوة (الاستخبارات). و أما الثانية فهي تخص **الأنشطة التي تقوم بها الفواعل غير الدولة** و هي أنشطة تترجم اساسا الانتقال إلى جيل جديد من أعمال التأثير يقوم على **المؤسسات و الأفراد** كبديل للبنى الرسمية للتأثير.

فأما بخصوص طبيعة التأثير الذي تمارسه مؤسسة الدبلوماسية العامة فقد توصلنا إلى مجموعة من الاستخلاصات نلخصها في أربع ؛ الأولى و هي أنه ذو طبيعة اجتماعية سواء في حالة وجود جهد حربي كبير (حالة حرب العراق مثلا و النزاع في سوريا و ليبيا)، الثانية و هي أن هذا التأثير يستلزم بناء صورة ذات مصداقية ، و الثالثة هي مراعاة الجوانب الثقافية للرسالة الموجهة للجماهير الأجنبية (العربية) المتلقية، و الرابعة هي تنامي النشاط الذي تقوم به الأجهزة شبه العسكرية عبر العمليات العسكرية. إن المثير في هذه العناصر كلها هو أنها تمثل جوهر العمليات المصاحبة للقوة الصلبة و هو الأمر الذي يحيلنا إلى القول بأن تزايد الطلب على استخدام القوة الصلبة في العالم العربي عادة ما يصاحبه استثمار أكبر في أنشطة الدبلوماسية العامة.

و أما بخصوص أنشطة الفواعل غير الدولة في مجال الدبلوماسية العامة في المنطقة العربية فإن أهم الملاحظات المسجلة على هذا الصعيد هي التوجه العام نحو التخصص على غرار خصائص العمل العام الممارس في حدود الثقافة السياسية الأمريكية ذات النزوع نحو الحرية و الفردانية. ينبثق عن مثل هذا القول وجود تنامي لدور الفواعل الاقتصادية (المؤسسات الاقتصادية) و للفواعل المنتجة و الموصلة للخطاب (وسائل الاعلام و مراكز الفكر كعينة) حيث يمارس نشاطها التواصلي وظيفية تنسيقية مع السياسات التي تقوم بها البنى الرسمية للقوة (الدولة)، أي أنها تستخدم كأداة لشرعنة الخيارات الأمنية التي تنتهجها الحكومة الأمريكية في العالم العربي. لقد لاحظنا مثلا كيف استخدم خطاب مراكز الفكر الأمريكية عن الاسلام السياسي و الذي دعا الحكومة الأمريكية إلى ضرورة التفاعل الايجابي مع الحركات الاسلامية "المعتدلة" في قيادة الانتقال الناجم عما سمي بالربيع العربي و أعيد استعماله بشكل صريح من طرف البنى السياسية

للسياسة الخارجية الأمريكية لتبرير و شرعنة الخيارات المنتهجة. إن تأثير مثل هذا الخطاب لا ينحصر فقط على البنى الرسمية للسياسة الخارجية الأمريكية بل و يتعداه إلى النخب السياسية الأجنبية (العربية هنا على وجه القصد) و هو ما يساهم في تشكيل نوع من الاجماع السياسي العابر للأوطان consensus politique transnational حول بعض المسائل المتعلقة بالأمن و منها على وجه الخصوص مسألة الارهاب الاسلاموي. تنطبق مثل هذه القراءات على أدوار الفاعلين الآخرين مثل الشركات الاقتصادية و الرجال الدبلوماسيون و الذين يعتبرون أيضا حاملين لرسالة عن المهمة الأمريكية في العالم العربي.

إن تحليل و فهم النشاط التائيري الذي تقوم به مؤسسة القوة المرنة الأمريكية عبر مختلف الأنشطة التي يقوم بها الفاعلون الرسميون و غير الرسميون على حد سواء يقود في النهاية إلى التساؤل عن مدى نجاعة هذه الآليات في تحقيق الأهداف المسطرة. إن أول الملاحظات المسجلة هنا و التي ينبغي التذكير بها باستمرار و هي صعوبة اجراء تقييم للنجاعة ليس فقط لأسباب منهجية (أي صعوبة تطبيق أدوات القياس) بل أيضا لأسباب تتعلق بطبيعة الموضوع في حد ذاته (أي المعايير التي يجب الاعتماد عليها في اجراء التقييم). لكن يمكن على العموم تقييم بعض المستويات التي تستهدفها الدبلوماسية العامة و هي تتعلق بإمكانية تقييم فاعلية الأدوات و تقييم الأهداف المرجوة . من هنا يمكننا تسجيل الملاحظات التالية:

- إن الاتصال الاستراتيجي الذي تقوم به فواعل الدبلوماسية العامة يستثمر في العلاقة بين مواطني الدول العربية و الو.م.أ عبر استهداف نقطة وحيدة هي سوء الفهم لدى الجمهور العربي و الذي تترتب عنه مشاعر العداة للو.م.أ.
- عبر ضمان أهداف حماية العلاقات الجيدة مع الدول الحليفة (مصر، الأردن السعودية ..الخ) و تصحيح العلاقات المتوترة مع بعض الدول الأخرى (سوريا، العراق ..الخ) فإن الهدف طويل المدى للدبلوماسية العامة هو مواجهة التهديدات التي قد تأتي من مختلف القوى المهددة أمن الو.م.أ. (تهديدات الطاقة و خطوط التجارة و أمن اسرائيل).
- إن بناء العلاقة مع الجمهور العربي يأخذ كثيرا في عين الاعتبار أشكال الاتصال الرقمي و ذلك نظرا للتغيرات التي يشهدها العالم العربي ديموغرافيا و تقنيا. أصبحت

الشبكات الاجتماعية أهم أداة تستخدمها فواعل الدبلوماسية العامة و بدأ أن تأثيرها كان كبيرا في رسم معالم التوجهات السياسية عقب أحداث ما سمي اعلاميا بالربيع العربي.

إن الاستخدام الاستراتيجي للاتصال من طرف الو. م. أ. يستهدف التأثير على الجمهور العربي و لكنه على المدى البعيد يهدف من الناحية الواقعية و البراغماتية إلى **التقليص من حجم التهديدات التي يمكن أن تواجهها المصالح الأمريكية** و ذلك عبر محاولة انقاص حجم التعارض بين العالمين الغربي و العربي على جميع الأصعدة السياسية و القيمية. لقد رأينا أن هذا الاستخدام الاستراتيجي للمعلومة أصبح ينفذ بأشكال جديدة إذ أنه يستثمر في الفضاءات الافتراضية أكثر منه من القنوات التقليدية بل إن هذه الأخيرة نفسها قد تكيفت لتحول أغلب أنشطتها إلى الفضاء الافتراضي. إن أهم الاستخلاصات التي نسجلها بخصوص هذه التطورات التي مست النشاط الدبلوماسي العام في العالم العربي هو بروز فضاء افتراضي عربي جديد للعمل السياسي و الاستراتيجي الخارجي ، بمعنى أن العمل الاستراتيجي و السياسي الذي تمارسه الو. م. أ. في المنطقة العربية أصبح يمارس **بفضل المعلومة في فضاء غير تقليدي** يتميز بحضور فاعلين تقليديين و غير تقليديين على السواء. من المهم جدا ملاحظة أنه و في الحالة العربية و عبر تتبع حالة الدبلوماسية الرقمية عقب أحداث ما سمي بالربيع العربي فقد اصبح للفضاء الافتراضي العربي كفضاء استراتيجي و دبلوماسي نفس اهمية الفضاء المادي للقوة -فضاء القوة الصلبة. عبر مصاحبته للأنشطة الاستراتيجية الكبرى للو. م. أ. في المنطقة العربية فإن هذا الفضاء يمارس وظيفة احتوائية إن صح استخدام مفهوم جورج كينان عن الاحتواء. ألا توجد فعلا استراتيجية احتواء للمنطقة العربية مطبقة اعتبارا من احتلال الجغرافيا الافتراضية للعالم العربي ؟ ألا يتم هذا عبر محاولة بناء جماعة سياسية موحدة مشتركة في القيم و المصالح تجمع الو. م. أ و الكثير من أعضاء المجتمع المدني العربي ، تماما كما حصل عبر نموذج احتواء الاتحاد السوفييتي زمن الحرب الباردة عبر فرض احتواء ممثل في جماعة سياسية ذات قيم مشتركة ؟ أليس دور هذا الفضاء الهلامي - أي غير المحدد ماديا و جغرافيا - هو بناء جماعة أمنية بالمفهوم الذي يشير إليه كارل دويتش قائمة على تحويل المسرح العسكري التقليدي -أي مسرحة المواجهة عبر الحرب بين القوى العسكرية - إلى مسرح جديد هو مسرح المذاهب و المعتقدات ؟

أليست إذن الدبلوماسية العامة بصفتها علاقة تأثير بالمعلومة هي أهم أدوات هذا المسرح العملياتي الجديد الذي يهدف إلى أمننة المصالح و القيم عبر المعلومة ؟

أولا : باللغة العربية :

الكتب و الفصول من الكتب الجماعية :

1. أبو حلاوة, كريم. سياسات القوة الذكية و دورها في العلاقات الدولية. دمشق : مركز دمشق للأبحاث و الدراسات, 2015.
2. أبو خزام, إبراهيم. أقواس الهيمنة: دراسة لتطور الهيمنة الأمريكية مع مطلع القرن العشرين حتى الآن. بيروت - لبنان: دار الكتاب الجديد, 2005.
3. أحمد, يوسف. ، الاسلاميون و أمريكا التحدي و الاستجابة. الجزائر: دار قرطبة للنشر و التوزيع, 2006.
4. البديوي, عادل. الادراك الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية دراسة في المبادئ الجيوبوليتيكية. دار الجنان للنشر والتوزيع, 2015.
5. الجراد, خلف. أبعاد الإستهداف الأمريكي للعراق. دمشق: دار الفكر, 2004.
6. السامرائي, شفيق عبد الرزاق. الدبلوماسية. لندن: دار الحكمة, 2008.
7. السيد أمين شلبي. أمريكا و العالم متابعات في السياسة الخارجية الامريكية. بيروت - لبنان: عالم الكتب, 2005.
8. الشاهر, شاهر اسماعيل. أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد 11 أيلول. الهيئة العامة للكتاب. دمشق, 2009.
9. العيسوي, إبراهيم. قصة المعونة الأمريكية لمصر. القاهرة: مركز كتب عربية, 2001.
10. الفراوي, نزار. القوة الناعمة و حروب الأفكار في السياسة الخارجية. بيروت: مركز برق للأبحاث و الدراسات, 2016.
11. الكيالي, عبد الحميد. الموقف الاستراتيجي الامريكي و الاسرائيلي من التحولات السياسية في المنطقة العربية. الطبعة الأولى. عمان: مركز دراسات الشرق الاوسط, 2011.
12. المباوي, رمزي. 'السيناريو الأمريكي لتقنيات الشرق الأوسط والنظرية الصهيونية التي تبنتها أمريكا لشر ذمته'. In الفوضى الخلاقة بين الربيع العربي بين الثورة والفوضى. القاهرة: دار الكتاب العربي, 2011.
13. بركات, جمال. الدبلوماسية - ماضيها وحاضرها ومستقبلها. مطابع الفرزدق التجارية. الرياض, 1985.
14. بريجنسكي, زبيغنيو. رقعة الشطرنج الكبرى الأولية الأمريكية ومتطلباتها الجيوستراتيجية. ترجمة : أمل الشرقي. الأهلية للنشر والتوزيع, 1999.
15. بسبوس, انطوان. التسونامي العربي. دار فايار الفرنسية, 2011.
16. بورتشيل, سكوت. نظريات العلاقات الدولية. ترجمة : محمد صفار. القاهرة: سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين, 2014.
17. بوعمامة, زهير. أمن القارة الأوروبية في السياسة الخارجية الأمريكية بعد نهاية الحرب الباردة. دار الوسام العربي, 2011.

18. بيترسون, بيتر. 'العثور على صورة لأمريكا : إستراتيجية لإعادة الدبلوماسية العامة'. مجلة المستقبل العربي, 2003.
19. بيجمان, جيفري. الدبلوماسية المعاصرة. القاهرة: دار الفجر للنشر و التوزيع, 2014.
20. بيومي, علاء. صعود براك اوباما و مستقبل السياسة الخارجية الأمريكية. الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات, 2008.
21. تشومسكي, نعوم. الهيمنة أم البقاء, السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم. , ترجمة سامي الكعكي. بيروت - لبنان: دار الكتاب العربي, 2004.
22. جاردرنر, ليويد. مصر كما تريدها أمريكا من صعود ناصر الى سقوط مبارك. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب, 2013.
23. جندلي, عبد الناصر. التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية و النظرية التكوينية. الطبعة الأولى. الجزائر: دار الخلدونية للنشر و التوزيع.
24. حمود, عبد الحليم. كواليس الدعاية الأمريكية. الطبعة الأولى. بيروت لبنان: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع, 2008.
25. خليفة, ايهاب. القوة الالكترونية و أبعاد التحول في خصائص القوة. وحدة الدراسات المستقبلية. الاسكندرية: مكتبة الاسكندرية.
26. سليم, محمد السيد. تحليل السياسة الخارجية. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية, 2013.
27. سمير, أمين. الفيروس الليبرالي: الحرب الدائمة وأمركة العالم. ترجمة , سعد الطويل. بيروت: دار الفارابي, 2004.
28. سيرفاتي, سيمون. وسائل الإعلام و السياسة الخارجية. القاهرة: الجمعية المصرية للنشر و المعرفة والثقافة العالمية, 1995.
29. شلبي, السيد أمين. نظرات في العلاقات الدولية. القاهرة: عالم الكتب, 2008.
30. شلبي, سعد شاكر. الإستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط. القاهرة: دار الحامد للنشر والتوزيع, 2003.
31. صبري فارس الهيتي. العالم الإسلامي و المتغيرات الدولية من وجهة نظر جيويوتيكية. عمان, الأردن: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع, 2005.
32. عامر, علاء أبو. العلاقات الدولية: الظاهرة و العلم - الدبلوماسية و الاستراتيجية. دار الشروق للنشر والتوزيع, 2005.
33. عبد السلام, رفيق. الولايات المتحدة بين القوة الصلبة و القوة الناعمة. الطبعة الرابعة. بيروت: مركز صناعة الفكر للدراسات و الأبحاث, 2015.
34. عبد الغفار, محمد أحمد. فض النزاعات في الفكر و الممارسة الغربية: دراسة نقدية و تحليلية : الدبلوماسية الوقائية و صنع السلام. الجزائر: دار هومة, 2004.
35. عبد الكريم, إبراهيم, جواد الحمد, عمر خيرى, and عبد الحميد الكيالي. تقدير موقف الثورات العربية. الطبعة الأولى. الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط, 2012.
36. عبد الله, أحمد سليم. 'دور السياسة الأمريكية في التحولات الديموقراطية في المنطقة العربية'. جامعة الشرق الأوسط, 2014.
37. فوكوياما. نهاية التاريخ و الرجل و خاتم البشر, ترجمة: حسين احمد امين: مركز الازهرام للترجمة والنشر الطبعة: الأولى, 1993.
38. قبسي, هادي. السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين: المحافظية الجديدة و الواقعية. الطبعة الأولى. بيروت لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون, 2008.

39. كبحول, طالب. 'استخدامات الشباب العربي لشبكات التواصل في عملية التغيير السياسي دراسة تحليلية و ميدانية الجزائر نموذجا'. في: أعمال المؤتمر العربي التركي الثاني للعلوم الاجتماعية. القاهرة: مركز الدراسات الحضارية, 2011.
1. كول, خوان. السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط في الفترة الرئاسية الثانية لبراك اوباما. سلسلة محاضرات الامارات. أبو ظبي: مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية, 2014.
2. كيسنجر, هنري. ، الدبلوماسية، هل تحتاج أمريكا الى سياسة خارجية نحو دبلوماسية القرن 21. ترجمة: هند بهلول. دمشق: دار الرأي, 2006.
40. كيسنجر, هنري ترجمة: البديري, مالك فاضل. الدبلوماسية من القرن السابع عشر حتى بداية الحرب الباردة. عمان، الأردن: دار الأهلية للنشر والتوزيع، 1995.
41. محمد, مراد. السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي بين الثابت الإستراتيجي والمتغير الظرفي. بيروت: دار المنهى اللبنانية, 2009.
42. محمود مصطفى, نادية. الدبلوماسية العامة الأمريكية تجاه العالم العربي. برنامج الحضارات. القاهرة: مطبوعات جامعة الجيزة, 2007.
43. مرقس, سمير. 'اليمن الأمريكي المسيرة من التأثير القاعدي إلى المشاركة في السلطة'. كلية الاقتصاد و العلوم الاقتصادية - القاهرة: جامعة القاهرة, 2002.
44. مركز الحرب الناعمة للدراسات. الحرب الناعمة - الأسس النظرية والتطبيقية. بيروت - لبنان: مركز الحرب الناعمة للدراسات, 2014.
45. ناي, جوزيف. القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية. مكتبة العبيكان, 2007.
46. ———. هل انتهى القرن الأمريكي. الطبعة الأولى. الرياض: العبيكان, 2016.
47. يعقوب حسن, هشام. ، الحرب التي قسمت العالم، كشف مخططات ومشاريع اللعبة الصهيونية أمريكية. القاهرة: مركز الرؤيا للبحوث والدراسات, 2012.

المقالات في الدوريات و المجلات و الجرائد و التقارير

1. آل مهنا ، أحمد بن سعود. 'القوة الناعمة'، مجلة الجزيرة، 26 سبتمبر 2011. <http://www.aljazeera.com/12/03/2012>.
2. أبو عقصة داوود, سهير. 'سياسة القوة الذكية للرئيس أوباما: هل هي ذكية فعلا؟'. مجلة القدس العربي, 7 November 2012. https://issuu.com/mrkezcom/docs/quds_07_11_2012.
3. أحمد فايد, عمار. 'المعونة الأمريكية لمصر من كامب ديفيد إلى ثورة يناير'. مجلة رؤية تركية, 2012.
4. أولبرايت, مادلين, and فين ويبر. 'دعما للديمقراطية العربية: لماذا وكيف'. نيويورك: مجلس الشؤون الخارجية, 2005.
5. إسماعيل, إسراء أحمد. 'القوة المدنية: الاتجاه الأمريكي نحو المنظمات غير الحكومية'. مجلة السياسة الدولية. Accessed 9 December 2017. <http://www.siyassa.org.eg/News/1780.aspx>.
6. ابراهيم محمود, احمد. 'الإرهاب الجديد الشكل الرئيسي للصراع في الساحة الدولية'. مجلة السياسة الدولية, (no. 147 (2002).

7. الأهرام الاستراتيجي. 'ثلاثون يونيو والعالم.. كيف تتغير المواقف؟'. الأهرام الاستراتيجي, 30 June 2015. <http://www.ahram.org.eg/NewsQ/411639.aspx>
8. الحوراني, غادة. 'انقلاب أبيض : مهادنة أوباما للعالم الاسلامي خدعة لانقاذ الاقتصاد الأمريكي'. مجلة العرب الاسبوعي, 31 January 2009.
9. الدجني, محمد. 'أمريكا و الثورات العربية'. القدس العربي, 11 March 2011. <http://www.alquds.co.uk/pdfarchives/2011/03/03-23/qmn.pdf>
10. السمان, أحمد. 'هل تمكنت الدبلوماسية العامة من إصلاح الصورة الأمريكية؟'. مركز الدراسات السياسية و الإستراتيجية ملف الأهرام الاستراتيجي, September 2005.
11. الشافعي, عصام. 'تراجع الدور الامريكي في البيئة الاستراتيجية الجديدة'. السياسة الدولية, 2011.
12. الشطي, إسماعيل. 'تحديات استراتيجية'. مجلة المستقبل العربي, 2002.
13. الغامدي, عبد الله بن جمعان. 'اليمن المسيحي وتأثيره على السياسة الأمريكية'. مجلة العلوم الاجتماعية 8, 56-78 (2002): no. 38.
14. النعيرات, رائد. 'الثابت والمتغير في السياسة الخارجية الأمريكية في عهد الرئيس جورج بوش وانعكاساتها المتوقعة على سياسة باراك اوباما'. مجلة جامعة القدس للأبحاث المفتوحة و الدراسات, (no. 26 (2013).
15. بشارة, مروان. 'أهداف و استراتيجية الولايات المتحدة في العالم العربي'. مجلة دراسات سياسية عربية, no. 1 (2013). <http://www.dohainstitute.org/file/Get/0184e884-a9b2-410c-bd65-ddad1d3eacc1.pdf>
16. بكر اغوان, علي بشار. 'القوة الذكية والمجالات التطبيقية في الاستراتيجية الامريكية (التغييرات في مصر ، تونس ، ليبيا كمثال تطبيقي)'. الحوار المتمدن, 2011. <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=268419>
17. بن يونس, كمال. 'عوامل اندلاع الثورة ضد نظام بن علي في تونس'. مجلة السياسة الدولية, 2 August 2011. <http://www.siyassa.org.eg/News/1665.aspx>
18. جاويش, عرض نسرين. 'الويلسونية الجديدة': [تحولات السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط بعد الثورات'. مجلة السياسة الدولية. Accessed 17 December 2017. <http://www.siyassa.org.eg/News/2213.aspx>
19. حزب البعث العربي الاشتراكي. 'القوة الناعمة الأمريكية التحديات والآفاق', 2012. <http://www.baath-party.org>
20. حمودة, عبد الله. 'جوزيف ناي مستقبل أمريكا مشرق و القوة الناعمة تتحقق من الجاذبية'. مجلة أفاق المستقبل, 2010.
21. سالم, محمد علي. 'القوة و الثقافة و عالم ما بعد الحرب الباردة: هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيء من الماضي؟'. المجلة العربية للعلوم السياسية, (no. 20 (2008).
22. شلف, الفضل. 'العدوان على العراق والمحافظين الجدد'. مجلة شؤون الأوسط 151 (2004).
23. عبد الشافي, عصام. 'دور الدين في السياسة الخارجية الأمريكية'. مجلة السياسة الدولية 38, no. (2014) 153.
24. عبد الله, ابراهيم. 'من محور الشر الى دبلوماسية الحوار'. مجلة العرب الاسبوعي, 31 January 2009.
25. علوي, مصطفى. 'مكافحة الإرهاب ومستقبل الحوار بين الحضارات، رؤية عربية'. مجلة النهضة, 2003.

26. عمار, رضوى. 'مجلة الديمقراطية - الديمقراطيون والسياسة الخارجية الأمريكية: نموذج السودان'. مجلة الديمقراطية. Accessed 5 December 2017. <http://democracy.ahram.org.eg/UI/Front/InnerPrint.aspx?NewsID=146>
27. غزيل, محمد. 'العالم العربي والدبلوماسية الثقافية.. الفرصة الضائعة'. بوابة روز اليوسف, 24 August 2016. <http://www.rosaelyoussef.com/news/details/233789>
28. كعسيس, خليدة. 'الربيع العربي بين الثورة والفضوى'. مجلة المستقبل العربي, March 2014. http://www.caus.org.lb/PDF/EmagazineArticles/mustaqbal_421_khalida.pdf.f
29. قنان, جمال. 'نظام عالمي جديد أم سيطرة إستعمارية جديدة'. المستقبل العربي, 1994.
30. قوراني, بهجت. 'حول الأزمة العراقية وتداعياتها الدولية والإقليمية'. مجلة السياسة الدولية, no. 152 (2003).
31. ماضي, عبد الفتاح. 'أي دور للنظام العالمي في نشر الكراهية للغرب'. مجلة السياسة الدولية, 18 January 2015. <http://www.siyassa.org.eg/News/5097.aspx>
32. مرشد, عادل عارف. 'السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين المحافظية الجديدة والواقعية'. مجلة شؤون عربية, 2008.
33. مصطفى, عباس. 'أضواء على الدبلوماسية الشعبية'. المجلة السودانية, June 1426 4.
34. ملحم, هشام. 'هل يفى اوباما بوعده السلام للشرق الاوسط؟'. مجلة قضايا القدس, December 4, 2009.
35. نافعة, حسن. 'المنفق العربي والأمير الأمريكي'. مجلة المستقبل العربي, 2003.
36. هديسون, مايكل. 'مأزق إمبريالية: إدارة المناطق الجامعة'. مجلة المستقبل العربي, 2002.
37. هيثم مزاحم. 'السياسة الخارجية الامريكية بعد 11 أيلول'. شؤون الاوسط, 2002.

الرسائل الجامعية

1. عبد الكريم, انعام. 'مفهوم الأمن الانساني في حقل نظريات العلاقات الدولية : مقارنة معرفية'. أطروحة دكتوراه, جامعة غزة, 2002.
2. قتلوني, مصعب حسام الدين لطفي. 'دور مواقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك" في عملية التغيير السياسي مصر نموذجاً'. مذكرة ماجستير, جامعة نابلس, 2012. https://scholar.najah.edu/sites/default/files/all-thesis/msb_qtlwny.pdf

المواقع الالكترونية

1. ابو كريم, منصور. 'ملاح السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط بعد فوز ترامب'. مركز رؤية للدراسات و الأبحاث (roayacenter.ps/wp-content/uploads/2016/11/American-foreign-policy-after-Trump-win.pdf), 2016. <http://roayacenter.ps/wp-content/uploads/2016/11/American-foreign-policy-after-Trump-win.pdf>
2. الأزرق, عماد. 'توجهات جديدة للإدارة الأمريكية بعد فوز ترامب تجاه رق الأوسط', 2016. <http://www.arabicnews.cn/2016-11/09/c1358/17942/07/12/2016>
3. الأشعل, عبد الله. 'كيف يتعامل العالم العربي مع إدارة ترامب الأمريكية؟'. الشروق. Accessed 7 December 2016. <http://www.alchourouk.com/212499/678>

4. الشيوخ, محمد. 'انعكاسات الثورات العربية على الإصلاح السياسي في الوطن العربي'. Accessed 17 December 2017. <http://middle-east-online.com/?id=147764>
5. العابدي, زكي. 'إخفاقات أوباما في الشرق الأوسط'. مركز الجزيرة للدراسات و الأبحاث, 12 April 2012. <http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2012/04/2012412124821204822.htm>
6. العزاوي, سيد. 'الفهم الصحيح للدبلوماسية ما بين القوة الصلبة و الناعمة و الذكية رؤية تطبيقية'. المركز العربي للدراسات الاستراتيجية (blog), 2010. <http://www.democratica.de/?P=31089>
7. المغراوي, عبد السلام. 'السياسة الأجنبية الأمريكية و التجديد الاسلامي'. واشنطن: معهد السلام الأمريكي, 2006. https://www.usip.org/sites/default/files/sr164_arabic.pdf
8. النظيف, أحمد. 'أسرار الاختراق الأمريكي لمنظمات المجتمع المدني في تونس'. الحوار المتمدن (blog), 13 April 2012.) <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=303282>
9. بن إبراهيم الرويتع, خالد. 'الدبلوماسية العامة الرقمية و السياسة الخارجية', 29 November 2013. <http://archive.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=751949&issueno=12785>
10. جرجس, فواز. 'الحركات الإسلامية ليست القاطرة الرئيسية في الثورات العربية'. Accessed 17 December 2017. <http://www.alraimedia.com/Home/Details?id=7db1d5cf-17bb-4136-a91c-376153f4e0b6>
11. رويترز. 'أمريكا تتعهد بزيادة برامج المساعدات الخارجية'. جريدة الدستور الاردنية, 25 January 2009. <https://www.addustour.com/articles/300843?s=12e3a6741bc6f081e8b1736a7785796f>
12. سحنون, زكرياء. 'الديبلوماسية الرقمية في خدمة السياسة الأمريكية'. مغرس, 30 May 2011. <https://www.maghress.com/attajdid/66798>
13. سلوم, سعد. 'حرب قصف العقول و كسب القلوب القوة الناعمة في تحولات الخطاب السياسي الأمريكي'. مؤسسة مدارك لدراسة آليات الرقي الفكري (blog), 19 September 2006.) <http://www.madarik.net/mag3/12.htm>
14. عبد العاطي, عمر. 'القوة الذكية مفهوم جديد لأمريكا', 11 December 2012. [http://www.elaph.com/web/reports/2008/\(331/265\).htm](http://www.elaph.com/web/reports/2008/(331/265).htm)
15. عبد العظيم, زينب. 'الاستراتيجية الأمريكية العالمية و استمرار الحرب على الإرهاب'. مركز الحضارة للدراسات السياسية (blog), 2010.) <http://www.hadaracenter.com/pdfs.pdf>
16. عبد الله, خالد. 'البنية السياسية الأمريكية وأثرها على صنع القرار'. Accessed 3 April 2018. <http://alarabnews.com/alshaab/GIF/25-10-2002/KhaledAbdAllah.htm>

17. قيراط, محمد مسعود. الإرهاب دراسة في البرامج الوطنية وإستراتيجية مكافحته، مقارنة إعلامية. الرياض - المملكة العربية السعودية: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2011.
http://www.assakina.com/wp-content/uploads/2015/08/ 87.pdf
18. ماضي, محمد. 'الديموقراطية على الطريقة الأمريكية'. مجلة أخبار العالم (12 Accessed blog). December 2016. http://www.freewebs.com/islamicworld news /american democracy /html
19. ———. 'هل تصلح الدبلوماسية العامة ما أفسده بن لادن و المحافظون الجدد', March 12 2013. https://www.swissinfo.ch/ara/-/4790072
20. مردان, باهر. 'الاستراتيجية الامريكية .. الاهداف والوسائل والمؤسسات', 2014.
<https://www.academia.edu/5860056>
21. مروة محمد عبد الحميد عبد المجيد. « التغيير والاستمرار فى إستراتيجية الأمن القومى الأمريكية بعد احداث 11 سبتمبر ». المركز الديمقراطى العربى. 19 janvier 2016. (blog),
https://democraticac.de/?p=26157.
22. معهد الشيرازي. 'مشاكل الدبلوماسية العامة الأمريكية'. تقرير واشنطن. معهد الامام الشيرازي,
2010. http://www.siironline.org
23. ناي, جوزيف. 'أمريكا و استعادة القوة الذكية'. الجريدة, 16 December 2007.
http://www. Aljarieda.com/ aljarieda / articl.aspx \$id =37813
24. ———. 'تنفيذ القوة الذكية: وضع جدول الأعمال لإصلاح الأمن القومي'. تصريح أمام لجنة العلاقات الخارجية لمجلس الشيوخ, واشنطن, 2008.
http://Foreign.senate.gov/testimony/2008/nye. Testimony 00042.4a.pdf
25. هزار, صابر أمين. 'مراكز التفكير ودورها فى التأثير على صنع السياسة'. Accessed 10 December 2017. http://fcds.com/mag/issue-4-2.html
26. وليد, عبد الحى. 'الدراسات المستقبلية النشأة التطور و الأهمية'. مجلة الشرق الأوسط (blog),
2003. http://www.altasamoh.net/article.asp.?jd.44.18/02/2016
27. يورقتسون, كلود ايريك. 'نحو علم إجتماعي من ستة قارات', 2014.
http://www.tomohna.com/vb/showthread/php ?t=6226/12 /06/2014

ثانيا : باللغتين الانجليزية و الفرنسية :

Livres Et Chapitres De Livres :

1. Adler, Emanuel. Security Communities. New York: Cambridge University Press, 1998.
2. Agnew, John. Hegemony: The New Shape Of Global Power. Temple University Press, 2005. <http://www.jstor.org/stable/j.ctt14bsxmk>.
3. Allix, André. Les Fondements de La Politique Extérieure Des Etats-Unis. Paris: Arman Colin, 1999.
4. Bacevich, Andrew J. American Empire – The Realities and Consequences of U.S. Diplomacy. New Ed. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 2004.

5. Battistella, Dario. *Théories Des Relations Internationales*. Presses de la fondation nationale de sciences politiques, 2006.
6. Bauchard, Denis. *Le nouveau monde arabe: enjeux et instabilités*. Bruxelles: André Versaille éditeur, 2012.
7. Baylis, J., S. Smith, and P. Owens. *The Globalization of World Politics: An Introduction to International Relations*. OUP Oxford, 2011.
8. Berberoglu, Berch. *Turmoil in the Middle East: Imperialism, War, and Political Instability*. Albany, NY: State Univ of New York Pr, 1999.
9. Bosco, Robert M. *Securing the Sacred: Religion, National Security, and the Western State*. Ann Arbor: University of Michigan Press, 2014.
10. Boswell, Christina. *The Political Uses of Expert Knowledge: Immigration Policy and Social Research*. Cambridge ; New York: Cambridge University Press, 2009.
11. Boulanger, Philippe. *Géographie militaire et géostratégie: enjeux et crises du monde contemporain*. Collection U Géographie. Paris: A. Colin, 2011.
12. Bruno Cadenes, and Jean-Marc Pitt. *Le 11 Septembre : La Grande Guerre Des Américains*. Armand Colin, 2003.
13. Buzzan, Barry. *The Evolution of International.Security Studies*. New York: Cambridge University Press, 2009.
14. Carter, Ralph G. *Contemporary Cases in U.S. Foreign Policy: From Terrorism to Trade*. CQ Press, 2013.
15. Chaffotec, Boris Le. 'La politique régionale des États-Unis depuis la fin de la Guerre froide. Une nouvelle Frontier pour l'hémisphère occidental ?' *Histoire, économie & société* 33e année, no. 1 (12 May 2014): 104–16.
<https://doi.org/10.3917/hes.141.0104>.
16. Chauprade, Aymeric. *Géopolitique : Constantes et Changements dans l'Histoire*. 3e édition revue et augmentée. Paris: Ellipses Marketing, 2007.
17. Diamond, L., and J.W. McDonald. *Multi-Track Diplomacy: A Systems Approach to Peace*. Institute for Multi-Track Diplomacy, 1993.
18. Dockès, Pierre. 'Mondialisation et « impérialisme à l'envers »'. In *La mondialisation, stade suprême du capitalisme ?*, edited by Wladimir Andreff, 131–53. Presses universitaires de Paris Ouest, 2013.
<https://doi.org/10.4000/books.pupo.2740>.
19. Droz-Vincent, Philippe. 'Du 11 septembre aux révolutions arabes : les États-Unis et le Moyen-Orient'. *Politique étrangère* Automne, no. 3 (2011): 495–506.
<https://doi.org/10.3917/pe.113.0495>.
20. Dutta-Bergman, Mohan J. 'U.S. Public Diplomacy in the Middle East: A Critical Cultural Approach'. *Journal of Communication Inquiry* 30, no. 2 (April 2006): 102–24. <https://doi.org/10.1177/0196859905285286>.
21. Echevarria, Antulio Joseph. *Wars of Ideas and the War of Ideas*. [Carlisle, PA: Strategic Studies Institute, U.S. Army War College, 2008.
22. Ezell, Darrell. *Beyond Cairo: US Engagement with the Muslim World*. Springer, 2012.

23. ———. ‘Diplomacy and US-Muslim World Relations: The Possibility of the Post-Secular and Interfaith Dialogue’. University of Birmingham, 2010.
24. Goss, Christopher M. “‘A Battle for Hearts and Minds’’: US Public Diplomacy in the Cold War Middle East’, 2015.
25. Gershman, John, and Renda S. Zaharna. ‘Forget Battles, Think Bridges | IPS’. Institute for Policy Studies, 30 September 2005. https://www.ips-dc.org/forget_battles_think_bridges/.
26. Ha, Louisa S., and Richard J. Ganahl. *Webcasting Worldwide: Business Models of an Emerging Global Medium*. Routledge, 2013.
27. ———. ‘Les théories américaines en politique étrangère et leur réception en Europe’. In *États-Unis / Europe : Des modèles en miroir*, edited by Jean-Marie Ruiz and Mokhtar Ben Barka, 231–48. *Espaces Politiques*. Villeneuve d’Ascq: Presses universitaires du Septentrion, 2017.
28. Hayden, Craig. *The Rhetoric of Soft Power: Public Diplomacy in Global Contexts*. Lexington Books, 2012.
29. Klaehn, Jeffery. *The Political Economy of Media and Power*. Peter Lang, 2010.
30. Le Voguer, Gildas. ‘Chapitre II. Protéger : Renseignement Technique et Contre-Espionnage’. In *Le Renseignement Américain : Entre Secret et Transparence, 1947-2013*, 41–70. *Des Amériques*. Rennes: Presses universitaires de Rennes, 2017. <http://books.openedition.org/pur/42731>.
31. Malone, Gifford. *Political Advocacy and Cultural Communication*. Lanham, Md. : [Charlottesville, Va.]: University Press Of America, 1988.
32. Manheim, Jarol B. *Strategic Public Diplomacy and American Foreign Policy: The Evolution of Influence*. New York: Oxford University Press, 1994.
33. Medvetz, Thomas. *Think Tanks in America*. University of Chicago Press, 2012.
34. Mutin, Georges, and Olivier Barge. *Géopolitique du monde arabe*. Paris: Ellipses, 2012.
35. Paquin, Stéphane. ‘Chapitre 5. La perspective libérale’. In *Théories de l’économie politique internationale*, 183–224. *Références*. Paris: Presses de Sciences Po (P.F.N.S.P.), 2013. <https://www.cairn.info/theories-de-l-economie-politique-internationale--9782724613155-p-183.htm>.
36. Perl, Raphael F. *International Terrorism: Threat, Policy, and Response*. DIANE Publishing, 2010.
37. Popiolkowski, Joseph J., and Nicholas J. Cull. *Public Diplomacy, Cultural Interventions & the Peace Process in Northern Ireland: Track Two to Peace?* Los Angeles: Figueroa Press, 2009.
38. Roche, Jean-Jacques. *Théories des relations internationales*. Montchrestien, 2004.
39. Salem, Fadi. ‘Social Media and the Internet of Things towards Data-Driven Policymaking in the Arab World: Potential, Limits and Concerns’, 2017.
40. SAMAAN, JEAN-LOUP. *The RAND Corporation (1989-2009) - The Reconfiguration of Strategic Studies in the United States*. Palgrave Macmillan, 2012. [//www.palgrave.com/us/book/9780230340923](http://www.palgrave.com/us/book/9780230340923).
41. Schindler, Caitlin E. *The Origins of Public Diplomacy in US Statecraft: Uncovering a Forgotten Tradition*. Springer, 2017.

42. Seib, Philip. *New medias and the new Middle East*. Palgrave Macmillan Series in International Political Communication. Palgrave Macmillan, 2007.
43. ———. *Public Diplomacy and the Media in the Middle East*. Los Angeles, CA: Figueroa Press, 2013.
44. ———. 'Public Diplomacy, New Media, and Counterterrorism'. *CPD Perspective on Public Diplomacy*, 2011.
45. Serwer, Daniel. 'Why Smart Power Needs to Get Smarter'. *Smarter Power*, 2014, 190.
46. Sharp, Jeremy M. 'The Middle East Television Network: An Overview', n.d., 6.
47. Shively, Jacob. *Hope, Change and Pragmatisme : Analysing Obama's Grand Strategy*. Palgrave Macmillan, 2016.
48. Snow, Nancy, Philip M. Taylor, and Annenberg School of Communications (University of Southern California), eds. *Routledge Handbook of Public Diplomacy*. New York: Routledge, 2009.
49. Stampnitzky, Dr Lisa. *Disciplining Terror: How Experts Invented 'Terrorism'*. Cambridge ; New York: Cambridge University Press, 2013.
50. Stephens, Elizabeth. *US Policy toward Israel: The Role of Political Culture in Defining the 'Special Relationship'*. Portland OR: Sussex Academic Press, 2006.
51. Stuart, Graham H, John Boardman Whitton, Carnegie Endowment for International Peace, et European Center. *Conception américaine des relations internationales: diplomatie américaine*. Paris: Publications de la Conciliation internationale, 1935.
52. Viotti, Paul R., et Mark V. Kauppi. *International Relations Theory*. 5e éd. Boston: Pearson, 2011.
53. Zaharna, R. S. *Battles to Bridges: U.S. Strategic Communication and Public Diplomacy after 9/11*. New York: Palgrave Macmillan, 2010.
54. Zakaria, Fareed. *The Post-American World*. 1st, First Edition ed. New York: W. W. Norton & Company, 2008.

Articles De Périodiques, Magazines, Journaux et Rapports :

1. Adler, Emanuel. « The Spread of Security Communities: Communities of Practice, Self-Restraint, and NATO's Post—Cold War Transformation ». *European Journal of International Relations* 14, no 2 (1 juin 2008): 195-230.
<https://doi.org/10.1177/1354066108089241>.
2. Ait-Chaalal, Amine. 'Les Etats-Unis et Les Soulèvements Arabes (Janvier 2009 - Janvier 2013)'. *Observatoire Des Mutations Politiques Dans Le Monde Arabe IRIS*, 2014, 1. <https://dial.uclouvain.be/pr/boreal/object/boreal:167162>.
3. Arsenault, Amelia. 'The End of the War on Terror and the Future of US Public Diplomacy'. *E-International Relations (blog)*. Accessed 5 December 2017.
<http://www.e-ir.info/2013/07/02/the-end-of-the-war-on-terror-and-the-future-of-us-public-diplomacy/>.
4. Ash, Nazanin, and Allison Grossman. *Modernizing US Security and Development Assistance in the Middle East*. Center for Global Development, 2015.

5. Badel, Laurence. 'Introduction : "diplomatie en renouvellement"'. *Les cahiers Irice* 3, no. 1 (2009): 5–19. <https://doi.org/10.3917/lci.003.0005>.
6. Baker, Peter, and Mark Mazzetti. 'Brennan Draws on Bond With Obama in Backing C.I.A.' *The New York Times*, 14 December 2014, sec. Politics. <https://www.nytimes.com/2014/12/15/us/politics/cia-chief-and-president-walk-fine-line-.html>.
7. Battistella, Dario. 'L'ordre international.' *Revue internationale et stratégique*, no. 54 (2004): 89–98. <https://doi.org/10.3917/ris.054.0089>.
8. Beehner, Lionel. 'Perceptions of U.S. Public Diplomacy | Council on Foreign Relations', 2005. <https://www.cfr.org/background/perceptions-us-public-diplomacy>.
9. Benantar, Abdennour. 'L'Amérique, l'Europe et les Arabes'. *Outre-Terre* 7, no. 2 (2004): 141–48. <https://doi.org/10.3917/oute.007.0141>.
10. Blanchard, Christopher M. 'CRS Report for Congress Prepared for Members and Committees of Congress Libya: Unrest and U.S. Policy'. Congressional Research Service, 29 March 2011. <https://fas.org/sgp/crs/mideast/RL33142.pdf>.
11. ———. *Qatar: Background and US Relations*. DIANE Publishing, 2011.
12. Boinet, Alain. 'Aide humanitaire, ONG et diplomatie économique'. *Géoéconomie* 56, no. 1 (2011): 119–29. <https://doi.org/10.3917/geoec.056.0119>.
13. Bonditti, Philippe. 'L'organisation de la lutte anti-terroriste aux Etats-Unis'. *Cultures & Conflits* 44, no. 4 (2001): 65–76. <https://www.cairn.info/revue-cultures-et-conflits-2001-4-page-65.htm>.
14. Bonnefoy, Laurent, and Marine Poirier. 'La structuration de la révolution yéménite. Essai d'analyse d'un processus en marche'. *Revue française de science politique* 62, no. 5–6 (2012): 895–913. <https://doi.org/10.3917/rfsp.625.895>.
15. Boughzala, Younès, I. Bouzid, and J. Moscarola. 'Le Rôle Des Réseaux Sociaux et Des TIC Dans Les Révolutions Arabes: Les Résultats d'une Enquête'. In *Colloque International Sur Les Réseaux Sociaux via Le Web et Les Changements Dans Les Sociétés Actuelles*, Vol. 6, 2012.
16. Boyd, Curtis B. 'Army Information Operations Is a PSYOP Influencing More With Less'. *Military Review*, June 2007. <http://cgsc.contentdm.oclc.org/cdm/ref/collection/p124201coll1/id/162>.
17. CCFR. 'Americans on Promotion Democracy'. Chicago: CCFR, 2005.
18. Clark, Mark T. 'The Trouble with Collective Security'. *Orbis* 39, no. 2 (1 March 1995): 237–58. [https://doi.org/10.1016/0030-4387\(95\)90025-X](https://doi.org/10.1016/0030-4387(95)90025-X).
19. Cohen, Saul B. Review of *Review of Strategic Geography and the Changing Middle East*, by Geoffrey Kemp and Robert E. Harkavy. *Geographical Review* 88, no. 1 (1998): 168–70. <https://doi.org/10.2307/215891>.
20. ———. 'Strategic Geography and the Changing Middle East'. Edited by Geoffrey Kemp and Robert E. Harkavy. *Geographical Review* 88, no. 1 (1998): 168–70. <https://doi.org/10.2307/215891>.
21. Conesa, Pierre. 'Quelle Réflexion Stratégique Européenne ?' *Le Monde diplomatique*, 1 November 2009. <https://www.monde-diplomatique.fr/2009/11/CONESA/18430>.

22. Coentín, Denis. 'Géographie Des Forces Militaires Au Moyen-Orient - Les Clés Du Moyen-Orient', 4 December 2014.
<http://www.lesclesdumoyenorient.com/Geographie-des-forces-militaires-au-Moyen-Orient>.
23. Cull, Nicholas J. 'The Long Road to Public Diplomacy 2.0: The Internet in US Public Diplomacy'. *International Studies Review* 15, no. 1 (March 2013): 123–39.
<https://doi.org/10.1111/misr.12026>.
24. David, Charles-Philippe, and Élisabeth Vallet. 'Qu'en est-il de l'hyperpuissance américaine ?' *Revue internationale et stratégique*, no. 72 (2008): 151–54.
<https://doi.org/10.3917/ris.072.0151>.
25. David, Steven R. 'Washington : de l'Orient à l'Orient'. *Outre-Terre* 13, no. 4 (2005): 39–55. <https://doi.org/10.3917/oute.013.0039>.
26. De Angelis, Enrico. 'L'espace Politique Virtuel Avant et Après La Chute de Moubarak : Une Critique Des Réseaux Sociaux Digitaux En Egypte'. *Égypte/Monde Arabe*, no. 12: 195–227. Accessed 23 November 2017.
https://www.academia.edu/16442815/L_espace_politique_virtuel_avant_et_apr%C3%A8s_la_chute_de_Moubarak_une_critique_des_r%C3%A9seaux_sociaux_digitaux_en_Egypte.
27. Delanoë, Igor. 'Le retour de la Russie en Méditerranée'. *Cahiers de la Méditerranée*, no. 89 (1 December 2014): 23–35. <https://cdlm.revues.org/7652>.
28. Dimitrova, Anna. 'Le débat sur la politique étrangère d'Obama : quelle nouvelle « grande stratégie » pour les États-Unis ?' *Études internationales* 43, no. 2 (2012): 231–56. <https://doi.org/10.7202/1011552ar>.
29. Djalili, Mohammad-Reza. 'La politique arabe de l'Iran'. *A contrario* 5, no. 1 (2008): 134–46. <https://www.cairn.info/revue-a-contrario-2008-1-page-134.htm>.
30. Edwards, John, Jack Kemp, and Stephen Sestanovich. *Russia's Wrong Direction: What the United States Can and Should Do: Report of an Independent Task Force*. 57. Council on Foreign Relations Press, 2006.
31. Gallet, Élodie. 'Colloque international « Les stratégies du smart power américain »'. *Transatlantica. Revue d'études américaines. American Studies Journal*, no. 2 (31 December 2013). <https://transatlantica.revues.org/6544>.
32. Gartner, Lloyd P. 'THE GREAT JEWISH MIGRATION 1881-1914: MYTHS AND REALITIES'. *Shofar* 4, no. 2 (1986): 12–21.
<http://www.jstor.org/stable/42940756>.
33. Gerges, Fawaz A. 'The Obama Approach to the Middle East: The End of America's Moment?' *International Affairs* 89, no. 2 (1 March 2013): 299–323.
<https://doi.org/10.1111/1468-2346.12019>.
34. Ghannam, Jeffrey. 'Social Media in the Arab World: Leading up to the Uprisings of 2011'. *Center for International Media Assistance* 3 (2011): 19–34.
35. Gros, Philippe. '« Leading from behind » : contour et importance de l'engagement américain en Libye'. *Politique américaine* 19, no. 1 (2012): 49–68.
<https://doi.org/10.3917/polam.019.0049>.

36. Guerlain, Pierre. 'Le retour du discours impérialiste aux États-Unis'. *Revue française d'études américaines* 113, no. 3 (2007): 5–25.
<https://doi.org/10.3917/rfea.113.0005>.
37. Haj-Saleh, Yassîn. 'La démocratie dans la vision américaine du Moyen-Orient : Point de vue arabe'. *Confluences Méditerranée* 49, no. 2 (2004): 31–41.
<https://doi.org/10.3917/come.049.0031>.
38. Hallahan, Kirk, Derina Holtzhausen, Betteke van Ruler, Dejan Verčič, and Krishnamurthy Sriramesh. 'Defining Strategic Communication'. *International Journal of Strategic Communication* 1, no. 1 (22 March 2007): 3–35.
<https://doi.org/10.1080/15531180701285244>.
39. Hartnett, Stephen J., and Laura A. Stengrim. "'The Whole Operation of Deception': Reconstructing President Bush's Rhetoric of Weapons of Mass Destruction". *Cultural Studies ↔ Critical Methodologies* 4, no. 2 (1 May 2004): 152–97. <https://doi.org/10.1177/1532708603262787>.
40. Hathaway, Melissa E. 'Connected Choices: How the Internet Is Challenging Sovereign Decisions'. *American Foreign Policy Interests* 36, no. 5 (3 September 2014): 300–313. <https://doi.org/10.1080/10803920.2014.969178>.
41. Hazbun, Waleed. 'US Policy and the Geopolitics of Insecurity in the Arab World'. *Geopolitics* 15, no. 2 (19 May 2010): 239–62.
<https://doi.org/10.1080/14650040903486918>.
42. Henning, Randall, and Mercedes Neal. 'La politique économique extérieure de Clinton'. *Politique étrangère* 59, no. 4 (1994): 971–82.
<https://doi.org/10.3406/polit.1994.4331>.
43. 'Henry Laurens : le retour de la géopolitique'. *Les Cahiers de l'Orient* 115, no. 3 (2014): 81–101. <https://www.cairn.info/revue-les-cahiers-de-l-orient-2014-3-page-81.htm>.
44. Hocking, Brian. 'Rethinking the "New" Public Diplomacy'. In *The New Public Diplomacy*, 28–43. *Studies in Diplomacy and International Relations*. Palgrave Macmillan, London, 2005. https://doi.org/10.1057/9780230554931_2.
45. Hoop Scheffer, Alexandra de. 'Les États-Unis en Irak : les errances du regime change'. *Politique étrangère Automne*, no. 3 (2011): 559–72.
<https://doi.org/10.3917/pe.113.0559>.
46. Huijgh, Ellen. 'Changing Tunes for Public Diplomacy: Exploring the Domestic Dimension' 2 (2013): 12.
47. Ignatius, David. 'David Ignatius - They're Not Going To Like Us', 23 September 2005.
<http://www.washingtonpost.com/wpdyn/content/article/2005/09/22/AR2005092202258.html>.
48. Ingram, Haroro, and Alastair Reed. 'Lessons from History for Counter-Terrorism Strategic Communications'. *Terrorism and Counter-Terrorism Studies*, 20 June 2016. <https://doi.org/10.19165/2016.2.04>.
49. Isherwood, Tom. 'A New Direction or More of the Same? Political Blogging in Egypt'. *Arab Media & Society* 6, no. 1 (2008): 10–12.

50. Jabbour, Jana. 'Le retour de la Turquie en Méditerranée : la « profondeur stratégique » turque en Méditerranée pré- et post-printemps arabe'. *Cahiers de la Méditerranée*, no. 89 (1 December 2014): 45–56. <https://cdlm.revues.org/7671>.
51. Jackson, Richard. 'Constructing Enemies: "Islamic Terrorism" in Political and Academic Discourse'. *Government and Opposition* 42, no. 3 (1 June 2007): 394–426. <https://doi.org/10.1111/j.1477-7053.2007.00229.x>.
52. Johnson, James. 'Habermas on Strategic and Communicative Action'. *Political Theory* 19, no. 2 (1991): 181–201. <http://www.jstor.org/stable/191661>.
53. Jones, Seth G. 'The Mirage of the Arab Spring: Deal With the Region You Have, Not the Region You Want'. *Foreign Affairs* 92, no. 1 (2013): 55–63. <http://www.jstor.org/stable/41721004>.
54. Joseph S. Nye, Jr. 'Public Diplomacy and Soft Power'. *The ANNALS of the American Academy of Political and Social Science* 616, no. 1 (1 March 2008): 94–109. <https://doi.org/10.1177/0002716207311699>.
55. Jossieran, Tancredè, Florian Louis, and Frédéric Pichon. *Géopolitique du Moyen-Orient et de l'Afrique du Nord. Du Maroc à l'Iran. Major*. Paris: Presses Universitaires de France, 2012. <https://www.cairn.info/geopolitique-du-moyen-Orient-et-de-l-afrique--9782130606383.htm>.
56. Kamen, Scott Wilson and Al. "'Global War On Terror" Is Given New Name', 25 March 2009. <http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2009/03/24/AR2009032402818.html>.
57. Kandel, Maya. 'Obama et La Politique Étrangère Américaine'. *Esprit*, no. 3 (2011): 18–36.
58. Karaca, Anil. 'After the War on Terror: Regional and Multilateral Perspectives on Counter-Terrorism Strategy'. *Perspectives on Terrorism* 4, no. 1 (29 November 2010). <http://www.terrorismanalysts.com/pt/index.php/pot/article/view/92>.
59. Keohane, Robert O. « International Relations Theory: Contributions of a Feminist Standpoint ». *Millennium* 18, no 2 (1 juin 1989): 245-53. <https://doi.org/10.1177/03058298890180021001>.
60. Klotz, Audie, Cecelia Lynch, Rachel Bouyssou, et Marie-Claude Smouts. « Le constructivisme dans la théorie des relations internationales ». *Critique internationale* 2, no 1 (1999): 51 -62. <https://doi.org/10.3406/criti.1999.1540>.
61. Kraidy, Marwan M. 'Arab Media and US Policy: A Public Diplomacy Reset', 2008.
62. Kumar, Deepa. 'Media, War, and Propaganda: Strategies of Information Management During the 2003 Iraq War'. *Communication and Critical/Cultural Studies* 3, no. 1 (1 March 2006): 48–69. <https://doi.org/10.1080/14791420500505650>.
63. Lalonde, Francis. 'La Sécurité Énergétique Américaine Ou La Défense de l'American Way of Life ?' *Bulletin d'information de l'Institut d'Etudes Internationales de Montréal*, no. 65 (2006).
64. Langhorne, Richard. 'The Diplomacy of Non-State Actors'. *Diplomacy & Statecraft* 16, no. 2 (1 June 2005): 331–39. <https://doi.org/10.1080/09592290590948388>.

65. Lalonde, Francis. 'La Sécurité Énergétique Américaine Ou La Défense de l'American Way of Life ?' Bulletin d'information de l'Institut d'Etudes Internationales de Montréal, no. 65 (2006).
66. Langhorne, Richard. 'The Diplomacy of Non-State Actors'. *Diplomacy & Statecraft* 16, no. 2 (1 June 2005): 331–39.
<https://doi.org/10.1080/09592290590948388>.
67. LECA, Jean. '« Soft power ». Sens et usages d'un concept incertain'. Story. , CERISCOPE, 22 October 2013. <http://ceriscope.sciences-po.fr/node/549>.
68. Lee, Kyoungtaek. « Towards a New Framework for Soft Power: An Observation of China's Confucius Institute ». *Inter Faculty 1*, no 01 (2010).
<https://journal.hass.tsukuba.ac.jp/interfaculty/article/view/3>.
69. Lefebvre, Maxime. *La politique étrangère américaine*. Paris: Presses universitaires de France, 2008. <http://www.cairn.info/la-politique-etrangere-americaine--9782130570516.htm>.
70. Lilli, Eugenio. *New Beginning in US-Muslim Relations: President Obama and the Arab Awakening*. Springer, 2016.
71. Litwak, Robert S. 'Robert Jervis, Why Intelligence Fails: Lessons from the Iranian Revolution and the Iraq War'. Ithaca, NY: Cornell University Press, 2010. 248 Pp.. *Journal of Cold War Studies* 13, no. 1 (1 January 2011): 223–25.
https://doi.org/10.1162/JCWS_r_00076.
72. Lord, Carnes. « The Past and Future of Public Diplomacy ». *Orbis* 42, no 1 (décembre 1998): 49–73. [https://doi.org/10.1016/S0030-4387\(98\)90050-3](https://doi.org/10.1016/S0030-4387(98)90050-3).
73. Lounnas, Djallil. 'La Chine au Moyen-Orient : un nouvel acteur ?' *Monde chinois* 38–39, no. 2–3 (2014): 111–34. <https://doi.org/10.3917/mochi.038.0111>.
74. ———. 'L'évolution de l'environnement stratégique de l'Algérie post-Printemps arabe'. *Maghreb - Machrek* 221, no. 3 (2014): 47–64.
<https://doi.org/10.3917/machr.221.0047>.
75. Marzouki, Nadia. 'De l'endiguement à l'engagement. Le discours des think tanks américains sur l'islam depuis 2001'. *Archives de sciences sociales des religions* 155, no. 3 (2011): 21–39. <https://www.cairn.info/revue-archives-de-sciences-sociales-des-religions-2011-3-page-21.htm>.
76. McInerney, Stephen, and Cole Bockenfeld. 'The Federal Budget and Appropriations for Fiscal Year 2014: Democracy, Governance, and Human Rights in the Middle East and North Africa | Project on Middle East Democracy (POMED)'. Project on Middle East Democracy. Accessed 5 December 2017.
<http://pomed.org/pomed-publications/the-federal-budget-and-appropriations-for-fiscal-year-2014-democracy-governance-and-human-rights-in-the-middle-east-and-north-africa/>.
77. Melissan, Jan. 'The New Public Diplomacy: Soft Power in International Relations'. *Choice Reviews Online* 44, no. 03 (1 November 2006): 44-1781-44–1781. <https://doi.org/10.5860/CHOICE.44-1781>.
78. Melissen, Jan. 'The New Public Diplomacy: Between Theory and Practice'. In *The New Public Diplomacy*, 3–27. *Studies in Diplomacy and International Relations*. Palgrave Macmillan, London, 2005. https://doi.org/10.1057/9780230554931_1.

79. Mikail, Barah. 'Les Etats-Unis et l'Egypte ou la loi du pragmatisme'. *Confluences Méditerranée* 75, no. 4 (2010): 181–89. <https://doi.org/10.3917/come.075.0181>.
80. Mirgani, Suzi, Mohamed Zayani, Fatima el Issawi, Naila Hamdy, Dina Matar, Marwan Kraidy, Joe Khalil, Abeer AlNajjar, Zahera Harb, and Philip Seib. 'Media and Politics in the Wake of the Arab Uprisings Summary Report', 2016.
81. Moravcsik, Andrew. « Federalism and Peace: A Structural Liberal Perspective ». *Zeitschrift für Internationale Beziehungen* 3, no 1 (1996): 123–32. <http://www.jstor.org/stable/40844135>.
82. Mousavi, mohammad ali, and saghaye biria hakimeh. 'American policy institutions and islam: the case of rand and brookings'. *Iranian review of foreign affairs* 6, no. 1/21 (spring 2015): 129–66. <http://irfajournal.csr.ir/WebUsers/irfajournal/UploadFiles/OK/139503091134385001996-F.pdf>.
83. Nakamura, Kennon H., and Matthew C. Weed. 'U.S. Public Diplomacy: Background and Current Issues'. Report. Digital Library, 18 December 2009. <https://digital.library.unt.edu/ark:/67531/metadc627029/>.
84. 'National Security Stategy'. The White House, February 2015. <http://nssarchive.us/wp-content/uploads/2015/02/2015.pdf>.
85. Nocetti, Julien. 'La diplomatie d'Obama à l'épreuve du Web 2.0'. *Politique étrangère Printemps*, no. 1 (2011): 157–69. <https://doi.org/10.3917/pe.111.0157>.
86. Noel, Pierre. 'La Stratégie Américaine de Sécurité et Le Pétrole Du Moyen-Orient'. Institut Français Des Relations Internationales, Centre Français Sur Les Etats-Unis, Working Paper 10, no. 03 (2003): 1.
87. Noël, Pierre, and Sonia Marcoux. 'La « doctrine Bush » et la sécurité pétrolière'. *Politique étrangère Été*, no. 2 (2006): 243–53. <https://doi.org/10.3917/pe.062.0243>.
88. Nossel, Suzanne. 'Smart Power'. *Foreign Affairs*, 1 March 2004. <https://www.foreignaffairs.com/articles/united-states/2004-03-01/smart-power>.
89. Nye, Joseph. 'U.S. Power and Strategy After Iraq'. *Foreign Affairs*, August 2003. <https://www.foreignaffairs.com/articles/united-states/2003-07-01/us-power-and-strategy-after-iraq>.
90. Obama, Barack. 'Renewing American Leadership'. *Foreign Affairs*, 1 July 2007. <https://www.foreignaffairs.com/articles/2007-07-01/renewing-american-leadership>.
91. Oifi, Mohammed El. 'Que reste-t-il de « l'esprit du Caire » ?, What's Left of the "Spirit of Cairo"?'. *Politique américaine*, no. 18 (2010): 37–55. <https://doi.org/10.3917/polam.018.0037>.
92. Pahlavi, Pierre. 'La diplomatie publique'. In *Traité de relations internationales*, 553–606. Presses de Sciences Po (P.F.N.S.P.), 2013. https://www.cairn.info/resume.php?download=1&ID_ARTICLE=SCPO_BALZA_2013_01_0553.
93. Parlar Dal, Emel. 'Le paradoxe méditerranéen de la Turquie. « La Turquie pour la Méditerranée », de l'indifférence à l'ambiguïté'. *L'Europe en Formation* 356, no. 2 (2010): 87–108. <https://doi.org/10.3917/eufor.356.0087>.

94. Pinkus, Jonathan. 'Intelligence and Public Diplomacy: The Changing Tide'. *Journal of Strategic Security* 7, no. 1 (March 2014): 33–46. <https://doi.org/10.5038/1944-0472.7.1.3>.
95. Pliez, Olivier. 'Toutes les routes de la soie mènent à Yiwu (Chine). Entrepreneurs et migrants musulmans dans un comptoir économique chinois'. *L'Espace géographique* 39, no. 2 (2010): 132–45. <https://doi.org/10.3917/eg.392.0132>.
96. Quessard-Salvaing, Maud. 'Repenser la diplomatie publique américaine après le 11 septembre : acteurs, enjeux et stratégies de diffusion au service du leadership'. *Mémoire(s), identité(s), marginalité(s) dans le monde occidental contemporain. Cahiers du MIMMOC*, no. 16 (7 April 2016). <https://doi.org/10.4000/mimmoc.2441>.
97. Raymond Viden, Anna. 'Les États-Unis et le Printemps arabe'. *Confluences Méditerranée* 79, no. 4 (2011): 13–26. <https://doi.org/10.3917/come.079.0013>.
98. Ross, Christopher. 'Public Diplomacy Comes of Age'. *The Washington Quarterly* 25, no. 2 (1 June 2002): 73–83. <https://doi.org/10.1162/01636600252820144>.
99. Rostami, Nargess. 'Public Diplomacy : Tools of Power in Foreign Policy : Case Study : Application of Public Diplomacy in Foreign Policy of United States of America'. *Kuwait Chapter of Arabian Journal of Business and Management Review* 33, no. 2541 (June 2014): 1–10. <https://doi.org/10.12816/0018400>.
100. Rouy, Régis Genté & Laurent. 'Dans l'ombre Des « révolutions Spontanées »'. *Le Monde diplomatique*, 1 January 2005. <https://www.monde-diplomatique.fr/2005/01/GENTE/11838>.
101. Rugh, William. 'American Soft Power and Public Diplomacy in the Arab World'. *Palgrave Communications* 3 (10 January 2017): 16104. <https://doi.org/10.1057/palcomms.2016.104>.
102. Sabbagh, Daniel. 'Les déterminants internes de la politique étrangère des Etats-Unis : une perspective diachronique'. *Revue internationale de politique comparée* 8, no. 1 (2001): 135–61. <https://doi.org/10.3917/ripc.081.0135>.
103. Senarclens, Pierre de. 'Théories et pratiques des relations internationales depuis la fin de la guerre froide'. *Politique étrangère Hiver*, no. 4 (2006): 747–59. <https://doi.org/10.3917/pe.064.0747>.
104. Shaheen, Jack G. 'Media Coverage of the Middle East: Perception and Foreign Policy'. *The ANNALS of the American Academy of Political and Social Science* 482, no. 1 (1 November 1985): 160–75. <https://doi.org/10.1177/0002716285482001010>.
105. Sheridan, Mary Beth. 'U.S. to Expand Relations with Muslim Brotherhood'. *Washington Post*, 30 June 2011, sec. National Security. https://www.washingtonpost.com/world/national-security/us-to-expand-relations-with-muslim-brotherhood/2011/06/30/AGVgppsH_story.html.
106. Simonet, Loïc. 'Les pipelines internationaux, vecteurs de prospérité, de puissance et de rivalités. Oléoducs et gazoducs dans la géopolitique et les relations internationales'. *Revue internationale et stratégique* 65, no. 1 (2007): 51–64. <https://doi.org/10.3917/ris.065.0051>.

107. Strausz-Hupé, Robert. 'L'avenir du monde occidental'. *Politique étrangère* 28, no. 4 (1963): 303–16. <https://doi.org/10.3406/polit.1963.2300>.
108. Summers, Lawrence, and Marie-Aude Cochez. 'Prospérité partagée et nouvel ordre économique mondial'. *Politique étrangère* 59, no. 4 (1994): 983–90. <https://doi.org/10.3406/polit.1994.4332>.
109. Taylor, Philip M. "'Munitions of the Mind": A Brief History of Military Psychological Operations'. *Place Branding and Public Diplomacy* 3, no. 3 (July 2007): 196–204. <https://doi.org/10.1057/palgrave.pb.6000064>.
110. Touati, Kamel. 'Appropriation des technologies de l'information et de la communication par les pays arabes : difficultés d'adoption ou source de développement ?' *Mondes en développement* 151, no. 3 (2010): 113–26. <https://doi.org/10.3917/med.151.0113>.
111. Urrutia, Olivier. 'The Role of Think Tanks in the Definition and Application of Defence Policies and Strategies'. *Revista Del Instituto Español de Estudios Estratégicos*, no. 2 (2013). <https://dialnet.unirioja.es/descarga/articulo/4537281/2.pdf>.
112. Vaisse, Justin. 'L'internationalisme Américain Après La Guerre Froide'. *Critique Internationale* 03, no. 119 (n.d.).
113. ———. « Les États-Unis sans Wilson. L'internationalisme américain après la guerre froide ». *Critique internationale* 3, no 1 (1999): 99-120. <https://doi.org/10.3406/criti.1999.1597>.
114. Wolf, Charles, and Brian Rosen. *Public Diplomacy: How to Think about and Improve It*. Occasional Paper, OP-134-RC. Santa Monica, Calif: Rand Corp, 2004.
115. Zaharna, R. S. 'American Public Diplomacy and the Islamic and Arab World: A Communication Update & Assessment'. Washington: Testimony before the US Senate, February 27 (2003). <http://wsnitgw.iwar.org.uk/psyops/resources/public-diplomacy/ZaharnaTestimony030227.pdf>.
116. Zhong, Xin, and Jiayi Lu. 'Public Diplomacy Meets Social Media: A Study of the U.S. Embassy's Blogs and Micro-Blogs'. *Public Relations Review* 39, no. 5 (December 2013): 542–48. <https://doi.org/10.1016/j.pubrev.2013.07.002>.
117. Zoubir, Yahia. 'The United States and Algeria: The Cautious Road to Partnership'. *The Maghreb Center Journal* 1 (2010).
118. Zoubir, Yahia H. 'Les États-Unis et le Maghreb : primauté de la sécurité et marginalité de la démocratie'. *L'Année du Maghreb*, no. II (1 March 2007): 563–84. <https://doi.org/10.4000/anneemaghreb.169>.

Thèses de doctorat et Mémoires universitaires :

1. Pallaver, Matteo. 'Power and Its Forms: Hard, Soft, Smart'. PhD thesis, The London School of Economics and Political Science, 2011. <http://etheses.lse.ac.uk/id/eprint/220>.
2. Safitri Bonea Palakkarisma. 'A Friend of Islam: US Public Diplomacy in the Muslim World as Constructed through President Obama's Speech in Cairo and Jakarta'. Master thesis, 4 September 2015. <http://dspace.library.uu.nl/handle/1874/319310>.

Sitographie :

1. Brahm, Eric. 'Public Diplomacy'. Text. Beyond Intractability, 6 July 2016. <https://www.beyondintractability.org/essay/public-diplomacy>.
2. Brown, John. 'Sinking in the Polls: Karen Hughes' Public Diplomacy Moment'. Huffington Post (blog), 23 September 2007. https://www.huffingtonpost.com/john-brown/sinking-in-the-polls-kare_b_65525.html.
3. CBS/AP. 'U.S. Terror Strategy: Hard and Soft Power', 2009. <https://www.cbsnews.com/news/us-terror-strategy-hard-and-soft-power/>.
4. Center for International Private Enterprise. 'Advancing Corporate Governance in the Middle East and North Africa: Stories and Solutions'. Center for International Private Enterprise, 1 February 2011. <http://www.cipe.org/publications/detail/advancing-corporate-governance-middle-east-and-north-africa-stories-and>.
5. ———. 'Combating Corruption'. Center for International Private Enterprise, 1 November 2011. <http://www.cipe.org/topic/combating-corruption>.
6. Chaigneau, Pascal. 'Géopolitique et Enjeux Stratégiques Du Pétrole'. Carnets du Business. Accessed 2 December 2017. http://www.carnetsdubusiness.com/Geopolitique-et-enjeux-strategiques-du-petrole_a468.html.
7. CORBUCCI, Théo, and William FREGONESE. 'Soft Power, Hard Power et Smart Power : Le Pouvoir Selon Joseph Nye'. Nonfiction.fr. Accessed 7 December 2017. <https://www.nonfiction.fr/article-7095-soft-power-hard-power-et-smart-power-le-pouvoir-selon-joseph-nye.htm>.
8. CRISTOFINI, Mathieu, Dimitri MAISONNEUVE, Lidia MARTINAGE, Gonzague VERDON, Jean-François BIANCHI, and Christian HARBULOT. 'La Diplomatie Publique appliquée aux entreprises'. Paris: Ecole de Guerres économiques, 12 May 2017. https://www.ege.fr/download/La_Diplomatie_Publique_appliquee%20_aux_entreprises.pdf.
9. Curtin, Jeremy. 'U.S. Public Diplomacy 2.0'. Public Diplomacy Magazine, Summer 2009. <https://www.publicdiplomacymagazine.com/u-s-public-diplomacy-2-0/>.
10. Dalacoura, Katerina. 'Democratisation: Uprising, Violence and Reform'. In The Arab Spring Implication for British Policy. Conservative Middle East Council, 2011. <https://cmec.org.uk/sites/default/files/field/attachment/October%202011%20CMEC-Arab-Spring.pdf>.
11. DAZI-HENI, Fatiha. 'Désir de Puissance. Le Qatar a-t-Il Les Moyens de Ses Ambitions Diplomatiques Dans Le Monde Arabe ?' IFRI, 2012. <https://www.ifri.org/fr/publications/editoriaux/actuelles-de-lifri/desir-de-puissance-qatar-t-moyens-de-ambitions>.

12. Demchak, Chris, Jason Kerben, Jennifer McArdle, and Francesca Spidalieri. 'CYBER READINESS INDEX 2.0'. Arlington: Potomac Institute for Policy Studies, 2015. <https://www.belfercenter.org/sites/default/files/legacy/files/cyber-readiness-index-2.0-web-2016.pdf>.
13. Ej112002.Pdf'. Accessed 3 April 2018. <https://photos.state.gov/libraries/vietnam/8621/translations/ej112002.pdf>.
14. EKOVIK, Steven. 'LES ONG ET LA POLITIQUE ÉTRANGÈRE DES ÉTATS-UNIS | Académie de Géopolitique de Paris', May 2007. <http://www.academiedegeopolitiquedeparis.com/les-ong-et-la-politique-etrangere-des-etats-unis/>.
15. Germain, Valentin. 'Déroit d'Ormuz, Un Passage Stratégique - Les Clés Du Moyen-Orient'. Accessed 2 December 2017. <http://www.lesclesdumoyenorient.com/Detroit-d-Ormuz-un-passage.html>.
16. GIACOBINO, LAURENT. 'Panorama Des Médias En Ligne'. L'agence française de coopération médias, 2015. <http://www.cfi.fr/fr/actualites/panorama-des-medias-en-ligne>.
17. Glosny, Michael A. 'Meeting the Development Challenge in the 21st Century', August 2006. <https://www.belfercenter.org/publication/meeting-development-challenge-21st-century-american-and-chinese-perspectives-foreign-aid>.
18. Government Assessment of the Syrian Government's Use of Chemical Weapons on August 21, 2013'. whitehouse.gov, 30 August 2013. <https://obamawhitehouse.archives.gov/the-press-office/2013/08/30/government-assessment-syrian-government-s-use-chemical-weapons-august-21>.
19. Gregory, Bruce. 'Public Diplomacy and National Security: Lessons from the U.S. Experience', 5 August 2008. <http://www.publicdiplomacy.org/100.htm>.
20. Haas, Richard. The role of think tanks in u.s. foreign policy. An Electronic Journal of the U.S. Department of State. Vol. 7. 3. Washington, DC, 2002. <https://photos.state.gov/libraries/vietnam/8621/translations/ej112002.pdf>.
21. Hawkins, James A. 'Doctrine for Joint Psychological Operations'. The Joint Chiefs of Staff, 5 September 2003. https://nsarchive2.gwu.edu/NSAEBB/NSAEBB177/02_psyop-jp-3-53.pdf.
22. Holmes, Kim. 'President-Elect Obama, We Need a New Kind of Public Diplomacy'. The Heritage Foundation. Accessed 6 December 2017. </technology/commentary/president-elect-obama-we-need-new-kind-public-diplomacy>.
23. Khatib, Lina, William Dutton, and Michael Thelwall. 'Public Diplomacy 2.0: An Exploratory Case Study of the US Digital Outreach Team'. SSRN Scholarly Paper. Rochester, NY: Social Science Research Network, 4 January 2011. <https://papers.ssrn.com/abstract=1734850>.
24. 'Kim Andrew Elliott Reporting on International Broadcasting'. Accessed 18 December 2017. <http://kimelli.nfshost.com/index.php?id=8104>.
25. Kim, Hwajung. 'Cultural Diplomacy as the Means of Soft Power in an Information Age'. Institute for Cultural Diplomacy, 2011.

26. Kristin, M. Lord. 'Voices of America: U.S. Public Diplomacy for the 21st Century'. Accessed 5 December 2017. <https://www.brookings.edu/research/voices-of-america-u-s-public-diplomacy-for-the-21st-century/>.
27. Labarique, Paul. 'La démocratie forcée'. Réseau Voltaire. Accessed 5 April 2018. <http://www.voltairenet.org/article15981.html>.
28. Lafargue, François. 'Chine/États-Unis. La Course Aux Hydrocarbures !', 2007. https://www.scienceshumaines.com/chine-etats-unis-la-course-aux-hydrocarbures_fr_21236.html.
29. Layne, Christopher. 'Liberalism and American Overexpansion: The Witches' Brew of Offensive Realism and Wilsonianism', March 2005. http://citation.allacademic.com/meta/p_mla_apa_research_citation/0/7/1/1/9/pages71193/p71193-1.php.
30. Lungu, Angela Maria. 'War.Com : Internet and Psychological Operations'. Naval War College, 2001. <http://www.au.af.mil/au/awc/awcgate/psyops/e-psyops.pdf>.
31. Mandraud, sabelle. 'Moscou Privatise Partiellement Rosneft, Le Premier Producteur Russe de Pétrole', 8 December 2016. http://www.lemonde.fr/economie/article/2016/12/08/moscou-privatise-partiellement-rosneft-le-premier-producteur-russe-de-petrole_5045520_3234.html.
32. Mehdi LAZAR. 'Le Qatar Cherche Une Influence Sur La Scène Diplomatique Mondiale', 2012. <https://www.diploweb.com/Qatar-une-politique-d-influence.html>.
33. Nacos, Brigitte L. 'Note to Pres. Obama: Public Diplomacy Must Aim at Largest Audience'. reflectivpundit. Accessed 6 December 2017. <http://www.reflectivpundit.com/reflectivpundit/2009/01/note-to-pres-obama-public-diplomacy-must-aim-at-largest-audience.html>.
34. 'Obama Calls for Restraint, Reform in Egypt', 1 February 2011. <http://web.archive.org/web/20110201193635/http://www.google.com/hostednews/ap/article/ALeqM5hJYBPPuG4Y1vq7XMe3NnsL7yOqRQ?docId=e5469a82800b40e498667d555837548f>.
35. Office, U. S. Government Accountability. 'U.S. Public Diplomacy: State Department Efforts to Engage Muslim Audiences Lack Certain Communication Elements and Face Significant Challenges', no. GAO-06-535 (3 May 2006). <https://www.gao.gov/products/GAO-06-535>.
36. Ondiak, Natalie. 'President Obama's Foreign Policy: Public Diplomacy Is Front and Center', 21 March 2009. <https://thinkprogress.org/president-obamas-foreign-policy-public-diplomacy-is-front-and-center-c2e235ec463a/>.
37. Paris, Roland. 'The Digital Diplomacy Revolution: Why Is Canada Lagging Behind?' Centre for International Policy Studies (blog). Accessed 18 December 2017. <http://www.cips-cepi.ca/2013/06/20/the-digital-diplomacy-revolution-why-is-canada-lagging-behind/>.
38. 'Public Diplomacy and Strategic Communication American Security Project'. Accessed 3 December 2017. <https://www.americansecurityproject.org/issues/public-diplomacy-and-strategic-communication/>.

39. 'RAND at a Glance'. Accessed 17 December 2017.
<https://www.rand.org/about/glance.html>.
40. Richter, Hannes R. 'Web 2.0 and Public Diplomacy'. University of Innsbruck Vienna Austria, 2011.
<https://static1.squarespace.com/static/559921a3e4b02c1d7480f8f4/t/5862fd06f7e0abc3cf8d3b32/1482882311520/Richter.pdf>.
41. Ritter, Scott. "'Digital Democracy' and the 'January 25 Revolution' in Egypt". Huffington Post (blog), 26 January 2016. https://www.huffingtonpost.com/scott-ritter/digital-democracy-and-the_b_9077082.html.
42. Russo, Pippa. 'Digital Diplomacy in the Middle East and North Africa'. Accessed 5 December 2017. <https://blogs.fco.gov.uk/pipparusso/2013/02/28/digital-diplomacy-in-the-middle-east-and-north-africa/>.
43. Schrot, Jacob. 'American Soft Power and Geopolitics'. In IAPSS World Congress. Thessaloniki, Greece, 2014. <https://junge-transatlantiker.de/wp-content/uploads/2014/04/American-Soft-Power-and-Geopolitics.pdf>.
44. Sur, Serge. 'L'hégémonie Américaine En Question', 2013.
<http://www.diplomatie.gouv.FR/FR/img/pdf-FDOO1240.pdf>.
45. 'The 2015 Quadrennial Diplomacy and Development Review'. Accessed 25 September 2017. <https://www.csis.org/analysis/2015-quadrennial-diplomacy-and-development-review>.
46. « The Velvet Hegemon ». Foreign Policy (blog). Consulté le 13 juin 2018.
<https://foreignpolicy.com/2009/11/02/the-velvet-hegemon/>.
47. The Free Library. 'Digital Diplomacy: IIP Engages New Audiences with Social Media.', 2014.
<https://www.thefreelibrary.com/Digital+diplomacy%3a+IIP+engages+new+audiences+with+social+media.-a0212768525>.
48. USAID. 'USAID Primer: What We Do and How We Do It', 2006.
https://www.usaid.gov/about_usaid/primer.html.
49. Voltaire, Thierry Meyssan, Réseau. 'Le FPRI et Robert Strausz-Hupé'. Réseau Voltaire. Accessed 4 April 2018. <http://www.voltairenet.org/article15022.html>.
50. Voltaire, Thierry Meyssan, Réseau. « La doctrine stratégique des Bush, par Thierry Meyssan ». Réseau Voltaire. Consulté le 14 juin 2016.
<http://www.voltairenet.org/article14489.html>.
51. Wittes, Sarah E. Yerkes and Tamara Cofman. 'What Price Freedom? Assessing the Bush Administration's Freedom Agenda'. Brookings (blog), 30 November 2001.
<https://www.brookings.edu/research/what-price-freedom-assessing-the-bush-administrations-freedom-agenda/>.
52. Wright, Thomas. 'Interpreting the National Security Strategy'. Brookings (blog), 30 November 2001. <https://www.brookings.edu/blog/up-front/2015/02/06/interpreting-the-national-security-strategy/>.
53. Ikenberry, G. John. « The Right Grand Strategy ». The American Interest (blog), 1 janvier 2010. <https://www.the-american-interest.com/2010/01/01/the-right-grand-strategy/>.

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى	
-		إهداء
-		شكرو عرفان
-		خطة البحث
01	مقدمة
	مكانة الدبلوماسية العامة في السياسة الخارجية والأمن الأمريكي : مقارنة مفاهيمية و	الفصل الأول
18 نظرية	
19 الدبلوماسية العامة في الممارسة الأمريكية.	المبحث الأول
20 نشأة وتطور الدبلوماسية العامة الأمريكية.	المطلب الأول
23 تحديد مفهوم الدبلوماسية العامة الأمريكية.	المطلب الثاني
25 أهداف الدبلوماسية العامة الأمريكية	1.
28 أبعاد الدبلوماسية العامة الأمريكية	2.
31 الدبلوماسية العامة الأمريكية : بناء إطار نظري للتحليل	المطلب الثالث
31 التيار المثالي ومقاربة المسارات الدبلوماسية	1.
37 الدبلوماسية العامة كقوة ناعمة عند جوزيف ناي	2.
44 الدبلوماسية العامة كدعاية و ادارة سمعة : مساهمة برايان هوكينغ	3.
47 القائمون بالدبلوماسية العامة	المطلب الرابع
47 وسائل الاعلام و الدعاية	1.
51 المنظمات غير الحكومية	2.
54 مراكز الفكر Les Think tank	3.
59 المنطلقات النظرية للسياسة الخارجية	المبحث الثاني
60 محددات وأهداف السياسة الخارجية الأمريكية	المطلب الأول
67 المضامين النظرية للسياسة الخارجية الأمريكي	المطلب الثاني
67 الطرح الواقعي	1.
71 الطرح الليبرالي	2.
75 الطرح الامبريالي	3.
79 الامبريالية الجديدة في السياسة الخارجية الأمريكية بعد 11 سبتمبر	المطلب الثالث
87 الدبلوماسية العامة والأمن القومي الأمريكي : المقاربات النظرية	المبحث الثالث
87 الأمن في المقاربات النظرية الكبرى	المطلب الأول
88 المقاربات الكبرى للأمن في العلاقات الدولية	1.
99 الدبلوماسية العامة في منظور المقاربات النظرية الكبرى للأمن	2.
104 تأثير الايديولوجيات السياسية الكبرى على مضامين السياسات الأمنية الأمريكية	المطلب الثاني
105 تيار الانعزاليين	1.
108 تيار الهيمنة	2.
112 تيار الأأمين	3.
117 التطورات الاستراتيجية في السياسة الخارجية الأمريكية	المطلب الثالث
117 فترة جورج بوش الابن وتأثير المحافظين الجدد	1.
123 فترة باراك أوباما	2.

129 المنطقة العربية كفضاء جيواستراتيجي غير آمن	المبحث الأول
130 المنطقة العربية كفضاء جيوسياسي	المطلب الأول
130 فضاء المنطقة العربية	1.
131 الأهمية الجيواستراتيجية للمنطقة العربية : العناصر الهيكلية	أ.
137 التقاطعات الهرمية لفضاء المنطقة العربية مع الفضاءات الجيوسياسية الأخرى	ب.
142 خصائص المشاكل الجيوبوليتيكية التي يفرزها فضاء المنطقة العربية : الحركيات المهيكلية	2.
145 تأثير المصالح الأمريكية على النظام الاقليمي العربي	المطلب الثاني
146 المصالح الأمريكية في المنطقة العربية	1.
153 المصالح الأمريكية في المنطقة العربية كامتداد للأمن القومي الأمريكي	2.
154 مشروطية الأمن الأمريكي بالحضور الدائم في المنطقة	أ.
156 نحو مناهضة مستمرة للمصالح الأمريكية في المنطقة العربية	ب.
158 السياق الجيواستراتيجي المتغير للمنطقة العربية	المطلب الثالث
158 الاتجاهات الجيواستراتيجية الجديدة في المنطقة العربية	1.
169 تراجع الدور الأمريكي في المنطقة العربية ؟	2.
173 تطور الفضاء الاتصالي العربي و إعادة توجيه الدبلوماسية العامة نحو الاتصال الاستراتيجي	المبحث الثاني
174 البيئة الاتصالية والاعلامية العربية كفضاء نشاط للدبلوماسية العامة الأمريكية : أولوية الاستثمار في الفضاء الافتراضي	المطلب الأول
174 الفضاء الاتصالي والافتراضي العربي الجديد	1.
181 الشبكات الاجتماعية كوسيلة تعبئة اجتماعية و سياسية	2.
182 أثر البيئة الاتصالية العربية على مؤسسة الدبلوماسية العامة الأمريكية	3.
185 الدبلوماسية العامة الأمريكية كاتصال استراتيجي أممي	المطلب الثاني
185 المقاربة الاستراتيجية للدبلوماسية العامة الأمريكية	1.
190 نحو استراتيجية اتصالية في الدبلوماسية العامة	2.
195 الاتصال الاستراتيجي الرسمي من خلال خطاب الوعود بالقاهرة 2009 : دراسة حالة	المطلب الثالث
195 أهمية السياق العام : ضرورة البحث عن بداية جديدة	1.
197 محورية الوعود في خطاب القاهرة	2.
199 الدبلوماسية العامة الرسمية لإدارة الرئيس أوباما : نموذج القوة الذكية لإعادة تعريف مضامين الزعامة الأمريكية على العالم العربي	المبحث الثالث
201 إعادة تكييف القوة المرنة للحفاظ على الزعامة الأمريكية	المطلب الأول
202 التوجه الجديد لثنائية القوة الصلبة و القوة المرنة في السياسة الخارجية الأمريكية	1.
205 الاستراتيجيات المرنة في سياسة القوة الأمريكية في العالم العربي	2.
208 تحليل خطة الدبلوماسية و التنمية الرباعية لسنة 2015	3.
210 دور البنى العسكرية للقوة في الدبلوماسية العامة	المطلب الثاني
211 العناصر المؤسسة لمفهوم العمليات النفسية	1.
212 خصائص العمليات النفسية للفاعلين العسكريين في المنطقة العربية	2.
215 الدبلوماسية العامة لوكالة الاستخبارات المركزية في المنطقة العربية	المطلب الثالث
215 الاستخبارات كفاعل من فواعل القوة الذكية	1.
217 أدوار الاستخبارات المركزية كفاعل في الدبلوماسية العامة في المنطقة العربية	2.
220 حوصلة : خصائص مقارنة الرئيس أوباما للدبلوماسية العامة كقوة ذكية	3.

222	تحليل البعد الأمني للدبلوماسية العامة في المنطقة العربية : الفاعلون غير الرسميون والقضايا	الفصل الثالث
223	الخطاب الأمريكي بشأن الديمقراطية وحقوق الانسان : دور الوكالة الأمريكية للتنمية.....	المبحث الأول
224	الديموقراطية و حماية حقوق الانسان في الاستراتيجية الأمنية الأمريكية	المطلب الأول
225	مضمون الديمقراطية و حقوق الانسان تجاه العالم العربي.....	1.
230	أدولت ووسائل الديمقراطية في العالم العربي	2.
235	منظمات المجتمع المدني كآلية لتحقيق الديمقراطية	3.
238	الدبلوماسية العامة من خلال الوكالة الأمريكية للتنمية : الأدوار، المشاريع و الأهداف.....	المطلب الثاني
239	الأدوار والمشاريع.....	1.
245	أهداف الوكالة الأمريكية للتنمية	2.
249	الوكالة الأمريكية للتنمية و الاختراق الناعم للعالم العربي.....	المطلب الثالث
249	الحالة المصرية من خلال معايير تقديم المساعدات الاقتصادية	1.
252	الحالة العراقية : معايير نشر الديمقراطية وإعادة البناء.....	2.
256	الحالة السعودية : تكريس التحالف	3.
	الدبلوماسية العامة الأمريكية و مكافحة الارهاب في العالم العربي : دور مراكز الفكر (نموذج	المبحث الثاني
259راند).	
260	دور القوة الناعمة في محاربة الارهاب في العالم العربي	المطلب الأول
261	الارهاب و معاداة امريكا.....	1.
265	الدعاية تحسين الصورة	2.
271	مركز راند كفاعل سياسي و دبلوماسي وتأثيره على السياسات المتعلقة بالإسلام السياسي.....	المطلب الثاني
272	دور مركز راند في بناء استراتيجية التعامل مع الاسلام السياسي.....	1.
278	التجسيد العملي و السياسي لأفكار مركز راند عن الاسلام السياسي	2.
283	دور مركز راند في تكييف السياسة الأمنية الأمريكية في مكافحة الارهاب.....	المطلب الثالث
283	خطاب مركز راند عن الارهاب : من الارهاب إلى الارهاب الاسلامي	1.
290	تأثير خطاب مركز راند عن الارهاب الاسلامي على السياسات الأمنية منذ 11 سبتمبر	2.
296	ثورات الربيع العربي بين القوة المرنة و القوة الذكية : الدبلوماسية العامة الرقمية	المبحث الثالث
297	الدبلوماسية الرقمية و ثورات الربيع العربي و الموقف الأمريكي منها.....	المطلب الأول
297	الدبلوماسية الرقمية و القوة الذكية الأمريكية	1.
303	ثورات الربيع العربي و الموقف الأمريكي منها	2.
311	استراتيجيات تسويق الدبلوماسية العامة في العالم العربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي.....	المطلب الثاني
312	الدبلوماسية العامة للأمن الالكتروني و الجاهزية الالكترونية 2.0.....	1.
317	دبلوماسية فايسبوك و تويتر	2.
322	الدبلوماسية العامة الرقمية الأمريكية و تعزيز الحراك الشعبي من خلال الحالة المصرية	المطلب الثالث
323	السلوك الأمريكي تجاه الثورة : دعم جماعة الاخوان المسلمين	1.
327	أثر الشبكات الاجتماعية و وسائل و تكنولوجيايات الاتصال الحديثة في تطور الحراك الشعبي في مصر	2.

	تقييم دور الدبلوماسية العامة الأمريكية في تحقيق أهداف السياسة الأمنية الأمريكية في	الفصل الرابع
333المنطقة العربية	
334	الدبلوماسية العامة : أمننة للقيم أم أمننة للمصالح ؟.....	المبحث الأول
335	في الشأن الديمقراطي.....	المطلب الأول
335	تقييم برامج أمريكا لدعم الديمقراطية في العالم العربي.....	1.
340	تحديات الدبلوماسية في تطبيق الديمقراطية	2.

344 بخصوص سياسة مكافحة الارهاب	المطلب الثاني
344تقييم دور الو.م.أ. في مكافحة الارهاب في العالم العربي	1.
348مدى نجاح الدبلوماسية العامة في تحسين الصورة	2.
353في الحراك الشعبي والثورات الشعبية	المطلب الثالث
353تقييم أبعاد الموقف الأمريكي في مواجهة التحديات الأمنية للربيع العربي	1.
357القوة الذكية ومدى نجاحها في تعزيز الحراك الشعبي في العالم العربي	2.
 إستراتيجية إعادة صياغة السياسة الخارجية الأمريكية وفق أبعاد الدبلوماسية العامة في المنطقة العربية	المبحث الثاني
362هل الدبلوماسية العامة حققت أهداف السياسة الخارجية؟	المطلب الأول
363من خلال الأنشطة والأهداف	1.
366من خلال الوسائل والأدوات	2.
372: إستراتيجية تفعيل الدبلوماسية العامة الأمريكية في المنطقة العربية	المطلب الثاني
372على المستوى الرمزي : إعادة نهج الدبلوماسية العامة في السياسة الخارجية	1.
376على المستوى التنظيمي : إعادة توجيه وتنسيق الدبلوماسية العامة	2.
381مشاكل وتحديات الدبلوماسية العامة الأمريكية في المنطقة العربية	المطلب الثالث
381المشاكل والتحديات	1.
385سبل مواجهة التحديات والمشاكل	2.
388ملامح مستقبل الدبلوماسية العامة الأمريكية في العالم العربي	المبحث الثالث
389تنامي الطلب على الدبلوماسية العامة والقوة المرنة : سيناريو الاستمرار	المطلب الأول
389كسب العقول والقلوب في العالم العربي	1.
393تصاعد الطلب على القوة الناعمة وتراجعها على القوة لصلبة	2.
397استمرار تراجع الصورة الأمريكية في العالم العربي : سيناريو التراجع	المطلب الثاني
397تراجع صورة و سمعة الولايات المتحدة الأمريكية في العالم العربي	1.
401تراجع القوة الأمريكية الناعمة وتبديدها	2.
407	خاتمة
417	قائمة المراجع
439	فهرس المحتويات
443	فهرس الأشكال و الخرائط
-	الملخص (باللغتين العربية و الفرنسية)

فهرس الأشكال و الخرائط

أولا : الأشكال

الصفحة	المحتوى	رقم الشكل
36	مسارات الدبلوماسية حسب دياموند و ماكدونالد	شكل رقم 01
38	شكل توضيحي لاستخدام معنى القوة الناعمة عند جوزيف ناي	شكل رقم 02
40	تغير مفهوم القوة بسبب تعدد دلالات مصطلح القوة المرنة	شكل رقم 03
52	الفاعلون الرسميون و غير الرسميون في الدبلوماسية العامة	شكل رقم 04
113	موقع الأفكار الأممية ضمن خارطة التيارات الايديولوجية الكبرى الموجهة للسياسة الخارجية الأمريكية	شكل رقم 05
177	رسم بياني يمثل عدد المواقع الاعلامية الرائدة من بين الـ 50 موقع الأولى الأكثر زيارة حسب قاعدة بيانات أليكسيا	شكل رقم 06

ثانيا : الخرائط

الصفحة	المحتوى	رقم الخريطة
130	خريطة العالم العربي الجيو سياسية	خريطة رقم 01
142	جغرافيا عدم استقرار و الحضور العسكري الأجنبي في العالم العربي	خريطة رقم 02
176	خريطة العالم العربي تحدد نسبة الوصول إلى الانترنت في المنطقة العربية لسنة 2013	خريطة رقم 03

ملخص :

تعرف الدبلوماسية العامة الأمريكية في المنطقة العربية - أي دبلوماسية و سياسات الاتصال و التواصل مع الجماهير العربية- نوعا من التجديد منذ نهاية الحرب الباردة، بسبب تغير السياقات الجيوستراتيجية العامة. رغم الاختلاف في الوسائل و الأهداف مقارنة بفترة الحرب الباردة إلا أن الدبلوماسية العامة الأمريكية تبقى خاضعة للأسلوب الأمريكي و للموروث الثقافي و الاستراتيجي الأمريكي حيث أنها أساسا سلوك تأثيري في الجماهير هادف إلى توقع حصول تعديل في سلوك الدولة العربية. لقد حاولت هذه الدراسة فهم طبيعة هذا النشاط فاعتبرت أنها قبل كل شيء نشاط اتصالي استراتيجي يندرج ضمن ما سماه جوزيف ناي في البداية بالقوة المرنة ثم لاحقا بالقوة الذكية، و هو مفهوم واقعي خالص لطبيعة العلاقات التي يجب أن تُربط مع الجماهير العربية. كنتيجة لهذا التأويل المقترح لفلسفة ناي عن الدبلوماسية العامة يلاحظ وجود نوع من عدم الاستقرار المؤسسي و الاستعصاء في الأداء تعاني منه الهياكل الرسمية للدبلوماسية العامة و هو الأمر الذي ينتج عنه نزوع نحو نمط مخصص من الدبلوماسية العامة. يعود هذا الأمر إلى طبيعة النظام السياسية الأمريكي المتميز بالانفتاح و عدم التركيز السلطوي عند الدولة، و لكن رغم هذا التعدد في الفاعلين فإنه و من خلال دراسة العديد من الحالات في هذا البحث مثل الارهاب، الربيع العربي... الخ يتبين أن أنشطة الدبلوماسية العامة كلها تخدم هدفا استراتيجيا محوريا و هو تقليص حجم التعارض بين السياسات التدخلية الأمريكية و التصورات التي تحظى بها لدى الجماهير العربية من أجل إحداث تأثير في سلوك الدول العربية.

Résumé :

La diplomatie publique américaine dans le monde arabe, c'est-à-dire la l'action et les politiques de communication destinées aux publics arabes, connaît une sorte de renouvellement en raison des mutations que connaissent les contextes géostratégiques globaux. Malgré les différences en termes de moyens et des objectifs comparativement à l'ère de la guerre froide, cette diplomatie publique reste tributaire au style américain hérité de la culture stratégique et qui est fondamentalement des actions destinées à influencer sur les opinions publiques avec pour objectif réaliste d'envisager de modifier le comportement de l'Etat arabe. Ainsi, cette étude a tenté de comprendre la nature de ces activités en considérant qu'elles sont avant tout des actions de communication stratégique relevant de ce que Joseph Nye appelé au début un *soft power* et par la suite un *smart power*, un concept dont la connotation est purement réaliste sur la nature des rapports qu'il faut entretenir avec les publics arabes. De cette interprétation proposée à la philosophie internationaliste de Nye à propos de la diplomatie publique découle le constat selon lequel cette dernière souffre non seulement de l'instabilité institutionnelle mais aussi d'une sorte de déficit exprimé en termes d'atteinte des objectifs tracés au préalable. Par conséquent, la diplomatie publique américaine a de plus en plus tendance à se privatiser. Ceci n'est rendu possible que grâce à la nature du système politique américain marqué par l'ouverture institutionnelle et la déconcentration des pouvoirs étatiques. Cependant, et malgré la multitude des acteurs et à travers l'étude de quelques cas, ci-présents, à savoir le terrorisme et les évènements qualifiés de "printemps arabe"..etc, il s'avère que les activités de la diplomatie publique servent, toutes, un objectif stratégique central; réduire le degré d'opposition entre les politiques interventionnistes états-uniennes et les représentations qu'ait le public arabe sur celles-ci afin d'influer le comportement officiel des Etats arabes.